@ayedh105

من أفواه الرواة

* عبر من الحياة * الزمن خلف عقارب الساعة
* اجتماعيات
* مالم يدون من الشعر والقصص الشعبي

عبدالكريم بن صالح الطويان

حقوق الطبع والنشر
محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ

اللوحات الفنية
من عمل الفنان: عبدالله الصالحي

صدر الإذن بطباعة هذا الكتاب ونشره
من وزارة الإعلام (إدارة المطبوعات بالقصيم)
تحت رقم ١٥٨/ م / ق بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٤١٠هـ

التصميم والاخراج والتنفيذ
دار الجسر للطباعة والنشر والاعلان - الرياض ت: ٤٧٧٢٠٨٠
فاكسملي ٤٧٧٢٧٣٦ - مكتب منطقة القصيم - بريدة ت: ٣٢٤٣٦١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــــداء

إليك أنت . .

يامن قدَّر الله لك أن تحمل كتابي هذا بين يديك الكريمتين، وأن تنظر فيه . .

وأن تصرف عليه شيئا من وقتك .

إليك أخي في الله . . إليك أختي في الله . .

أهدي هذا الكتاب . .

وإني لأرجو أن تجد فيه ما ينفعك ويسعدك .

فإن أصبت خيرا ، فلا تبخل علي بدعوة في ظهر الغيب ؛

وإن وجدت غير ذلك ، فاستغفر لي الله العظيم ؛

«إنه هو الغفور الرحيم» .

عبدالكريم الطويان

بريدة في ١٥/ ٥/ ١٤١٠هـ

« التقديـــم »

بقلم الدكتور/ حسن بن فهد الهويمل
الأستاذ بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم
ورئيس نادي القصيم الأدبي ببريدة

تكرم أخي الأستاذ/ عبدالكريم الطويان فقدم لي مخطوطة كتابه الأول:

« من أفـواه الـرواة »

وطلب مني قراءته وتقديمه إلى القراء. والمقدمة حين يستكتب لها تعد تكريما مزدوجا للاثنين، وثقة ومحبة من المؤلف، وهي إلى جانب ذلك شكل من الأشكال يعمد إليه البعض، وينصرف عنه آخرون، وقد قيل إن المقدمة آخر ما يكتب وأول ما يقـرأ، وحين لم يكن لي بد من التدخل بين القاريء وعمل المؤلف حاولت أن أتوخى الإيجاز ما أمكن ذلك، لقد قرأت العمل الطريف مجموعا بين دفتي كتاب وكنت قد قرأت أمشاجا منه في الصحف السيارة، وكان لي رغبة في أن يجمع المؤلف مقالاته في كتاب فهي جهد يفيض بالحكم والمواعظ والأمثال، والناس محتاجون إلى هذا اللون من التأليف.

لقد جاء هذا الكتاب خليطا من أفكار وتجارب شتى تفرقت في رأي العين ولكنها اجتمعت في توجهها الإرشادي، والكاتب الذي لا يغمد القلم تنتابه أحوال ومشاعر ومشاهدات ومهمة القلم رصد كل هذه الأشياء والنبش عن النتائج، فالحياة عبر ودروس فأحـداثها وحوادثها ومصادفاتها ومفاجآتها شريط حي يقدم المواعظ، والكاتب في بعض فصول الكتاب اقتفى أغرب الأحداث محاولا استثمارها تربويا ومن ثم جاءت تحمل سمات الإمتاع والفائدة، والزمن وعاء الحياة ولا يمكن انفصال أحـداث الحياة عن زمنها، ومن ثم فإن عقارب الساعة الزاحفة على كل كف تجر وراءهـا حيـاة النـاس والكـون دون صخب أو ضجيـج. إنها تطوي زمنا حافلا بالأحداث والذكريات ولما كان الزمن من أعز المثمنات فقد اجتهد الكاتب في تنبيه الغـافلين والمفـرطين والمسوفين، ذلك ما أراد الكاتب أن يقوله للذين يفرطون في الزمن، ولكنه لم يمارس أسلوب الواعظين، ولم يتخذ منهج الآمرين المطلين من فوق،

بل جنح إلى الرصد لأحداث يبرز فيها جانب الزمن ويكمن فيها أكثر من عبرة، ولم يقتصر على عنصر الزمن، بل تخطاه إلى معالجة الظواهر الإجتماعية.

وفي الإجتماعيات تبدو العناوين مثيرة إلى أبعد الحدود، وتوجهه إلى الكتاب ينم عن ضيق وبرم بالتافهين منهم وما أكثر التافهين الذين يسرقون وقتك وجهدك، ومن ثم نصحهم بالصوم عن الكتابة وبالقراءة، وطرح بعض الأفكار التي تستحق التناول.

ولعل تعدد الموضوعات والقضايا فوت عليه العثور على عنوان جامع مانع، يخلصه من مضائق الوحدة الموضوعية.

وميدان الإجتماعيات ميدان واسع يمتد مع الزمان والمكان وأي شيء من أمور الحياة لا يمكن إضافته إلى اجتماع الناس وتبادلهم المنافع والخيرات؟

أما الفصل الرابع فشيء آخر يختلف ويلتقي مع سابقيه في آن إنه خليط من كل شيء ولكنه شيء واحد تفرقه إن شئت إلى قضايا، وتجمعه في قضية واحدة ولكنك في كلا الحالين لا تخرجه عن الإختيار. والمختار ليس نصا معزولا عن تدخل الكاتب إنه استثمار للمختار.

وإذا كان الفصل الأخير من هذا الكتاب يعتمد على الشعر النبطي كشاهد ومادة، وأنا لا أرى أن يتجاوز هذا اللون حد المشافهة، فإن المؤلف أراد منه خلاف ما يريد الآخرون، لقد ساقه لغرض دلالي صرف للذكرى والموعظة والإعتبار، ولا تتأتى له مخاطبة القراء إلا عن طريق الكتابة.

إن بعض موضوعات الكتاب تغلب عليها الرواية، ولم يكن المؤلف بدعا من الأمر حين فرغ لجمع الحكايات والقصص والسير من أفواه الرواة؛ فعلماؤنا الأوائل بذلوا جهودا مضنية في سبيل ذلك. وعلى رأس أولئك علماء الحديث الذين جمعوه عن طريق الرواية، ومن ثم هب العلماء لوضع أصول ومقاييس للرواية واجتهدوا في تمحيص النصوص، فنقدوا السند والمتن، وجاء المصدر الثاني من مصادر التشريع محاطا بكوكبة من علماء الرجال وكانوا مثالا يحتذى لمن جاء بعدهم.

واللغة العربية دونت مفرداتها وبناؤها وبنيتها واشتقاقها عن طريق الرواية وهب علماء اللغة كما هب علماء الحديث لتمحيص الرواية ورد الزائف منها وتدوين الموثق.

وعن الرواية والإستشهاد، والأعراب الرواة، ورواية اللغة وتداولها بين العلماء، ألفت الكتب، وهناك من ألف عن الأغاليظ، ومع الزمن أصبح فن الرواية علم له مناهجه وأصوله وللخطيب البغدادي كتاب «الكفاية في علم الرواية».

وكان اللغويون يفتخرون برواتهم حتى قال أبو عبيدة كما في طبقات الزبيدي ص١٩٤: «أخذنا اللغة عن الأعراب البوالين على أعقابهم» وكان علماء البصرة يفتخرون على رواة الكوفة كما جاء في معجم الأدباء: «نحن نأخذ اللغة عن حرشه الضباب وأكلة اليرابيع».

والمنهج الذي سلكه المؤلف فيه استعادة لمناهج العلماء وإن كان لم يلتزم بإسلوبهم لأن لغة الصحافة وأسلوبها الذي يحمل هم التوصيل دعاه إلى أن يقترب من القاريء إلى الحد الذي يفقد بعض السياقات وهج الأداء وجمالياته وتلك سمة تفرض نفسها على كل الذين يتصلون بالقاريء عن طريق الصحف السيارة، ويقيني أن الحملة التي قادها أمثال الرافعي ومحمود شاكر على أصحاب الأساليب الصحفية لم تثمر، وحسنا أنها لم تثمر لأنها لو أثمرت لأصبحنا في معزل عن التوصيل، وكم أنا سعيد حين يتخلص الكتاب من عقدة «كلام الجرائد» فيحسون أن أطروحاتهم تظل تحمل جدواها ومن ثم يقدمون على الإفضاء بها ثانية إلى الناس. وبخاصة إذا كانت تلك المقالات بعيدة عن أجواء المناسبات العارضة التي تموت لحظة ولادتها.

شيء آخر أود أن أعرض له وأنا استعرض على عجل مخطوطة الزميل وأود ألا يغيب عن بال الكتاب الملتزمين لقرائهم من جهة ولصحفهم التي يكتبون لها من جهة أخرى ذلك أن الكاتب وهو يحمل هم التناول لا يغيب عنه أنه مسؤول عن قاريء لم يولد بعد، ومن ثم يمنح كتاباته الوقتية شيئا من الإستمرار ولا يتأتى ذلك إلا بحمل هم التجاوز إلى الآتي.

إن تفضل أخي بتقديم مخطوطته جعلني استذكر حكايات وقصص ما كان لها أن تغيب لأنها من الموعظة الحسنة.

وقبل أن أخلي سبيل القاريء ليدخل مع المؤلف أشكر لأخي الأستاذ/ عبدالكريم بن صالح الطويان اقحامي في وقت مليء بالمشاغل الثانوية واشراكي معه في مفاتحة القاريء بما هو مفيد إن شاء الله.

د/ حسن بن فهد الهويمل

« توطئــــــة »

بسم الله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليـه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، استفتح بالخير، واستلهم من الله الرشد، وأسـألـه أن يعلمنـا ما ينفعنا وأن ينفعنا بها علمنا، وأن يرزقنا التجويد في العمل والإخلاص له والثبات على ذلك إلى أن نلقاه وهو عنا راضٍ ونحن لرحمته راجون ومن عذابه آمنون.

وبعـد فإن الكتـابة عمل فكري تجيش به النفس، وتحركه الدوافع ويترجمه القلم، فهي التجسيم المـادي لعقـل الكـاتب، وصـورة الشعور لقلبه، فعلى نهر الأسطر تفيض مشاعره فيكشف دوافعه وأمانيه واتجاهاته، والكتابة إذا تجردت من العاطفة والمبدأ، فقد خلت من المعنى ومن الحقيقة، وأصبحت زخرفا مفرغا إلا من جمال سطحي تدركه النظرة الأولى.

ومقسم الأرزاق، وواهب الأعـمار، هو نفسـه مقسم الحظوظ من المواهب الفكرية والعلمية، وكل يعطيه بمقدار، فكل نسمة من بني آدم على هذا الكون ميزه الله بموهبة يجد نفسه فيها منذ أن ميز في العمر وفرق بين القريب والغريب لكن الفرق بين هذا وذاك، أن أحدهما يكتشف أو تكشف له هذه الموهبة فيصقلها ويغذيها فتنمو مع نموه، وتنضج مع نضجه، والآخر لا يدركها، أو يعلمها فيغالط نفسه، فيستهلك عمـره في قدرات ما فطر عليها ولا منحت له. قلب طرفك في أقاربك وجـيرانـك وزملائك، تجد أن الوجوه مختلفة، والبصمات متعددة، والمواهب غير متشاكلة، هذا منحه الله حسن الصوت فهو قاريء مجيد، وذاك خطيب مصقع، وهذا كاتب يرسم مشاعره على الورق، إلى آخر نماذج من تعرف ومن لا تعرف.

ولقد عرفت الكتابة حين كنت يافعا في السنة الخامسة عشرة، آنئذ كنت في عام ١٣٩٠هـ طالبا في السنة السادسة الإبتدائية، فحررت مقالا بعنوان: «مدارس تحفيظ القرآن الكريم» ونشر في (ندوة الشباب والطلاب) بجريدة الجزيرة، فكان

فاتحة الكتابة عندي، فاستمريت منذ ذلك العهد ــ ودون انقطاع يذكر ــ أراسل جريدة «الجزيرة» وغيرها.

ولقد كتبت خلال العشرين عاما الماضية مقالات متنوعة، وكان أنضجها ــ في تقديري على الأقل ــ ما كتبته في الثلث الأخير منها، ومن هذه المقالات مالا يؤثر فيها مرور الزمن، ولا ينهيها القدم، بل هي محافظة على غاياتها وأغراضها التي حررت من أجلها، فتنخلت لك أجودها، واخترت لك منها ما أرجو أن يكون مفيدا وممتعا، وأضفت عليها الكثير مما لم يسبق نشره بعد.

وفكرت في عنوان هذه المجموعة، فرأيت أن أنسب مايكون لها، هو آثر زاوية كتبت فيها، وأخترت عنوانها بنفسي وهي (من أفواه الرواة) ففي هذه الزاوية وعلى مدى ست سنوات نشرت بجريدة الجزيرة وفي صفحة (تراث الجزيرة الشعبي) بجريدة الجزيرة أكثر من مائة حلقة، تناولت فيها مالم يدون من الشعر والقصص الشعبي وستجد أن هذه الموضوعات ــ ومعها غيرها مما لم ينشر بعد في هذا المجال ــ هي أحد فصول هذا الكتاب.

ولست ممن يشجعون العامية، ولا ممن يرتاحون لإنشاد الشباب شعرهم بالعامية، فلا عذر لهم وقد فشا التعليم، ودرسوا اللغة، واستقامت لهم الفصحى، بينما الأجداد لم يكن لهم حظ من ذلك، ولهذا فما كتبته في مجال الأدب الشعبي، لا يعني تخصصي في هذا الفن، فالأمر لا يعدوا سوى أنني أتذوق شوارد أبياته، واستعذب حكايا الماضين، وقصص الأجداد، فدونت ما سمعته أذناي وما وعاه قلبي منها، وما رأيته يخدم مبادىء الحق والفضيلة ويؤصل الحكمة ويذكر بتاريخ الآباء، وستعرف حقيقة هذا الأمر حين تتصفح فصول هذا الكتاب، إذْ ستجد أنني أميل إلى كتابة المقالة الإجتماعية التي أصوغها أحيانا بسرد قصصي، أو حبك خبري، والغاية فيها التوجيه والنصح قدر المكنه من الإنشاء والبلغة من العلم، وستجد أن هذه المقالات متفاوتة في الأسلوب والقيمة، وهذا مرده طول المدة التي كتبت خلالها هذه المقالات.

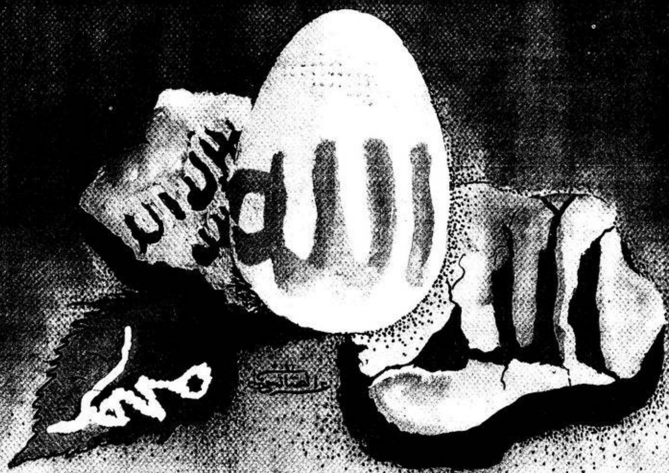
فالكاتب ــ وخاصة خلال فترة نموه الكتابي ــ يسير عادة في خط بياني متصاعد، حتى يشاء الله له أن يصل سقف حظه من الموهبة فيقف عنده، شأنه في ذلك شأن القمر، والثهار وكثير من هذا القياس.

أجدني قد استرسلت في التوطيء لهذه المقالات، إذ الغرض هو توضيح المناخ الذي كتبت فيه، ولعلي قد وفقت فيما أردت إبانته، وقبل ختم سطوري هذه، أتوجه بالتقدير للاخوة الأعزاء في جريدة الجزيرة الذين شجعوني على الكتابة، وأنزلوني عندهم منزلة رفعت معنويتي وأسالت مداد قلمي، فتحية وفاء للأستاذ/ خالد بن حمد المالك، وتحية إعزاز وتقدير للأستاذ/ محمد بن عباس رئيس تحرير جريدة الجزيرة، وللأستاذ/ محمد بن عبدالله الوعيل، والأستاذ/ جاسر الجاسر، والأستاذ/ الحميدي الحربي، ولكافة إخوتي وأعزائي المحررين في جريدة الجزيرة، وأسأل الله القدير، أن يحسن لنا النية، ويجنبنا حب الرياء والسمعة، ويثيبنا الأجر من عنده، فهو وحده القادر على ذلك والموفق له.

عبدالكريم بن صالح الطويان

الفصل الأول

عبر من الحياة



« فضل آية الكرسي »

■ منذ أيام قابلت أحد الشيوخ المعمرين[(١)]، ولم يكن من أهل الشعر، بل كان حافظا للقرآن فاقها للحديث، وتلك والله التجارة الرابحة، أخذ يعظني منبها لي على فضل القرآن، وخص بالذكر ما أودعه الله آية الكرسي من منزلة علية وخيرات سنية[(٢)]، قال لي: في منتصف عمري قدمت إلى مدينة حائل ومعي عائلتي، وأخذت أبحث عن منزل استأجره، فوجدت منزلا ناسبني، فحذرني منه بعض الناس، وقالوا: إن الجن تسكنه، وأنه مشهور بذلك! فقلت لهم: دعوا عنكم هذا، ولا تخبروا عائلتي به، فأقمت به مدة. وفي ليلة من الليالي، كنت أقيم به وحدي، وقد ذهب أهلي، فإذا بشخص طويل القامة، رأسه قريب من السقف، فاقترب مني ووضع يديه على كتفي، وشد علي بقوة حتى كاد يهرسني بثقله، وكانت رجلاه وهو في انثناءاته تكادان تصلان الباب الخارجي للبيت، فألهمني الله قراءة آية الكرسي فقرأتها، فخفف علي ثقله، حتى أحسست بنشاطي وقوتي، فاستجمعت نفسي، وشددت بيدي على عضديه، وهززته فإذا هو بين يدي أخف من الثوب فقذفته تجاه الباب، فارتطم به متجمعا ولعظامه صوت! ثم غاب عني.

وبعد ثمانية أشهر كنت نائما، فتنبهت على أثر حركة يد تعبث بوسادتي فإذا طفل صغير يقارب الثلاث السنوات، يحبو على يديه ورجليه يقترب من وسادتي ويلمسها بيديه، فتبينت وجهه، فإذا هو وجه العملاق الذي رأيته قبل مدة، فقرأت بصوت عال، قول الله تعالى: ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** ﴾[(٣)].

وما أن أكملت قراءة هذه الآية حتى قفل الطفل راجعا على خلفه يحبو على يديه وقدميه، وهو مستقبلني، وأقمت في البيت بعد ذلك دهرا طويلا، لم أر فيه شيئا، وكنت أكثر من قراءة آية الكرسي، وسور من القرآن الكريم..

وهذه القصة أثق ثقة تامة بصحة وقوعها، لأن صاحبها هو راويها، وهو من أبعد الناس عن الكذب، ومن أصحهم عقلا ودينا، ومع تقدمه في السن، إلا أنه في

(١) هو الشيخ علي الجردان.
(٢) ورد اسم الله فيها ظاهراً ومضمراً سبع عشرة مرة.
(٣) الإسراء: آية: ٧٤، ٧٥.

كامل قواه العقلية والجسمية، وهو مقيم بالرياض، وأنا على استعداد لمن يشك في الحادثة أن أقابله به[1]، وليس لي من هدف في إيرادها إلا لتكون عظة وعبرة، وتبيانا لفضل كتاب الله الكريم.

« إن مع العسر يسـرا »

■ كثبان الرمال الغربية المتطاولة، ورؤوس النخيل الشاهقة يعلنان ـ كالعادة ـ مساء مبكرا على «خب المريدسية»، وأعمدة الدخان تتصاعد من أفنية البيوت الطينية المتناثرة وسط البساتين، ورجال الضاحية الزراعية وشبابها وبعض نسائها تنتظمهم المسالك إلى حيث منازلهم؛ ليتناولوا وجبة عشائهم ثم يؤدوا الفريضة، وعلى طرف ناء من البلدة تحتضن عروق الرمل بيتا طينيا متواضعا تشهد قعيدته أصعب مساء تعيشه، فكروب الولادة تجتالها، والضرة الموعودة تقلقها، والوحدة في هذا الموقف توحشها!! فزوجها الذي ولدت له أربع بنات عزم على الزواج من أخرى نشدانا للولد الذي طال انتـظاره! وقد أعد للأمر عدته، فجهز في إحدى غرف البيت ثيابا وعباءة وفرشا، وخرج من فجر ذلك اليوم إلى مزرعته يسني ويحرث غائبا سحابة ذلك اليوم كله! وحين اشتدت آلام الوضع على الزوجة الوحيدة وسط بناتها الصغيرات، ورفع مؤذن القرية نداء المغرب، توجهت إلى القريب المجيب: «اللهم نهارك أدبر وليلك أقبل فافرج كربتي وارحم ذلي» ووقفت على الباب تتطلع إلى الأفق الذي بدأ الظلام ينسج عليه خيوطه الأولى. وإن هي إلا هنيهات حتى بصرت على كثبان الرمال الشرقية صوب «بريدة» خيالين أسودين يحثان المسير نحوها لكأنهما يقصدان بيتها، ووقفت تتأملهما وهما يقتربان قليلا قليلا حتى تجلت الرؤية عن امرأتين تحملان على رأسيهما «محدرتين»! من عساهما تكونان؟! وما أن أبدتا السلام حتى ايقنتهما إنهما خالتها وأختها اللتان لم ترهما منذ ستة أشهر!! لقد قررتا ذلك المساء زيارتها والمبيت عندها، وما أن حطتا عن قفصيهما، وأقمن يسيرا حتى شقت سكون الليل شهقات المولود، ووصل البشير إلى والده يبشره الخبر فحث الخطى إلى منزله والفرح يكاد يسبقه، ووقف على زوجته يبارك لها ويقول: «إن الثياب والعباءة والمنام الجديد كل ذلك لك يا أم عبدالله»! وارتفع نداء العشاء الآخر لتنام أم عبدالله أسعد ليلة تبيتها في بيتها، حيث

(١) سمعت عن وفاته عام ١٤٠٨هـ عن عمر تجاوز التسعين عاما، رحمه الله رحمة واسعة.

قرت عينها في زوجها وولدها وبناتها واختها وخالتها، فلك الحمد يارب يامن جعلت مع العسر يسرا.

وكـــم للـــــه من لطـف خفـــي
يــدق خـفــاه عـن فهـم الــذكـــي
وكـــم أمـــر تســاء به مســاء
فتــأتيــك المســرة في الـعـشـــي

« عــودة التائـــه »

■ هو أحد أساتذة الجامعات في بلده، شاب منحه الله الصحة والمال والمنصب، إذا مشى ثقلت خطاه على الأرض، وإذا تحدث علا صوته على الجمع، وهو مع هذه النعمة جاحد للمنعم ملحد في العقيدة. قدر له أن يزور صديقا له في بلادنا، فقال له هذا الصديق بدافع من الأمل بتوبته: ليتك تنتهز فرصة وجودك في البلاد المقدسة فتعتمر، غسلا لذنوبك وتجديدا لإيمانك وقربى لربك، فضحك هذا الشاب حتى لج في الضحك! وقال له بكبرياء: أنا المفكر فلان، ذو التوجه المعروف، تشير علي بالعمرة، كيف تريد زملائي أن يقولوا عني في بلدي !! وسكت الناصح المشفق، ولم ينبس بكلمة. وعاد هذا الشاب إلى بلده ومضى عام أو عامان، وفجأة يسقط هذا الشـاب القـوي المعـافى سقيم البـدن طريح الفـراش، ويهـرع إليه كبـار الأطبـاء فيشخصون حاله: (سرطان في الأمعاء)! وتبادر جامعته فتنقله إلى أوروبا للعلاج في أكـبر المستشفيات وعلى يد أمهر الأطباء، وتتصرم فترة العلاج، ويعود المريض إلى بلده، وبـرفقتـه داؤه المستعصي وقـد استشرى! ويقدر له ثانية أن يزور صديقه في بلادنا، فيعيد عليه نصيحته الأولى، فيرد بعاطفة صادقة: ما جئت هذه المرة إلا لأداء العمرة، لا شيء يهمني سوى العودة إلى الله، وأطمع أن يقبلني. ولم تمض عليه، سوى أشهر حتى مضى إلى ربه ــ تقبل الله توبته، وغفر ذنبه.

« حادثة عجيبة يشهدها (خب المنسي) ببريدة »

■ في ليلة عيد فطر قبل مائة وأربعين سنة ــ تقريبا ــ كان منزل الشيخ «سليمان

المقبل» في «خب المنسي»[1] ــ غرب بريدة ــ يشهد حوارا حادا بين قيم البيت الزاهد الموقن برزق ربه، وبين الزوجة المتأثرة التي ترى بيتها وأبناءها يشهدون ليلة العيد وليس في المأوى المتواضع ما يطعم ويكسو لهذه المناسبة السنوية الهامة، وكلما اشتدت الزوجة في وصف حالة البيت، ردد الواثق بفرج ربه قولته التي لا يغيرها: «يجيب الله رزق»!

يقول الراوي: وفي تلك الليلة نفسها سمع «محمد الربدي» أحد تجار بريدة المشهورين بالإحسان وحب الخير «منابيا» أو هاتفا وهو بين النوم واليقظة يقول له: إن أخاك «سليمان بن مقبل» في «خب المنسي»، بحاجة إلى طعام وكسوة للعيد! فتنبه «الربدي» وقام من فوره فجهز بعيرين بالطعام والملابس، وكلف بهما رجلين من خيرة رجاله وقال لهما: لا يؤذن الفجر من هذه الليلة إلا وأنتما على باب إبن مقبل. ومثل هذا «الهاتف» سمعه «علي البسام» في عنيزة ــ وهو أحد تجارها المشهورين بالسخاء وحب الخير ــ ووصاه بما وصى به «الربدي». وفعل إبن بسام ما فعله اخوه «الربدي» والتقت أحمال الأرزاق المرسلة من الطرفين على باب إبن مقبل، ومؤذن «خب المنسي» ينادي لصلاة الفجر!!

هذه القصة الموثقة حكاها لي راوية في التسعين من عمره، على درجة كبيرة من الفهم والتمحيص، وقال لي: إنها مشهورة في عصرها ويقينية الحدوث ولا يخالطه شك في وقوعها، وزيادة في البحث فقد رأيت أن من المناسب الرجوع إلى بعض المصادر التي تناولت تراجم علماء نجد، لعلي أجد ذكرا لـ «سليمان بن مقبل» خاصة وأن «الراوية» يقول عنه: «كان أحد قضاة عصره البارزين» ووجدت طلبتي في كتاب «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد» لمؤلفه محمد بن عثمان القاضي، الذي تناوله في ترجمة مختصرة لا تزيد عن صفحتين، حيث قال عنه: «ولد سنة ١٢٢١هـ، وولي القضاء في بريدة تسعا وثلاثين سنة وكان آية في الزهد وعزة النفس، توفي عام ١٣٠٥هـ» بتصرف، لكنه لم يشر إلى تلك الرواية، وهذا يجعلني أتوجه إلى أسرته ومعارفه في القصيم، وإلى من عني بتاريخ علماء وقضاة تلك الفترة، لعلنا نجد عندهم مايزيد الوضوح حول هذه القصة، التي إن صحت فهي عجيبة، وتستحق الوقوف والتأمل!

---

(١) هو أحد خبوب بريدة الغربية، وهي أرياف جميلة تمتد في أحضان عروق الرمال الصفراء، تشتهر بساتينها بنخيلها المعطاءة، وخضرواتها الجيدة.

« تاجــران عفيفـــان »

■ إذا قاضيت أحدا لتسترد حقك فذلك أمر مألوف، لكن أن تقاضيه لأنه امتنع عن أخذ حقه فذلك هو الوجه النادر في الرواية! كان «محمد الربدي» و«ابن حنيشل» ــ رحمهما الله ــ وهما من تجار بريدة في القرن الثالث عشر الهجري، يتعاملان معا في الأخذ والعطاء، وفي إحدى المرات، باع «الربدي» على «ابن حنيشل» عددا كبيرا من أصواع «البر» بثمن مؤجل سعر ثمانية أصواع بالريال، ولما عاد «ابن حنيشل» إلى منزله قص على زوجتـه تفـاصيل الصفقة التجارية التي أبرمها مع «الربدي» فاستكثرتها زوجتـه، وخـافت عليه مذلة «الدين» وعواقب الغرم، ونصحته أن يستعفي منها، فاستصوب رأيها وقال لها: اشهدي يا أم عبدالله، أنني متنازل عنها، ومضت الأيام «الحب» في مخازن «الربدي» و«ابن حنيشل» أنسته همومه اليومية أن يشعر صاحبه بتنازله ويسأله الإقالة، وارتفعت أسعار القمح فصار أربعة أصواع بالريال، وضاق «الربدي» بالأكياس المهملة في مخزنه، وجاء إلى «ابن حنيشل» يقول له: كيف تحتكر قمحك كل هذه المادة؟ ماذا تنتظر وسعره بهذه القيمة؟ أتريد أكثر منه؟! فرد عليه «ابن حنيشل» القمح، قمحك ليس لي عليه تملك، لقد تنازلت عنه في الليلة التي تلت اليوم الذي اتفقت فيه على شرائه منك، واشهدت على ذلك زوجتي، فأجابه «الـربـدي»: لو أنه احترق في مخزني لطالبتك بقيمته، إنه ملكك، فبعه وادفع ما عليك، فعقب «الحنيشل»: بل هو لك تبيعه أنت وتقبض ثمنه، لن أغير نيتي! ولما لم يقنـع أحدهما الآخر، مضيا إلى القاضي وعرضا أمرهما عليه، فتعجب القاضي من نزاهتهـما، وخـوفهـما على ذمتهـما، وقال لهما: الحمد لله الذي جعل من تجارنا من يستـبريء لدينـه، ويراقب الله في تجارتـه، ويخشاه في معاملته، ثم قضى أن يباع القمح، فيأخذ «الربدي» رأس ماله، وينتصفا الربح بينهما.

« غيروا فغير الله عليهم »

■ لما تذاكـرت مع أحد الجلساء نماء المال وبركته مع حسن النية، وزواله مع سوئها، قال لي: سأذكر لك قصة واقعية سمعتها من صاحبها، فقد روى لي أحد المزارعين عبرة عجيبة عاشها بنفسه. يقول: مضت علي خمسة عشر عاما وأنا وأخي نزرع أرضنا، وكان زرعنا يزكو ويتفوق على جيراننا بنسبة مضاعفة، رغم أن المسافة

بيننا لا تتجاوز الحاجز الترابي الذي يرسم حدودنا. وفي إحدى السنوات جاء الخراص ليقدروا زرعنا، لكي نحصل على معونة الدولة حين كانت الدولة تشجع المزارع بهذا الأسلوب، وقد أغوانا الشيطان، فتحايلنا عليهم لكي يضاعفوا تقديره حتى نحصل على معونة أكبر، وتم لنا ذلك. وفي موسم السنة التالية، حصدنا نتائج النية السيئة؛ فنبت زرعنا، رديئا، وجاءت غلته قليلة، وتفوق علينا جيراننا لأول مرة!! وهنا أدركنا الحقيقة، فاستغفرنا الله، وعزمنا على التوبة وأصلحنا النية فأعاد الله علينا نعمه.

وسبحان القائل: ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ (الأنفال: ٥٣).

« رؤيا كفلق الصبح »

■ إذا قدر لهذه المادة أن ترى النور، فهي على الراجح تمام أربعين حلقة نشرت في هذه الزاوية: ومعنى هذا أنها بلغت «الأشد» وهي مرحلة تتلوها «الشيخوخة»، لكنني أتمنى أن يطول عمرها لإتمكن من نشر ما تحتفظ به مسوداتي من قصائد وقصص عتيقة نادرة التقطتها أذناي من أفواه الرواة في مناسبات قريبة وبعيدة، وأجد ونحن نستقبل بعد أيام قليلة شهر رمضان المبارك أن خير ما أرويه لكم في هذه الحلقة هو ما ينقلكم إلى أجواء روحانية إيمانية، فقد كان لجدي من أبي «إبراهيم بن عبدالعزيز الطويان» يرحمه الله أحلام ورؤى عجيبة، غالبا ما يؤولها فتأتي كفلق الصبح، وسأروي لكم بعضا منها أنقلها عن ثقاة عاصروه، ولا يخالجني شك في صحتها مطلقا، ولست ــ والحمد لله ــ ممن يحبون الحديث عن أقاربهم أو ذواتهم، إذ لا يتزيد بمثل هذا إلا ناقص قليل الإحساس بشعور قرائه، لكنني أنقلها لثقتي بعظاتها وعبرها، فجدي هذا كان رجلا أميا اشتغل بالزراعة ثم تاجر بالإبل في منتصف عمره، وكان صالحا سخيا عطوفا على الفقراء والمساكين، ولد في بريدة في حدود عام ١٢٧٦هـ، وانتقل إلى عنيزة عام ١٣١٥هـ تقريبا، وتوفي بها عام ١٣٤١هـ.

من رؤياه: أنه رجع إلى منزله في أحد الأيام قبيل أذان الظهر لكي يقيل ــ كعادة الناس في ذلك الوقت ــ فرأى أم زوجته قلقة متلهفة، فسأل زوجته: ما لها أم علي؟ فقالت: إن فلانة جاءتها وأخبرتها أن الطريق من البصرة إلى نجد محفوف بالمخاطر، ولهذا فهي خائفة على ولدها «علي» الموجود في البصرة، والمتوقع حضوره هذه

الأيام، فاكتفى بقوله: «الله يرده سالم»، ثم صعد إلى غرفته ونام، وبعد قليل قطع نومه وأطل على أم زوجته من شرفة مصباح الدار، وصوت لها قائلا: أبشري بعلي يا أم علي، لقد أوشك أن يدخل عنيزة، هو الآن يغتسل ويسقي ذلوله الملحاء على مورد الشملانية ــ بئر ونخل قرب البلدة ــ وعليه شماغ أزرق وعقال، تحريه سيصل بعد قليل!، فردت عليه أم علي: يا الله بشره بالخير، من أخبرك؟ فأجابها: لم يخبرني أحد، بل رأيته في الرؤيا، فانطفأ فرحها وعقبت بقنوط: يا الله مقسوم خير! ثم تركها واستأنف قيلولته، أما هي فقد عادت إلى حزنها وبكائها على ولدها الغائب، وما هي إلا مسافة الطريق من مورد الشملانية حتى طرق الباب، ودخل غلام صغير من اسرة «التركي» وسأل عن أم علي، فأشاروا عليها، فاقترب منها وقال لها: أبشري بولدك علي، كنت وأمي «نحش» قرب بئر الشملانية، فصادفناه هناك وقد عقل ذلوله الملحاء ونزل في الماء يغتسل، فسألته الأم غير مصدقة: علم، ولا حلم يا ولدي؟ فرد عليها الغلام: بل علم، انظري لقد أعطاني هذا «الريال» وقال لي: اذهب إلى أمي فبشرها بقدومي، وما أن خرج الشاب، حتى قرع الباب مرة أخرى ودخل «علي الخنيني» يلبس شماغا أزرقاً وعقالا!! هذه القصة سمعتها من الكثيرين لكن تفاصيلها الدقيقة نقلتها عن عمتي ــ ابنته ــ وهي على قيد الحياة.

يقول الراوي: كانت قافلة من أهل بريدة قادمة من المدينة المنورة متجهة إلى بريدة، وفي صباح أحد الأيام وبعد أداء صلاة الفجر أخذ أفراد القافلة يتجهزون لمواصلة السير فقال لهم «إبراهيم» خذوا حذركم واستعدوا فسيباغتكم قطاع طرق هذا الصباح، وربما قتل منا واحد واصيب اثنان! فعجبوا من قوله، وسألوه كيف عرفت؟ فقال: إنني رأيت في منامي كأن ثلاثة فناجيل سقطت من يدي أحدها انكسر، واثنان انثلما؟ وما أن سارت القافلة قليلا حتى ظهر عجاج الغارة عليهم، فاشتبكوا مع المغيرين، وكان ما قال، قتل واحد منهم واصيب اثنان!! هذه الرواية سمعتها من عمي «صالح بن عبدالكريم الطويان» وقد سمعها من جدي نفسه، كما حدثني بقصة أخرى سمعها منه، قال: في السنة التي فتح الملك عبدالعزيز ــ يرحمه الله ــ حائل عام ١٣٤٠هـ كنت عند عمي «إبراهيم» فقال لي: إنني رأيت فيما يرى النائم «فهد بن معمر»، وكان أمير بريدة يومئذ من قبل الملك عبدالعزيز ــ يرحمه الله ــ قد قتل في مناوشات الفتح، يقول عمي صالح: فما مضت أيام حتى جاءت الأخبار تنبئنا بمقتل الأمير فهد بن معمر ــ يرحمه الله.

وفي إحدى السنوات كانت القصيم عامة ومدينة عنيزة خاصة تعيش دهرا مجدبا نقصت فيه الأمطار وقلت الخيرات، وفي ليلة من الليالي استيقظ «إبراهيم» قبل صلاة الفجر، وسأل زوجته: هل ترين في السماء سحابا؟ قالت: لا، فرد عليها أمتأكدة؟ فأجابته: لا شيء غير النجوم! وقبل شروق الشمس ظهر السحاب في السماء، وما هي إلا لحظات حتى صبت «مثاعب» البلدة وارتوت أريافها، واتضح للزوجة سر أسئلته مع الفجر! وقالت له: ما هي رؤياك البارحة؟ فأجابها: رأيت «فلانا» في نومي ــ وسمى أحد تجار البلدة ــ وأمامه أقداح صغيرة من الماء، والناس متحلقة حوله وهو يعطي ويمنع، وفجأة انفجرت عين ماء غزيرة في وسط البلدة، فتوجه الناس نحوها يشربون ويملأون «مواعينهم» «وقربهم» وتركوا التاجر وأقداحه.

وفي ليلة الجمعة التي مات بها رأى «محمد بن أحمد الذكير» ــ أحد معارفه ــ رؤيا منام عجيبة، وكان محمد ــ رحمه الله ــ يقيم بالبصرة في إحدى سفراته، ولما سجلوها تبين لهم أنها في تلك الليلة التي مات بها «إبراهيم» في عنيزة، يقول الثقات نقلا عن محمد: إنني رأيت إبراهيم وقد قبض عليه رجلان من يمينه ويساره وهو يبكي بينهما، ثم صعدا به إلى السماء، وما هي إلا برهة حتى نزلا به وهو مسرور يضحك بينهما، ولما استقر على الأرض سألاه: أنت أم علي؟ ــ علي أخو زوجته ــ فرد عليهم: بل أنا!

ومن الأخبار العجيبة عنه هذه الرواية المؤكدة التي أسندها إلى الأخ/ الأستاذ «إبراهيم القاضى»(١) وهو ينقلها عن أبيه «محمد القاضى» ــ رحمه الله ــ الذي يقول: طلبت مني زوجة «إبراهيم» أن أذهب إلى المقبرة التي دفن فيها فأضع «نصيلة» واضحة على قبره ليتعرف عليه زائروه بسهولة، فصحبتُ ابني «حمد» وذهبت إلى قبره، ونزعت الحصاة القصيرة لأنصب أطول منها، ثم أخذت أحفر لأمكن لها موضعا مستقرا، وبينما أنا كذلك إذْ فاحت علي رائحة طيبة عطرة تشبه المسك، فاستغربتها! وأخذت أتلفت يميني وشمالي هل مر بقربنا أحد مس طيبا؟ أو اقتربت جنازة حديثة ضمخت بالطيب؟ لكنني لم أر شيئا من هذا حولي، واقترب مني ولدي الصغير الذي أخذه العجب مثلي يسألني: هل تشم يا أبتي رائحة الطيب؟ من أين هي؟ فتأكدت أن مصدرها القبر، فكبرت لله، وترحمت علي الميت، وأهلت التراب على الحفرة التي

(١) الأستاذ/ «إبراهيم بن محمد القاضى» هو أحد كبار موظفي جامعة الملك سعود، ومقيم في مدينة الرياض.

حفرتها، ثم أنهيت مهمتي وانصرفت.

● روى البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ ؛ «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة».

« قصة الرؤيا العجيبة التي تحقق تعبيرها »

■ حدثني بهذه القصة الأخ الدكتور/ أحمد بن عبدالله الحميد(١). وهو يسندها إلى شيخ فاضل سمعها من فم جار ملاصق لهذين الجارين، والقصة حدثت قبل ثلاثين عاما تقريبا، يقول هذا الشيخ: كنت في مجلس فلان ــ وسمى أحد الرجال المعروفين في إحدى مدن المملكة الكبيرة ــ وكنا نتحدث حديثا عاما لا يحكمه موضوع، فقال لنا وهو يشير إلى إحدى جهات منزله: هذا الجانب من منزلي اشتريته من فلان، ولهذا الرجل قصة غريبة حدثت له مع جاره، فقد كانا جارين غير متوافقين، وبينهما اختلاف في الطباع نتج عنه عدم انسجامهما، وكانا أعزبين، وأحدهما يقيم مع أخته ــ ولنصطلح على تسميته صالح ــ فقد رأى صالح هذا في إحدى الليال رؤيا منام أقلقه غموضها، رأى جاره يضرط في فمه!، وقد حار في تعبير هذه الرؤيا، فذهب إلى أحد العلماء المشهورين في تفسير الأحلام وقص عليه الخبر وشرح له حاله مع جاره وتفاصيل حياتهما، فقال له المعبر: «تعبيرها ــ والله أعلم ــ أن جارك قد يتزوج أختك ويؤول إليه بيتك بطريق الإرث»!

ومضت أيام على صالح وهو يتمنى لو كذب حلمه، وكلما رأى جاره في طريق سلك طريقا آخر، وفي أحد الأيام جمعهما الطريق صدفة، فسلم عليه جاره بحرارة وصدق لم يعهدهما منه قبل، وبعد مقدمات السلام فاتحه برغبته في خطبة أخته!! ولما سمع صالح طلب جاره بهت برهة لا يحير جوابا، لكنه ما لبث أن تمالك نفسه ورد بصرامة: أتعرف معنى المستحيل: إنه أن أزوجك أختي!، لم يسعفه فكره المضطرب بغير هذه الجملة التي قالها وانصرف، أما جاره فقد فسر حدته هذه بالخلاف القديم بينهما، لكنه لم ييأس وطلب شفاعة أحد كبار السن في حيهما، لكن الوساطة جوبهت برفض شديد من صالح! وبعد أيام وحين دخل صالح البيت وجد أخته تبكي

(١) أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، على خلق ودين، وهو ابن الشيخ عبدالله بن حميد ــ رحمه الله ــ.

وتتحاشا الكلام معه، وبعد التحري تبين له أن جاره قد بعث لها إحدى النساء لإخبارها برفض أخيها كي تؤثر عليه، وقالت له بعد مقاطعته عدة أيام: لماذا ترفض جارنا الذي تقدم لخطبتي، أتريد أن تقف في طريق زواجي لتجعل مني عانسا، حسبي الله عليك؟ ولم تغير هذه الكلمات موقف صالح الذي اعتبره مسألة حياة أو موت، فقد رأى في زواجهما تحقق رؤياه، ولهذا فسيحول دون زواجهما ما وسعه ذلك، لكن المقادير لا تجري كما يريدها هو، فحين يئس جاره وأخته من إقناعه، ذهبا إلى القاضي وشرحا له الموقف، وأشهدا على رفضه الذي لم يبرره، وعضله الذي لا يقره الشرع، فاستدعاه القاضي وتحقق من صحة الموضوع، ثم عقد لهما وتزوجا، وعاش صالح بعد ذلك عامين ثم مات فورثته أخته الوحيدة، وبعد عدة سنوات توفيت معقبة ولدين، فورثها زوجها وولديها، وما لبث الولدان أن لحقا بأمهما، فآلت ملكية بيت صالح بكامله إلى جاره الذي باعه مع بيته فيما بعد إلى راوي القصة الذي ضم مساحتهما إلى منزله!

فسبحان القائل **﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون، ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾**[1].

« رؤيا الطفل التي تحققت !! »

■ قال لي أحد الإخوان[2] : كان عمي مريضا، وذكر له طبيب في الرياض يعالج داءه، فعقد العزم على السفر إليه.

وفي منتصف آخر ليلة باتتها الأسرة في بريدة، هب طفله الصغير من منامه مذعورا وهو يصرخ: السيارة صدمتنا! فقامت أمه وليس جواره سواها، فطمأنته وهدأت من روعه، وهدهدته حتى نام، وحين حل المساء كان العم وزوجته وطفليهما الصغيران وقريب لهما يقود بهم السيارة، يسيرون تجاه الرياض، وغشيهما الليل قبل أن يصلا، وفجأة واجهتهما سيارة وايت دخلت في مسارهم، فتلاقتا وجها لوجه، وكان

---

(١) سورة الحجر: آية: ٢٣، ٢٤.

(٢) حدثني بهذه الرؤيا، الأخ الأستاذ/ «خالد بن محمد البشر» خريج قسم اللغة العربية، تعين في عام ١٤٠٤هـ تقريبا وكيلا مساعدا بكلية العلوم العربية والإجتماعية بالقصيم، ثم هو حاليا مدير العلاقات العامة والإعلام بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، شاب جاد في عمله ويتجدد فيه، ويتوقع له مستقبل في العمل الإداري.

حادثا مؤسفا، مات فيه العم ــ يرحمه الله ــ وجرح السائق والزوجة، أما الطفلان فشدة الصدمة طرحتهما خارج السيارة، وكان الله بهما لطيفا، فلم يصابا بغير جروح طفيفة!!!

« قضيـــة كشفتهـــا رؤيـــا منـــام »

■ جاءني وكل انقباضة في وجهه تشعرني بأن الأمر هام، حييته وجلس ملقيا رأسه بين ركبتيه برهة من الوقت ــ كعادته حين تحزبه نائبة من نوائب الحياة ثم رفع رأسه وتفحصني بنظراته المستنجدة وأخذ ينشد:

« فــلا بــد من شـــكوى إلى ذي مــــروءة
يواســـيك أو يســـليك أو يتوجـــــع »

قلت له « أربع يا أخي » أين مني المروءات وإن أصريت ــ وأعرفك تفعل ذلك ــ فلن تجدني سوى في الدرجة الثالثة منها إذْ لا أملك لك إلا التوجع فان رضيت مني ذلك ــ يرحمك الله ــ فهات ما عندك!

هنا فك جلسة الإحتباء، واسترخى متربعا ثم فتح صمام همومه وأخذ يتنفس حديثه مفصلا:

قالت لي والدتي المسنة هذا المساء: وصِّلْني يا ولدي إلى قريبتنا فلانة لأزورها، وما أن أخذت والدتي مقعدها في السيارة حتى بادرتني بسؤال لم أتوقعه إذْ قالت:

ــ هل أنت متوكل في قضية يا ولدي؟!

لم تعتد أن تسألني مثل هذا السؤال، فما عرفتها قبل اليوم تهتم بسؤالي عن أمور خارج محيط طلبات البيت اليومية! قلت لها:

ــ نعم يا والدتي إن لدي قضية أمثل فيها صاحبها، وهو فلان إنك تعرفينه، ثم اتبعت جوابي هذا بسؤال استدراجي آخر:

ــ ولكن ما الذي يدعوك لمثل هذا السؤال؟!

فقالت: خيرا يا ولدي لقد رأيت البارحة فيما يرى النائم أن فلانا الذي سميته لي يقف في دور علوي لبناية بيضاء رفيعة وأن أناسا كثيرين يدخلون من بوابة العمارة وهم يتزاحمون، وأنت واقف في منتصف ــ درج العمارة ــ تقول لرجل أمام الناس «تفضل يا قاضي» قلتها بصوت عال أكثر من مرة! ثم صعدت، وصعد الناس على سلم البيت الذي كان على هيئة زلف من رخام واسع . . .

وما أن استكملت والدتي قص رؤياها، حتى أخذتني غرابتها كل مأخذ، وتعجبت إذْ كشفت فيها عن قصتي:

وقلت لها:

ـ إن رؤياك يا والدتي لعجب، فموضوعي، الطرف الآخر فيه، مجموعة من الناس، ودعوتي للقاضي بالتفضل هي بيان لما فعلته بالأمس إذْ رجوته أن يحضر في الموقف المختلف عليه ليتبين بنفسه أساس الإختلاف.

وما أن أنهى جليسي حديثه، حتى بادرني بسؤال استجوابي قائلا:

ـ ما رأيك برؤيا والدتي وتفسيري لها؟!!

قلت له مداعبا: وماذا عساها أن تنفعك به رؤيا والدتك لو أن غيرها رأى رؤياها لكان الأمر أجدى؟

فلكزني بطرف يده ليقيمني على سبيل الجد قائلا:

ـ إن والدتي صالحة وإن رؤياها صادقة..

فأجبته وأنا أضيق به ذرعا:

ـ مادام أن والدتك صالحة، ورؤياها صادقة، وقد تفضلت ففسرتها. فماذا تريد مني فوق ذلك؟!

فقال والجد يكسو وجهه:

ـ نعم أريدك أن تتبين موقفي من الرؤيا هل يدل على أنني محق، وأن موكلي صادق.

قلت له:

ـ ليس لك ذلك مني، لكن وجود موكلك في دور علوي ونداءك للقاضي أن يتفضل، ومرور الناس جميعا عبر هذا الدرج الواسع المكسو بالرخام الأبيض، دليل على أنك وأطراف القضية تبحثون جميعا عن الحق، إذْ أنني لا أفسر هذا الممر الواسع الأبيض إلا بأنه طريق الشرع الناصع الذي يطرقه الخصماء الشريفون عادة، ويرتضونه حلا لاختلافاتهم الحياتية، وسبيلاً لإعادة الصفاء بينهم، ويقبلون حكمه العادل بكل قناعة ورضى، إيمانا منهم بأن شرع الله مطهرة لنفوسهم وأموالهم.

ثم عقبت مكملا:

ـ هل تكتفي يا صاحبي برفع الجلسة لنتناول «فناجيل» الشاي التي بردت..

فقال وأساريره المكتئبة تشرق من جديد:

أرجـوك ، أدفيء لي الشـاي مثلما أدفـأت بتفسيرك قلبي ! قلت له : أبشر فما أرخص قراك وأغرب رؤياك .

« رؤيــا سجلت حدثـــا »

■ كنت أحدث الأخ «إبراهيم بن حمود المشيقح» المحاضر في قسم التاريخ بفرع جامعة الإمام بالقصيم ، بقصة الرؤيا التي رآها الشيخ محمد المبارك قبل وفاة الشيخ حسن آل الشيخ[1] ــ رحمه الله ــ ، والتي نشرها الأخ الأستاذ/ حمد القاضى ، في المجلة العربية عدد جمادي الثانية ١٤٠٧هـ ، فقال لي الأخ إبراهيم : لقد رؤي لجده الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ــ المتوفى في نهاية شهر ذي القعدة ١٢٠٦هـ ، رؤيا عجيبة ! سمعت والدي / حمود بن عبدالعزيز المشيقح يحدث بها جلساءه ويسندها إلى الشيخ عبدالله بن عبدان[2] ــ يرحمه الله ــ ولست أعلم هل سمعها أو قرأها الشيخ عبدالله ، ولربما هي في إحدى الوثائق أو المخطوطات التي لم تنشر ، إذْ لا أذكر أنني قرأتها في أي كتاب تعرض لسيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

وتفاصيل قصة هذه الرؤيا : أن أحد الرجال الصالحين في «حوطة بني تميم» جاء إلى قاضى الحوطة في زمانه الشيخ «سعيد الحجي» ، فقال له : إنني رأيت البارحة رؤيا عجيبة ! رأيت وكأننا نسير مشيعين جنازة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ومعنا خلق كثير ، وحين وصلنا المقبرة ودخلناها ، سمعنا هاتفا فوقنا يقول : «مرحبا بعبدي الذي دل عبادي على عبادتي» ثم انتبهت على أثر ذلك ! فقام الشيخ «سعيد الحجي» ــ رحمه الله ــ فسجل تفاصيل الرؤيا وتاريخها ، وبعد أيام وصل البلدة خبر وفاة الشيخ محمد ، فلما قابلوه بتاريخ الرؤيا وجدوا أن الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» ــ غفر الله له ــ توفي في نفس تلك الليلة التي رؤيت فيها الرؤيا !

« الفـرق بين الرؤيا والحاسة السادسة »

■ طالعت ما كتبـه الأخ الأستـاذ/ مسلم بن عبدالله المسلم في باب «حروف وأفكار» تحت عنوان «الحاسة السادسة» على مدى حلقتين[3] .

---

(١) آخر منصب شغله هو وزارة التعليم العالي .
(٢) أحد قضاة منطقة القصيم المشهورين ، كان آخر أعماله رئاسة محكمة مدينة عنيزة ــ رحمه الله تعالى ــ .
(٣) نشرت الحلقة الأخيرة منها في جريدة الرياض العدد ٦٨٨٠ في ١٤٠٧/٨/٢٧هـ .

وقد تناول الأخ مسلم، الموضوع بشيء من الشمولية، وأورد في ثنايا بحثه كثيرا من الأخبار والقصص التي استدل بها على هذه الظاهرة العجيبة، وفي حلقته الثانية اعتمد كتاب «الحاسة السادسة» تأليف بول ديبو، مرجعا لتوضيح هذه الظاهرة، والحق أن تفسيرات غير المسلمين المؤمنين، فيما يتعلق بالحاسة السادسة ـ كما يسمونها ـ أو توارد الخواطر، والرؤى المنامية، والتوافقات العجيبة التي تدهش الإنسان، هي تفسيرات غير صحيحة، إذْ يعيدون أسبابها إلى شخصية الإنسان، ومغناطيسيته، وقواه النفسية، ومواهبه، وهذا يرجع إلى إلحاديتهم واعتقادهم بالصدفة، وأن لا إله، لكننا نحن المؤمنين بالله الحق نخالفهم جوهريا في هذا، إذْ نوقن أن الله مدبر هذا الكون، ومصرف هذا الخلق، وأن لا شيء يجري في ملكه إلا بحكمته وتقديره وعلمه: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾**[1].

وفي حلقته الثانية ذكر الأخ مسلم بعض الرؤى المنامية، والتي أوردها المؤلف «بول ديبو» في كتابه، وأراها ليست من موضوع «الحاسة السادسة، لكن غير المسلمين الذين لا يعتقدون بالرؤى، يدرجونها تحت مظلة توارد الخواطر «التلباثي»، وليست هي بذاك، وأرى أن من ضوابط هذه الحاسة وقوعها في اليقظة، ومما أورده الأخ مسلم نقلا عن الأخ عبدالله باجبير، قوله: «إن قوى الإنسان الخفية وهي أكثر بكثير من حواسه الخمس، ومن طاقته النفسية هي المسؤولة عن هذا النوع من الظواهر» وفي يقيني أن هذا التفسير موضع نظر، تأسيسا على ما سبق ذكره.

وقد استشهد الأخ المسلم، بأربع قصص سبق وأن نشرتها في جريدة (الجزيرة) قال عنها: وهذه التوافقات العجيبة لعلها تدخل ضمن موضوعنا هذا عدا الواقعة الرابعة وأرى أن هذا حكم صعب، ولكن أظهرها دلالة على هذه الظاهرة الخبر الثاني، ومما قاله عني: وعندما وضعت المصادفة بين يديه كتاب . . . » وهذه العبارة في النفس منها شيء.

ومما يحسن إيراده في هذا الموضوع: أنني قبل أيام دخلت أحد المساجد لأصلي المغرب، وربما هي أول مرة أصلي فيه المغرب، فوجدت الصف الأول مكتملا من جهة الباب الذي دخلت منه، فمشيت إلى طرفه الثاني، وأنا متجه كان آخر شخص

(١) سورة الأنعام: آية: ٥٩.

فيه ينظر إلي ولم يدخل في الصلاة حتى اقتربت منه، فإذا هو أحد الأصدقاء ممن لم أرهم منذ سنة تقريبا، وبعد الصلاة سلمت عليه وجلسنا نتحدث، فقال لي: كنت في خاطري، وكنت أتوقع أنك ستدخل من ذلك الباب الذي دخلت منه، ولذا صوبت إليك نظري لأتأكد من صواب حدسي، قلت: سبحان الله قلب المؤمن دليله!

وهذا الموقف في تقديري من أخص دلائل توارد الخواطر «التلباثي» وهو يقع للكثيرين يوميا، لكن هناك من ينشغل عنه، وهناك من يشغل به، ونفس المؤمن دائما شفافة، تواقة، لها فراسة، لأنها تنظر بنور الله، وكلما سمع الأثر الذي يقول: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وقبل كتابة هذا التعقيب كنت أتصفح تاريخ «تذكرة أولي النهى والعرفان» للمؤرخ الشيخ/ إبراهيم بن عبيد العبد المحسن، والذي أورد في تاريخه، خبر محاولة الإغتيال التي تعرض لها الملك عبدالعزيز ــ يرحمه الله ــ يوم العاشر من ذي الحجة عام ١٣٥٣هـ في صحن المطاف بالحرم، فأنجاه الله منها. يقول المؤرخ: «وقد سأله الصحفيون فقال: «والله إن هذا الحادث الذي وقع في الحرم وقر في نفسي وأنا في عرفات، وكأني أشعر به، ولكن قلت في نفسي أن سيكفيني الله هذا الشر، وكنت أحدث نفسي كيف يمكن القبض على الجاني إذا تغلغل بين الناس، وبعد أن نزلت من عرفات كان الله قد أنساني ذلك الذي وقر في نفسي، ونحن مالنا في شيء من أعمالنا إلا الإعتماد على الله»، انتهى[١]، والملك عبدالعزيز ــ يرحمه الله ــ يصف حديث نفسه بما سيقع، بقوله: «وقر في نفسي» وهو أدق تعريف لما يسمى بالحاسة السادسة فهي لا ريب إلهام من الله، وشعور صادق يفيض به قلب المؤمن..

ومما أثار عجبي وحفزني على هذا التعقيب، أنني يوم السبت ٢٧ /١٤٠٧/٨هـ كنت في الرياض، وبعد الفجر عدت إلى فراشي، قبيل إشراقة شمس ذلك اليوم. وفي النوم رأيت كأنني واقف في بيتي ببريدة أمام باب الشارع من الداخل، وكأنني أحدث نفسي باستاذي/ حمد الصقري ــ مدير المتوسطة التي درست فيها قبل خمسة عشر عاما ــ وكأنني راغب في زيارته. وفجأة طرق الباب ــ وهذا في المنام ــ ففتحته فاذا هو الأستاذ/ الصقري مرتديا مشلحا أسودا وفي هيئة حسنة، فتصافحنا بشوق، ودعوته إلى الدخول وأنا أقول له: إن نفسي كانت تحدثني بك قبل دخولك، وإن هذا من توارد الخواطر، ونحن في طريقنا إلى المجلس، أخذ يشكو إلي فقد والده، مما

(١) انظر: (تذكرة أولي النهى والعرفان) للشيخ/ إبراهيم بن عبيد العبد المحسن جـ ٤، ص ٥٢.

فهمت منه وفاته، ثم ذهب إلى أخي عبدالعزيز ـ من تلاميذه ـ الذي كان يجلس في فناء البيت الشرقي فأخذ يحادثه، وانتهت تفاصيل الرؤيا، وفي صباح ذلك اليوم، طالعت الحلقة الثانية التي كتبها الأخ المسلم عن «الحاسة السادسة» وتخيلت أن تعبيرها انتهى على هذا الإتفاق، لكنني بعد أسبوع منها، ففي نهار السبت ٥ رمضان، قرأت بجريدة (الجزيرة) نبأ وفاة الشيخ/ علي بن حمد الصقري، والد استاذي المذكور. وكانت وفاته يوم الخميس ٣ رمضان، أي بعد خمسة أيام من رؤياي، فقلت في نفسي: سبحان الله، ولما زرت استاذي لأعزيه قال لي في نفس هذا الأسبوع الذي توفي فيه والدي مات فيه جاره الملاصق لبيته من الشرق «غدير التويجري» يرحمهما الله جميعا، والعجيب أن يدفن الجار بقبر ملاصق لقبر والدي من الشرق لقد قدر الله لهما أن يتجاورا في المقابر أيضا وهذه عبرة لكل معتبر.

وليس من موضوعنا في هذا الخبر، سوى الجانب الذي أحسست فيه أن أستاذي سيزورني ففعل، ثم قولي له: إن هذا من توارد الخواطر، والأستاذ المسلم يقول في حلقته الثانية بشيء من التصرف: «الهاجس النفسي دائما يصدق ولا يدرى مأتى هذا الإحساس المقلق ولا مبعثه إلا بعدما يتجلى الموقف ويتبين بعد ذلك وقوع حادث لفرد من أسرته أو شخص تربطه به صداقة، فيعزو هذا القلق إلى ما حدث ولا يستبين قلقه إلا بعدما يبلغه خبر يتصل بفرد من أسرته أو عزيز عليه» انتهى، وهذا له معناه فيما حدث لي، وهو في اليقظة يصح أن نطلق عليه «الحاسة السادسة» لكنه في المنام حلم، وان صدق فهي رؤيا، وأخيرا فان أدق تحديد لماهية ما يسمى بالحاسة السادسة أنها: إلهام يفيضه الله في قلب الإنسان الواعي فيصدق به توقعه لأمر ما» وضبطه بالواعي حتى يتميز عن النائم، الذي يفسر خبره بأنه رؤيا هذا ما اجتهدت في قوله، وحرصت على اضافته دون تزيد أو مبالغة على الإطلاق، وجزى الله الأستاذ المسْلِمْ خيرا لأنه أتاح لنا ببحثه المتميز الذي كتبه فرصة التعقيب، والله ولينا وهو الهادي سبحانه.

« رؤى أنار الله بها بصائر أصحابها »

■ طالعت قصة الرؤيا التي ذكرها الداعية الإسلامي الأخ/ عبدالله محمد إبراهيم، والتي جاء فيها قوله: ـ

«توالت علي العديد من الأحداث التي جعلتني اتبين حقيقة الإسلام، وحقيقة الدين النصراني ومن هذه الأحداث الرؤيا التي رأيتها ذات ليلة، فقد رأيت فيما يرى النائم أن رئيسي في العمل يأمرني أن أنزل في بئر عميقة لأستخرج منها جهازا سقط فيها؟ وكنت مترددا حتى شجعني بعض أصحابي فنزلت للبئر وأخذت الجهاز وأثناء صعـودي رأيت كلاما مكتوبا على أعلى البئر لا أعرف ماهو، ولكن رسمه ثبت في ذهني، وفي الصباح ذهبت لكبير القساوسة لأسأله عن تفسير الحلم، ففسره تفسيرا ماديا، وقال لي: إنك ستكون من الأغنياء، ولكنني لم اقتنع بكلامه هذا. وسألت زميلي في العمل وكان مسلما عن تفسير الحلم، ولكنه لم يجبني ودعاني إلى منزله، وهناك قابلت والده وكان إماما لأحد المساجد الصغيرة، وعندما قصصت عليه الرؤيا طلب مني أن أكتب الـرسم الذي رأيته في أعلى البئر، ولما فرغت قال لي: أتدري ماهذه الكلمات؟ فقلت: لا. فقال: «لا إله إلا الله» وهي دستور الاسلام، وقال لي: إن خروجك من البئر هو الخروج من الظلام إلى النور».

والمعلوم أن الشيء إذا قرن بأمثـالـه، استعضـد وقـوي، وتحقق له اليقـين والتكـامـل، فالأخبار متى تواترت ثبت للمتلقي صحتها، لأن الأنباء المتماثلة التي تروي حالا واحـدة، إذا توفرت من مصادر مختلفة متعددة، فقد شهد آخرها لأولها وأكد بعضها بعضا.

وهذه الرؤيا التي ذكرها الأخ الداعية عبدالله محمد، هي رؤيا ألهمه الله إياها، حيث شرح بها صدره وأضاء بنورها عقله.. وقد سبق أن قرأت أمثالا لهذه الرؤيا المباركة، أسردها لكم هنا واحدة واحدة، وأسندها إلى مراجعها التي وردت فيها:

● ففي كتاب «افحام اليهود» يذكر السمؤل المغربي المتوفى سنة ٥٧٠هـ، قصة إسلامه ورؤياه النبي ﷺ، وكان هذا الرجل أحد كبار أحبار اليهود في زمانه، واسمه «شموائيل بن يهوذا بن ابون» وفي كتابه هذا يروي قصة منامين أريهما، المنام الأول وفيه رأى أحد أنبياء بني اسرائيل، النبي «شموائيل» وشرح له آية في التوراة، تبشر بمبعث نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، وبعد تفاصيلها يختم المؤلف المنام الأول بقوله: «فعلمت أن ذلـك لطف من الله سبحانه وتعالى وموعظة لإزالة الشبهة التي كانت تمنعني من اعلان كلمة الحق والتظاهر بالإسلام، فتبت إلى الله من ذلك واستغفرته، وأكثرت من الصلاة على رسول الله ﷺ».

● وفي المنام الثاني الذي أعقب المنام الأول، يقول في مقدمته «رأيت كأني جالس

في سكة عامرة لا أعرفها، إذْ أتاني آت عليه زي الفقراء فلم يسلم علي، لكنه قال: أجب رسول الله ﷺ»، ثم سرد تفاصيل الرؤيا، وكيف قابل الرسول ﷺ في المنام فسلم عليه ونطق بالشهادتين بين يديه، وكيف دعاه للجهاد، وبعد تفاصيل المنامين الطويلين يقول: «فاسبغت الوضوء وصليت الفجر، وأنا شديد الحرص على اشهار كلمة الحق واعلان الإنتقال إلى دين الإسلام». . . ثم يتحدث عن خبر إشهاره إسلامه في جامع اذربيجان. . ثم يختتم حديثه هذا قائلا: «فتلك الحجج والبراهين التي توصلت إليها هي بمشيئة الله سبب الإنتقال والهداية، وأما المنام فإنما كانت فائدته الإنتباه والإزدجار من التمادي في الغفلة والتربص باعلان كلمة الحق بعد هذا».

● وفي كتابه «رجال ونساء اسلموا» «الجزء الأول» ينقل لنا المؤلف «عرفات العشي» قصة إسلام الاسكتلندي «ركس انجرام» والتي نشرتها جريدة الدعوة السعودية. في بداية القصة يروي ركس «أنه ولد في اسكتلندا عام ١٩٠٠م، وأنه كان جنديا في الحرب العالمية الأولى وعمل مصورا سينمائيا، وبعد الحرب هام على وجهه يطوف العالم، وهنا يقول «وفي سوريا تعلمت اللغة العربية ودرست مختلف الأديان فلم أجد مثل ما وجدت من العزاء والطمائنينة في مطالعة القرآن الكريم، وطالعته مرارا وتمعنت في معانيه واشربت روحي، فرأيت فيه عذوبة وروعة، ولم يكن يوم يمر بي دون أن أتلو آياته، وفي الثلاثينات قدمت إلى الاسكندرية وهمت على وجهي حتى وصلت إلى دمنهور، وعلى شاطىء ترعة هناك رقدت، وفي أثناء نومي رأيت دخانا يتصاعد من الأرض حتى يتكاثف في السماء وينعقد، وقد أضاء نورا عجيبا ثم تكونت منه كلمة «الإسلام» وصحوت وكلمة الإسلام لا تزال ملء ناظري وحواسي. وما كنت أفكر من قبل في اعتناق الإسلام وشعرت للمرة الأولى براحة وطمأنينة».

ثم يقول: «ونمت مرة أخرى ورأيت عمود الدخان ينقل حروفا من ضوء تتجمع فتكون كلمة «الإسلام» وأفقت وقد أيقنت أن الله اختار لي الإسلام دينا، وشعرت براحة عجيبة في أن اعتنق هذا الدين، دين الشفقة والحنو والإيثار».

● وفي الجزء الرابع من نفس الكتاب يروي لنا المؤلف قصة إسلام البريطاني الدكتور م. ح. دوراني، والقسيس في الكنيسة الانجليزية، الذي قال له: «إن سبب عودتي إلى دين الإسلام يرجع إلى الإلهام الذي اقتبسته من حلم ظهرت لي فيه

بركات النبي الكريم محمد ﷺ وإنني أحمد الله الآن واثني على رسوله، ونفسي تجيش بالسعادة».

● والشيخ محمد بن ناصر العبودي، في كتابه «شهر في غرب افريقية» وهو يتحدث عن رحلته إلى «سيراليون» أفرد هذا العنوان: «القسيس الذي أصبح داعية للإسلام» حيث يروي قصة بناء جامع الجهاد في أحد الأحياء هناك فيقول: «ولبناء هذا المسجد قصة من القصص التي تستحق أن تروى، قالوا: كان أحد القساوسة النصارى متمسكا بنصرانيته إلى أن قرأ عن الإسلام شيئا جعله يتأثر به، ثم رأى رؤيا بأنه ينبغي أن يترك النصرانية ويدخل في الإسلام، فأسلم بالفعل، وقد سمى نفسه بعد إسلامه «عثمان كول» وعندما أدى فريضة الحج أصبح (الحاج عثمان) وقد ظل مجاهدا في سبيل الله بالدعوة إليه، حتى توفاه الله قبل سبع سنين من هذه السنة فيما أخبرونا)... وفي مصدر آخر يتحدث لنا الأستاذ محمد سلامة جبر فيقول: «وقد تكون الرؤيا من آيات الله البينات التي يكرم الله بها عباده ليهديهم إليه، ويفيض عليهم من رحمته، ومن ذلك ما قصه د/ مصطفى محمود، حكاية عن نفسه حين كان ملحدا في أول نشأته، فقد كان يمشي مع بعض أصحابه على شاطيء النيل، ثم تركهم معتذرا وذهب إلى بيته لينام، وحال النوم وجد نفسه مع أصحابه الذين فارقهم منذ سويعات، وسمع ما كانوا يتحدثون به، فاستيقظ وقد وعى جميع ما قالوه، ولما أخبرهم بأسرار حديثهم عجبوا وعجب معهم، ثم لم يجد حلا لذلك اللغز المحير إلا أن للروح عالما عجيبا خاصا بها، وأنها حقيقة لا مرد لها، فآمن وسلم واستسلم».

● وتحدثت إحدى الصحف الكويتية، عن توبة الراقصة هالة الصافي، وعن اعتزالها، وعودتها إلى اسمها الحقيقي: الحاجة سهير حسن عابدين، وكان مما قالته الحاجة سهير في اعترافها للجريدة، التالي: شعوري بالذنب جعلني اتوجه إلى الله طالبة منه قبول توبتي، وغفرانه لي، الإعتزال عندي لم يكن هدفا بحد ذاته، بل مرضاة الله سبحانه وتعالى، لقد كنت أطلب الهداية من الله دائما، وذات يوم، وأنا عائدة من عملي في أحد الملاهي قبل بزوغ الفجر بقليل، دعوت الله أن يهدي سبيلي، ويساعدني على التوبة، وعندما وصلت منزلي، واستقريت في فراشي، واستسلمت للنوم، رأيت فيما يرى النائم، أني أمشي مسرعة، ومذعورة في أحد الشوارع حيث قابلني رجل وامرأة سرعان ما أخذا بيدي إلى باب مسجد كبير، كي يهدأ روعي، وهناك طلبا مني الصلاة وألبساني ثوبا أبيض كبيرا، وفضفاضا، وأمراني بإقامة الصلاة

والإحتفاظ بشال أبيض وضعاه فوق كتفي، لأستر به جسدي.

وتتابع الحاجة سهير اعترافاتها وتقول: استيقظت من النوم وأنا في هلع شديد، وغرقت في نوبة عارمة من البكاء، وانتابتني رعشات قوية استمرت أكثر من نصف ساعة، بعد أن هدأت، نهضت من فراشي، وتوضأت، وصليت ركعتين لله تعالى، أديت بعـدها صلاة الفجر حاضرا، ومكثت في منزلي اسبوعا كاملا لا أبرحه، ولا أتحدث فيه لأحد، انصرفت فيه إلى العبادة وقراءة القرآن الكريم، ساعتها أيقنت أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب لدعواتي، وهداني إلى الصراط المستقيم، فقررت على الفور أن أتخلى عن إسمي الفني واعتزلت عملي كراقصة، وارتديت الحجاب وأديت الفـريضة في بيت الله الحرام، وأنا الآن، كما ترون، إمرأة عابدة متعبدة، منصرفة لرعاية شؤون بيتها وعائلتها، وكل ما أطلبه من الله أن يكمل نعمته علينا، ويهدي زميلاتي السابقات، ويلهمهن التوبة والرشاد، فيتوجهن إليه بقلوب صافية طالبات الرحمة والغفران، فهو سبحانه وتعالى الغفور الرحيم».

● وفي جريدة (المسلمون) العدد ١٢/٦/١٤٠٩هـ، تحدث الأخ محمود حبيب، عن كتـاب (لماذا وكيف أسلمت) لمؤلفه الشهيد أحمد سامي عبدالله، حيث عرض المؤلف في كتابه قصة إسلامه، فكان مما قاله: (وبعد انقضاء قرابة عام من إيماني المبكر هذا، منَّ الله علينا سبحانه بما لا يفوز به إلا النزر اليسير من عباده ممن يختصهم برحمته من المهتـدين لنـوره والمؤمنـين برسوله، ولا سيما المصدقين به من أصحاب الأديان السابقة له، ففي فبراير عام ١٩٦٩م رأيت رسول الله ﷺ في المنام يأخذ بيدي ويثبتني في هذا الدين الصحيح القويم. فلقد رأيته ﷺ في أجمل وأجل صورة له عن أي إنسان لتميزه بالرسالة، وجهه كالقمر في ليلة البدر يسير في سكينة ووقار غاضا بصره، يسير خاشعا لله بخطى وئيدة يتوكأ على عصا ناصعة البياض، وكانت هذه الرؤيا المباركة بشرى خير في مهد إسلامي ومن دعائم تثبيتي على هذا الدين الذي استبشرت برؤية رسوله الكريم ﷺ في بداية هدايتي إليه).

● وقرأت في مجلة الرابطة ع ٢٩١ شوال ١٤٠٩هـ، هذا الخبر الذي تنقله عن جريدة عكاظ ع ٨٢٤٦، وهو يحكي اعتراف فتاة بوذية، عملت خادمة لدى أسرة أردنية، وتعرفت هناك على الإسلام، فأسلمت، وقد رأت في إحدى الليالي رؤيا، بشرتها بالنور الآتي، فإلى قصتها التي ترويها بنفسها (سمية) أو «ايفلن بتناكون» سابقا:

قدمت إلى الأردن لأعمل لدى إحدى العائلات هناك. . . وكنت بعد الإنتهاء من عملي أضع «بوذا» أمامي لأقوم بتأدية الطقوس التي درجت عليها. . في باديء الأمر لم تظهر ربة البيت إكتراثا بما أفعل لكنها بعد فترة طلبت مني أن أؤدي طقوسي في غرفتي بعيدا عن أنظار الأطفال.

وذات يوم جلست معي تناقشني. . . وطرحت علي مجموعة من التساؤلات: هل «بـوذا» موجود؟. . . هل هو الذي يرزق؟. . . هل هو الذي خلق؟. . هل وهل. . وتوالت الأسئلة التي لم أعرف لها إجابة. . استأذنت منها أن ننهي النقاش لكنه ظل مستمرا في داخلي.

نسيت أن أقول لكم أنني كنت في هذه الفترة أهرب إلى الطابق العلوي إذا سمعت القرآن الكريم. . . وأشعر بقشعريرة في جسدي كلما علا صوت الأذان. . ولم يكن أمامي سوى الهروب. . . وما لم أكن أقدر عليه هو الهروب من المواجهة مع نفسي!

وفي إحدى الليالي صحوت مذعورة من منامي وأنا أصيح بأعلى صوتي فهرعت إلي صاحبة المنزل تهديء من روعي. . . حكيت لها ما رأيت لقد حلمت أنها تقدم لي مصحفين وتقول لي حافظي عليهما. وفسرت لي الرؤيا بأنها بشرى خير فسوف أدخل في الإسلام. . . اهتززت قليلا من مجرد تخيل أنني أتخلى عن ديانتي وديانة أهلي. . . لكنني وجدت نفسي مدفوعة أسألها عن الإسلام. . . فأخذت تشرح لي بعض جوانبه وتوضح أنه دين المساواة الذي أرسى مبدأ لا فرق بين غني وفقير أو أبيض وأسود إلا بالتقوى وأنه هو الذي كرم المرأة وأعاد لها حقها الذي سلبته المدنية الحديثة.

انبهرت بما سمعت وأحسست بكثير من الراحة النفسية. . . لمجرد سماعي لهذه المميزات. . فسألتها: هل من الممكن أن أدخل في الدين الإسلامي؟

فقالت: طبعا الإسلام دين البشرية. . . واتخذت القرار. . . وبناء على مشورتها اغتسلت وتطهرت ونطقت الكلمة الفصل «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وفي مركز الدعوة أشهرت إسلامي بعد امتحان عسير أجراه لي الشيخ ليتأكد من صدق رغبتي في الدخول في دين الله الحق.

وعدت إلى بلادي فعرضت الأمر على زوجي وأولادي فأشهروا إسلامهم. وحمدت الله على أنه قبض روح زوجي بعد أن أسلم وبدأت أدعو لدين الله بين أهلي

وأقاربي وأصدقائي . . . وكانت المحطة الأخيرة هنا في المملكة العربية السعودية حيث أعمل لدى إحدى العائلات السعودية وحظيت بالقرب من بيت الله . . وبقيت لي أمنية واحدة أن أحج البيت العتيق وأزور مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام .

وهكذا رأيتم تجانس هذه الرؤى وتماثلها والغاية الواحدة التي حققتها، وهي إنـارة بصـائـر هؤلاء الحـائـرين، ولعلكم لاحـظتم أن فيهم السـوداني والمغـربي والإسكتلنـدي والبريطاني والمصري والفلبيني، منهم المسيحي واليهـودي والبـوذي والمسلم التـائه عن دينه، ولما علم الله حرصهم وسعيهم إلى نشدان الحق، أيدهم وشرح صدورهم للإسلام، ثبت الله الجميع على المحجة البيضاء حتى نلقاه بقلوب سليمة خالية من الشرك ونزغات الشيطان .

« كتب فقدت فكان للعثور عليها حكمـة »

■ عقب أحد الأخوان، على ما كتبته في «الجزيرة» عن «أخبار المصاحف التي سلمها الله من الحريق» وعن «الرؤى التي أنار الله بها بصائر أصحابها». قائلا : «إنك في ذينـك المـوضـوعـين ألفت بين شتيت من الأخبار المتجانسة التي تحكمها العبرة الواحدة، وجمعت أجزاء لصورة واحدة، مما أعطى الموضوع المطروق مزيدا من الجلاء فهل اقتفيت على هذا النهج أثر أحداث أخرى فيها عظة وعبرة؟» وتلبية لمراد هذا الأخ، أكتب لكم هذا الموضوع : تخرج من بيتك لمقابلة شخص معين فتختلفان في الميعاد، وقد تقابل غيره، فيتغير الغرض وتتبدل النتائج، وتعزم على أمر محدد فينتقض عزمـك . . . وتسعى لغاية تحبها فلا تتحقق، ثم تجد أن الخيرة في عدم تحققها . . يضيع لك شيء من الأشياء فتبحث عنه بحرص فلا تجده فتيأس وتنساه، ثم فجأة يأتيك عفوا، وقد تفتش عن حاجة مسماة فلا تعثر عليها، لكنك تعثر على ما هو أثمن وأنفع لك!! هذه مواقف ليست نادرة بل ربما تحصل للواحد منا أكثر من مرة في اليوم الواحد، وهي ليست صدفة لأنه لا شيء في هذا الكون المحكم يقع صدفة، بل كل شيء له حكمته ومعناه، فعلم الله أحاط بكل شيء، فهو الحي القيوم المدبر لملكه وخلقـه، وخبر تكليم الله لموسى في القرآن، ولقاء موسى بالخضر، وتفاصيل قصة يوسف، والعثور على أصحاب الكهف، وكثير من قصص القرآن الكريم، تؤكد لنا أن الإنسان لا يتحرك صدفة . . فسبحان الذي وسع سمعه اللغات جميعها، وأحاط علمه وحكمته بالأشياء كلها، يصرف ملكه وخلقه بخبرته وقدرته، فهو العليم الخبير

الذي عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو. . وهذه قصص كتب فقدت مخطوطاتها الأصلية، وكادت أن تختفي من الوجود، لكن الله يسر العثور عليها، فكان للعثور عليها عبرة، وقد مرت علي في قراءات مختلفة فوجدت في تجميعها واستعراضها تكامل العبرة للمعتبر، والوضوح للمتأمل:

« الكتــاب الأول »

■ عنوانه: «حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون» تأليف عبدالحليم خفاجي، وهو كتاب قيم دحض فيه المؤلف فكر الشيوعية ومزاعم الشيوعيين بحجج دامغة، وأساليب علمية مقنعة، يقول عن قصة ضياعه ثم العثور عليه: «وضعت هذا البحث المنسوخ أمانة عند أحد أصدقائي، ولما سألته عنه بعد فترة، قال لي، وهو يظهر أسفه:

إن مكتبته قد احترقت، فحزنت واستعوضت الله، وهونت عليه قائلا: لو يعلم الله فيه خيرا لأبقاه. . ! وانصرفت منه حزينا، وبعد حوالي أسبوعين من هذه المقابلة ساقتني الأقدار إلى المرور من جانب محله فلوح لي بيده فدخلت عليه وجلست فأشار إلى شيء أمامه قائلا: أهذا بحثك؟ فلم أصدق عيني! وسألت صديقي ألم تقل أنه كان بمكتبتك عندما احترقت، قال: بلى ولكني شغلت بخاطر مهم لأنني أحسست من قراءة البحث أن الله لن يضيع هذا الجهد الذي شعرت فيه بالإخلاص، وخطر لي أن أسأل أحد العاملين عندي بالمحل، ألم يحدث أن امتدت يد أحدكم على بعض كتب مكتبتي حين احترقت؟ فقال أحدهم: أنا يا أستاذي، لقد انقذت عدة كتب منها، فلما أحضرها إذا بأحدها بحثك، فتحقق ظني في الله بأنه لا يضيع مثل هذا الجهد. . ثم يقول المؤلف: فسجدت لله شكرا على هذه المفاجأة الطيبة.

« الكتــاب الثــانــي »

■ عنوان هذا الكتاب هو «الوجود الحق»، للدكتور حسن هويدي، وفيه يضع البراهين الإيمانية والعلمية التي تؤكد وجود الخالق، ويفند حجج وأباطيل الملحدين، في بحث علمي قيم، وقد جاء في مقدمته بقلم مؤلفه مايلي: « لعل من قبيل التفاؤل بنفع هذه الرسالة، لا من قبيل الدعاية والغرض، أن نذكر قصة صغيرة تتعلق بطبع

هذا البحث قبل أن ينشر ويوضع بين أيدي القراء : كلفت أخاً لي بطبع هذه الرسالة، وسلمته النسخة المخطوطة الوحيدة، فأضاعها في طريقه، . . . ولما رجع من سفره كان أسفه شديدا، فرضيت بالواقع وخففت عن الأخ وجده وقلت: إن كان فيه خير ونفع للناس فعسى أن ييسر الله أسباب العثور عليه وانطوى البحث. . فاجأني الهاتف بعد مدة بوجود النسخة في إحدى القرى النائية، وكانت قصة فقدها أن الأخ انتقل في إحدى مراحل سفره من سيارة إلى أخرى، ونسي النسخة في السيارة الأولى، وقصدت السيارة بلداً آخر، ومنه توجهت إلى قرية من قرى تلك الناحية، فاستمر الأخ يسأل في القرى التابعة للمنطقة إلى أن عثر على النسخة في أحد بيوت القرية لم ينلها شيء من تلف كان قريبا منها ومحيطا بها، وأعيدت إلي سالمة لم تمس بسوء».

« الكتاب الثالث »

■ الحمد لله الذي أغنانا بالقرآن وأورثنا إياه، إذْ هو خاتم الكتب السماوية، المصدق لصحيحها، المصحح لتحريفها، والمهيمن عليها جميعا، وبعد فقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي، في كتابه: «نبوة محمد» قصة العثور على «انجيل برنابا» حيث يقول: «حرمت الكنيسة سنة ٤٩٢م قراءة هذا الإنجيل، ولم تعترف به لأنه يقوم على أسس تخالف عقائد الكنيسة تماما فهو ينكر ألوهية المسيح وأنه ابن الله ويقول هو عبدالله ورسوله، وينكر الصلب، ويورد اسم محمد عليه السلام صراحة في كثير من المواطن. . وقد عثر على نسخته راهب يسمى «فرامر» وكان شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل. . واتفق أنه أصبح مقربا من البابا سكتس الخامس فحدث يوما أنهما دخلا معاً مكتبة البابا، فغلب النوم على البابا فنام، فأحب (فرامر) أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا، فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الإنجيل نفسه فكاد أن يطير فرحا من هذا الإكتشاف، فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في أحد ردنيه ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالإنصراف حاملا ذلك الكنز معه، فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم، فاعتنق على أثر ذلك الدين الإسلامي.

« الكتاب الرابع »

■ يقول الأستاذ أحمد ديدات، الداعية الإسلامي الشهير، وهو يرد على أحد اسئلة الأخ الأستاذ محمد الوعيل في ضيف الجزيرة، بالعدد ٥٦٧١ «كنت تواقا

للبحث ومعرفة كل شيء عن الإسلام في صورته الحقيقية. والله سبحانه وتعالى مسبب الأسباب، فعن طريق الإتفاق وحده، وقع في يدي كتاب «إظهار الحق» الذي كتبه الشيخ هندي رحمه الله، والذي يرد فيه على افتراءات المسيحيين، وهذا الكتاب أمدني ببعض ما كنت أتطلع إليه لأرد على المسيحيين، ومن هنا بدأت مناقشاتي للمسيحيين كهواية» وفي مصدر آخر يقول في مقابلة معه: «وفي يوم أحد عندما كنت أقلب ركام بعض الأشياء في المستودع، عثرت على كتاب غير حياتي بعنوان «إظهار الحق»..

* وهكذا ألفت تلك الوقائع، ملامح صورة واحدة، تنطق بالحكمة والتدبير، تشهد «بأن الإنسان لا يقوم وحده» وأن حفظ الله له، وعنايته به، تنطق بحقيقته كل أحداث حياته.. قال تعالى: ﴿ **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها** ﴾[1].

« مصاحف أنجاها الله من الحريق! »

■ كتب الأخ الدكتور «عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثنيان» في جريدة الجزيرة العدد ٥٨٠٧ يتحدث عن واقعة وفاة الرئيس الباكستاني «ضياء الحق» ـ رحمه الله تعالى ـ، وفي ختام حديثه قال: «لكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فها هو كتاب الله الذي كان بطائرة الرئيس وجدوه سالما لم يحترق مع المحترقين، ولم يتلف مع التالفين، وكأنه يؤكد للبغاة أن الإسلام باق، وللحاقدين أن دين الله خالد».

ولا شك في صحة هذا الخبر الذي ذكره لنا الأخ الدكتور الثنيان، فقد قرأت إشارة سريعة عنه في جريدة الشرق الأوسط العدد ٣٥٥٣، التي ذكرت «أن صحيفة (انديبندانت) الأمريكية، نقلت عن إحدى الصحف الباكستانية قولها: «إن نسخة القرآن الكريم التي كان يحملها الرئيس الراحل معه ظلت على حالها ولم يمسسها أي ضرر، وكان في ذلك أعجوبة»!

وفي جريدة الشرق الأوسط العدد ٣٦٥٧ في ١٤٠٩/٤/٢٣هـ كتب الأخ عبدالله باجبير في عموده (مع قهوة الصباح) تحت عنوان (هل هي معجزة)؟ يقول: «أرسل لي الأخ عبدالعزيز الخليوي طالب سعودي مبتعث في أمريكا صفحة من الجريدة اليومية المحلية لولاية كلورادو... العدد الصادر في ١٩ اغسطس ١٩٨٨،

---

(١) سورة الكهف: آية: ٢١.

والصفحة عن حادث الطائرة الباكستانية الذي راح ضحيته الرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق. . . والجريدة تورد وصفا تفصيليا بالحادث. . وماذا جرى للطائرة بعد ٤٠ ثانية فقط من إقلاعها. . . والضحايا وبينهم السفير الأمريكي والملحق العسكري الأمريكي. . . ثم تقول إنه لم يعثر على شيء من حطام الطائرة لم يحترق ـ إلا الصندوق الأسود وهو مصنوع من مادة غير قابلة للإحتراق ـ. . . ثم نسخة من القرآن الكريم من الورق القابل للإحتراق طبعا. . ولكن هذه النسخة من القرآن الكريم لم تحترق.

وتقول الصحيفة إن كتاب المسلمين المقدس كان هو الشيء الوحيد الذي عثر عليه سليما رغم النيران التي كانت حوله!!

ويتساءل الأخ عبدالعزيز: هل هي معجزة أن تنجو نسخة من القرآن الكريم من الإحتراق في انفجار الطائرة؟

ولعل سادتنا من كبار العلماء الأفاضل يردون على هذا السؤال. . أما ردي الشخصي فهو أن عصر المعجزات قد انقضى. . . ولكن هناك عناية الله التي تتدخل ليرى المكابرون والمعاندون أن ثمة أشياء لا يمكن للعقل البشري المحدود أن يفسرها تحدث للإثبات. . والتذكير. . لعلهم يتثبتون. . ولعلهم يتذكرون». انتهى تعليق الأخ باجبير.

وهذا الخبر عبرة للمعتبر، وهو من آيات الله في خلقه، ويؤكد أن هذا الكتاب العزيز محفوظ بحفظ الله ووعده: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1]. ومن يقرأ تاريخ تطور جمع القرآن وكتابته وطباعته، يرى حقيقة ذلك، وتأمل هذا المشروع العظيم الذي هدى الله إليه حكومة خادم الحرمين الشريفين «**مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة**»، والذي ينتج الملايين منه في العام الواحد على مختلف الأحجام، مستخدما أرقى التقنيات العلمية التي توصل إليها العلم الحديث في الطباعة، لتعرف أن هذا القرآن العظيم منذ أن تنزل على نبينا محمد ﷺ، وخطته أيدي كتبة الوحي، والله سبحانه وتعالى يهيىء له من أسباب الحفظ والتمكين والإنتشار مالا يمكن الإحاطة به أو حصره!

أما أن يسلم المصحف الشريف من حريق النار، فحدث ليس نادر الوقوع، فقد مر علي أمثاله أثناء بعض قراءاتي لكتب تاريخية، أو في مجلات وصحف سيارة،

(١) سورة الحجر: آية: ٩.

والحرصي على متابعة نظائر هذه الأخبار التي يقف عندها الفكر متأملا مؤمنا، فقد احتفظت بها، ولاشك أن الكثير منها لم أطلع عليه، ولم يبلغني، فأنا من أوسط الناس متابعة وقراءة[1]، وأجدها فرصة سانحة تستحق الإنتهاز، لكي أعرض لكم ما تجمع عندي من أشباه هذا الخبر:

* ذكر الشيخ نور الدين السمهوري ـ رحمه الله ـ في كتابه التاريخي «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» الجزء الثاني، حيث عقد فصلا تحدث فيه عن احتراق المسجد النبوي ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة ٦٥٤هـ، وشرح أسباب هذا الحريق وحكمه ونتائجه ثم قال: «ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثماني، وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ»!

* وأمامي الآن صفحتان من مجلة «اليقظة الكويتية» فات علي تسجيل رقم العدد وتاريخه حين نزعتهما، العنوان الكبير يقول: «طائرة الخليج» المنكوبة من مطار كراتشي إلى مثواها الأخير في الإمارات «كل المحققين أكدوا: المصاحف وحدها سلمت من الحريق» طائرة البوينج ٧٣٧ التابعة لشركة طيران الخليج كانت في رحلة عادية من كراتشي إلى الخليج، وتحطمت شمال أبو ظبي، وقالت فرق الإنقاذ إن الطائرة تحطمت بشكل كامل فور سقوطها وتناثرت قطعا صغيرة بما في ذلك محركات وأجهزة الطائرة، وعثر على مصاحف كانت بحوزة الركاب ولم تحترق»!..

* ونشرت جريدة «عكاظ»[2]، خبرا تحت عنوان: «احترقت يد الراهب.. ولم يحترق المصحف، الحادث يسفر عن إسلام ٢٠٠ مسيحي» نذكر طرفا من الخبر: «كانو ـ نيجيريا ـ من علي أيوب: نشرت جريدة «ترنيم» النيجيرية الواسعة الإنتشار يوم الأربعاء الماضي خبرا لايزال حديث الناس في نيجيريا بأسرها، فقد زلزل معقلا من معاقل المسيحية في ولاية كنجولا النيجيرية، الخبر يقول: بأنه وقف القس ولبر

---

(١) لو أمكنت الفرص، وأمكن الوقت للمتابع أن يدون أمثال هذه الأخبار مما تنشره الصحف والمجلات، وما يسمعه من أفواه الناس لجاء يوميا بحصيلة جديدة من هذه العبر، وحين كان كتابي هذا ماثلا للطبع قرأت في جريدة الرياض ع ٧٧٨٩ في ١٤١٠/٣/٢١هـ هذا الخبر، الذي أضيفه لكم: (أبو ظبي ـ اينا: بقي القرآن الكريم سليما بعد أن احترقت الغرفة بما فيها من أثاث، فقد كان أحد المواطنين في عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة أبو ظبي قد أبلغ عن حريق شب في منزله بسبب تيار كهربائي، وبعد اطفاء النار وتفقد ما تبقى، وجد المصحف الشريف بكامله لم تمسه النار مع احتراق كل ما حوله، فسبحان الحافظ المتعال). انتهى.

(٢) عكاظ ع (٧٤١١).

فورس راعي كنيسة المدينة وبيده مصحف كان قد جذبه من بين يدي أحد الحاضرين، ثم ألقى به على الأرض وسكب عليه مقدارا من البنزين، وهم بإشعال عود ثقاب لحرقه، لكن النار شبت في يد القس قبل أن يلقي بعود الثقاب على المصحف، وأصيبت يده بحروق شديدة ولم تمس النار المصحف، وكان الحاضرون يتابعون هذا المشهد وهم في ذهول حيث جرى ذلك أثناء قداس في الكنيسة، وعقب هذا الحادث مباشرة، أعلن القس فورس دخوله في الإسلام وتبعه رئيس الكنيسة يعقوب موسى، وتوالى دخول المبشرين المسيحيين في الإسلام حتى بلغ عددهم ٢٠٠ (مبشرا) وتحول هذا القس إلى داعية إسلامي كبير»!

* وفي «المجلة العربية»[١]، وتحت عنوان: «قراءة في كتاب» استعرض الأخ/ حديوي حلاوة، من مصر، مؤلفا للأستاذ/ عبدالرزاق نوفل ـ رحمه الله ـ بعنوان «صنع الله»، نقل منه بعض الأخبار، أحدهما تحت عنوان «القرآن محفوظ» جاء فيه: «من المعلوم أن لكل مادة في الوجود درجة احتراق تحترق إذا وصلت حرارتها إليها، فإذا زادت الدرجة عنها كانت النتيجة تغيرا شاملا وكاملا في طبيعة المادة، ومن مشاهدنا اليومية نجد أن الورق كل الورق الذي نستعمله في حياتنا اليومية هو أسرع المواد احتراقا، فهل يمكن للعقل أن يتصور أن نارا قد أحرقت الحديد فانصهر وألهبت الخشب فانعدم، وأصابت البشر فتفحم، ولم تستطع هذه النار أن تصيب ورقا من النوع المتداول، لا يوجد قطعا لما حدث أي تفسير، إلا أن تكون آية أرادها الله للبشر حتى يتعظوا وللناس حتى يؤمنوا... فلقد تحطمت إحدى الطائرات المصرية في أوائل عام ٧٧م في بانكوك وشبت فيها النار، واحترقت حتى انصهر الحديد كل الحديد، وأي حديد في الطائرة، وتفحم كل من كانوا فيها، وما نجا من الطائرة شيء إلا المصحف الشريف الذي لم تحرقه الحرارة التي صهرت الحديد، ولم تصبه النار التي دمرت كل مافي الطائرة وما عليها فكان أمرا عجيبا وشيئا غريبا، ولقد نشرت جريدة «الاهرام»[٢] في صدر صفحتها صورة وتعليقا جاء فيه: «القرآن كتاب الله، الشيء الوحيد الذي نجا من الحادث الأليم الذي صهر الحديد وقتل كل من كانوا في الطائرة المصرية التي تحطمت في بانكوك، ويرى المهندس توفيق أبو وردة عضو اللجنة الفنية التي أوفدت للتحقيق في الحادث وهو ممسك بالقرآن».. ونشرت جريدة الأخبار[٣] عن

(١) العدد (١٣١) لشهر ذي الحجة ١٤٠٨هـ.
(٢) العدد الصادر يوم ١٤/١/٧٧م.
(٣) العدد الصادر يوم ٣١/٥/٨١م.

احتراق مكتبة بالقاهرة أجهزت النار على كل محتوياتها، وعندما اقتربت من مصاحف القرآن الكريم احترقت أغلفتها ولم تمس حرفا واحدا من كتاب الله . . ونشرت جريدة الأهرام[١] عن احتراق عيادة دكتور مشهور في مصر، وأصبحت العيادة عبارة عن كوم من الرماد، ومن وسط كل الذي احترق كان هناك إطار مثبت في الجدار لم تمسه أي نار يحمل داخله الآية القرآنية ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾. انتهى . .

فسبحان الله العظيم الحكيم، القائل: ﴿ **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون** ﴾[٢].

« هل جزاء الإحسان إلا الإحسان »

■ قبل مدة زار (بريدة) الشيخ: محمد بن ناصر العبودي[٣]، وهو أحد الرواد الأوائل السابقين إلى تدوين القصيدة والقصة والمثل الشعبي، وله في ذلك مؤلفات مشهورة، وقد جرى لي معه حديث متشعب، وذاكرته ببعض الوقائع التي جرت فيها توافقات لا يسع الإنسان إلا أن يتأملها بإيمان واعتبار. فعقب على حديثي بقصة مماثلة أرويها هنا من الذاكرة، وكنت أتمنى لو سجلتها منه في حينها إذا لكانت أبلغ وأوثق، لكن ما لا يدرك كله لا يترك بعضه. . . يقول الشيخ محمد: ألمت برجل من أهل (الصباخ) ــ أصبح اليوم من أحياء بريدة ــ ضائقة مالية ألزمته بيته، هربا من وجوه دائنيه وانتظارا لفرج العزيز الحكيم، وفي منتصف ليلة ليلاء آوى الناس فيها إلى بيوتهم وهدأت الضاحية الزراعية سوى من صياح الديكة ونباح الكلاب، طرق باب هذا الرجل طرقا متتابعا، فتقدم يفتحه وخوف الليل والدَّين يلبسه، وحين فتحه تأمل الطارق فإذا هو رجل متلثم يرتدي ثيابا بيضاء ويركب حمارا، يقول الرجل: وحين تواجهنا رجلا لرجل رمى بصرة بين يدي، ثم وكز حماره وغشيه ظلام الليل، كل ذلك دون أن يسلم أو يودع أو ينبس بكلمة!.

ودخلت بيتي ففتحت الصرة، فإذا هي مبلغ له قيمته من المال، وفرحت بهذا

---

(١) يوم ٧/٧/١٩٨١م.

(٢) سورة النمل آية: ٩٣.

(٣) هو الأمين المساعد لرابطة العالم الإسلامي، وله مؤلفات بارعة وممتعة في الجغرافيا والأنساب والتراث الشعبي، وحين قابلته يومذاك شجعني على تجميع ما كتبته، ووعد بالتقديم له إذا سمحت ظروفه، أتم الله عليه نعمه، وبارك فيه.

الفرج الذي ساقه الله فرحا لا يوصف ونمت تلك الليلة نومة هنيئة عميقة بعد ليال أضناني فيها السهر وأكربتني الحاجة، وفي الصباح قسمت جزءا من المال بقدر ديوني، ودفعت لغرمائي، واستغنيت بالباقي. . . ومرت عدة سنوات، وفي صباح يوم من الأيام ــ وكالعادة ــ دخلت (سوق المجلس) ــ سوق قديم ببريدة لازال موجودا تباع فيه المواد الغذائية والملابس ــ لأتسوق لبيتي حاجتي من الطعام، فوقفت على محل أحد التجار «سماه الراوي» فإذا هو يتحدث مع مشتر مثلي بدا من هيئته أنه رجل من أسرة عريقة ثرية دالت عليها الأيام، فدنوت منهما أكثر وسلمت عليهما، فإذا الرجل يطلب من البائع وزنة قهوة ومثلها «هيل» ويكتال صاعا من البر، ولما جمع كل ذلك في (محدرة) معه، سأل التاجر عن القيمة التي يريدها ثمنا لما ابتاعه، فذكر له التاجر قيمتها، فاستكثرها الرجل وطلب إمهاله، وقبل أن يجيبه التاجر تناول الرجل ما أخذه، وراح يحاول إعادته إلى «خاناته» في الدكان. فمنعته عن ذلك، وقلت له هامسا: احمل ما اشتريت وسأدفع للتاجر قيمتها، فحملها ونقدت للتاجر ثمنها ولما رأى الرجل مني ذلك أخذ بيدي، وطلب التحدث معي على انفراد، ولما وقفنا على بعد من السوق قال لي: هل كنت تريد أن تساعدني لما فعلته معك من معروف سابق؟! فرددت عليه متعجبا من قوله: أنا لا أعرفك ولا أعلم لك معروفا علي! فعقب بثقة: أنسيت الملثم راكب الحمار الذي رماك بالصرة وجبر عثرتك، إنه أنا!!

قال الله تعالى: ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

قال الشاعر:

افعل الخير إن جزاك الفتى عنه
وإلا فإن الله بالخير جازي

وقال آخر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

« المحسن الذي رزقه الله من دون أن يحتسب »

■ في أوائل النصف الأول من القرن الهجري الماضي، ظهر في نجد في حواضرها وقراها أناس ضربوا أروع الأمثال في الإنفاق والبذل، فتحوا بيوتهم للجائع وابن السبيل، وكان هداهم في جهادهم هذا قول الله تعالى: ﴿ **وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾.. (سورة البلد)، وفي مدينة من مدن القصيم اشتهر أحد التجار[1] بحب الخير والإطعام في المساغب، وكان بابه لا يغلق، فسفرته ممدودة، وطعامه موضوع، وفي ليلة من الليالي استضافه ركب من سبعة أشخاص، ولم يكن عنده ما يقدمه لهم، فحار في أمره ما يصنع، ولما فعل الأسباب ولم تثمر، سلم أمره لرحمة ربه القائل: ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ (الأعراف: ٥٦)، وبينما هو يشاغل ضيوفه بالحديث منتظرا فرج العزيز الحكيم، إذْ طرق الباب بقوة، فقام أحد «رجاله» وفتح، فإذا رجل يقود أربعة جمال عليها أحمالها تمر، وإذا هي قادمة من مزارع في «الخبوب» كان التاجر قد دينه «بعارين» يسني عليها على أن يكون العوض تمرا يسلمه المزارع وقت جداد النخل، وأسرع «رَجاله» إليه يبشره بالفرج بعد الشدة قائلا: «أبشر جاب الله لك تمر» فحمد التاجر المحسن ربه على هذا الرزق الذي لم يكن على باله ولم يحسب حسابه، وقالت له زوجته: لو أدخلته غرفة التمر (الجصة) فحفظته، فنهرها وقال لها: لن أمنع ضيوفي رزقا ساقه الله لهم، بل يفرش له حصيرا في بهو الدار ويجمع عليه، وقال لرجاله: إإذنوا للضيوف أن يأكلوا منه، وتردد عليه الضيوف السبعة يأكلون منه أسبوعا كاملا، ولما استأذنوا في السفر قال لهم: خذوا من التمر زادكم وما تحتاجون، فأخذوا كفايتهم ورحلوا، ولما تولى أهل الدار إدخاله «الجصة» مخزن التمر، وجدوا أن هذهّ «الأحمال» الأربعة التي وردت، قد ملأت «الجصة» وفضل منها جزء غير يسير، وفي العادة، كانت هذه الكمية المقدرة بثمانية زنابيل تملأ الجصة دون زيادة أو نقص، لكنها هذه المرة رغم ما نقص منها بسبب أكل الضيوف وتزودهم منها، زادت كميتها، ببركة من الله العلي القدير! وهذه القصة يشهد عليها ناس كثيرون حضروها، ورواها لي من عاصر ذلك التاجر، ووقف على كثير من أخباره، ولهذه القصة في تراثنا الإسلامي مثيلات معروفة ومشهورة.

---

(١) هو جدي لأبي: إبراهيم بن عبدالعزيز الطويان ـ رحمه الله ـ، والقصة على درجة كبيرة من التوثيق.

« الشريكـــان »

■ تجاذبت الحديث مع أحد المعمرين، ممن مرت عليه السنون بعبرها وعجائبها، فوعى منها الحكمة، وخرج بعدها بالتجربة، فذكر رحلاته إلى العراق والشام ومصر، حين كانت نجد تلد ولا ترضع، فعقبت على حديثه بقول الشاعر:

والله ما ذقـنـا بنجـد حلاوة إلا نهار العيـد وجـد الغـرايس!

فتداعت المعاني في رأسه، وتحول مجرى الكلام في ذهنه، فاستعرض بعض صور الجوع وشظف العيش، قائلا: كان الناس إذا تسامعوا بأن فلانا (سيجد نخله) أي يصرم ثمرها، أقبل عليه الفقراء والمساكين، وفيهم الأطفال والنساء، فأعطاهم بقـدر جوده وموجوده. هنا عرفت من حديث محدثي، معنى المثل الذي كان يقوله بعضنا لبعض حين كنا صغارا؟ خاصة حين يكثر أحد الأشخاص الكلام، ويريد الآخر فراقه، فيقول له: «تراهم يجدون بالصباح»! وقلت لهذا المعمر الواعي لما مر عليه: هل تتحفنا بعبرة مرت عليك أو سمعتها بهذه المناسبة، فضحك ووضع يده على جبهتـه، وطـأطأ رأسه قليلا، ثم رفعه وعيناه تنظران في الأفق البعيد، وقال: تشاركا إثنان من أهالي «بريدة» في شراء ثمرة أحد بساتين النخيل المحيطة بالبلدة، ولما عزموا على جد الثمرة وبيعها، قال أحد الشريكين للآخر: ينبغي أن يكون جدادنا في الليل أو في وقت نأمن فيه عدم حضور أحد، فثمرتنا قليلة، والسوق كما ترى! فقال له شريكه الآخر: أنا لا أقبل هذا الفعل، فالفقير والمسكين له حق، والبركة في حضـوره وأكله، فاختلفا، ثم اتفقا على القسمة بينهما، فقسما، ثم صرم الشريك الأول في الـوقت الذي لم يعلم به إنسان، ولما أراد الآخر جني ثمرته، أعلن نيته، فحضر «جـداده» الفقـراء والمساكين والصغار، فأذن لهم بالأكل وأخذ اليسير، ولما شحن تمره إلى السوق ووزنه ظهر أنه يزيد على نصيب شريكه بألف وزنة، فاستنكر شريكـه هذه الـزيادة وأدعى بالغبن والخطأ، ثم ذهب إلى القاضي يتظلم ويطلب النصفة! فقال له القاضي بعد أن سمع من المدعى عليه: اذهب فتلك بركة الله تنزلت على من أحسن نيته وتصدق على عباده، فعجل الله له الخير، وبارك له في ثمره!!

قلت لمحدثي: ما أشبه قصة هذين، بقصة أصحاب الجنة (البستان) الذين عزمـوا على صرمها صبحا، وأن لا يدخلها عليهم مسكين، فجزاهم الله على سوء نيتهم، بنقيض قصدهم، والقصة ذكرها الله في سورة القلم قال تعالى: ﴿ **إنا بلوناكم**

كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم * ﴾[١][٢].

« قصص تؤكد فضل الصدقة »

■ هذه قصة واقعية حكاها لي ثقة[٣] ضبط يسندها على بطلها نفسه، والمعلوم أنه كلما قصرت سلسلة الرواة كلما أمكن للثقة في الرواية أن تكبر، هذه قاعدة بدهية، يقول لي الراوي: قبل خمسين عاما تقريبا كنت على «الحزول»[٤] بغرض شراء أباعر، وكان أحد من يترددون على مجلسي ويشربون قهوتي شخصا يقال له «علي بن دحيلان» وهو شمري من فخذ سنجارة، وقد حدثني بقصة عجيبة وقعت له، يقول: غزوت مع جماعتي على إحدى القبائل، وفي أثناء الطريق عثرت ذلولي فأصيبت يدها وأخذت تضلع فتركت ربعي ورجعت ناكفا إلى أهلي، وخلال الطريق توجهت صوب مورد يقال له «الشبكة» فوصلته بعد ثلاثة أيام، وأنا وذلولي في حالة إعياء شديد من الظمأ والإرهاق، وحين وصلته وجدت ماءه قد غار، فقصدت بئرا أخرى معطلة في نفس المورد ولما صارت ذلولي على حافتها وشمت رائحة الندى هوت في البئر تريد الماء لشدة وجدها عليه، فوقفت أضرب كفا بكف لا أدري ما أصنع!، الموارد الأخرى بعيدة، والراحلة لا أمل في اخراجها، لكنني استعنت بالله وتوجهت بحكم خبرتي إلى مورد

---

(١) سورة القلم: آية: ١٦ ــ ٢٠.

(٢) في هذا الموضوع، سمعت خبرا رواه لي أكثر من واحد، يقول الخبر: كان أخوان يفلحان بستانهما الواقع غرب (حيالة اربيشه) ببريدة، وكان الزمن زمن جوع وقحط، وفي أحد الأيام رأى أحد الأخوة أن شعيرهم الذي بذراه، ينقص من أطرافه وأن أيدياً، تمتد إليه بالحصد، فقرر أن يكتشف هؤلاء اللصوص، فكمن لهم بحيث يراهم ولا يرونه، وحين انتصف الليل شاهد فتاتين تخرجان من إحدى الدور، ثم تقتربان من أطراف «الشعير» فتأكلان من ورقه حتى تشبعان، فأدرك المبهم، وعرف سر التعدي، وكانت الفتاتان بنات إحدى الأسر الكبيرة التي تركها قيمها وسافر متغربا يبحث عن الرزق، فقام هذا الأخ، فبعث لهن زبيلا من التمر، وستر حالهن، فعوض الله الشريكين خيرا، وحصدا شعيرهما في ذلك الموسم فكان من أوفر الغلات بفضل الله، وبركة الإحسان والصدقة.

* وتقول إحدى الروايات: إنه كان لرجل معروف بالبر بستان في (الصباخ) ببريدة، وكان الناس يردون عليه فيشربون ويتظللون، وكان ينفق من تمره وثماره، فكان هذا الحائط مباركا نافعا، فلما مات صاحبه وتولى الأمر ابنه، قام فسور الحائط ومنع الناس عنه، يقول الراوي: فغار ماؤه، وتهدم بئره، وأمسى عبرة للمعتبرين، فسبحان من جعل الزكاة نماء، والصدقة برهانا ينطفيء بها غضب الرب.

(٣) رواها لي أحد الأقارب المعمرين في الأسرة، وهو من رجالات اعقيل المعروفين.

(٤) موارد ماء لشمر شرق حائل.

يقال له «الجل» يقع مني على مسافة يوم وليلة للراجل، وحين وصلت لم أجد عليه أحدا، وليس على البئر عدة استسقي بها، فقلت في نفسي أنا ميت على أي حال، وليس من حل سوى المخاطرة، فألقيت نفسي في البئر، ووقعت في قعرها على رجلي مستويا، وسلمني الله شر جيلانها المطوية بالحصى في عمق يزيد على الثلاثين مترا، فشربت منها حتى ارتويت ووجدت حولي «ركوة» من الطين فجلست عليها أترقب نهايتي، وكنت قبل هذه الحادثة قاطنا على جو «لينة» ولي جارة فقيرة في شهر وضعها، وكنت أملك ناقة حلوب واحدة تأتيني من المرعى كل ليلة ثالث فأحلبها في قدح وأذهب به إلى جارتي، فكان قدحي هذا بحليبه وصفته يمد لي كلما أغطش علي الليل في البئر التي سقطت فيها فأحس بالإرتواء والإنتعاش!، طيلة أربع ليال بقيت فيها بالبئر، وكنت في النهار أذهب في غيبوبة، أما قومي فحين رجعوا من غزوهم مروا على مورد «الشبكة»، فوجدوا ذلولي ساقطة فيه، فيئسوا مني وايقنوا هلاكي، وحين وردوا على ماء «الجل» البئر التي سقطت فيها، أرسلوا دلوهم فتعلقت به، فنادوا: من في البئر؟! فصوت لهم: رفيقكم علي، أخرجوني، فخرجت سالما معافى ــ والحمد لله ــ قال الله تعالى: ﴿ **فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾[١].

* وكتب الأخ/ بالود غزاي العتيبي في جريدة الجزيرة العدد ٥١١١، التعليق التالي:

أضيف لما ذكره الأخ عبدالكريم شاهدا آخر، وقد حصلت هذه القصة على أحد الأخوة وهو حي يرزق الآن ويقيم في مدينة الرياض.

ويقول الأخ المذكور: «أنني في أحد الأعوام الماضية أي منذ حوالي خمسة وأربعين عاما تقريبا، وكان عمري آنذاك في حدود خمسة عشر عاما، أتت إلى أمي إحدى نساء الحي لتطحن عندها شيئا من الحنطة، وكان يرافق هذه المرأة ابن لها صغير عمره في حدود خمس أو أربع سنوات. وقد قدمت لي والدتي قدحا من اللبن لا يكفي لحاجتي لعدم وجود غيره، وكان ذلك الطفل الذي حضر مع أمه ينظر إليه نظرة استعطاف. وعندما أخذت القدح من أمي قدمته له فشربه ولم يبق لي شيء من ذلك!، وذهبت هذه المرأة وابنها ومرت الأيام والسنون.

(١) سورة القصص: آية: ٢٤، ٢٥.

وفي أحد الأيام ارتحلنا من مكان إلى آخر حيث حياتنا حياة البادية متنقلين من مكان إلى آخر، وكان الوقت صيفا شديد الحر، وعندما نزلنا فقدنا بعض حوائجنا وذكرنا أنها باقية في المحل الذي رحلنا منه واستنجدني والدي بالذهاب لإحضار (الأغراض)، وفعلا لبيت الطلب وذهبت إلى المحل الذي رحلنا منه وكانت عودتي على غير راحلة.

وعدت من المكان ولحقت بأهلي، ولكن شدة الحر وبعد المسافة تغلبت على قواي وألجأتني إلى ظل شجرة في الصحراء وقد أغمي علي وانقلبت الأرض في نظري خضراء من شدة العطش، وبينما أنا في غيبوبتي: وإذا بالطفل الذي ناولته صبوحي الذي قدمته لي أمي يأتي إلي ومعه ذلك القدح وفيه (الصبوح) يقدمه إلي وقد أخذته منه وشربته، وعندما زال عني الإغماء إذْ أنا في ظل شجرة في فلاة لا أحد عندي، ولكن ليس بي عطش، ولا جوع، ويقسم محدثي: إنني أطعم طعم اللبن في فمي، ومن ثم يقول قمت وواصلت سيري ولحقت بأهلي وقصصت لهم القصة وسألت أحد العلماء فيما بعد وقال هذه حسنة لك أعطاك الله ثوابها في الدنيا. والله على كل شيء قدير». انتهى.

وعطفا على تعقيب الأخ بالود العتيبي بتلك القصة، أفيدكم أنني تصفحت كتاب «الروح لابن القيم في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء» فوجدته كتابا قيما فيه عظات وعبر، وأوصي كل أخ، وأخت بمطالعته ففيه ما يوقظ النفس ويحيي القلب ومؤلفه ابن القيم الجوزية أحد علماء السنة من سلفنا الصالح، وهو من تلامذة ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ، ومن المشهود له بالعدالة والثقة وتحري الصحة في رواية الأخبار، توفي سنة ٧٥١هـ، وطالعت بابا من أبواب كتابه هذا تحت عنوان «المسألة التاسعة عشرة» الفصل المائة، فوجدته يتناول قصصا عجيبة تؤكد وتسند صحة القصة التي وقعت «لعلي بن دحيلان» قبل خمسين عاما، ورويتها لكم من قبل، وكذا صحة القصة التي رواها الأخ «بالورد» والتي وقعت قبل خمسة وأربعين عاما، لشخص لم يسمه، وقال عنه إنه يقيم بالرياض حاليا. . يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بابه هذا: «واعجب من هذا أن روح النائم يحصل لها في المنام آثار فتصبح يراها على البدن عيانا وهي من تأثير الروح في الروح كما ذكر القيرواني في «كتاب البستان» عن بعض السلف: «وذكر مسعدة عن هشام بن حسان عن واصل مولى أبي عيينة عن موسى بن عبيدة، عن صفية بنت شيبة

قالت: كنت عند عائشة رضي الله عنها، فأتتها امرأة مشتملة على يدها فجعل النساء يولعن بها، فقالت: ما أتيتك إلا من أجل يدي، : إن أبي كان رجلا سمحا وأني رأيت في المنام حياضا عليها رجال معهم آنية يسقون من أتاهم، فرأيت أبي قلت: أين أمي؟ فقال: انظري، فنظرت فإذا أمي ليس عليها إلا قطعة خرقة فقال إنها لم تتصدق قط إلا بتلك الخرقة وشحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب وتطرى بها وهي تقول: واعطشاه! قالت: فأخذت إناء من الآنية فسقيتها فنوديت من فوقي من سقاها أيبس الله يده، فأصبحت يدي كما ترين!! ».

« وقال عبدالرحمن بن القاسم صاحب مالك: سمعت مالكا يقول: أن يعقوب ابن عبدالله بن الأشج، كان من خيار هذه الأمة، نام في اليوم الذي استشهد فيه فقال لأصحابه: إني قد رأيت أمرا ولأخبرنه: إني رأيت كأني أدخلت الجنة فسقيت لبنا، فاستقاء فقاء اللبن! واستشهد بعد ذلك، قال أبو القاسم: وكان في غزوة في البحر بموضع لا لبن فيه، وقد سمعت غير مالك يذكره ويذكر أنه معروف فقال: إني رأيت كأني أدخل الجنة فسقيت فيها لبنا، فقال له بعض القوم: أقسمت عليك لما تقيأت، فقاء لبنا يصلد أي يبرق! وما في السفينة لبن ولا شاة.

ثم يعقب ابن القيم رحمه الله بعد ذكره لعدد من هذه الأخبار بقوله: وأعجب من هذا الرجل يرى في المنام وهو شديد العطش والجوع والألم أن غيره قد سقاه وأطعمه أو داواه بدواء، فيستيقظ وقد زال عنه ذلك كله، وقد رأى الناس من هذا عجائب ». انتهى.

هذا ما نقله وما قاله ابن القيم في القرن الثامن الهجري، وتأتي قصتانا القريبتان العهد بنا لتؤكدا لنا مع القصص السابقة أن الله لا يضيع أجر المؤمن المحسن المتصدق ابتغاء وجه الله، وأنه موعود بالخير في الدنيا والآخرة[1]، وذلك ما أثبته القرآن الكريم، وأكدته السنة، وشواهد الحياة.

وفي كتابه (فصول في الدين والأدب)[2] يروي لنا الأستاذ/ إبراهيم الطامي، هذا الخبر: «صاحب هذه القصة يعمل موظفا بمدرسة بريدة الثانوية، يقول: كنت من سكان الصحراء الصعبة المرة، فلا مأوى طيب ولا ماء صافي، دائما في حل وارتحال

---

(١) قال الشاعر:

« أبشر بعون الله إن تك محسنا فالمرء يحسن طرفة فيعان »

(٢) جـ / ١ ص ٢٤٥.

طلبا للكلأ والماء، وبينما أنا وزميلي سائران إذْ بنا نضل الطريق، ويفترق كل منا عن الآخر، وأدركني الظمأ، ويقسم أنه في هذه الحالة إذا بوعاء لبن كان يسقي فيه جدته التي كان بارا بها يأتيه في منامه ويشربه كله فيصبح شبعانا وريانا لعدة ليالي، فاعملوا بالخير لعلكم تفلحون ». انتهى.

والكثير منا سمع بقصة ابن جدعان، الذي تاه في دحل من الدحول(١)، فكان يأتيه قدح من الحليب ويشربه، وفي أيامه الأخيرة بالدحل انقطع عنه الحليب، ولما قدر له الخروج من هذه المهلكة، تبين له أن أولاده قد استردوا ناقة تصدق بها على أحد الفقراء، في نفس ذلك اليوم الذي انقطع به الحليب عنه، وهي قصة موثقة وصحيحة، هذا وأسأل الله لي ولكم التوفيق، وأن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه.

« وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى »

■ كلما طالعت خبرا عن إحصائية المواليد التي اعتاد مندوبو الجزيرة نقلها، عن مديري المكاتب الصحية ومستشفيات الولادة، وقفت متأملا هذا التوازن العجيب بين عدد الذكور وعدد الإناث، وتذكرت قوله تعالى: ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾(٢). ويزداد اعتباري كلما علمت أن هؤلاء المواليد الذين توازنت فيهم أعداد الذكور والإناث إنما جاءوا من مجتمع الناس فيه دائما على أربع حالات: أسرة يولد لها ذكور وإناث، وأسرة يولد لها ذكور فقط، وأسرة يولد لها إناث فقط، وأسرة عقيمة لا يولد لها، ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿ **يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أويزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير** ﴾(٣)، ورغم هذا الإختلاف إلا أن المحصلة النهائية لأي مدينة أو قرية في العالم هي توازن الكفتين بين المواليد الذكور والإناث لحكمة جلية أرادها الله لخلقه، فلو تكاثرت نوعية على أخرى لانقطع النسل ولظهر الفساد واختل المجتمع، فانظر إلى حكمة الباريء في خلقه.

ودعونا بعد هذه التوطئة السريعة أن نطالع بعض هذه الأخبار التي نشرتها «الجزيرة»، والتي اشتملت على إحصائيات المواليد، فقد نشرت جريدة الجزيرة في

(١) (الدحل) نفق طبيعي في الأرض.
(٢) سورة الذاريات: آية: ٤٩.
(٣) سورة الشورى: آية: ٤٩، ٥٠.

عددها ٥٦٥٨ في ١٤٠٨/٨/٨هـ، خبرا من الدمام يذكر أن عدد المواليد في مستشفى الولادة بالدمام خلال الستة الأشهر الأولى من عام ١٤٠٨هـ بلغ ٤٧٨٢ مولودا منهم ٢٤٢٥ ذكرا و ٢٣٥٧ انثى. وفي عدد الجزيرة ٥٨٠٨ في ١٤٠٩/١/١١هـ، نشرت احصائية عن مستشفى الولادة ببريدة، جاء فيها أن المواليد خلال عام ١٤٠٨هـ بلغ ٥٣١٠ مولودا بلغ الذكور من الخمسة آلاف ٢٢٢٦ ذكرا، بمعدل ١٨٥ في الشهر، أما عدد الإناث فهو ٢٢١٢، بمعدل ١٨٤ في الشهر، هذه الحالات الطبيعية فقط. وفي عدد الجزيرة رقم ٥٨٨٠ في ١٤٠٩/٣/٢٤هـ، نشرت احصائية عن عدد المواليد في مدينة الرياض وحدها خلال عام ١٤٠٨هـ، جاء فيها أن عدد المواليد بلغ ٢٢,٣٢٢ من جميع الجنسيات، عدد السعوديين منهم ١٧٧٥٣ مولودا، ٩٠٢٠ ذكرا، والإناث ٨٧٣٢، أما ذكور غير السعوديين فبلغوا ٢٢٣١، وإناثهم بلغن ٢٢٣٩، وفي عدد الجزيرة رقم ٥٨٩٣ في ١٤٠٩/٤/٧هـ، نشرت احصائية عامة عن منطقة الرياض جاء فيها أن عدد الذكور السعوديين بلغ ٢٥٥٠٠، والإناث ٢٤١٣٢، وأنه خلال شهر ربيع الأول فقط من العام الجاري، بلغ عدد الذكور السعوديين ١٠٠٧، والإناث ١٠٠٥.

وإذا استقرأنا هذه الإحصائيات، وفق أولوية نشرها، وجدنا أن الذكور الذين استضافتهم «بريدة» خلال عام واحد بلغوا ٢٢٢٦ ذكرا، والإناث بلغن ٢٢١٢ أنثى، أي بزيادة أربعة عشر ذكرا فقط!

كما نلاحظ أن المعدل الشهري يرجح بفارق واحد لصالح الذكور.

وتأمل المواليد غير السعوديين في مدينة الرياض خلال عام واحد تجد أن الذكور ٢٢٣١ ذكرا والإناث ٢٢٣٩، حيث زادت الإناث على الذكور بفارق بسيط هو ثمان إناث فقط، وتدبر الذكور الذين رأوا النور في مدينة الرياض خلال شهر ربيع الأول من هذا العام تجدهم ١٠٠٧ ذكرا، والإناث ١٠٠٥، انثى، أي أن الذكور زادوا اثنين فقط!

إن هذه القدرة العجيبة في الخلق هي لله وحده، وهي من آياته المبثوثة في الكون، ألسنا عرفنا الله بآياته ومخلوقاته؟ فسبحان من يراوح، بين هذين الزوجين زيادة ونقصا، لحكمة يعلمها، ولعلة يراها.

وقابلت الأخ الدكتور/ محمد زكريا عبدالمقصود، الأستاذ المشارك في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ـ سابقا ـ، فناقشته الموضوع،

وخرجت منه بالحقائق التالية: « النسبة دائما متوازية على مستوى العالم أجمع، من خلال كل الإحصائيات التي تمت، وهي لا تختل إلا بسبب من الأسباب التالية:

١ ــ الحروب، فبعد الحرب العالمية الثانية، وجد أن نسبة الإناث في المانيا ١١٥ مقابل ٨٥ نتيجة لفقدها ستة ملايين من الشباب الذكور.

٢ ــ عامل الهجرة، على سبيل المثال الدول الخليجية، لأن معظم المهاجرين إليها من الذكور، فالتعداد السكاني في نهاية السبعينات بالكويت وصلت فيه نسبة الذكور إلى الإناث ١٤٥ مقابل ٥٥.

٣ ــ عامل الأمراض والأوبئة والمجاعات، فالمرأة أكثر قدرة على تحمل الأمراض ومعظم الإحصائيات تؤكد أنها تعمر أكثر من الرجل، وهذا سبب من أسباب اختلال النسبة أحيانا. كما يؤكد الأطباء أن من بين كل مائتين حالة ولادة للمرة الأولى، منهم ١٠٥ ذكور مقابل ٩٥ إناث، ثم تتعادل النسبة فيما بعد بالنسبة للإنجاب الذي يليه!! ». انتهى.

وهذا التوازن المحكم الذي يتحكم فيه الله وحده، يسير وفق السنن التي أرادها سبحانه، وهي سنن مدبرة يفسدها الإنسان أحيانا إذا تدخل فيها، فيختل مجتمعه، ويضطرب ميزان نسله، ومن هذا ما قرأته قبل شهر تقريبا، حيث نشرت إحدى الصحف خبرا تحت عنوان: «وأد البنات في الهند حقيقة» جاء فيه: «في قرية (ديورا) بالهند لا يوجد سوى فتاتين صغيرتين، أما بقية أطفال القرية فهم جميعا من الذكور، وهذا الخلل في نسبة الذكور إلى الإناث ليس مصادفة، وإنما يرجع إلى عادة قتل الطفلة الأنثى فور ولادتها. وتفيد الأرقام الهندية الرسمية، أن نسبة المرأة في الهند تعتبر أقل من نسبة الرجال، فهناك ٨٥٠ امرأة لكل ١٠٠٠ رجل»! وبعد، فإن تلك الضبط لميزان الجنسين، هو إرادة الله سبحانه وتعالى، وهذا الإخلال للنسبة هو فعل الإنسان الذي نسي أن الله أنزل في كتابه الكريم قوله تعالى: ﴿ **وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت** ﴾ حقا إن هذه الآية في الخلق جديرة بالتأمل والبحث والإستقصاء، فليت أحد الباحثين المختصين يتناولها بمزيد من العمق والدراسة، لكي يستكمل أوجهها بمزيد من تحليل الإحصائيات، وتطبيق الحقائق، والله أسأل أن يلهمنا الصدق، ويقينا العثار.

« من عبر الموت وعظات القبــور »

■ الموت هو الحقيقة الكبرى التي لا يرتاب في وقوعها إنسان، وهو الأجل الموقوت الذي لا يعلم نهايته إلا الله سبحانه وتعالى، والقبر هو الشاهد المادي عليه، وهو أول منازل الآخرة، وزيارة المقابر تذكر بالآخرة، وتنبه الإنسان إلى خاتمته ونهاية مسعاه في هذه الحياة:

«يا من بدنيـــاه اشـتـغـل   وغــــره طــــول الأمــل
المـــوت يأتـــي فجـــأة   والـقـبــر صنــدوق العمــل»

وكلما دخلت مسجدا لأداء الصلاة، وقفت متأملا معتبرا، أمام «المغسل» و «النعش» واللذين قل أن يخلو منه مسجد في المنطقة الوسطى، أقول لنفسي: هذا الإنسان المترف المتنعم الذي لا يرضيه سوى المقعد الوثير، والمركب الوطيء، وغرفة النوم المخملية، سيوضع في آخر أيامه على هذا المركب الخشن، وسيحمل على هذه الآلة الحدباء، إنها آخر وسيلة مواصلات يركبها في حياته، وكان لا يقنعه سوى أفره السيارات، وأعلاها قيمة وقدرا:

«كل ابـن انـثـى وإن طالــت سلامتــه
يومــا على آلــة حدبــاء محمول»

هذا الإنسان الظالم لنفسه، الذي يؤثر العاجلة على الأجلة، ويبني القصور ويظن أن الخلود له كتب، والبقاء لمثله ضمن، ونسي الحكمة في قول القائل:

ولــقــد علمــت بأن قصري حفــرة   غبراء ينـقـلني الـيـهـا «حشرج»

وحشرج هذا، هو «النعش»، فما أعجبها من نهاية ننتقل بعدها على لوح من الخشب إلى حفرة غبراء ضيقة، وهي في الحق، ليست نهاية بل بداية، لو استشعرنا حقيقتها لتغير منا السلوك، ولصلحت منا الحال:

« إن لله عبـــادا فطنـــا   طلقـوا الـدنيـا وخـافـوا الفتنـا
نظروا فيـهـا فلما علمـوا   أنها ليـســت لحي سكـنـا
جعـلوهـا لجة واتخـذوا   صالـح الأعـمال فيها سفنـا»

في رمضــان الفـائت، سمعت الشيخ «الفوزان» إمام جامع التغيرة، يحدث المصلين، فكان مما ذكره عن عبر الموت والمقابر قصة رواها «الحوطي» أحد حفاري

القبور في بريدة إلى عهد قريب، قال: كنت أحفر القبر الأخير في إحدى مقابر بريدة، حين وقف على رأسي أحد رجال البلدة المعروفين، وهو في كامل هيئته وعافيته، فقال لي: إن «الجماعة» قد خصصوا الموقع الفلاني مقبرة جديدة، فلا داعي لحفر هذا القبر في هذا الحيز الضيق، ثم استمر يتحدث معي في هذا الموضوع وذهب، وبعد يوم دخلت المقبرة جنازة جديدة، ولما استقبلتهم، علمت أن الميت هو محدثي في الأمس! حيث دفن في القبر الذي اعترض عليه!

وقبل عدة سنوات توفي الشيخ عبدالعزيز الرشودي ـ رحمه الله ـ، ثم لحقه أخوه الشيخ صالح ـ رحمه الله ـ بعد مضي ثمانية أشهر ـ تقريبا ـ والعجيب أن يجاوره في القبر، رغم مضي هذه الأشهر التي دفن فيها العشرات بالمقبرة، لكنه عند موته تعبأت الخانات المجاورة فكان أنسب المواقع هو ما جاور قبر أخيه[1].

وقال لي الشيخ حمد الصقري، إن والده عبدالله ـ رحمه الله ـ توفي ثم لحقه بعد أسبوع جاره من جهة الشرق «غدير التويجري» ـ رحمه الله ـ فدفن في قبر مجاور للصقري من جهة الشرق، مثلما كانت حالهما في الدنيا.

وقصة الشيخين علي الغضية، وعبدالله الحميد، متواترة ومشهورة، فقد تماثلا في حياتهما في كثير من أمور الحياة، ومات أحدهما قبل الآخر بمدة، ثم تبعه الآخر، فقدر أن يدفن في قبر مجاور له!

وروى لي الأخ/ فهد البليهي قصتين، أكد صحتهما، قال: مات أحد الناس وأثناء دفنه قال أحد حفاري قبره مازحا: «طمنوا له تراه يطلع» فقدر الله أن يموت هذا القائل بعده بأسبوع وأن يدفن بقبر مجاور له!

وقال لي: «كان مجموعة من حفار القبور يحفرون قبرا فوقف عليهم سائل وسألهم: لمن هذا القبر؟! فرد عليه رجل منهم متهكما: «هذا لفلان، مريض منذ سنين، لقد أتعبنا بالحفر؟!» يقول الأخ فهد: فمات ذلك المستهزيء ودفن في ذات القبر الذي حفره!

وقرأت فيما كتب عن استشهاد الشيخ إحسان الهي ظهير، ما رواه أحد زملائه قال: كنت أنا والشيخ إحسان في البقيع، فقال لي: لا أتمنى يا فلان سوى أن أموت شهيدا وأن أدفن في البقيع، فكان له ماتمنى!

---

(١) حدثني بهذا أخي «عبدالعزيز بن صالح الطويان»، وأشار إلى قبريهما ونحن في مقبرة «المطا» ببريدة.

وقال لي ابن العم / صالح بن محمد الطويان، نوم والدي في المستشفى، وعلى سريره مكتوب: الشيخ / محمد الطويان، ولما توفي ـ رحمه الله ـ خرج من المستشفى على نقالة كتب عليها: جثة محمد الطويان، فوقفت برهة أتعجب! وقال لي أحد الأخوان: لقد سررت حين سمعت بقصة المعلم الذي زار بتلاميذه إحدى المقابر، فشرح لهم على الطبيعة الفصل الأخير من حياة الإنسان، فسبحان الدائم الذي لا يموت، المتصرف في ملكه، **«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا»**.

وأخيرا:

«سلام على أهل القبور الدوارس
كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء نهلة
ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس»

« إذا عرف السبب بطل العجب » !!

■ تابعت التغطية الإخبارية الواقعة عبر جريدتنا الجزيرة لحادثة انفجار مكوك الفضاء «تشالنجر»[1] والحقيقة أن الحادث شد أنظار وانتباه العالم في الكرة الأرضية عموما، وغطى الصحفيون أخباره مستعرضين الأسباب التقنية ومشاعر الناس، لكنني لم أقرأ لأحد تعرض للحادث من زاوية إيمانية، فالأمير سلطان بن سلمان ـ حفظه الله ـ حين راد الفضاء في رحلة «ديسكفري» أعطى للعالم أجمع وبأسلوب غير مباشر درسا إيمانيا يجب أن يعيه كل متطلع للصعود إلى الفضاء، فقد تلا الأحاديث والأدعية التي نبه إليها نبينا محمد ﷺ لكل من هم بالسفر وركب وسيلته، ثم إنه حمل معه كتاب الله وأدى الصلوات الخمس وصام ما تبقى من رمضان وهو في رحلته، لقد قال لرواد الفضاء عمليا ودون محاضرة: إن أردتم لرحلتكم النجاح وخير البشرية فاستشعروا أنكم في قبضة الله وسلطانه.

ودعونا نقف مليا حول حادثة انفجار «تشالنجر» فهذا هو الإسم الإنجليزي للمركبة ومعناه بالعربي «المتحدي» والبرنامج اسمه «غزو الفضاء» لو أن هذه المسميات أطلقتها دولة إلحادية لما تعجبنا ولكنها من دولة أهلها يدينون بالنصرانية

(١) انفجر مكوك الفضاء «تشالنجر» بعد ثوان من اطلاقه، وهلك رواده جميعا، وقيل أن انفجاره كان بسبب خلل فني في بعض أجهزته! كان ذلك في ١٤٠٦هـ.

ويؤمنون بوجود الله، وعلى فئات عملتهم «الدولار» كتبوا العبارة التالية: «نحن نثق بالله»!!

لقد سمعت الأمير سلطان بن سلمان يقول: «إن الشروط الأمنية والتطور التقني في مركبة الفضاء يفوق الوصف حتى أن مهندسا مسؤولا عن أنبوب صغير بطول الأصبع، له خمسة عشر عاما وهو يطوره ويدخل عليه تحسينات تقنية جديدة»، انتهى. معنى هذا أنهم فعلوا جميع الأسباب الأمنية الإنسانية لضمان سلامة المركبة، لكنهم لم يأخذوا بالأسباب الإيمانية! وكل متأمل يجب أن لا تفوته مسألة انفجار «تشالنجر» بعد دقيقة من انطلاقه أي أنه عند انفجاره كان في محيط الرؤية العادية، مما أتاح لأعين المشاهدين وعدسات الإعلاميين مراقبة تحطمه بكل وضوح.

وبعد.. فليت وكالة «ناسا» سمت مركبها الفضائي «بالمهتدي» بدلا من «المتحدي» وبرنامجها بـ «ريادة الفضاء» بدلا من «غزو الفضاء» أقول ليتها فعلت ذلك، ولعلها تفعله في المستقبل القريب. هذه خواطر مسلم يتأمل ويتألم أبثها لقراء «العزيزة» للعبرة والفكرة....

« التحدي من (تيتانك) إلى (تشالينجر) »

■ طالعت خبرا تحت عنوان «استئناف انتشال حطام تيتانك» جاء فيه: «بدأ فريق علمي أمريكي أمس الأول الأحد عملية انتشال حطام الباخرة تيتانك التي يقبع حطامها منذ عام ١٩١٢م في قاع المحيط على عمق ٤ آلاف فرسخ وعلى مسافة ٩٠٠كم جنوب شرقي القارة الأمريكية» ثم يتعرض النبأ لتفصيلات العثور عليها، وينتهي بالتالي: ومما يذكر أن الباخرة تيتانك اصطدمت بجبل ثلجي يوم ١٤ أبريل ١٩١٢م وذلك بعد أربعة أيام من مغادرتها لندن متوجهة إلى نيويورك ثم غرقت خلال بضع ساعات، وقد لقي ١٥٠٠ شخص من مجموع ركابها وأفراد طاقمها البالغ ٢٢٠٠ شخص مصرعهم»، هذا بتصرف مضمون الخبر الذي أوردته الجزيرة، ومن غرائب الإتفاقات أنني قبل أيام من قراءة هذا الخبر وقع بيدي عدد قديم من مجلة المختار «ريدرز دايجست» صدر في شهر سبتمبر ١٩٤٤م أي قبل ٤٢ سنة وفي ص ٧٣، وتحت عنوان «كانوا يؤمنون بأن التيتانك لا يمكن أن تغرق» قرأت ما كتبه «هانسون بولدوين» ولكي تكتمل الصورة أنقل لكم فقرات مما رواه: «في العاشر من شهر أبريل سنة ١٩١٢م أبحرت الباخرة تيتانك، أكبر باخرة كانت في العالم، في

رحلتها الأولى من سوثمبتن إلى نيويورك، وكان المعتقد أنها آمن باخرة تمخر عباب البحر، فقد كان لها قعران مزدوجان، وكان أسفلها مقسما إلى ١٦ قسما لا ينفذ فيها الماء، حتى ظنها الناس سفينة لا يمكن أن تغرق، وقد بنيت كما وصفوها لتكون زورقا ضخما من زوارق النجاة، وقد أقلعت وعلى ظهرها ٢٢٠١ شخص «في الساعة ١:٤٢ بعد الظهر اهتز الأثير برسالة من الباخرة «بالتك» تحذر تيتانك من الثلج في طريق البواخر، ويعث بها «برايد» إلى غرفة القيادة، فقرأها «سميث» ربان التيتانك بغير تعليق. وفي الساعة ١١:٤٠ ليلا انشقت الظلماء عن جبار مريد أبيض في طريق التيتانك، وخامر «فليت» الشك لحظة في حقيقة ما يرى، ولكنها كانت حقيقة واقعة، فصاح مذعورا في بوق التلفون يبلغ غرفة القيادة: «جبل الثلج أمامنا مباشرة!» وقرعت الأجراس أول إنذار، في غرفة الآلات، خطر داهم! وتحرك المشير على لوحة الأوامر: «قف» ثم: «إلى الوراء بأقصى سرعة» وحدثت هزة طفيفة واحتكاك لم يطل أمده، ومالت الباخرة بعض الميل إلى جانبها الأيسر، وتساقط الثلج قطعا وكتلا على مقدمها ثم تدفقت مياه البحر إلى ستة أقسام من أقسام الباخرة الأمامية، ومزقت مخالب ذلك الجبل الهائل، في عشر ثوان، ما طوله ثلاثمائة قدم من قعر التيتانك العظيمة» ولكن أغلب الركاب لم يدركوا أن التيتانك أخذت تغرق فإن رجة الصدمة كانت من الخفة بحيث لم يفق بعضهم من سباتهم، هي التيتانك التي لا يمكن أن تغرق!» «وفي الساعة ١٢:٣٠ صباحا صدرت الكلمة: إنزال النساء والأطفال إلى زوارق النجاة، وفرغ الخدم من إيقاظ من لم يستيقظ، وتمنطق الركاب بأحزمة النجاة، وسخر نفر من الرجال بهذا الإحتياط فإن «التيتانك لا يمكن أن تغرق» «وغير كثير من البواخر اتجاهه على أثر الإستغاثة، إلا الباخرة كاليفورنيان وكانت على مسافة ١٢ ميلا، لم تجب النداء، فقد خلع عامل اللاسلكي السماعات من أذنيه واسلم نفسه للنوم. «قفوا عند هذه الفقرة بالذات معتبرين، ولا تمروا عليها مر الكرام». الساعة ٢:٢٠، لقد غيب اليم أكبر بواخر العالم، وتصاعد من الماء الساكن المعتم عويل طويل لا ينقطع، كأنه ينعي مغيبها في أكفان من زبد ناصع البياض» وفي الساعة ٤:١٠ أو بعدها بقليل علمت الباخرة كاليفورنيان بالكارثة، وهي الباخرة التي كانت على رأي العين من التيتانك وقت محنتها «تأملوا هذه الفقرة جيدا». . وبعد هذه أهم مقاطع تلك المقال الذي سلسل فيه كاتبه أحداث غرق هذه السفينة العظيمة، التي كان صانعوها ـ كما قال الكاتب ـ «يعتبرونها زورقا ضخما من زوارق النجاة»، ويستبعدون غرقها تماما، ويتوقعون أن تعمر في خطوط الملاحة البحرية عشرات

السنين، لكن يقينهم المؤسس على الأسباب فقط، أصبح خيالا حين ابتلعها المحيط في أول وآخر رحلاتها!

وبعد فما أشبه الليلة بالبارحة! فحين نتذكر سفينة الفضاء تشالينجر «المتحدي» التي تحطمت في الفضاء قبل عدة أشهر[1]، نرجع إلى الوراء أربعة وسبعين عاما لنزيد مساحة العبرة ونستعيد مقولة «التيتانك لا يمكن أن تغرق» تأملوا خاتمة أكبر سفن البحر في الأمس وأعظم سفن الفضاء في اليوم لن أطيل عليكم، فقد عرفتم ما أريد أن أصل إليه.. إن العلم الذي يعتمد الأسباب فقط ولا يصلنا بالله الواحد الأحد، هو جهل وعمى، والتفوق الذي ينسينا ضعفنا وبشريتنا وحدود قدرتنا ليس تقدما بل هو استدراج، إن العلم الحقيقي هو الذي كلما استزدنا منه زاد ايماننا ويقيننا بالله، ووضح لنا عجزنا وضعفنا، وإلى هذا النوع الموصل من العلم سيسعى المسلمون المؤمنون ـ إن شاء الله ـ في وثبتهم الحضارية الكبرى.

قال الله تعالى: ﴿ **وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير، ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور، أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير** ﴾[2].

« عودة ظهر لها معنى »

■ خرجت من بيتي صباح أحد الأيام متوجها إلى عملي، ولما انتصف بي الطريق، تذكرت أنني نسيت أخذ بعض الأوراق المهمة التي كنت هيأتها في تلك الصباح عازما على أخذها معي، فرجعت طريقي وفي ذهني قول الشاعر:

مشيناها خطى كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها!

وتذكرت قول الأعرابي الذي لما سئل: بما عرفت ربك؟ قال: «بنقض العزائم»! وتعجبت من هذا الإنسان الذي يعزم ويجزم ويظن أن أمره نافذ، ثم هاهو يفقد السيطرة على نفسه وعلى ذاكرته، فيتبين له حقا أن المشيئة لله وحده، وأن ليس له من الأمر شيئا، ثم قلت في نفسي وأنا أواصل عودتي إلى عملي، لابد أن لهذه

(١) كان ذلك في عام ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
(٢) سورة الشورى: الآيات من ٣١ ـ ٣٤.

التأخيرة خيرة، وأن في هذه الرجعة حكمة، فلا معنى للصدفة في كون أحكم مولانا الحكيم القدير صنعه، وحين أوشكت أن أصل إلى المكان الذي تذكرت فيه حاجتي المنسية، واجهت إشارة المرور الحمراء، فتوقفت، وحين التفت على يميني إذْ أحد زملائي في العمل يعبر الشارع ويتوجه إلى سيارتي المنتظرة أمام إشارة المرور، فيفتح بابها ويركب!، وحين كنت قفلت راجعا من هذه النقطة قبل ربع ساعة تقريبا كان هذا الزميل الذي يعاني من متاعب صحية، والمنتصف في العمر، والذي لا يملك سيارة، كان لم ينه افطاره بعد ولم يخرج من بيته متوجها إلى عمله، ولله في خلقه شؤون وفي تدبيره حكمة!

« ولا يحيق المكر السيء إلا بأهلـه ! »

■ في آخـر يوم من أيام الإمتحـانـات الفصلية، وفي إحدى المدارس المتوسطة المسائية، وقعت حادثة غش عجيبة! فقد اتفق أحد الطلاب مع شخص آخر لكي يؤدي الإمتحان نيابة عنه، ومضى البديل يؤدي امتحانات المواد مادة بعد مادة، دون أن يرتاب في أمره أحد! وفي آخر يوم من أيام الإمتحانات وهو يقف أمام المراقب ليوقع في كشف تسليم آخر إجابة، فضحه الله بيد نفسه فقد اعتاد في كل التوقيعات الماضية أن يكتب اسم الشخص الذي يمتحن عنه لكنه في هذه المرة كتب اسمه شخصيا!! ولما تبين له واقع ما خطته يده، اندفع بذهول يخط على اسمه ليخفيه، ولما انتبه المراقب إلى تردده هذا، استفهمه عن السبب، فارتبك وسقطت الورقة من يده، ووقع في شر أعماله، ليكون عبرة لكل خائن غشاش ينسى أن ربه رقيب عليه وأنه له بالمرصاد، وصدق الله العظيم: ﴿ **ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله** ﴾.

« الحيـــاة قصـــيرة »

■ قام عدد من الإخوة ببيع مزرعة تشاركهم فيها أختهم الوحيدة، ويظهر أنهم لم ينصفوها في تسليمها نصيبها، وحصل القيل والقال، وآل الأمر بينهم إلى طريق غير عابر، فقاطعتهم الأخت مغضبة وهجروها ساخطين، وكان لأحد الأخوة شاب صالح نور الله بالإيمان قلبـه، ووعـظته القراءة قبل أن تمر عليه التجارب، جاء إلى والده فنصحه وذكره، وقرأ عليه فصولا من كتاب يعالج أهمية أداء الأمانات إلى أهلها، وتسليم الحقوق لأصحابها، ومضار قطيعة الرحم، فازدجر الوالد واستيقظ، وذهب

إلى بيت أخته فأنصفها في حقها، وتحللا مما حدث بينهما. وما هي إلا أيام معدودات حتى انتقل هذا الأخ إلى رحمة الله!..

وآخر بينه وبين رجل من جماعته عداوة وشحناء، وفي أحد الأيام دخل غريمه المسجد محمولا على أعناق الرجال، ليصلى عليه ويدعى له بالرحمة، ولما انتهت صلاة الفريضة، وشرع الإمام في صلاة الجنازة، قام هذا الرجل وخرج دون أن يصلي على الميت! لكأن القرآن لم يعظه والموت لم يزجره! ولم يتلبث هذا الإنسان إلا يسيرا حتى توفي ومضى على الأثر! غفر الله لهما جميعا.

إن الحياة قصيرة، وهي أقصر من أن نختمها بالإسفاف والشحناء، والسعيد من استثمر أيامه بعوائد الخير، وراض نفسه على سنن الهدى، وتغلب على نزوات النفس ونزغات الشيطان.

« الخالق هو الرازق »

■ هو شاب مسلم، لم يجاوز أشده، استقدمه كفيله ضمن مجموعة من العمال في مزرعته، والآن بعد مضي عشر سنوات من وصوله المملكة، انتهت عقود جميع أفراد دفعته ما عداه. هذا الرجل في خلقه عجب وفي قصته فائدة وفي كفاحه تبصرة. فأنت إذا رأيته واقفا ظننته جالسا، فجسمه الأعلى جسم رجل مكتمل الخلق، لكن ساقيه قصيرتان جدا، فيه إيمان قوي وثقة بربه لا تتزعزع، مات والده وعمه، وتركاه وهو أصغر إخوته الثلاثة، وعندما بلغ مبلغ الرجل، قال لأخيه الأكبر: أريد جوازا! فرد عليه: وماذا يصنع مثلك بالجواز، اقعد فأنت الطاعم الكاسي! يقول: فرددت عليه: « إن الله هو الرازق ذو القوة المتين» وذهبت إلى «العاصمة» وفي القنصلية السعودية، جلست مع صف طويل ينتظر رجال الأعمال السعوديين، ولما صوت لي أحدهم، وقمت إليه مهرولا، دهش لقصر قامتي، فصدف عني، ورجعت إلى موقعي انتظر الفرج من الله، ودخل رجل أعمال آخر، فتقدمت إليه فقبلني، وجئت إلى المملكة، فبقيت عاما كاملا أحصد البرسيم، وأحمل الحزمة الكبيرة على رأسي، وكنت لا أستطيع حملها حتى أنبطح أرضا فأقوم وهي معاً، بغير ذلك لا يمكنني رفعها. وفي أحد أوقات الغروب رفعت كفي إلى الله قائلا: «ربي أنت الذي خلقتني على هذه الصفة، وأنت العليم بغربتي وحال أسرتي! فيسر لي عملا أطيقه بحولك وقوتك» فما مضت خمس دقائق، حتى وقف علي كفيلي وهو يقول: من اليوم فصاعدا اترك الحصاد، وتول صنع الشاي والقهوة في المكتب!

ومضت السنون تجتازه وهو يزداد مع الأيام ثقة بربه مقدر الأرزاق مقسم الحظوظ، ﴿ الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ﴾ وقبل أيام قابلته فربت على كتفه وقلت له: كيف أنت؟ فأجابني والغصة تكظم حلقه: لم أنم ليلة البارحة! كنت أخشى أن أموت دون أن أرى أولادي، الذين تركتهم منذ ستة أشهر إنني اليوم أستلم راتبا مجزيا، ومن مدخراته استطعت بعون الله أن أعين أخي الأكبر على دنياه، وأن أبني في موطني بيتا جميلا، لكن ذلك كله لم يكفني، إن أسعد شيء للأب أن يعيش مع أولاده في سنينهم الأولى، إنني أفقد أجمل فترات صحبتهم، لقد تعبت!

أخي، إنك تقول الحق، فقد تحملت الكثير!

« احفظ الله يحفظك ! »

■ سوق الماشية في «بريدة» قائم على سوقه، وبائعو الغنم جماعات كل ينادي على غنمه، هذا أحدهم رجل من أهل البادية. واقف على رعيته ينتظر مشتريا. وفي لحظة من لحظات الملل أخذ يتطلع إلى جاره الذي باع غنمه، وبدأ يعد نقوده، وفجأة لفت نظر صاحبنا سقوط ورقة من فئة الخمسمائة ريال من يدي جاره، فأسرها في نفسه؛ ولما ابتعد جاره، تقدم الرجل بخطوات حذرة، فوضع قدمه عليها، ولما اطمأن من عدم وجود المراقب طأطأ رأسه فأخذها! وانتهى السوق فشحن ما تبقى من غنمه وقفل راجعا إلى مرابع قومه في اعروق رمال الطرفية، وهناك تناول غداءه، ثم سرح بغنمه، وعلى كثيب رملي جلس صاحبنا مسترخيا منتشيا بسرور الغنيمة، مغتبطا بهذا المبلغ القيم البارد، ولكي يمتع حاستي اللمس والنظر، أخرج من جيبه جميع محصول يومه بما فيه فئة الخمسمائة ريال، وراح يعده، وفجأة عصفت الرياح فحملت ورقة الخمسمائة ريال لوحدها من بين سائر نقوده، وعبثا يحاول انتزاعها أو البحث عنها، فقد حملتها الرياح بعيدا حيث لا يدري ودونها رجعة..!! هذه قصة واقعية جرت قبل عدة أشهر، حدَّث بها صاحبها، وكانت له موعظة وتوبة، وهو ينصح بها كل من رآه يقارف محرما من المال، فسبحان الله اللطيف، وسبحان الله الحليم الرحيم، القائل: ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ »[1]

* يقول محدثي: قبل عدة سنوات كنت مع مجموعة من ربعي على مسافة غير بعيدة من مدينة المجمعة، وكنا نسوِّق أغنامنا عليها، وفي أحد الأيام قال لي رفاقي:

(١) سمعت هذه القصة من ابن العم/ «إبراهيم بن سليمان الطويان» يسندها إلى صاحبها.

إبق هنا مع بقية الغنم، حتى نبيع ما معنا ونعود إليك.. فقلت لأحدهم وكان معه «بوك» يحفظ فيه نقوده: خذ دراهمي هذه فاحفظها لي، وبقيت أنا مع الغنم، وبعد العصر جاءني مشتر فبعته شاتين بمبلغ معين، وتبين لي بعد أن عددته وهو أمامي أن فيه زيادة خمسة ريالات على ما اتفق عليه، لكني كتمت الزيادة طمعا بها، وكان معنا حمار عليه خرج به جميع امتعتنا وطعامنا، فوضعت نقودي هذه ومعها الزيادة في قاع الخرج، ولما غابت الشمس قمت لأصلي المغرب، وغنمي وحمارها على جانب مني ترتع، وأنا آمن عليها، وبعد أداء الصلاة، قمت أتفقدها، فإذا حماري قد نزع خرجه، وإذا ماء القربة منثور على الأرض، وآثار أقدام وعجلات سيارة حوله، والتفت صوب جهة مسيرها، فإذا عجاج السيارة وقد نأت عني..!!

يقول هذا الرجل: فمازلت أتذكر حتى هذا اليوم كيف خسرتني هذه الخمسة الريالات قيمة الشاتين وخِرْجَ متاعنا بما حوى..

وأقول لهذا مقالة رسول الله ﷺ «**احفظ الله يحفظك**» وهذه القصة صحيحة رواها لي صاحبها وهو صادق لم أجرب عليه كذبا..

* قدر لـ «مزودة» تحوي أكياسا من النقود، لعدد من التجار، أن تسقط في الطريق، ومضت مدة لم يعثر عليها، وبعد معاودة البحث وجدت وقد انحل رباطها، فاجتمع التجار وقرروا قبل إخراج أكياس النقود أن يتفقوا على أنه في حالة فقدان كيس منها يكون تعويضه من أكياس الباقين، فوافق الجميع إلا شخصا واحدا، رفض أن يقرهم على ذلك، قائلا: أنا واثق أن كيسي سيكون ــ إن شاء الله موجودا ــ لأن مالي حلال وأحرص دوما على تزكيته، فلم يكن أمام إصراره إلا أن يستثنيه الجميع من إتفاقهم، ولما حصروا الأكياس، تعرف كل تاجر على كيسه، سوى ذلك الشخص فلم يعثر على كيس نقوده بينها، ولم يجزع أو يتذمر، بل سلم أمره إلى الله، وبقى أمله بالعثور عليه قويا لم يتغير، ومضت أشهر، وفي إحدى الرحلات التي تنظمها الحملة، حطت رحالها قرب شجرة، لتريح وتتغدى، وأقبل الطاهي على القهوة يصنعها، ولما افتقد «البيز» ــ قطعة قماش يتناول به الدلة من فوق النار ــ أخذ يبحث حوله عن خرقة يبيز بها، فبصر حوله خرقة مدفون بعضها في التراب، ولما سحبها تبعه بقيتها وكان كيسا مملوءا بالنقود، فأخذه ووضعه بين يدي جماعته الذين تعرفوا عليه سريعا: إنها نقود صاحبهم الذي نقص كيسه حين حصروا المزودة! وسلمت له بوكائها لم تحل،

فقال: ألم أقل لكم إن مالي حلال مزكى، ومن كان ماله بهذه الصفة فالله حافظه ومنميه[١] . !!

* ذكر لي أحد الإخوان الوافدين، قال: كان لوالدي جار يسكن في غرفة واحدة بها كل متاعه، وكان يحفظ نقوده في جانب منها، وحدث أن شبت النار فأتت على كل متاعه وأحالته إلى رماد، ولم يتحسر هذا الجار على شيء تحسره على دراهمه التي كان يجمعها واحدا واحدا حتى أوفت على مبلغ يعول عليه، ولما أكثر على والدي فيها، قال له: إبحث عنها لعلك تجدها، فضحك من قوله معقبا: كيف أبحث في رماد؟ لا أمل في العثور عليها فما خلفت النار سوى الرماد! فسأله والدي: أحلال هي . .؟! وهل كنت تزكي عليها.؟ فأجابه أن نعم. . . . فأخذ والدي بيده وقال له: لا تيأس من روح الله، ودعنا نكرر المحاولة، فلعل الله أن يأتي بها، وأخذا يقلبان كل شيء ويتفحصان كل صغيرة، حتى عثر والدي على نقوده وقد أكلتها النار ولم تعقب منها سوى أطرافها المسجلة عليها أرقامها. . ! فحمد الله، وسلم له هذه البقايا، فذهب بها إلى المصرف الحكومي، فسلموه عوضها نقودا جديدة، فقال له والدي: أرأيت أن المال الحلال المزكى مكلوء بعناية الله[٢] . .

« جوائح المال الحرام! »

■ ما أسرع أن ينتفش المال الحرام، وأن يكثر في البداية بهرجه، ويطغى زبده، ولكن راقبه بعد ذلك، تخبر مآله ونهاية صاحبه، تلك سنن أمضاها الله في الأرض، ها هو التاريخ يعظنا بها، وها نحن مهما قلت تجربتنا الماضية في الحياة، شاهدنا مرأى العين ويقين الحس، أناسا بسط الله لهم في الأرض، وافتتنهم بالمال، فخاضوا فيه على غير الوجه الشرعي، ونما معهم المال نموا أغرى فيهم الكثيرون، وغبطهم القريب والبعيد، لكنها جولة ما لبثت أن اضمحلت، فحق بعدها الصحيح، وحصحص في نهايتها الحق، فقد محق الله لهم البركة، واجتاحتهم الجوائح، فأصبحوا مدينين بعد أن كانوا دائنين، وأذلة بعد أن كانوا أعزة، واعتبروا يأولي الأبصار، وإذا استقرأنا التاريخ، وتتبعنا أحداثه في هذا الجانب، وجدنا مئات القصص التي تجمعها هذه

---

(١) سمعت هذه القصة من الأخ الدكتور/ «أحمد الحميد». ابن الشيخ عبدالله بن حميد ـ يرحمه الله ـ.
(٢) روى هذا الخبر أستاذي الفاضل «محمود عبدالفتاح قادري» والقصة وقعت لجاره ووالده.

النهايات المأساوية لهذه النوعيات من الناس، أول ما يحضرني منها قصة الرجل الذي كان يبيع اللبن فكان يغشه بالماء، وذات يوم قدر له أن يسافر في البحر فركب سفينة، ومعه كيس جمع فيه محصوله من هذه التجارة، وسارت السفينة أياما في البحر، وكان لأحد الركاب قرد اصطحبه معه، وفجأة تغافل القرد صاحب الكيس، فسرقه منه وصعد على سارية السفينة، وفتح الكيس، وأخذ يلقي القطع الذهبية في الماء واحدة بعد الأخرى، ولم يستنقذوه منه إلا بعد أن رمى ثلثه! وفي هذه الأثناء كان صاحب الكيس هادئا غير مبال، فلما سألوه عن سر ذلك، أخبرهم بخبره، وهو يقول: «ما جاء بالماء راح بالماء»!

وهذه القصة تحكي بصدق كيف يضيع المال الحرام، وأن صاحبه مهما اتخذ الإحتياطات والتدابير فان سيئاته سوف تحيط به، ثم لا يجديه الندم بعد ذلك! وهذه عبرة أخرى تأتينا من بلد آخر، نشرتها «مجلة التربية الاسلامية» الصادرة من العراق الشقيق في عددها لشهر ذي القعدة ١٤٠٨هـ، بقلم: أبي سعيد وعنوانها «قصة وعبرة» يقول الكاتب: «حادثة حدثنيها شاب نشأ في طاعة ربه وكانت قد أثرت في نفسه تأثيرا كبيرا وهي تزيده إيمانا كلما ذكرها أو ذكر قسما من أحداثها فقال: لي من الأقارب أخوان كانا قد تشاجرا على أرض زراعية لهما، وما أكثر ما يحدث الشقاق والفراق على طمع الدنيا وأوساخها، فادعى الأخ الصغير بأنه قد اشترى حصة أخية الكبير ودفع له جميع ثمنها، إلا أن الأخ الكبير ينكر ذلك ولا يقر استلام المبلغ.

وعبثا حاول الخيرون من أقاربهما وجيرانهما اصلاح ذات بينهما، لكن كل واحد منهما أصر على ما يدعيه مما جعلهما يرفعان قضيتهما إلى المحاكم. وطلبت المحكمة اليمين، حيث لم يكن هناك شاهد عيان يشهد لأحد طرفي النزاع، فامتنع الأخ الكبير عن تأدية اليمين وقال: (إذا حلف أخي الصغير أنه كان قد أعطاني ثمن الأرض فإن الأرض ملكه، وأنا أتنازل له عن حصتي وأفوض أمري إلى الله).

ويحلف الأخ الصغير بأنه كان قد أدى المبلغ كله لأخيه الكبير، ويصدر حكم المحكمة لصالحه ويخرج من المحكمة يملأ قلبه الفرح والسرور والغبطة والحبور فإن الأرض أصبحت كلها له.

ولكن محكمة العدل الإلهي التي احتسب عندها الأخ الكبير كانت له بالمرصاد فقد توالت الأحداث عليه وعلى عائلته التي جلب لها التعاسة والعناء وغضب الله والبلاء فأخذت الخطوب عليهم تترى والبلايا حولهم تدور. فتتابعت عليهم الأحكام

الربانية حكما بعد حكم وقرارا بعد قرار. فما هي إلا أيام قلائل حتى تاه هذا المسكين في الأرض ولم يعلم له خبر حتى الآن.

وبعد مفارقته عائلته بأيام قلائل احترقت ابنته فماتت في الحال. ولم يقف الأمر عند هذا الحال، فبعد احتراق ابنته بفترة أصاب ابنه حادث سيارة أودى بحياته. وبقيت الأرض التي أراد امتلاكها عن طريق اليمين الغموس مهجورة متروكة ينبت فيها الأثل وشيء من سدر قليل. وأصبحت العائلة التي أراد لها الغنى عن طريق الكسب الحرام، عائلة محرومة الأبوة مجروحة القلب مفجوعة الفؤاد كسيرة الجناح لما أصابها من الهموم والبلايا.

وصار الناس يتحدثون بأخبار هذه العائلة وما جر عليهم يمين صاحبهم ولسان حالهم يردد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون** ﴾.

* ومن العراق، ننتقل إلى افغانستان، لنقرأ في هذا الموضوع، قصة أعجب، نشرتها مجلة الجهاد في عددها ٥٦، ذو القعدة ١٤٠٩هـ، تحت عنوان (إن ربك لبالمرصاد) بقلم: (أبو الأيتام) يقول: ذهبا إلى السوق معا وطفقا يجولان المحلات المختلفة بحثا عن نوع مناسب من الفرش لغرف سكن الأيتام من أبناء الشهداء لوقايتهم من شدة البرد القارس. وأخيرا عثرا على بغيتهم ووقع اختيارهما على نوع جيد يؤدي الغرض الذي يريدانه وعقدا اتفاقا مع صاحب ذلك المحل الضخم على أن يقدم لهما الكمية والنوعية المطلوبة بالسعر الذي تم تحديده فيما بينهم. وفي الموعد المقرر كانت هناك مفاجأة لم تخطر ببال أحدهما ولم تدر في ذهنه فلم يكن واردا ولا متصورا أن يحدث هذا الأمر، فلقد أحضر البائع نوعا رديئا من الفرش وزعم بهتانا أنه نفس النوع المتفق عليه، حاول الرجلان أن يذكراه بالحقيقة ويبينا أن أكل مال اليتيم ظلما عواقبه وخيمة ونتائجه عظيمة وأحرى به أن يلتزم بما وعد ويتق الله فيما يقدم لهما من بضاعة، ولكنه أصر وأبى معاندا أن يتحول عن موقفه قيد أنملة.

فحوقل الرجلان واسترجعا وهما يدفعان الثمن في عجب، ويستلمان العين غير التي تم الإتفاق عليها، وانصرفا في دهشة وذهول، وقبض البائع الثمن فرحا مزهوا مغرورا بصنيعه وخديعته، ظانا أنه ربح في هذه الصفقة، ولم يكتشف أمره أحد، ولم

يدر أن عين الله لا تنم فهو سبحانه الرقيب القادر على أن ينصف المظلوم من ظالمه ويجعله عبرة لغيره وتذكرة لمن شاء أن يتعظ.

وحدث ما أذهل العقول وأيقظ الألباب في فترة وجيزة لم يتوقعها أو ينتظرها أحد، وعلى نحو لا يعرف سره إلا من بيده مقاليد الأمور كلها، فبعد ثلاثة أيام فقط من ذلك الحدث سلط الله من جنده ما يشاء واشتعلت النيران في المحل والتهمت ما فيه بلهيبها المروع حتى أتت عليه كله وتركته أثرا بعد عين، بينما لم يصب أي المحلات المجاورة بسوء وقدرت الخسائر بملايين الروبيات وأما البائع نفسه فقد أصيب بالجنون! وحضر ابنه مسرعا إلى «أبي الحسن» معتذرا ومعترفا بما اقترفوا من اثم ويطلب الصفح والعفو عما جنته ايديهم **«وإن ربك لبالمرصاد»**.

* ومن مصر، نقرأ هذه القصة العجيبة، كتبتها صاحبتها إلى باب (بريد الجمعة) الذي يشرف عليه الأستاذ/ عبدالوهاب مطاوع، بجريدة الأهرام.

تحكي هذه المرأة في مطلع خبرها عن زواجها الذي فشل، ثم عن زواجها الثاني بالتاجر الكبير الذي احتوته وفرقت بينه وبين أبنائه حتى كرههم وقاطعهم، وتتذكر كيف دعت عليها ابنته الكبرى وهي تبكي، قائلة: «اللهم احرمها من نظرها كما حرمتنا واخوتي من والدي»! دعونا نقرأ أحداث قصتها بعد وفاة زوجها:

وانتقل زوجي إلى العالم الآخر وحزنت عليه لأني وجدت معه الحياة التي أردتها... لكني تماسكت ودبرت كل أموري بحكمة وكانت كل ثروته تحت يدي أموالا سائلة فانفردت بها وحرمت كل ابنائه وتجاوزت الأزمة بسرعة... وعشت حياتي مطمئنة للمستقبل فعندي الشقة التي نقل زوجي عقدها باسمي وعندي أموال في البنك لكن الأبناء لم ينازعوني في الشقة ولا في غيرها وعشت عامين هادئين... أحيا حياة أرملة ثرية احتاطت للمستقبل باحتياطات عديدة.. عندي سيدة ترعى شئون بيتي واشغل وقتي بزيارة الصديقات اللاتي تعرفت بهن في السنين الأخيرة وأستقبل بعضهن في الصباح ونروح نتحدث في أمور الدنيا.. واتفرج على التليفزيون، وأفلام الفيديو كل يوم، وبدأت أفكر في استئجار شقة للمصيف أمضي بها الصيف في الاسكندرية.

واسرفت في التفرج على أفلام الفيديو حتى بدأت أحس بزغللة بسيطة في عيني ونصحتني صديقة بأن أعمل نظارة تحفظ نظري... فذهبت إلى أكبر طبيب عيون

لعمل النظارة، واخترت نظارة أنيقة زادت وجهي شياكة وأنا أرتديها . . . . واستعدت راحتي في التفرج على الفيديو لكن النظارة الجديدة لم تلبث شهرين حتى بدأت تزغلل عيني من جديد فعـدت إلى طبيب العيون الـذي استبـدلهـا لي بأخـرى جديدة، واستعدت اطمئناني سريعا . . لكن النظارة لم تلبث أن ضايقتني فاستشرت صديقتي فنصحتني بالذهاب إلى طبيب آخر وذهبت إليه ففحصني بدقة ثم نظر لي طويلا وقال: يا مدام إن القرنية عندك تصغر منذ زمن . . وقد تأخرت كثيرا في بدأ العلاج!

فصرخت فيه: ماذا تعني؟ فقـال: كل شيء بأمـر الله، فغـامت الدنيا أمام عيني . . وتركت العيادة وأنا لا أرى الطريق وفي طريق عودتي إلى البيت مر شريط حياتي أمام عيني . . من الفقر والحرمان إلى الزواج الأول . . إلى الطلاق والحرمان . . إلى الزواج الثاني إلى الراحة والإطمئنان والمال . . ثم فجأة قفزت إلى مخيلتي صورة ابنة زوجي الكبرى وهي تدعو الله أن يحرمني من بصري كما حرمتها من أبيها وتسمرت في مكاني . . .

وسـألت نفسي بفـزع هل يكون هذا هو النذير؟ لا . . لن يكون، إن معي مالا . . وهناك أطباء . . وسأصرف آخر قرش معي في علاجي . . .

وبـدأت الرحلة المريرة . . وطفت على الأطباء ومراكز العلاج . . وبت ليالي تعسة انتظر نتائج الفحوص . . . ، وكل يوم يمضي تظلم عيناي فيه قليلا عن اليوم الذي سبقه . . . وتوقفت عن مشاهدة التلفزيون والفيديو وقراءة المجلات . .

وأمضيت أياما قاسية معصوبة العينين . . ثم انسحب آخر ضوء من عيني منذ أسابيع وتحولت الحياة إلى ظلام قاتم أيكون هذا هو العقاب الذي توعدتني به ابنة زوجي يا سيدي؟ . إنني لا أسألك لكي تجيبني لأني عرفت فعلا أنه كذلك منذ أن اظلمت عيناي لأول مرة ونفض الأطباء أيديهم مني يائسين . . لكني أملي هذه الرسالة على أعز صديقاتي التي وقفت معي في محنتي لكي أطلب منك شيئا آخر.

لقد كنت من قراء هذا الباب قبل أن أفقد القدرة على القراءة وأصبحت الآن استمع اليه . . وبعد صراع مرير مع نفسي قررت أن أكتب إليك لأطلب منك أن تنشر قصتي لكي تدعو أبناء زوجي للحضور إلي لكي أعطيهم وادعوك لأن تكون شاهدا علي أني سوف ابريء ذمتي أمام الله مما دخلها من مال حرام حين يحضر أبناء زوجي وأعيد إليهم حقوقهم.

ولتسأل الله لي الرحمة . . ولتسأل أبناء زوجي لي السماح والمغفرة وكفاني ما ألاقيه من عذاب . والسلام عليكم ورحمة الله» . انتهى .

* وإذا كان الحلف الكاذب ، والغش من أسباب محق المال ، فإن منع الصدقة والشح من أسباب ذلك أيضا ، دعونا ننتقل إلى مدينة عمان بالأردن ، ليحدثنا الأخ محمود السفاريني ، عن هذا الخبر الذي كتبه بجريدة المسلمون ع ١٣٤ في ١٤٠٨/١/٥هـ :

« ذهبت أنا وأعضاء لجنة إعمار مسجد عبدالله بن رواحة في الزرقاء لجمع التبرعات في عمان . دخلنا أحد المتاجر ، وبعد أن سلمنا وجلسنا وتضيفنا أعلمنا صاحب المتجر موضوعنا ، فتبرع بخمسمائة دينار أردني مساهمة منه بإعمار هذا البيت من بيوت الله ، وعرجت اللجنة على متجر مجاور كبير وقبل أن نجلس سألنا صاحبه عما نريد؟ فأعلمناه غايتنا . فقال لا يوجد عندي مطلقا شيء لله ، فتركناه ونحن لم نكد نصدق ما نسمع .

أعاننا الله ، وأنهينا بناء المسجد كاملا وذهبنا لقضاء أمر في عمان ، فرغبنا أن نزور صاحبنا التاجر المحسن ، ولما لم نجده في المتجر أعلمنا والده أنه في المتجر الجديد ، وأشار بيده إلى جهة متجر ذلك التاجر الذي قال لنا سابقا أنه لا شيء عنده لله ، وعلمنا منه أنه اشتراه منه لأنه أفلس مؤخرا . فقلت له ولأصحابي سبحانك يا عظيم ، وذكرت الجملة التي قالها لنا عندما طلبنا منه التبرع لإعمار المسجد ، فقال صاحبنا لا تتأثروا منه فان ذلك كان طبعه ، وكانت هذه الكلمة في فمه ، فلو كانت تأتيه أرملة تطلب منه ثمن رغيف خبز لقال لها الجملة التي قالها لكم .

فقلت لهم اسمعوا هذا الأثر : «ما كان لله دام واتصل وعرض النعمة للبقاء ، وما كان لغير الله زال وانفصل وعرض النعمة للفناء» فقالوا : سبحانك يا عظيم» .

* ونختتم هذه العبر بهذه القصة التي كتبها أبو سعيد ، ونشرت في مجلة التربية الإسلامية العراقية ، نترككم معها :

كانوا ثلاثة أخوة أشقاء ، ورثوا عن أبيهم بستانا بعد وفاته ، وكان الأخ الأكبر قد تولى زمام الأمور فيهم بعد موت أبيهم ، فكان هو المطاع وكلمته الفصل في كل الأمور . ولقد أعطاه أخواه من المحبة والإحترام والتقدير كما لو كان أباهم ، فلم يعصيا

له أمرا، ولم يردا له طلبا ذلك لأن تعلقهما به كان تعلق الإبن بأبيه، وخضوعهما إليه كان كخضوع الولد لوالده، وكأن ذلك كله قد حرك في قلبه نوازع الأثرة والأنانية، ففكر في أن يجعل من ذلك كله منافع لنفسه وتجسيدا لتلك النوازع والرغبات.

أراد الأخوة الثلاثة اقتسام البستان الذي ورثوه عن أبيهم، وكان أحرى بهم أن ينصاعوا لأمر الله في ذلك ويجعلوه حكما بينهم ليأخذ كل ذي حق حقه، غير أن الطمع الذي سيطر على الأخ الأكبر وأسر لبه وتفكيره حتى مال به عن جادة الحق، هذا الطمع القاتل دفعه لمخالفة شرع الله، وطلب ماليس من حقه. فلقد طلب أن يكون له نصف البستان ولاخويه الإثنين نصفه الآخر. وحاول أخواه أن يقنعاه بقبول الثلث الذي أحله الله له فهم اخوة وليس لإحد ميزة في الحق على الآخر. ولكن الأخ الأكبر رفض وأصر في طلبه. ودارت بين الأخوة مجادلات ومحاورات توصولوا بعدها للإتفاق على أن يأخذ الأكبر سهمين من مجموع خمسة ولكل من الأخوين الصغيرين سهم ونصف. ووافق الأخ الأكبر على هذه القسمة التي أعطته أكثر من حقه ولكنه اشترط أن يكون في موقع متوسط بين أخويه، ضامرا في نفسه أمرا يحقق له مأربا. وسكت أخواه على مضض فتمت القسمة وأخذ كل واحد نصيبه، وفاز هو بنصيب الأسد.

ومضت الأيام والأعوام، ويشاء الله أن يحق الحق ويزهق الباطل ويرد على الظالم ظلمه. فاستقل كل واحد منهم في بيته ورزقوا من البنين والبنات، وكان للأخ الكبير بنتان وولدان، وكان أمر الله فنشبت الحرب العالمية الأولى قتل فيها هذان الولدان فلم يبق سوى ابنتيه. ثم امتد به العمر فكبر وهرم بعد أن تزوجت ابنتاه بولدي عميها، ثم مات الرجل... وترك الأرض والمال وانقسم الإرث بين ابني أخويه اللذين ظلمهما وأخذ حقهما عنوة وبين ابنتيه بالمناصفة.

هكذا عاد الحق إلى نصابه، وانتصر الله تعالى لمن ظلمه أحب أحبابه. وخسر الظالم بظلمه، وفاز المظلوم بانتصار الله له، وتحققت كلمة الله في الأرض فجلّ قول الله تعالى ﴿ **إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا** ﴾ انتهى.

وبعد أن قرأنا هذه القصص التي اختلفت أماكنها وأزمانها وتفاصيلها، واتفقت في شيء واحد هو تأكيد العواقب الوخيمة لحصاد المال الحرام، فمهما ربا وطغى واطمأن صاحبه إليه، قضاء من الله أن يمحق منه البركة، وأن يريه نتائج ما جنته يداه، هذا خزي الدنيا، أما عذاب الآخرة فأشد وانكى، إن في ذلك لعبرة لأولي

النهى، فهل يتعظ المتخوضون في مال الله، آكلوا مال الأيتام، والمرتشون خائنوا الأمانات، المتلاعبون في الأموال والحقوق العامة، إن الدنيا لا تغني عن الآخرة، وإن المجاز صعب والحساب عسير، «فاللهم إنك أنت الذي جعلت الصالحين صالحين فاجعلنا صالحين» إنك سميع الدعاء، مجيب النداء.

« عجيبـــــة »

■ أعرف مدرسا من دولة عربية شقيقة يعيش بيننا إسمه واسم أبيه وجده ثلاثة أسماء متماثلة، على سبيل المثال: وليس هو اسمه: صالح صالح صالح الفلاني، وحينما ذكرت له عجبي من هذا التكرار، قال لي: إن تعجب من هذا فالعجب غيره، فأنا ووالدي وجدي كلنا ولدنا في تاريخ ٣/٢١ من السنة، حيث اتفقنا معا بتاريخ اليوم والشهر، فقلت له ضاحكا: لا عجب إذن من اسمك الثلاثي إذا كنتم ثلاثتكم قد ولدتم في الشهر الثالث من سنوات ميلادكم المختلفة!

« عـــبرة »

■ قبل عدة سنوات، ذهبت إلى الرياض، لإنهاء معاملة تخصني في إحدى الدوائر التي تقدم الخدمات للمواطنين وكانت دورة المعاملة يتطلب انهاؤها المرور على جهتين، وحين أنهيت الجهة الأولى، وخرجت من بوابتها شاهدت على يميني شابا يقود رجلا أعمى متقدما في السن، وحين حاذيتهما ناداني الشاب قائلا: أنا في عجلة من أمري، ساعد هذا الكفيف لو سمحت، فأخذت بيده وسألته أين يريد؟ فقال: البطحاء، قلت له: هل تريد «تكسي» قال: نعم فوقفت به على ناصية الشارع، وطلبت له إحدى سيارات الأجرة، وسألته هل معه أجرة السيارة؟ فقال: لا، فدفعت لصاحب السيارة وأوصيته عليه، ثم قطعت الشارع ماشيا متجها إلى الدائرة الأخرى لاستكمال المعاملة، وحين دخلتها وجدت المكتب المعني بها، مزدحما بالمراجعين، وقد انتظموا صفا طويلا ينتظرون استكمال إجراءاتهم، وقال لي بعض المراجعين: إننا نقف لتسليم معاملاتنا، أما استلامها فغدا، لضغط العمل في المكتب، ودواعي التدقيق، وكنت في تلهف على انجاز معاملتي، لأنني قد حجزت للسفر ظهر ذلك اليوم، ولما رأى الحارس الذي يقف على الباب حيرتي، قال لي: أعطني المعاملة، فأخذها مني ودار بها على جميع الموظفين وسلمها لي منتهية، في باديء الأمر لم أتعجب من صنيعه هذا،

وقلت لعله اعتـاد أن يأخـذ مصلحة على تخليصه هذا، لكنه حين سلمني المعاملة وعَرضت له بالأتعاب، نهرني، وقال إن مساعدته من باب فعل الخير، فدعوت له وخرجت، وأنا أتعجب كيف فعل معي ذلك وهو لا يعرفني، وأمامه العشرات ممن يعانون مثلي، لكنني حين تذكرت مساعدتي قبل ساعة لذلك المسن الكفيف، بطل عجبي، وعلمت أن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه. هذا الموقف عشت أحداثه بنفسي، واستغفر الله من المباهات به كما استغفره أن اسميه صدفة لأنه لا يقع في هذا الوجود شيء اسمه صدفة، بل الأمور تسير بقضاء وقدر، أرويه لكم هنا على سبيل تعميم الفائدة إن وجدت، والله حسبي في صحته فنعم المولى ونعم الحسيب.

« عبرتـان من القاهـرة »

■ قال لي محدثي[1]: قبل خمسة عشر عاما تقريبا، وقع حادث دهس في مدينة «القاهرة»، ونقل المصاب إلى المستشفى حيث توفي هناك، وحاول المسؤولون التعرف عليه، فلم يجدوا معه أي أوراق ثبوتية، سوى البيتين التاليين:

ولـدتـك أمـك يا بن آدم باكيـا … والنـاس حولك يضحكون سرورا
فاعمل لنفسك كي تكون إذا بكوا … في يوم موتـك ضاحكـا مسرورا

* وفي عام ٦١م يوم «شم النسيم» بالقاهرة، تحرك المركب «دندرة» يمخر النيل متجهـا إلى القنـاطـر الخيرية، وعليه خمسمائة راكب من ضمنهم فريق كامل من السباحين المحترفين، بينما حمولته الفعلية مئتي راكب ونتيجة للضغط انفجر موتوره، وانفجر معه عدد من أنابيب الغاز التي يحملها، فأخذ يحترق، وانسكبت المواد المشتعلة على أسـطح المياه المجـاورة حواليه، وتحـول المـركب والماء المحيط به إلى ألسنة من النيران، ونجى الله مائة من الركاب معظمهم من الشيوخ والأطفال، وهلك الباقون وفيهم فريق أبطال السباحة !!

(١) هذه القصة والتي بعدها حدثني بهما الأخ الدكتور/ «محمد زكريا عبدالمقصود»، الأستاذ المشارك ـ سابقاً ـ بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.

قصص واقعية عن الكذب

عقوبة الكذاب في مملكة النمل !

■ جمعني المجلس ذات يوم بشخص وقور، مرت عليه السنوات فصهرته بالتجارب وأغنته بالحكمة، تحدثنا طويلا فشرق بنا الحديث وغرب، ثم استقر الموضوع على ذكر مساويء الكذب وما يجره على صاحبه من مصائب ليست في حسبانه، قال لي: إني ذاكر لك قصة عجيبة سمعتها من شخص ثقة هو اليوم حي يرزق، مقيم في مدينة الرياض، والقصة تؤكد نباهة الحشرات، وأن لها قوانينها وقيمها التي هداها الله إليها غريزيا، حدثني ذلك الرجل قائلا: كنت في أحد الأيام أنظر إلى جرادة ميتة على الأرض، ونملة من النوع الكبير تدور حولها، ولما استكملت دورتها، عادت إلى جحرها. ثم جاءت تتقدم سربا طويلا من النمل، ولما اقتربوا من الجرادة رفعتها بيدي، فجاسوا خلال المكان ثم يئسوا فرجعوا، فلما تركوا المكان أنزلتها في محلها الأول، فطافت عليها تلك النملة التي بقيت بعد انصراف السرب، فلما تأكد لها وجودها ذهبت إلى بيت النمل فجاءت بالسرب مرة أخرى، فعلت ذلك معها ثلاث مرات، وفي المرة الثالثة حين جاء النمل ولم يجد الجرادة، هجم بشراسة على تلك النملة التي قامت بمهمة الدليل، فمزقها إربا وأنا أنظر إليها متعجبا !!.

قلت للراوية: سبحان الله، إن في روايتك لعجب وعبرة، فالنمل إذا مثلنا يمقت الكذب ويقيم الحد الفوري على مرتكبه!، وبعد تحريري لتلك القصة طالعتها في كتاب (فصول الدين والأدب) للأستاذ إبراهيم الطامي[1]، وذكر أن ابن كثير رواها في تاريخه، فعجبت من قول ذلك الراوية أنه سمعها من رجل معروف ـ سماه لي ـ ووعدني باعطائي رقم هاتفه، والمسألة لها وجهان: إما أن القصة تكررت أحداثها مع ذلك الرجل، أو أنه حدث بها فظن صاحبي أنها وقعت معه!

نعود إلى أصل الموضوع، فالله سبحانه وتعالى دعانا في كتابه الكريم إلى الصدق، وتجنب الكذب، فالكذب خصلة رديئة تدل على الخيانة والنفاق، وأصعب أنواع الكذب هو تلك المؤكد بالحلف بالله، لأن ذلك دليل على ضعف الإيمان بالله وأمن عقوبته؟ وأستدل على قولي هذا برواية أربع قصص واقعية موثقة، مرت علي في مراجع متنوعة، أجمع لك روايتها هنا ليتأكد لك أن الله سبحانه وتعالى يعجل أحيانا

(١) ص ٢٢٨ ج / ١.

عقـوبة الكاذب، ليعتبر الناس، مع ما يدخره له من عذاب الآخرة، ففي جريدة أخبار اليوم العدد[١]، وعلى صفحة «حوادث وقضايا» قرأت الخبر التالي تحت عنوان: «مات بكذبته!» كتب محمد عبدالقدوس: الدكتور المستشار محمود الهمشري، عمل في مجال القضاء والنيابة، عشرات السنين، ولكنه لا ينسى أبدا قضية «فارسكور» ولولا أنه حققها بنفسه لما صدق ماحدث لفرط غرابته، وكان يومها مديرا لنيابة «فارسكور» التي تقـع في محافظة دمياط، عندما تلقى بلاغا من سيدة تتهم فيه زوجها باحراق منقولاتها وأمتعتها عمدا بسبب الخلافات بينهما، وعندما تم استدعاء الزوج للتحقيق معه، تبين أنه مصاب بمرض الجذام، وكان متخبطا في أقواله، وبرر الحادث بأن لمبة غاز سقطت فأشعلت الحريق. وعندما انتقلت النيابة للمعاينة، تبين كذب الزوج، فلا يوجد أثر يدل على وجود لمبة غاز أصلا. ويقول الدكتور/ محمود الهمشري ألهمني الله إخلاء سبيل الزوج إشفاقا على حالته الصحية، وخوفا من أن تنتقل عدوى مرضه إلى غيره من المساجين إذا حبسته إحتياطيا، وأمرت باستدعائه في اليوم التالي لمواصلة التحقيق معه وتشديد الحراسة عليه حتى لا يهرب، وأخبرني أنه سيقضي الليلة في منزل أسرته بعد أن أصيب منزل الزوجية بأضرار جسيمة بسبب الحريق. وحدثت مفاجأة مذهلة عندما كان نائما هناك، كان الجو باردا ومن شدة البرودة انفتحت النافذة المغلقة بسبب عاصفة جوية فأسقطت مصباح غاز معلقا على الحائط وشب حريق بالغرفة قضى على الزوج وقتله حرقا!! ويقول المستشار محمود الهمشري: ثبت للنيابة أن الحريق الأول الذي شب في منزل الزوجية كان عمديا، وقيدته النيابة جناية حريق عمـد ضد المتهم، وإزاء وفـاته حرقا في الحريق الآخر قضاء وقدرا قضت بانقضاء الدعوى الجنائية وحفظها. يا سبحان الله، لقد مات بنفس الكذبة التي أطلقها في التحقيق معه».

* «وفي كتاب (تـذكـرة أولي النهى والعرفان)[٢] ذكر الخبر التالي، تحت عنوان «حادثة غريبة» يقول: «في أحد أيام شوال من عام ١٣٨٤هـ، جرى نقاش في مكة المكرمة بين رجلين أحدهما يملك سيارة والرجل الآخر سائق في سيارة الأول، فترافعا إلى ضابط المنطقة الخامسة في مكة فأقسم مالك السيارة أمام الضابط إن كان قد ظلمه أن لا يخرجه الله من هذه المنطقة سالما، فلم يفرغ من ترديد كلماته حتى خر ميتا على وجه الأرض، فحركوه فإذا هو جثة هامدة، والله على كل شيء قدير».

(١) ع ٢٣٠٣ في ١٩٨٨/١٢/٢٤م.

(٢) للشيخ/ إبراهيم بن عبيد جـ/ ٥ ص ٣٣٤.

* وفي كتاب «أخبار القضاة» لمحمد بن خلف بن حيان[١] جاء الخبر التالي تحت عنوان (خصم استزاد القاضي من الحلف: عن سعيد بن بشير قال: قال لي الزبير بن عدي: ألا أعجبك؟ اختصم إلي رجلان قضيت على أحدهما باليمين فحلف فلما فرغ قال: أزيدك؟ قلت ما شئت، فحلف ثلاثا فعاش ثلاثة أيام ثم مات، وعاش لكل يمين يوما».

* وفي نفس الكتاب والجزء[٢]، قرأت الخبر التالي: أخبرني سهل بن شيبان والنضر بن يزيد أنهما حضرا مجلس أحد القضاة، حين تقدم إليه رجلان، فادعى أحدهما مالا على الآخر، فأنكره المدعى عليه، فسأل المدعي يمينه فأحلفه فلما قال له: قل والله، ابتدأ فقال: والله، ثم قال وأزيدك أيها القاضي: الطالب الغالب، فخر ميتا وحمل».

* وفي جريدة أخبار اليوم روى لنا الصحفي / محمد عبدالقدوس الحديث التالي:

بلاغ إلى نيابة وسط القاهرة أحد الأثرياء يقول أنه ذهب إلى البنك الذي يتعامل معه لسحب وديعته وتبلغ قيمتها مائة ألف جنيه، فوجد مجهولا قد سحبها بعد تزوير توقيعه!!

«بولس فهمي» مدير النيابة يستدعي مدير البنك، الرجل في حالة ذهول غير مصدق لما حدث، يقول إن مقدم البلاغ زبون قديم، وأنه جاء إلى مكتبه واسترد وديعته بعد أن قدم طلبا بذلك موقعا منهم سلفا، ولم يطالبه موظفو البنك بالتوقيع على الطلب أمامهم ثقة منهم به، واستشهد مدير البنك بالعاملين معه الذين أكدوا أن مقدم البلاغ قام بسحب وديعته، ولكن الرجل الثري أصر على أقواله وانكر أنه قام بسحب الوديعة، ولم يكن أمام البنك في النهاية إلا أن يدفع المبلغ من جديد للرجل الثري، فهو على كل حال قد أخطأ بثقته المطلقة في زبونه القديم حتى أنه لم يطلب توقيعه!

وبعد أسبوع من هذا البلاغ، تلقى بولس فهمي رئيس نيابة وسط القاهرة بلاغا بجريمة قتل بحي عابدين، وعندما ذهب إلى مكان الحادث في يوم لا ينساه كانت المفاجأة الضخمة: لقد وجد الرجل الثري مقتولا، والمبلغ المسروق منه مائة ألف جنيه كان البنك قد دفعها له منذ أيام رغما عنه» انتهى.

---

(١) جـ / ٣ ص ٣١٨.
(٢) ص ٣٢٢.

وما دمنا بصدد الكذب المؤكد بالحلف الكاذب، فانه من المستحسن إيراد هذه الكلمات الطيبات للشيخ/ عبدالله الخليفي، إمام الحرم المكي، ذكرها في كتابه (التربية الاسلامية)[١]، يقول: «ومما أمر الله بحفظه الأيمان، لما ذكر كفارة اليمين قال: ﴿ **ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم** ﴾، فان الأيمان كثيرا ما تقع من الناس، وموجباتها مختلفة فتارة يجب بها كفارة يمين، وتارة يجب بها كفارة مغلظة، وتارة يلزم بها المحلوف عليه من طلاق ونحوه فمن حفظ أيمانه دل على دخول الإيمان في قلبه».

وبعد فما أحرانا أن نصدق دائما ونتحرى الصدق، ونمتثل قول الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[٢]، وأن نتجنب الكذب ونحذره، لأنه كما أخبر الله عن أهله: ﴿ **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله** ﴾[٣]». انتهى.

« دواء من كتاب الله »

■ مرت علي فترة كسلت فيها عن أداء صلاة الفجر جماعة وعلى الرغم من توقيتي الساعة المنبهة، إلا أنني كنت أتأخر في القيام فيتعذر علي شهود الجماعة، وفي إحدى الليالي الماضية كنت في مجموعة من الاخوان نتذاكر بعض مزايا الآيات والسور القرآنية العظيمة، فقال أحدهم[٤] معلومة لطيفة ــ لا أدري هل سمعها أم قرأها: إذا أردت أن تصحو لصلاة الفجر فاقرأ الوجه الأخير من سورة الكهف وانو القيام في نفسك وسيعينك الله على ذلك ويهديك إليه، وعزمت في ليلة من الليالي على تنفيذ موعظة هذا الأخ فتوضأت قبل النوم وتلوت الآيات المذكورة بدءا من الآية الكريمة رقم ٩٩.

---

(١) ص ١٦٣.
(٢) ٩/١١٩.
(٣) ١٦/١٠٥.
(٤) سمعت ذلك من ابن العم، اللواء «محمد بن عبدالله الطويان» وهو يشغل حاليا منصب مدير عام كلية الملك فهد الأمنية، تدرج قبل ذلك في شتى المناصب والرتب العسكرية، كان من آخرها: مدير عام التدريب بوزارة الداخلية، ثم مدير عام الإدارة العامة للسجون بالمملكة، وهو على درجة كبيرة من الإستقامة، والخلق والإنسانية، وحب الخير. معروفه دائما مبسوط للقريب والبعيد، يفعل ذلك رجاء ثواب الله والدار الآخرة، وهو في عمله حازم من غير قسوة، لين من غير ضعف، متحمل لأمانته، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا، غفر الله لنا وله، وجمعنا وإياه ووالدينا في مستقر رحمته.

﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ﴾ ونمت على هذه النية ثم صحوت على صوت المؤذن وهو في ندائه الأخير لصلاة الفجر قبل أن تدق الساعة المنبهة بدقائق، وقمت نشيطا لا رغبة لي في النوم وذهبت إلى المسجد فكانت هذه العبرة الأولى.

أما العبرة الثانية فكانت حين أتم إمام المسجد قراءة سورة الفاتحة ثم شرع في الآيات الكريمات بادئا من آية ٩٩ وحتى نهاية سورة الكهف، فتملكني وأنا أقف في الصف خشوع ورضا وقرب إلى كتاب الله، وحين عدت إلى البيت رأيت أن من المناسب الرجوع إلى تفسير هذه الآيات فاستدنيت «في ظلال القرآن» لسيد قطب الذي بدأ تفسيره لهذه الآيات بقوله «ثم نعود إلى سياق السورة فنجده يعقب على ذكر ذي القرنين بمشهد من مشاهد القيامة. انتهى.

ولم يشر سيد قطب إلى تلك الميزة التي حدثني عنها ذلك الأخ في تلك الآيات إلا أنني هنا ألاحظ بعض الإرتباطات التي تقرب تفرد هذه الآيات بتلك الميزة، فالآية الأولى منها تتحدث عن مشاهد يوم القيامة، وسورة الكهف عموما وردت ضمنها قصة أهل الكهف الذين أنامهم الله ثم أقامهم والموضوع هنا هو القيام من النوم إنني أتوجه إلى علمائنا الكرام هل ورد في السنة المطهرة ما يفيد نفع هذه الآيات، في التوفيق للقيام لأداء صلاة الفجر وغيرها؟!

وما كنت لأتطرق لهذه الحادثة لولا الرغبة في اجتلاب العبر وانتفاع العموم منها والتأكد من صواب اقتناعي بصحتها والله الهادي إلى سواء السبيل.

* وفي عدد «الجزيرة» رقم ٤٨٦١، عقب الأخ/ سعد دوخي الهمزاني من حائل بما يلي:

طالعت في صفحة ساحة الرأي في عدد الجزيرة رقم ٤٨٥٠ وتاريخ ٢٧ ربيع الثاني مقالا بعنوان: «عبرتان» كتبه/ عبدالكريم الطويان وهذا المقال تحدث فيه الكاتب عن فضل سورة الكهف حيث قال: إن أحد أصدقائه نصحه بقراءة السورة أو خمس الآيات الأخيرة من سورة الكهف قبل النوم فإنها بعون الله عند قراءته لها سوف يستيقظ قبل (صلاة الفجر) ويصلي مع الجماعة، وقد نفذ الكاتب هذه النصيحة وكانت النتيجة أن استيقظ قبل الفجر وصلى جماعة وبراحة تامة! ويسأل الأخ الطويان هل في السنة الشريفة ما يدل على هذا المعنى؟ لأنه يقول أنه رجع إلى تفسير (في ظلال

القرآن) ولم يجد حديثا أو أثراً يدور حول هذا المعنى .

وقد رجعت إلى تفسير (فتح القدير للشوكاني) ووجدت أحاديث كثيرة في فضل هذه السورة ووجدت حديثا لم أتأكد من صحته يتناول هذا المعنى حيث ورد (أخرج ابن مردوية عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها مابين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك من قرأها يوم الجمعة غفر له مابينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله من أي الليل شاء؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال سورة أصحاب الكهف». . . انتهى .

* ثم جاوبته بعدد الجزيرة رقم ٤٨٧٧ بالإفادة التالية :

لقد أجاب الأخ المذكور على سؤالي فأورد حديثا لرسول الله ﷺ قرأه في «فتح القـدير للشوكاني» يتحدث عن فضل سورة الكهف جاء في آخره مايلي: «ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله من أي الليل شاء» والحديث كما جاء في فتح القدير أخرجه ابن مردويه عن عائشة، هذه هي الإضافة التي أفادنا بها الأخ سعد، وأشكر الأخ الكريم للدليل الذي وثق به موضوع نفع قراءة سورة الكهف لمن نوى القيام لصلاة الفجر أو غيرها، والحقيقة أنني وقفت عند جملة «الخمس الأواخر منها» وأرى أن ظاهر الحديث يعني الخمس الآيات الأخيرة منها، وأنا قلت في مقالي السابق أنني قرأت من آية ٩٩، وهي بداية حزب حتى نهاية السورى أي اثنتي عشرة آية، ولمزيد من الفائدة فانني أذكر الأخ سعد، أنه أثناء بحثه عن أدلة من السنة حول هذا الموضوع كنت بدوري أبحث في الكتب المختصة عن سند لهذا القول، فوقع بين يدي كتاب بعنوان: «كيف نحيا بالقرآن» تأليف نبيه عبد ربه وأثناء تصفحي له وجدت في فصل من فصوله بعنوان: «صفات القرآن وفضائله» ص ٢٩ الحديث التالي: «اخرج الدارمي: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها» انتهى. وهذا يعني أن المطلوب قراءة سورة الكهف كاملة لمن أراد أن يحظى بهذه النعمة، ولنترك لأهل الحديث تخريج هذين الحديثين وتوثيق صحتهما، وفقنا الله جميعا للقول الذي ينفع والعمل الذي يقبل فهو الموفق سبحانه .

« الشاب الذي قاوم الجان »

■ الليل الشاتي المدلهم يرخي رواقه الأسود، ويكاد الخيط الأبيض أن يتبين من الخيط الأسود في فجر ليلة من ليالي «بريدة» قبل خمسة وثلاثين عاما، والطريق الضيق المتعرج المؤدي إلى الجامع الكبير في وسط البلدة يضم شابا صغيرا (١) ناف على الحلم، يتأبط كتابا، ويتلفع عباءة ثقيلة، يسير بخطى العجل ويتعثر تعثر الوجل، الهدف إدراك صلاة الفجر في الجامع والقراءة بعدها في حلقة الشيخ عبدالله بن حميد ــ يرحمه الله ــ وقبل أن ينتصف الطريق بالفتى النشط اخترق سكون الليل الهاجع صوت لا عهد للشاب به من قبل، لم يشبهه إلا على صوت سيارة الإسعاف التي عرفها فيما بعد، ووقف وقفة الحائر المستسلم ينتظر انجلاء الخبر؟ وما هي إلا برهة فإذا هو وجه لوجه أمام حيوان أكبر من الكلب ودون الحمار، رمادي اللون له فحيح وهمهمة، يندلع من فمه لسان راقص، وله أنياب مهيلة، وعينان تقدحان شررا، وشعيرات تقف على جلده كحراب مصلته!

يقول الشاب: فتسمرت مكاني لا أبدي مقاومة وأحسست بالعرق يتصبب مني والدم يتجمد في عروقي والقشعريرة تهز بدني، وفي باديء الأمر ادخلت وجهي في العباءة وأخذت أرمقه من كمها بعين حذرة انتظره يفترسني أو يتركني، ولكن الدقائق مرت بطيئة كساعات وهو يواجهني بمنظره المرعب وحركاته الشرسة، ويكاد ــ لقربه مني ــ لو ناشني بيده لأصابني، وتذكرت وردي فأخذت أتلوه، ولما نفد صبري وتبين لي ثباته وسلبيته في مهاجمتي؟ استجمعت ما تبقى من شجاعتي وبشيء من الذهول اليائس رميت عباءتي بعيدا وخلعت حذائي وهززته أمامه وأنا أقول بصوت يتهدج من الخوف: إن كنت جنا فبسم الله الرحمن الرحيم، وإن كنت شيطانا فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم؟ وما أن أتممت كلماتي هذه حتى أعطاني قفاه وأخذ يضرب الأرض برجليه حتى غبر ما أمامي وللحصيات الصغيرة المنحذفة قرع بأبواب الدكاكين المجاورة! ثم جرى مسرعا، ولما رأيته منهزما، جريت خلفه مدفوعا بنشوة المنتصر وطيش الشباب، وما هي إلا خطوات قصيرة فإذا منظره يتلاشى أمامي، واصلت

---

(١) هو ابن العم / «صالح بن محمد الطويان» المفتش بوزارة المعارف، وقد سمعتها منه شخصيا. وحدثني بقصص عجيبة رآها الناس في دروب «بريدة» الضيقة المتعرجة، حين كان الظلام الدامس يغطي كل شيء، قبل عصر الكهرباء و «تشكل الجن» مسألة معروفة تؤكدها المشاهدات الكثيرة الموثقة.

طريقي إلى الجامع وبعد أداء صلاة الفجر وانتهاء القراءة حدثت الشيخ عبدالله بن حميد ــ يرحمه الله ــ عن قصتي، فقال لي: «ذلك شيطان أراد أن يصدك عن المسجد والقـراءة، وقد حفظك الله منه»، ولما أعلمت والدي ــ يرحمه الله ــ بخبري أخذ يصحبني في طريقي لصلاة الفجر.

نسـوق هذه الحـادثة لنري شبابنا المعاصر كم عانى الجيل الماضى في طلب العلم، لقد كانت الحياة صعبة، لكن الله يجعل الصعب سهلا إذا صحت العقيدة وحسنت النية.

مشاهدات أكدها التواتـر
اسم «الله» و «محمد» و «الشهادة» مكتوبة على بعض المخلوقات

■ عندما كنت صغيرا، سمعت خبرا تناقله أفراد الأسرة، ولم أحققه يومذاك، كانوا يقولون: إن بقرة الأسرة الفلانية مكتوب على جنبها «لا إله إلا الله»، وكان المستمعون بين مصدق ومكذب ومتعجب!

ثم مضت السنون تطوي أهلها، فمرت علي في قراءات شتى في كتب ومجلات وصحف ــ أخبار تختلف عن بعضها في الزمان والمكان والأشخاص، لكنها جميعا تؤكد وتشهد على حدوث اكتشافات لظاهرة وجود ألفاظ اسم «الله» عز وجل أو «محمد» ﷺ أو هما معا أو جملة «الله أكبر» أو الشهادة، مكتوبة على البيض أو ورق الشجر والحجر وخلاف ذلك، وهي في نقشها تجدها من تكوين هذا الخلق المكتوبة عليه، ولا يد للإنسان فيها، وقد احتفظت بكثير من قصاصات هذه المصادر، التي تتحدث عن هذه الظاهرة، والتي وقعت في يدي، ولا شك أن الكثير منها لم أطلع عليه، أو لم يكتب عنه أصلا. وسأتتبع معكم هذه الأخبار، وأنقلها لكم حرفيا وبأمانة من مصادرها التي جاءت فيها:

ــ ١ ــ

■ نشرت جريدة «الوفد» المصرية في عددها رقم ١٠٩ في ١٤٠٦/٧/٣٠هـ خبرا تحت عنوان (لفظ الجلالة بأربعة خطوط مختلفة منقوش على بيضة!) ونص الخبر هو التالي:

اشـترى «مسعـد محمـد حمودة» المهنـدس الـزراعي بمديرية الزراعة ببور سعيد كرتونة بيض، واكتشف وجـود بيضـة منقوش على جدارها، لفظ الجلالة «الله» من جميع الإتجـاهات، بأربعة أنواع من الخط هي الرقعة، والنسخ، والثلث، والكوفي، ثم عرض البيضة على الشيخ شلبي خطيب مسجد الحسين بالمنطقة السابعة ببور سعيد، الذي خصص خطبة يوم «الجمعة» عن إعجاز الخالق في تصوير هذه البيضة، وخرج المصلون بعـد الخـطبـة يبكون خشوعا واجلالا لآيات الله، ويقول المواطن مسعد حمودة. إن بعض من رأوا البيضة لم يصدقوا أنها طبيعية، واتهموه بأنه نحتها على قطعة من الجبس، والأغرب من ذلك أن مدير أمن بور سعيد استدعاه، بعد أن سمع بقصة البيضة، ويرد مسعد على هذه الإدعاءات قائلا أنه يحتفظ بالبيضة سليمة، كما هي باعتبارها أمانة استودعها الله بين يديه، لتكون عظة وعبرة لمن يتعظ، وأضاف أن هناك أجهـزة علمية لفحص محتـويات البيضـة بالأشعة، وهذا دليل قاطع للرد على أي تشكيك كما أنه من المستحيل تكرار هذه الظاهرة الفريدة بالتأثير العلمي، أو بالضغط على جدار البيضة، أو تشكيله بأية طريقة.

ـ ٢ ـ

■ وفي جريدة «اللواء الاسـلامي» المصرية العـدد ٢٣٣ في ١٤٠٦/١١/٤هـ طالعت الخبر التالي: «جاءنا من الأستاذ عبدالله عبدالعاطي، مدير مجمع شجرة الدر الإستهـلاكي، الخـطاب التـالي: «أنا أعمل مديرا لهذا المجمع وتأتينا كميات من البيض وكثيرا ما أجد في هذا البيض الذي يأتي للبيع للمستهلك ما هو مكتوب عليه لفظ الجلالة ومرسل إليكم بيضة وردت في الكميات التي وصلت إلى الجمعية أمس لتباع للجمهور». انتهى.

ـ ٣ ـ

■ وفي جريدة «الشرق الأوسط» عدد ٢٢٨٨ في ١٤/صفر/١٤٠٧هـ، ظهرت على الصفحة الأخيرة صورة «بيضة» كتب أسفلها: «جدة ـ مكتب الشرق الأوسط، عثر في جدة على بيضة ظهر فيها جملة «الله أكبر»، وقد عثر عليها د/ محمد عبدالفتاح السيد، طبيب الأسنان بالمركز الصحي بالقويزة، بجدة». انتهى.

— ٤ —

■ وفي جريدة اللواء الإسلامي، العدد الصادر يوم ١٤٠٨/١١/٣٠هـ، طالعت في إحدى صفحاتها صورة «بيضة»، بدا عليها اسم الجلالة واضحا وتحتها كتب التعليق التالي: «لفظ الجلالة «الله» مجسما فوق بيضة، إنها آية من آيات الله... البيضة عثر عليها مجدي سليمان، المذيع بالتلفزيون».

— ٥ —

■ وفي مجلة «أكتوبر» المصرية العدد ٤٩٥ في ٨٦/٤/٢٠م ص ٥١، قرأت الخبر المصور التالي تحت عنوان: «لفظ الجلالة «الله» منقوش في الصخر» ونصه: «ما من شيء في الأرض ولا في السماء إلا يسبح بحمده سبحانه حتى الصخور، وهذه الصورة التقطها فؤاد نصر، رئيس قسم الإعلام بجامعة المنصورة، لجزء من صخر الرخام مكبر مئات المرات تحت الميكروسكوب، حيث وجد الباحثون بقسم الجيولوجيا لفظ الجلالة «الله» منقوشا بهذا الشكل على الصخر». انتهى.

ونشرت مجلة «الحرس الوطني» السعودية في أحد أعدادها العام الماضي، صورة لقرص شمع، نقش النحل في وسطه اسم «الله» بخط جلي واضح.

— ٦ —

■ ومنذ عدة سنوات نشرت جريدة الرياض بعددها رقم ٤٣٥٠ في ١٣٩٩/١١/١١هـ صورة لورقة شجر ظهر عليها اسم «محمد» ﷺ بنقش مقروء وواضح، حيث جاء الخبر تحت العنوان التالي (حشرة تكتب اسم «محمد» على ورقة شجر، ثم تفاصيل الخبر كالتالي: «في الصورة ورقة شجرة خضراء.. يتضح أن القدرة الإلهية جعلت حشرة من الحشرات تقوم برسم كلمة (محمد) كما يظهر بالصورة على الورقة مستخدمة بذلك حبات بيضها.. هذه الصورة عثر عليها في حديقة كلية التربية بجامعة الرياض.. وقد تركت هذه الحشرة أكثر من علامة تعجب وحيرة للقدرة التي كتبت اسم (محمد) على ورقة وسط حديقة، إنها قدرة الخالق وحكمته في خلقه وسبحانه المصور والمدبر..

— ٧ —

■ وكنت في أحد الأيام أقف منتظرا دوري، في أحد المخابز، وتزجية للوقت

تناولت إحدى الصحف الملقاة هناك، فإذا هي جريدة الندوة العدد ٨٢٣٥ في ١٤٠٦/٧/٢٤هـ، فطالعت صفحة «الفكر الإسلامي» التي يشرف عليها الأخ الأستاذ/ محمد عيسى داود، فإذا فيها العناوين التالية: «اكتشاف مذهل، عجز العلم عن تفسيره لكنه يفسر نفسه بنفسه!، لفظ الجلالة «الله» منقوش في قلب كل إنسان، ثم تفاصيل الخبر تحت هذه العناوين:

توصل طبيب القلب المسلم الدكتور «خلوق نورياني» الجراح التركي إلى اكتشاف مذهل، فقد توصل خلال أبحاثه إلى ظاهرة عجز العلم حتى الآن عن شرحها، وما ذلك إلا لمحدودية العلم. وصدق الله العظيم ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾..

توصل الطبيب المسلم إلى اكتشاف جزء من «قلب الإنسان» خطت عليه بأحرف بديعة الإخراج كلمة «الله».. وقد نشرت سجلات علمية إنجليزية وألمانية تفاصيل الإكتشاف المذهل الذي توصل إليه الدكتور العالم المسلم «خلوق نورياني».

يقول الطبيب المسلم: «... في أحد الأيام وأنا اتصفح كتاباً علمياً أخذتني الدهشة لما رأيت، فقد وجدت في صورة القلب اسم «الله» مكتوبا في وسطه.

اعتقدت أنني تخيلت ذلك واقتربت من الصورة أكثر فتبين لي ان أسم «الله» مكتوب وكأنه خط بأنامل فنان ماهر، هل أخطأت؟ اسرعت إلى الطبق المعلق على حائط الغرفة وقارنته مع لفظة «الله جل جلاله» المكتوبة وسط الطبق، ولكن تبين لي أنها لم تكن مصادفة وانما اسم «الله» كان مكتوبا على القلب دون نقصان.

ويستطرد العالم المسلم قائلا: «بدأت أبحث لسنوات عما آمنت به من أن توقيع الله جل جلاله موجود في قلب كل إنسان.. حتى وجدته أيضا في أطلس طبي وضعه العلماء الغربيون، وواضح لفظ الجلالة بشكل دقيق».

وبقيت أدقق في الأطلس لأجد جوابا على الأسئلة التي تدور في ذهني هل يمكن أن يكون هذا التوقيع الصعب مكانه مصادفة؟ يعني هل يكون موجودا في هذه الصورة فقط؟!..

وبقيت هذه الأسئلة عالقة في ذهني، ولكن الجواب كان «نعم» عند التشريح للقلب الإنساني، إذْ أخذت قلب إنسان في يدي وتأكدت من وجود هذا التوقيع العظيم، وتأكد لي ذلك وتيقن في سائر عمليات التشريح التي أجريتها، إذْ أن قلب الإنسان عند جميع خلقه وقع عليه الخالق جل جلاله بلا استثناء وبوضوح تام.

كما أن مكان توقيع «الله» جل جلاله مدهش مما يوحي بالدقة الفائقة التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى . . لأن نسيج القلب مكون من ألياف العضلات المنسوجة كالشبك، إلا أن مكان توقيع الله جل جلاله لا يوجد فيه أو منه نسيج عضلي كأن هذه المنطقة خلقت هكذا ليتم وضع التوقيع عليها أو فوقها.

وهذه المنطقة المسماة طبيا «أوريكولا» مؤلفة من عضوين، ولم تتوضح حتى الآن المعلومات الكافية حولها، وربما كان ذلك حفاظا على السرية في هذه الناحية من القلب.

المحرر: الواقع أن هذا الإكتشاف المذهل ليس الوحيد من نوعه، لكنه فريد في تكراره. . فعند عملي بمجال الدعوة الإسلامية إماماً وخطيباً لمدة اثني عشر عاما قابلت بعض هذه العجائب. . ورأيت ما رأيت بعيني التي في أم رأسي جريد نخلة أتى بها أحد المصلين. . إلى هذه الجريدة تكون في نفسها لفظ الجلالة «الله» كأن قلم القدرة الإلهية صاغها هكذا.

وأتى إلي تاجر فاكهة ببرتقالة نقش بقشرتها بقلم القدرة لفظ «الله» «محمد». . وأتى إلي طالب علم ببيضة نقشت متعرجات وانحناءات بقشرتها الرقيقة عبارة «لا إله إلا الله».

رأيت هذا بنفسي وعديد من مثل هذه المفاجآت رواها لي البعض. .

لكنني أقول: هذا حسن. . لكن الأعجب من هذا والأدلة الأقوى التي تسكب بقلوبنا حب الله والانس به لو تأملنا في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتعاقب الشمس والقمر ومكونات كل. . وحركة كل. . والسحاب المسخر بين السماء والأرض. .

﴿ والله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش * وسخر الشمس والقمر * كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (الرعد: ٢ ـ ٤). انتهى حديث الأخ: محمد عيسى.

- ٨ -

■ وفي جريدة الرياض العدد ٦٤٧٤ في ١٤٠٦/٧/٥هـ، قرأت الخبر التالي، المنشور تحت هذا العنوان: «معجزة جديدة من معجزات القرآن الكريم، يكتشفها شاب تركي بواسطة الكمبيوتر»!!!، ثم ذكرت الجريدة تفاصيل الخبر كالتالي:

انقره / عاصم كولنكين:

أجرت جريدة «ترجمان» التركية الواسعة الإنتشار بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٤م مقابلة مع شاب تركي. تمكن بعد بذل المزيد من الجهد والمثابرة، من اكتشاف معجزة جديدة من معجزات كتابنا العظيم، مدعمة بشهادة من جهاز الكمبيوتر أيضا!

ففي حين كان الشاب «الباي يلماز» البالغ من العمر ١٨ عاما، والطالب في قسم هندسة الطيران بكلية علوم الطيران والفضاء بجامعة اسطنبول التقنية، يجري دراسات احصائية، خطر بباله فكرة وجود الباري عز وجل في كل شيء خاصة بعد أن اكتشفت المجاهير المتقدمة التي تعمل بالأشعة فوق البنفسجية عن نقشة لفظة الجلالة «الله» في بصيلة قلب الإنسان في دور التكوين ورسمها في أقراص عسل النحل، فلماذا لا يكون أيضا على كتابه الكريم الذي يقول فيه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾. ولكن كيف؟ وهنا يشرح لنا الشاب التركي طريقته التي اتبعها في اكتشاف لفظة الجلالة ويقول:

« ولقد بدأت بترتيب سور القرآن الـ ١١٤» من «الفاتحة» إلى «الناس» في احداثي (X) بحيث تكون المسافة بين كل صورة وأخرى ٢ مم. ثم قمت باحصاء الآيات القرآنية في احداث (Y). وحيث أن أطول سورة في القرآن، تضم ٢٨٦ آية، فقد قمت برسم ٢٨٦ نقطة، وتركت فراغا مقداره ملم واحد فقط بين كل آية وأخرى، ابتداء من الفاتحة إلى نهاية المصحف فوق الاحداثي..».

والغريب في الأمر أن الشاب يلماز لا يعرف شيئا في اللغة العربية وخطها، وبتوصيل النقاط ببعضها، ظهرت أمامه أشكال غريبة لم يفهم لها أي معنى، وكان عليه في هذه الحالة أن يثابر ويجاهد، فقرر الإستعانة ببعض الكتب لتعلم اللغة العربية وفك رموز خطها إلى أن تكونت لديه فكرة مبدئية عنها. فعاد إلى دراسة ثمار جهوده. وياهول وعظمة ما يرى.. إنه لفظ الجلالة بعينه أمامه! ولم يكتم الشاب المهندس فرحته وانبهاره معا لتوصله إلى هذه النتيجة، حينما يؤكد على هذه الحقيقة بقوله:

« حينما انتهيت من توصيل النقاط ببعضها، انبهرت، حيث ظهرت أمامي لفظة الجلالة «الله» مرسومة على الورق، وأدركت حينئذ بأن ترتيب سور القرآن والآيات على النحو الذي عليه، إنما هو أمر إلهي كما أن رص النقاط على النحو الذي توصلت إليه كان بإرادة الله عز وجل. فوجدت عظمة الباري التي تتجلى في كل بقعة من الطبيعة تتجلى في الاحداثي أيضا وأيقنت بأن علم الإحصاء أيضا شاهد على وجود الله سبحانه وتعالى. .

ولكي يتأكد الشاب الطالب من نتائج دراسته ودقتها، قام بتسجيل نفس الطريقة في الكمبيوتر أيضا، فكانت النتيجة طبق الأصل وها هي الصورة المنشورة خير دليل على صحة النتائج التي توصل إليها هذا الطالب المسلم وسبحان الخالق ﴿ **الذي علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . .انتهى الخبر.

— ٩ —

■ وفي نفس اليوم الذي دخلت فيه إحدى المكتبات، وقرأت فيه الخبر الذي نشرته جريدة اللواء الإسلامي بعددها الصادر يوم ١٤٠٨/١١/٣٠هـ، عن البيضة التي عثر عليها منقوش على سطحها اسم «الله»، في تلك اللحظة تقدمت من ركن الصحف إلى ركن المجلات، فرأيت «المجلة العربية» العدد ١٣١ الصادر في شهر ذي الحجة ١٤٠٨هـ، فقرأت فيه تحقيقا لكتاب «صنع الله» تأليف عبدالرزاق نوفل ـ رحمه الله ـ، نشر التحقيق بقلم/ حديوي حلاوة/مصر، حيث نقل الكاتب بعضا مما جاء في الكتاب، حيث تحدث المؤلف رحمه الله عن هذه الأخبار العجيبة فقال: «في كتاب (تاريخ السمك) الذي وضعه العالم ـ نورمان ـ مدير قسم الحيوان في المتحف البريطاني والمسؤول عن المجموعات السمكية في متاحف التاريخ الطبيعي يذكر في صفحة ٢١٤ من الطبعة الرابعة للكتاب والصادرة عن دار ارتست بن بلندن عام ١٩٥١م نبأ عثور العلماء على سمكة التوحيد فعلى جزء من جسدها توجد خطوط بيضاء ظاهرة تكون ألفاظا عربية واضحة هي (لا إله إلا الله) وعلى الوجه الآخر للجسد تكون الخطوط البيضاء (ما شاء الله).

والترجمة الحرفية للصفحة كما وردت في كتاب نورمان:

«ويجدر الإشارة إلى سمكة شيتو دونت والتي تعرف باسم سمكة الفراشة واسمها العلمي (هولاكنش سميكر كيولاتس) وفيها يتخلل اللون الأسود للرأس

والجسم سلسلة من الخطوط البيضاء المنحنية الضيقة والزعنفة الذيلية تكون مزينة بعلامات من نفس النوع. وفي النموذج الذي يظهر في سوق السمك في زنزبار فإن هذه الخطوط على تجويف الزعنفة تشبه بدرجة ملحوظة الخط العربي حيث تقرأ على جانب الجسد (لا إله إلا الله) وعلى الجانب الآخر (ما شاء الله) وهذا يسبب إثارة ملموسة ويصل سعر هذه السمكة إلى خمسة آلاف روبية، وهي التي كانت تباع أصلا ببنس واحد».

■ وحكى عبدالرحمن بن هارون المغربي قال: ركبت البحر فوصلنا إلى موضع يقال له البطرون وكان معنا غلام صقلي معه صنارة وألقاها في البحر فصاد بها سمكة نحو الشبر فنظرنا فاذا خلف أذنها اليمنى مكتوب (لا إله إلا الله) وفي قفاها (محمد) وخلف أذنها اليسرى (رسول الله).

حقا وصدقا لا إله إلا الله محمد رسول الله

** ** **

■ ثم يذكر لنا تحت هذا العنوان حادثة غريبة وعجيبة حدثت في إحدى قرى محافظة كفر الشيخ من جمهورية مصر العربية فيقول:

في عزبة المرحوم علي لبيب بناحية المرابعين، محافظة كفر الشيخ نخلة منذ عشر سنوات إلا أنها لا تثمر بلحا ــ ولا تخرج رطبا ــ ولكنها أثمرت ــ وما أروع ما أثمرت وأخرجت وما أبدع ما أخرجت..

إن جريدها وسعفها يتكون في قمة النخلة النامية كما يتكون في كل النخل إلا أن جريده لا يتباعد سعفها ولا ينفرج كباقي الجريد، بل يتقارب ويندمج ويتطابق ويمتزج ليكتب على القمة النامية للنخلة ــ اسم الله ــ بخط واضح جميل وفي نقش بديع مثير.

والأكثر عجبا، والأشد إثارة، أن العام التالي تخرج لنا نفس الجريدة ونفس السعف من نقطة نموها اسم ــ محمد ــ بنفس الخط والشكل والنقش..

وقد قامت مجلة ــ آخر ساعة ــ المصورة بتحقيق صحفي كبير عن هذه الظاهرة ونشرته في ١٩٧٨/١/١١م وصورت النخلة وأطلقت عليها النخلة المعجزة كما نشرت أخبار اليوم في ١٩٧٨/١/١٤م تحقيقا حول نفس الموضوع، كما عرض التلفزيون

العربي قطعتي السعف وقمت بتقديمها والتعليق عليها في أكثر من برنامج ــ ومازالت النخلة في كل موسم حريصة على أن تعلن ما عرفته من الحق. وما تأكدت به من الصدق. . والإيمان بالله. . إذ تقدم إنتاجها. . إسم الله. . مرة. . . . والدعوة إلى الإسلام بتقديم اسم ــ محمد ــ مرة.

** ** **

وإلى هنا ــ يتوقف العقل عن التفكير. . ويعجز الإجتهاد عن التفسير ويتعطل القلم عن المقال. . ويصمت اللسان عن الأقوال. . ولولا وجود النخلة حاليا بيننا. . . وسعفها ها هو ذا بين أيدينا لقلنا إنه محال أو شطحة خيال. . . ولكنه صنع الله الذي له في كل شيء آية. تشير إلى أنه الموجود بلا بداية، القيوم بلا نهاية. . حقا وصدقا. . «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ويذكر لنا بعد ذلك مشاهد كثيرة تكررت على الزلط، وفص الثوم، والحجر والتفاح حتى يقول:

«وكل كلمات هذه المشاهد الطارئة الطارقة المتوطرة إنما كانت باللغة العربية، اللغة التي نزلت بها آيات الله. . . وبذلك فإن الدعوة إلى التوحيد والإسلام قد جاء بها كتاب الله المسموع وهو القرآن الكريم. كما جاء بها كتاب الله المقروء وهو الكون العظيم. . لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ثم يختتم كتابه القيم المثير الجميل بعبارات تفيض بيانا وسحرا وبلاغة فتراه يقول:

فهذا ما اتسعت له هذه الصفحات من مشاهدات واستوعبته من آيات، وهي ليست ثبتا للمرئيات أو سجلا للمشاهدات فذلك ما يعجز عنه الإنسان أي إنسان كل إنسان. . ولو عكف على جمعها طوال حياته، بل وحياة البشر أجمعين ولا تحتويها المجلدات. . ولو كانت صفحاتها بطول الأرض وعرض السموات على سبيل القطع واليقين. فإن كل مافي الوجود من شيء لله سبحانه وتعالى آية. تشير إلى أنه الموجود بلا بداية، والقيوم بلا نهاية.

فلتكن إذن هذه الصفحات وكأنها دعوة للنظر والدرس والفحص والبحث في أي شيء، في كل مكان، وكل زمان، فإن كل ما يحيط بالإنسان، بل وفيه نفسه وعليه، لو قام بالبحث عنه، والتأمل فيه، لظهرت له الأسرار تلو الأسرار وكلها

تفصح عن بعض قدرة الخالق الجبار وآثار رحمة العزيز الغفار». انتهى ما رواه لنا د/ نوفل ــ رحمه الله ــ.

ـ ١٠ ـ

■ وفي جريدة الشرق الأوسط، قرأت مقابلة مع الجندي المصري/ محمد العباسي، الذي يعتبر أول من رفع العلم المصري على أرض سيناء، وجاء في المقابلة معه قوله: «واندفعت أمزق العلم الاسرائيلي في الوقت الذي أمر القائد بأن يتسلق الجنود النقطة الحصينة بالطريقة التي اتبعتها، ويسلموني العلم المصري وكتبت عليه بدمي ودماء كل الزملاء «الله أكبر»، ولنقف هنا لحظة لنتأمل ما يقوله جيدا ويقسم عليه، حيث يستأنف كلامه قائلا: أقسم بالله العظيم أنني رأيت كلمة «الله أكبر» وقد كتبت في السماء بالدخان الأسود في تلك اللحظات إلى جانب أن الصحراء التي لم يكن بها غير رمال وجدنا أنها أخرجت وردا أبيض ونباتات خضراء. «فهل يمكن لأحد أن ينفي أو يشكك في دور الإيمان في المعركة بما ينطوي عليه من ثقة بأن النصر من عند الله». انتهى.

ـ ١١ ـ

■ ونشرت جريدة «الرأي العام» بعددها رقم ٨٦٥٠ الصادر يوم ١٤٠٨/٥/٧هـ، خبرا تحت عنوان «لفظ الجلالة «الله» بدم طفلة، جاء فيه: «المدينة المنورة: ظهر لفظ الجلالة «الله» واضحا في إحدى خلايا دم طفلة سعودية في التحاليل التي أجريت لها في مستشفى الأطفال بالطائف للتأكد من شفائها من شلل الأطفال. وذكرت صحيفة المدينة السعودية أن الطفلة وتدعى تهاني كانت مصابة بالشلل في أطرافها وبالتهاب رئوي حاد، وفشلت معها جميع محاولات العلاج، إلا أن الأطباء فوجئوا بشفائها تماما، وقد قرر المستشفى إجراء فحوصات على دم الطفلة لدراسة هذه الظاهرة والتأكد من شفائها، وأثناء قيام اثنين من الفنيين بهذه التحاليل شاهدا لفظ الجلالة يظهر في إحدى خلايا الدم». انتهى.

ـ ١٢ ـ

■ وفي أحد أعداد مجلة «اليقظة» وفي باب ضياء الإسلام، والذي يعده الشيخ/ محمد سلامة جبر، نشر المحرر تحت عنوان «رؤيا من النذر» رسالة من فتاة ذكرت له

في رسالتها، أنها رأت رؤيا، وبعد أن سردت رؤياها قالت: «وقمت من النوم وأنا خائفة، وفي الصباح كنت أساعد أمي في إعداد الفطور كالعادة، فاحترق الرغيف أثناء تسخينه مشكلاً لفظ الجلالة هكذا (الله) ولا أزال أحتفظ به للعظة والإعتبار، فأرجو تأويل الرؤيا».

وبعد أن عبر الشيخ محمد رؤياها قال: أما احتراق الرغيف مشكلا لفظ الجلالة، فأرجو أن تمكنيني من التثبت من ذلك وترسلي الرغيف المشار إليه مع والداك أو أحد أقاربك، فإذا تبين صدقك فإنها إحدى آيات الله البينات على صدق رؤياك. ثم يردف الشيخ قائلا: «قلت: استجابت الفتاة الصالحة صاحبة الرؤيا بعد أن كتبت إليها، وأحضرت قطعة الخبز المشار إليها بصحبة أبيها وقد ظهر لفظ الجلالة واضحا جليا بحيث لا يرتاب في كرامة الله لها مسلم، وقد آثر أبوها الفاضل عدم نشر اسمه واسم ابنته، وما استطيع أن أقوله هو أن الرجل من كرائم الأسر الكويتية، وابنته في الثامنة عشرة من عمرها، ويبدو عليها سيماء الصلاح والتقوى، فأرجو أن يكونا كذلك بحق» انتهى.

ـ ١٣ ـ

■ وذكر الأخ الدكتور/ عبدالله عزام ــ رحمه الله ــ، في كتابه (عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر)، الخبر التالي، على الصفحة رقم ١٦٢: «حدثنا عبدالجبار من زرغن شهــر ــ وهــو من المجـاهــدين الـذين يعملون مع شير آغـا، قال: في ١٩٨٦/٧/١م استشهد معنا شهيد من بغمان بعملية على مركز من مراكز الشيوعيين، فلففناه بكفن فرأيت أن دمه قد كتب على كفنه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقد رأى هذا مجموعة من المجاهدين معي.

■ هذا هو ما اطلعت عليه من هذه الأخبار، وأراها ليست بحاجة إلى تعليق، فقد تحدثت عن نفسها، وتواتر أخبار هذه الآية العجيبة، يؤكد بدرجة كبيرة صحتها، ولسنا ــ بحمد الله ــ نشكك في رواتها ولا في مصادرها، فالمؤمن يعلم أن الله على كل شيء قدير، ثم هو يعلم أن كتاب الله فيه البلاغ، وأن سنة نبيه فيها النور، لا محاجة عنده في ذلك، لكن هذه الآيات في الخلق التي تكتشف بين فترة وأخرى، فيعضدها

التواتر، وتوثقها المشاهدات، وتؤكدها المصادر، لا يسع المؤمن بالله إلا أن يتأملها، ويقف عند حكمتها، مثلما يقف أمام كثير من مشاهد الخلق التي بثها الله في الكون ولفت عباده إليها في كتابه الكريم، ودعاهم إلى النظر إليها، ليزداد إيمانهم ويقينهم، قال تعالى: **﴿ وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾** (الذاريات: ٢٠، ٢١).

قصص تجانست في غرابة أحداثها رغم اختلاف زمانها ومكانها!! في لحظات قاسية فقدوا زوجاتهم وأولادهم وأموالهم!

■ تقرأ بعض القصص العجيبة، فتتذكر أنك قبل عدة سنوات قرأت أمثالا لها، فرغم اختلاف الزمان والمكان تتفق بعض القصص في أحداثها ونتائجها، وهذه القصص الأربع التي أرويها لكم مختلفات في أزمانها وأماكنها إلا أنها متشابهات في أحداثها العجيبة، ففي لحظات قاسية فقد أصحابها أشياء مهمة في حياتهم، إذْ نزلت عليهم المصائب تترى فأمسوا لا زوجة ولا ولد ولا راحلة، ولا شك أن الله لحكمة لا نعلمها يبتلي عباده ببعض المصائب ليمحص قلوبهم، ويختبر إيمانهم، والناجي من هؤلاء من لم يزد على قوله: **«إنا لله وإنا إليه راجعون». اللهم أجرني في مصيبتي وعوضني خيرا منها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.**

فتعالوا نقرأ أقدم هذه القصص، والتي نشرت في مقال للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا، في المجلة العربية، وهو يتحدث عن: عروة بن الزبير رضى الله عنه حين قرر الأطباء بتر ساقه، يقول الكاتب: ـ

«وقد شق على الوليد بن عبدالملك ما نزل بضيفه الكبير من النوازل، وقد احتسب إبنه وفقد ساقه في أيام معدودات فجعل يحتال لتعزيته وتصبيره على ما أصابه.

وصادف أن نزل بدار الخلافة جماعة من بني عبس فيهم رجل ضرير، فسأله الوليد عن سبب كف بصره فقال: يا أمير المؤمنين لم يكن في بني عبس رجل أوفر مني مالا ولا أكثر أهلا ولا ولدا. فنزلت مع مالي وعيالي في بطن واد من منازل قومي. فطرقنا سيل لم نر مثله قط فذهب بما كان لي من مال وأهل وولد. ولم يترك لي غير بعير واحد. وطفل صغير حديث الولادة.

وكان البعير صعبا فند مني، فتركت الصبي على الأرض ولحقت بالبعير، فلم أجاوز مكاني قليلا حتى سمعت صيحة الطفل فالتفت فإذا رأسه في فم الذئب وهو

يأكله. فلم أستطع إنقاذه إذْ كان قد أتى عليه. فلحقت بالبعير فرماني برجله على وجهي رمية حطمت جبيني، وذهبت ببصري. وفي ليلة واحدة وجدت نفسي من غير أهل ولا ولد ولا مال ولا بصر.

فقال الوليد لحاجبه: انطلق بهذا الرجل إلى ضيفنا عروة بن الزبير، وليقص عليه قصته ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء.

** ** **

■ وفي كتابه: (فاكهة الصيف وأنيس الضيف) المنسوب للإمام الحافظ السيوطي ص ١٢٦، وتحت العنوان التالي: «أبو السويعات وما في قصته من عجب» قرأت القصة التالية:

خرج أبو السويعات وكان لصا مبرحا، وداهية مكارا، فذهب في بعض حاجاته، فأقام ثلاثة أيام، لم يطعم طعاما، فلما كان اليوم الرابع إذا بقافلة قد أقبلت يقدمها غلام بدوي على فرس شقراء يتبعها مهر أدهم ما له قيمة، وخلفه عبد.

قال أبو السويعات: الله أكبر! قد أتاني بالفرج! ولو لم أنل من هؤلاء إلا ما أسد به الرمق لكان مغنما. !

ثم تقدمت الرفاق إلى الموضع الذي ينزلون فيه فأتيت كهف جبل فانحشرت فيه، واستلقيت فوضعت فروتي تحت رأسي وعكازي بين يدي، وأقبل القوم ونزلوا، وجاء الغلام حتى وقف على رأس الجبل، ثم نادى بأعلى صوته:

ألا إني أحذركم ساعة يكون فيها أبو السويعات، ثم انحدر، فقلت في نفسي: من أين عرفني هذا؟ والله ما قصدت في هؤلاء غيره، ثم انحدرت أتلوه حتى رأيت خيمته، وبدا منها نار تأجج، وعبد يخبز ملة[1]، فمشيت حتى صرت بقرب الخيمة، ثم رميت نفسي في الأرض، وجعلت أنظر في ضوء النار في باطن الخيمة، فرأيت مكان الرجل، ومكان المرأة، والمتاع، ثم أتيت حتى صرت وراء الخيمة، ثم قلعت وتدا من أوتادها، فلما اختبز العبد الملة، وأطفأ النار، دخلت من حيث يقع الوتد، فمررت في وسط البيت والمتاع، فقام العبد، فتزود خبزة واحدة في الجفنة، وصار إلى الناقة

(١) يقال: مل الخبز في النار أي أدخله فيها، وخبز ملة هو الذي يتم إنضاجه على النار، والملة التراب الحار والرماد، أو الجمر يخبز أو يطبخ عليه أو فيه.

فحلبها، وقدمها، فأكلوا منها، وأكلت معهم، فلم يكفهم، فقال له مولاه: قطع الله يدك! ما بال طعامنا الليلة مثبورا[(١)]؟

فقام فتزود خبزة أخرى وحلب عليها، وأكلت معهم الثانية، فشبعت وشبعوا ثم قال لامرأته: أطعمينا تمرا، فأخذت من مزود تمرا، فصبته بين يديه، فمد يده ليأكل، فأصابت يده يدي، فقبض عليها، وقال: يد من هذه؟ فضربت بيدي الأخرى على يد المرأة! فقالت: هي يدي. فخلى عن يدي، وخليت عن يد المرأة، واسترجعت إلى خلفي، فجلست مكاني. فقال لإمرأته: هاتي الشراب. فناولته ركوة[(٢)] فيها شراب، فلم يزل يشرب حتى غلبته عينه في النوم سكرا، فنام، فلما رأى العبد ذلك قام إلى مولاته فواقعها[(٣)].!

فقمت أنا مغتنما شغلي، فرفعت القيد من يد الفرس، وأدخلته في المهر، فاستوليت على الفرس، وانطلقت به، فسرت ليلتي كلها حتى طلع الفجر، وإذا به خلفي يركض، فلما أعييته[(٤)]، ناداني: أنشدك الله من أنت؟ وامض لشأنك. فقلت: أنا الذي حذرت مني ولم تحذر؟!

فقال: أبو السويعات؟! قلت: أبو السويعات! فقال: سألتك بالله كيف أخذت الفرس؟! فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها!

فقال: مالي ولك! أخزاك الله كما خزيتني! أخذت فرسي، وقتلت عبدي، وفرقت بيني وبين زوجتي، ثم رجع، فقتل عبده، وطلق زوجته، وبعت أنا الفرس بخمسمائة دينار!!

** ** **

■ وفي كتاب (مسامرة الأصحاب) للأستاذ/ عبدالمحسن أبا بطين ص ١٧٤، تحت عنوان: (من وفاء الكلاب) قرأت القصة التالية: ـ

---

(١) هالكا مستنفدا.

(٢) الركوة: إناء الخمر.

(٣) ولا عجب، فالخمر أم الكبائر، ومن تعاطاها أهمل في صيانة عرضه وجرأ السفهاء على كرامته وحرمته.

(٤) أعييته: أعجزته عن اللحاق بي. التعليقات التي صاحبت قصة «أبو السويعات» هي بقلم الأستاذ/ محمد إبراهيم سليم، محقق كتاب (فاكهة الصيف).

ذكر أحد الزملاء أن لوالده صديقا بدويا، وكان يزوره في الحضر وكان لا ينقطع عنه إلا نادرا فغاب عنه فترة من الزمن، ثم عاده، ولما عاده، وإذا به تغير في منظره ومظهره، رأى شبابه انقلب شيبا ووجهه قد تجعد فقال له: ماذا دهاك وقد عهدتك فتى ولم تغب عني إلا فترة قصيرة من الزمن فما الذي صيرك إلى هذه الحالة وماذا جرى؟

وجم الرجل قليلا ثم تنهد وقال: أمري عجيب للغاية، قلت له أعطني قصتك؟ فقال: كنت ذات يوم أنا وزوجتي والصبية الصغار في أحد الأودية قد ضربنا لنا بها بيتا فلما صوبت نظري خارج البيت ذات يوم إذْ برجل أسود منحدراً من أعلى الوادي متوجها نحونا، ونظره موجه نحو زوجتي فلما رابني منه ذلك أخذت رمحي بيدي وقابلته لأصده، ولكنه لم يهتم بذلك ولما صوبت نحوه الرمح اختطفه وكسره وشد يدي إلى ظهري وتركني ملقا على الأرض، وقصد المرأة وقضى حاجته منها ثم خرج وتبعته المرأة إلى أسفل الوادي وكان أمام الصبية قدر على النار وفيه لحم فدب الصبية إليه لما جاعوا ليأكلوا من اللحم فتساقطوا به فما استطعت إسعافهم حتى ماتوا جميعا وأنا أنظر، وكان لهم أخ أكبر منهم يرعى الغنم فلما عاد بالغنم آخر النهار ووجدني على حالي سألني ماذا جرى يا أبي؟ قلت له فك وثاقي وناولني الرمح واصلح حال إخوتك وإذا عدت أخبرتك بالأمر، فسرت من عنده اتتبع الأثر فلحق بي كلب الغنم فنهرته فانثنى راجعا وحسبته عاد حقيقة، ولما وصلت أسفل الوادي وجدت المرأة والرجل متوسداً فخذها وقد نام، ولم رأتني غمزته فانتبه وقابلني فلما هززت الرمح لأقتله عاجلني فأخذه وكسره وطرحني على الأرض وجثم علي حتى ظننت بالموت لكنه سرعان ما استرخى جسمه فقلبته على الأرض وإذا هو قد مات وذلك أن الكلب قد التقم خصوتيه لذلك أخذت باقي الرمح وقتلت المرأة، هذه قصتي التي جعلتني كما ترى!!

■ وفي أحد أعداد جريدة الجزيرة، الصادر في عام ١٤٠١هـ تقريبا قرأت مقابلة مع أحد المعمرين، أجراها مندوب الجزيرة في مدينة «الخرمة» الأخ عبدالله بن سعد الخصبي، ولم يذكر المندوب اسم هذا المعمر، وكان من أسئلته التي وجهها إلى هذا الشيخ، السؤال التالي: ما هو الموقف الذي مر بك، وله ذكرى في نفسك، فأجابه هذا المعمر بقوله:

«إنه اليوم الذي فقدت فيه ولدي الإثنين وقد أكلتهما الذئاب وزوجتي وقد سقطت في البئر..

وكيف القصة يا شيخنا الفاضل . . .

في أحد الأيام ذهبت إلى مكان يدعى «الحرة» وكانت تسمى في السابق حرة «ليلى» أما الآن فاسمها حرة «تواصيف» وتقع شرق الخرمة كنت أبحث عن راحلة لي تائهة في يوم اشتدت فيه الحرارة وكثرت فيه الذئاب، وبعد عناء وجدت راحلتي وكنت قد تركت زوجتي وأبنائي الإثنين في بيت «شعر» في أسفل الحرة ــ حيث شد الجيران قبل يومين من مجيئي ــ بحثا عن الكلأ ــ واحتجت إلى ماء لأشرب فقد أخذ مني الجوع والظمأ كل مأخذ ولجأت إلى غار فيه ماء في أعلى الجبل فأمنت راحلتي وذهبت إلى الماء فلما دخلت الغار المظلم وجدت شبحا مخيفا كان يشرب ــ فصحت بأعلى صوتي ــ وفر مني هاربا وبعد أن شربت واسترحت قليلا عدت إلى راحلتي ولم أجدها ــ ثم ذهبت أبحث عنها ولم أجدها وعدت إلى أهلي ولما دخلت البيت وجدت الذئاب قد أكلت ولدي ووجدت المأساة الثانية ــ ذهبت أبحث عن زوجتي التي تحرس الأغنام وتقوم بسقياها من البئر . . وجدتها وقد سقطت فيها وكانت القاضية . . لقد ماتت هي الأخرى . !! انتهى الخبر.

فسبحان الله العظيم، ما أصعب هذه السويعات القاسية التي مرت على أولئك الرجال، وإن الإنسان مهما جلت مصيبته إذا سمع مصائب هؤلاء ستخف عليه مصيبته، لأنه سيتعزى، وسيحمد الله كثيرا أن مصيبته ليست بحجم مصائب هؤلاء، وذلك شيء أدركه الخليفة الوليد بن عبدالملك رحمه الله، حين بتر الأطباء ساق ضيفه: عروة بن الزبير ــ رحمه الله , وأراد أن يسليه فقال لحاجبه: «انطلق بهذا الرجل ــ يعني صاحب القصة الأولى ــ إلى ضيفنا عروة بن الزبير، وليقص عليه قصته ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء».

ولا شك أن الإنسان يتعزى في مصيبته حين يسمع مصائب الناس، أليست الخنساء رحمها الله تقول:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي!

كما نذكر هنا أحد الحكماء الذي أوصى أمه قبل موته، أن إذا مت فأقيمي وليمة لأهل البلدة، على أن لا يحضرها إلا كل أهل بيت لم يصابوا بمصيبة، ولما أقامت أمه الوليمة واشترطت ذلك، لم يحضر لها أحد، فعرفت المغزى الذي أراده ولدها!

فإلى كل مصاب في نفسه أو في ولده أو في ماله، تذكر أن أهل المصائب

كثيرون، وأحمد الله أن مصيبتك ليست في دينك، وأنها أهون من غيرك، وأن الله ألهمك الصبر وأرشدك إلى قول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

« السحابة التي أمطرت بــردا »

■ جمعني مجلس فيه مجموعة من الناس متشاكلة الأعمار والتخصصات، فتبدلت مواضيع الحديث فيه لتبدل طبائع العمل ونوع الثقافات، وحين اشتكى أحدهم من لسع البعوض، قلت له: علينا أن نحمد الله لأن مثل هذه الحشرات مع كثرة نسلها إلا أن عمرها قصير جدا، فالبعوض والذباب أعمارها تقدر بالساعات، بينما المخلوقات النادرة التي لا تتناسل كثيرا نلاحظ أن أعمارها تتجاوز المائة سنة بل أكثر من ذلك أحيانا، والأمثلة في ذلك كثيرة أدناها «السلحفاة» ولا شك أن هذه حكمة الخالق، الذي خلق كل شيء بقدر فتخيل لو أن الجراد أو العصافير طال عمرها عن المألوف أكان يجد الانسان معاشا له على هذا الكوكب، وهنا مسك طرف الحديث أحد المتخصصين في شؤون الزراعة فقال: اشتكى المزارعون في أحد أقاليم «الصين» من كثرة أعداد العصافير وما تسببه من بعض التلف لمحاصيل الأرز والقطن، فقامت حملة مكافحة وطنية للقضاء عليه، تمثلت في قرع طبول، تمنع أصواتها العصافير من الوقوع، لأن العصفور لا يتحمل التحليق الطويل حيث ينفجر قلبه في هذه الحال، فيهوى إلى الأرض، ونجحت الحملة حيث تم القضاء على نسبة كبيرة من العصافير، ومرت عدة أشهر وجاء الموسم التالي فكان أردأ موسم في تاريخ الإقليم، ولما درس الخبراء الأسباب تبين لهم أن العصافير كانت تأكل الدودة التي تسطو على ثمار الأرز والقطن، فلما هلك العصفور، خلا لها الجو فصالت وجالت، وعاثت في الأرض فسادا وهنا قررت السلطات استيراد آلاف أسراب العصافير من استراليا، وسلموا الأمر لحكمة الخالق، الذي خلق بميزان كي لا يطغى أحد على أحد وجعل لكل خلق حكمة ومعنى.

وحين أنهى هذا الخبير كلامه عقب عليه أحد كبار السن، قائلا: قبل ثلاثين سنة تقريبا، اشتكى أحد الزراع في بريدة، من كثرة أسراب طائر (القويع) الذي شاركه في قمحه، فقرر أن يقتله على بكرة أبيه، فأعدّ كثيرا من الحبوب وخلط فيه السم، وأداره على نواحي زرعه، فأكله الطير، فهلك أكثره، وكان الصيف قد حل، ومضى موسم المطر، إلا أن الله ساق على هذه المزرعة وحدها سحابة سوداء ثقيلة، برقت ورعدت، وتجاوزت مزارع كثيرة، ولما استقامت على هذا الزرع، أمطرت بردا

كثيفا، فقصفته وأحالته بلقعا، فكان خبرها موعظة للذاكرين وعبرة للمعتبرين إلى يومنا هذا . .

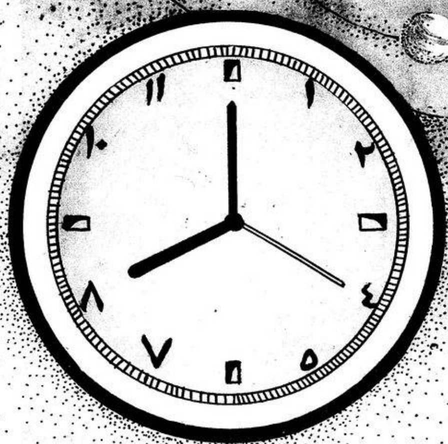
«من طرائف أقضية الشيخ ابن حميد رحمه الله»

■ فقدت إحدى الأسر في بريدة، طفلها الصغير، وبحثت عنه دون جدوى وبعد عدة سنوات، كان والده يتجول في سوق الغنم حسب عادته اليومية فأبصر غلاما مميزا، فوقـر في نفسه أنه ابنه، فتقدم إليه وضمه وهو يقول: ولدي ولدي، فزجره صاحب الغنم وهو من البادية ودفعه وهو يقول له: هذا ابني وليس ابنك، فتنازعا وطال بينهما الكلام فتدخل الناس بينهما، ورفع أمرهم إلى القاضى في زمانه الشيخ/ عبدالله بن حميد ــ يرحمه الله ــ فقال للرجلين: أعطوني الولد، واذهبا، وفي الغد احضرا في مجلس القضاء، وأخذ الولد وبعثه إلى بيته وأولاده وعندما جلسا معا على العشاء، قال له الشيخ: ماذا كانوا يسمونك أهلك يا غلام؟ فقال له على البديهة يسمـونني «الحضري» فضحك الشيخ وسكت، وفي الصباح، استقر البدوي فأقر بالحقيقة، قال إننا أخذناه من البلدة قبل عدة سنوات، فحصحص الحق، واستلم الوالد ولده، ونال الأعرابي عقابه، هذه القصة رويت لي منذ مدة، ولا أكاد أتذكر راويها وقال لي الأخ الدكتور أحمد بن عبدالله الحميد، وهو يحدثني عن والده: لما تولى والدي القضاء في شقراء، جاءه أحد رجال البلدة، وقال له: إنني رأيت البارحة على ضوء القمر جاري فلان وهو يتسور بيتي!، فقال له القاضـي تعال به غدا وسأنهرك واغلظ عليك فاصبر ولا تتضايق فأجابه: سمعا وطاعة! وفي الصباح، جاء إلى مجلس القضاء ومعه جاره، فادعى بدعواه في الأمس، فزجره القاضى، وقال له: ألا تستحي على نفسك أن تتهم جارك بهذا السوء، فجارك نيته طيبة، ضاق صدره في منزله فتسور بيتك لكي يتعلل معك ويستأنس في الحديث! فقال: هذا ما حدث يا شيخ ما جئت إلا لهذا الغرض!!.. فأقر بجريمته دون أن يفطن للحيلة التي بيتها له الشيخ! فكان أن نال عقابه الذي يستحقه أمثاله ممن لا يأمن جارهم بوائقهم!

«تـوبــة شــاب»

■ قبل أيام جمعني المجلس بشاب استقام بعد ضلع، وصلح بعد فساد، فأقلع عن الدخان، وهجر قرناء السوء، وحافظ على الجمع والجماعات، وبر بوالديه ووصل ذوي قرباه، واجتهد في اتقان عمله، وكان أول شيء فعله بعد توبته هو أن ذهب إلى

إحدى حلقات تحفيظ القرآن الكريم، فسجل إبنه مع أترابه، وسجل هو في حلقة الكبار، قال لي يحدثني: لقد أصبحت حياتي مبهجة سعيدة، تخلصت ـ بعون الله ـ من الإكتئاب والقلق النفسي، فأمسيت مستقر النفس، مطمئن القلب، أستشعر معناي وحقيقتي، وبدايتي ومصيري، كنت أدخل البيت وهموم الدنيا فوق رأسي فلا يلذ لي طعام ولا يهنأ لي منام، ولما عرفت الله حق المعرفة، ودخل الإيمان في قلبي، أضاءت دواخلي بالسرور، وابتهجت نفسي من الحبور، وأدركت أن الدنيا بالإيمان هي دنيا رائعة طيبة وأنها بالمعاصي مظلمة كئيبة، وأن الذي لا يعرف ربه لا يعرف نفسه ولا يعيش هدفه! كنت قبل ذلك أصلي فلا أدري لمَ أصلي! لأنني في المسجد جسم بلا روح مشغول بهموم الدنيا أبيع وأشتري! فلما أدركت أن الصلاة صلة مع الله واتصال به، أصبحت أؤديها مستشعرا هذا المعنى؛ فكانت الصلاة لي سكينة وطاقة روحية أختمها وأنا أكثر إيمانا ومحبة لله ورغبة إليه، كانت تمر علي أشهر رمضان فأحضر دعاء الختمة، وأرجو أن أبكي فلا أستطيع لرين الذنوب على قلبي! فلما عدت إلى الله، ذرفت عيناي من الخشية، وفاضتا خوفا منه ومحبة له ورجاء لما عنده.. يا أخي لقد تغيرت حالي تغيرا كاملاً، وكان من أسباب ذلك زميل صالح يجاورني العمل، فأثر علي بالخير وقادني إلى الهدى، فجزاه الله عني كل خير. فأجبته قائلا: بارك الله لك يا أخي بالإيمان، وبارك لمجتمعك بك، إنك على الهدى فاستعصم بالله وتوكل عليه.



« فعلام تعرجون؟ وماذا تنتظرون؟! »

■ عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال رسول الله ﷺ في خطبة خطبها: «لا تكونوا ممن أخدعته العاجلة وغرته الأمنية واستهوته الخدعة، فركن إلى دار سريعة الزوال وشيكة الإنتقال، إنه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا كإناخة راكب أو صر حالب، فعلام تعرجون وماذا تنتظرون، فإنكم والله بما قد أصبحتم فيه من الدنيا كأن لم يكن، وما تصيرون إليه من الآخرة كأن لم يزل».

قبل مدة كنت، في (استانبول) عاصمة تركيا، ودخلت المتحف الرئيسي فيها، فرأيت عددا من مخطوطات المصاحف، ولوحات الخطاطين، فقرأت هذا الحديث، في إحدى اللوحات المزخرفة، فسررت فيه، ودخل معناه بقلبي، فنقلته في مفكرتي، ولم أر له توثيقا، فليت أحد علماء الحديث، يتكرم فيبين لنا درجة صحته، وفي أي كتب الحديث ورد.

والرسول ﷺ، يستحثنا في هذا الحديث، إلى المسارعة في الخير، والفرار إلى الله، ونبذ الغفلة والتسويف، فالركون إلى الدنيا غفلة، والثقة بها تفريط، والإعتصام بالله واجب.

وبيان الحديث وبلاغته في القمة، وسرعة الزمن فيه هي موضوعه الرئيسي، والذين يتأملون الزمن، ويرقبون سيره، ويقتفون أثره، وينظرون في آثاره، يجدون في كل فكرة عبرة، وفي كل تأمل درس، وفي كل موعظة فائدة، فهذا الوقت الذي أُجري فيه القلم على هذا الورق لأسطر هذه الكلمات ما أسرع هذا الإجراء أن يصبح ماضيا تقوضت خيامه ورحلت أفكاره وجف مداده، فأصبح أثرا بعد عين، وماضيا بعد أن كان حاضرا، يمر الزمن سريعا دون أن نحس به، لكنه يحرق لحظاتنا كما تحترق نار القش وسعف النخيل، لحظات بل ثواني فإذا هذه النار الحية الوقادة ترمدت فخمدت، فأمست رمادا تذروه الرياح. إن الزمان ساعات و الساعات أوعية خالية تمر من بين أيدينا فلنملؤها بالعبادات والقربات والأعمال الصالحة بنية خالصة لله، على النحو الذي وجهنا إليه، وسنجد حصاد ذلك يوم التغابن حين يقف للحساب العاملون والمفرطون حين تبيض وجوه وتسود وجوه، حين توزن الأعمال، وتظهر النتائج: **﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾**(1).

---

(1) سورة آل عمران: آية: ٣٠.

« ساعة من نهار »

■ لو قيل لك إن عمرك هذا ما مضى منه وما تستقبله، ليس سوى ساعة من نهار لعجبت أشد العجب، لكن تلك هي الحقيقة، ولكي نفهمها علينا أن نقرأ قول الله تعالى: ﴿ **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين** ﴾[1].

وإنا إذا تأملنا وبعقل واع مفكر هذه الحياة التي نعيشها طولا وعرضا، وهذه المراحل الطوال التي نقطعها طفولة وشبابا وشيخوخة، وجدناها ستصبح في التقدير يوم البعث والحشر مجرد ساعة من نهار تعارفنا بها! ليس أكثر. . . فسبحان الله.

ولكي تتعمق هذه الفكرة بالذهن، علينا أن نتخيل ما مضى من أعمارنا قل أو كثر، سنرى أن تقديره بالساعة شيء طويل، إذْ لا بقية له في نفوسنا، بل إن الساعة التي نستقبلها الآن هي أهم وأغلى منه! ولن تجد معمرا يقبل أن يبيعها ثمنا لما مضى. ولهذا نحس جميعا بصدق المثل العامي الذي يقول: «ابن آدم ساعة هو فيها» مثلما صدق الشاعر العربي في قوله:

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي أنت فيها

وما أشبه حياة الحي بالساعة، فقلب الإنسان ينبض مثلما تنبض، وتمر لحظاته كما تمر دقائقها، ويموت حين يتوقف هذا النبض وينتهي الأجل، مثلما تتعطل هي عندما تتوقف دقائقها! وهنا نتذكر بيت «شوقي» المشهور:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

وكلما أردت زيادة احساسي بهذه الفكرة تدبرت واقعي الذي أعيش لحظاته أيا كان هذا الواقع، فاتخيل في نفسي تحوله بعد دقائق أو ساعات ــ حسب طول مكثه ــ إلى مجرد ذكرى، وكأن لا فرق بين الواقع والأحلام، وكأن ما عشته لم أعشه ولم يكن!

وأقرب مثال على ذلك هذه البرهة الزمنية التي نقضيها في تصفح هذا العدد من جريدة الجزيرة، فما أن نلقي به جانبا حتى تتحول تلك الفترة الزمنية التي استهلكناها

---

(١) سورة يونس: آية: ٤٥.

إلى ذكرى تنضم إلى الذكريات المتراكمة في الذاكرة وهكذا كل ما تستقبله بعد من ساعات!

« إذا كنت أعلم علما يقينا
بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنينا بها
فأجعلها في صلاح وطاعة »

إن في المزيد من إمعان الفكر حول هذه المسألة يوجد مساحة أوسع للوعي والتبصر في نفوسنا، لكي نعرف حقيقتنا على هذا الكوكب، ثم نفهم وظيفتنا فيه، ثم نؤدي مهماتها قبل أن تحترق ساعاتنا المقررة لنا[1]، فلنتذكر هذه الحقيقة، قبل أن نقول ـ لا سمح الله ـ مقالة من أخبرنا الله عنه: ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾. (المؤمنون).

« قيمة العمر عند العلماء »

■ أحد طلبة العلم، ممن فرغوا أنفسهم للعلم والعبادة، توفي ـ رحمه الله ـ في «بريدة» عام ١٤٠٨هـ عن عمر لم يتجاوز الأربعين عاما[2]، سمعت قبل أيام شخصا يتحدث عنه، قال: سمعت أحدهم يروي عنه قوله: «هذه الشجرة التي في منزلي أفتح لها حنفية الماء كل يوم وأرى أنني أفقد بهذه اللحظات وقتا هاما من أوقات الطلب» وهذه الرواية ذكرتني مقالا لعالم آخر مضى إلى ربه قبل عدة قرون، هو ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ يقول: «كنت آكل الخبز اليابس، وأشرب عليه الماء من نهر

---

(١) صدق الله القائل: ﴿**كلا لما يقض ما أمره**﴾ عبس: ٢٣.

(٢) هو الشيخ/ «عبدالله بن محمد الدويش»، أحد العلماء الزهاد المنقطعين للعبادة والتعليم، توفي ـ رحمه الله ـ في مدينة بريدة يوم ٢٧/١٠/١٤٠٨هـ عن عمر لم يتجاوز الأربعين سنة، حزن عليه محبوه، ورثاه تلاميذه، ومنهم الأخ الأستاذ/ «صالح بن عبدالكريم العبودي» الذي قال فيه قصيدة طويلة جيدة منها:

أبكيك يا صاحب الإتقان منطرحا ... بين الدفاتر تروي مسند الخبر
أبكيك يا مشعل التقوى إذا نسخت ... شمس النهار بليل غائب القمر

ومنها:

يا زاهدا بحطام قل تاركه ... اليوم جزت حثيثا دونها خطر

عيسى بكـورة البصرة، وكنت أعتبره وقتا وذلك لألحق أهل العلم لآخذ عنهم ولا يفوتني شيء منهم».

وللعلماء في حفظ الـوقت واستثماره أقـوال كثـيرة، وكلها تؤكد عنايتهم به، وحـرصهم على الإستفـادة القصوى منه، ذلك لأنهم أوعى الناس بغايات منحه، وسرعة تصرمه.

وإنه لحقيق بمن تمر أيامه سبهللا أن يغتنم هذا الرصيد اليومي الممنوح له، قبل أن تتبخر أيامه، وينكشف رصيده، ساعتها سيندم، وأنى له التعويض! :

«لهـونـا بها حيـنـا ومـا كان مرهـا
على طولهـا إلا كرقـدة راقـد»

« الساعة تدق: عاما جديدا »

■ اليوم ٢٩ «ذو الحجة»، حسب الرؤية الشرعية، ٣٠ منه وفق تقويم أم القرى، والعام في صفحته الأخيرة، ومع تباشير استقبال العام الجديد وجدتني أتوجه تلقائيا إلى منـزل الشيخ عبـدالله بن إبـراهيم السليم، وأتحاور معه في تفاصيل المناسبة، والشيخ عبـدالله ــ متعـه الله بالصحة والايمان ــ يناهز السبعين عاما، وهو فلكي مشهـور، صدر له عدد من المؤلفـات التي تتناول الحساب الفلكي، أهمها «تقويم الأوقات» بالتاريخين، الهجري والميلادي من عام ١٢٩٧هـ إلى ١٦٠٠هـ، كما أنه أحد أعضاء اللجنة التي تعد تقويم أم القرى. وقد تحدث لي عن كثير من الظواهر الفلكية، فكان مما قال:

* «اعتمد الفلكيون على أن تكون بداية الشهور القمرية من اجتماع الشمس بالقمر في درجة واحدة، وذلك لأن رؤية الهلال لا تكون إلا بعد الإجتماع، ويعبر عن هذا الاجتـماع بولادة الهـلال، وهي بالنسبـة للكـرة الأرضية واحدة، وإنما تختلف المطالع، وقد عرف أنه إذا كان قوس الرؤية من ست درجات فما تحت تتعذر رؤية الهلال، وفي سبع درجات يرى بصعوبة، وفي ثمان درجات يرى بوضوح».

* «تقويم أم القرى» تقويم عالمي متطور ودقيق جدا، ويتولى حسابه رجال أكفاء معترف بمعرفتهم واجادتهم لفن الحساب، سلكوا به مسلكا حسابيا تستعمله المراصد في العالم، يجعل بداية الشهور فيه لحظة الميلاد، وذلك لأن اللحظة التي يولد فيها الهلال بالنسبة للكرة الأرضية واحدة، وهذه القاعدة خاصة بالمعاملات المدنية، أما ما

يتعلق بالأمور الشرعية فهي على ما يثبت من رؤيته شرعا، ولا يمكن أن يرى الهلال في أي موضع من المعمورة إلا وتقويم أم القرى قد أثبت دخوله، هذا فيما إذا كانت الرؤية صحيحة ولا يمكن أن يرى في ليلة لم تثبت أم القرى دخوله فيها، وإنما الإشكال في تقديم الرؤية على ما أثبت في تقويم أم القرى، أما تأخر الرؤية عن المثبت بأم القرى ـ كما يحدث أحيانا ـ فهو أمر وارد، لأن عدم الرؤية البصرية إما أن يكون ناتجا من قلة المدة التي يبقى بها الهلال فوق الأفق بعد غياب الشمس، أو لضعف نور القمر وعدم خروجه من الشعاع، والقمر حسب حركته الظاهرية لنا يتقدم في كل ليلة إلى الشرق ستة أسباع الساعة». انتهى.

« ساعة البداية وساعة النهاية »

■ إذا قدر لك في الظهيرة أن تسير مشيعا ميتا إلى مثواه الأخير، ثم تعزي على أطراف الجدث أبناءه وأولياءه، وفي المساء ألزمتك الدعوة الواجبة ان تسير في موكب عرس لتزف العريس إلى عروسه، ثم تبارك لأبيه واخوانه، فإنك في تلك اليوم قد نظرت إلى الدنيا مدبرة ومقبلة، حزينة وضاحكة.

في موكب الظهيرة سرت خلف الجنازة في جمع العيون فيه دامعة، والحناجر فيه كاظمة، والقلوب معه واجفة، كل واحد من المشيعين ألجمه الحدث، وأطرقه الفاجع، وآلمه المصاب. وعلى حافة القبر، ألحد الميت في صدعه، ثم حثوا الناس عليه التراب، وأقاموا عليه النصايل، وطفق القوم يلتفون على أقارب الميت يعزونهم ويدعون لميتهم بالرحمة ولهم بالصبر، فلا تسمع إلا دعاء واستغفار.

وفي المساء كان الوجه المقبل للحياة، فالبشر يطفح على الوجوه، والضحكات تشرق على الأفواه، والموكب الجذل الفرح يشق الطريق بأبواقه وانتظامه، يقوده العريس السعيد، الذي تستقبله روائح العود، ونثير الورود ونفحات الطيب. ثم تدخل مع الداخلين، فتشرب الفنجال وتتناول الطعام وبعدها تضحك مع الضاحكين، وتسمر مع السامرين، ثم تنسى ـ وأنت تعيش الساعة الواحدة ـ أنك قبل فترة زمنية قصيرة كنت تعيش الساعة الثانية عشرة!

« ساعتك الداخلية (٢٥) »

■ شجرتا «البروسوبس» و «اللوز الهندي»، و اللتان عممتهما مديرية الشؤون البلدية والقروية بمنطقة القصيم، على كافة مدن وقرى المنطقة لملاءمتهما المناخ،

يلاحظ أنها تطبقان أجفانها بعد مغيب الشمس ولا تصحوان إلا مع أشعة الشروق! والورقة الواحدة لهاتين الشجرتين لها جانبان يشبهان جناحي الفراشة، ينفرجان نهارا، ويتطابقان ليلا، وهما أثناء نومهما ليلا يفقدان نسبة كبيرة من جمالها، لكن ممن الممكن تبرير تألقهما وحيويتهما نهارا بتلك السبات الليلي العميق، وليستا هاتان الشجرتان وحدهما من ينام ويصحو مبكرا وتضبطهما ساعة داخلية واحدة لا تتقدم ولا تتأخر، بل تشاركهما أسراب العصافير اللاتي ما أن ترى قرص الشمس قد سحب معه آخر خيوط ضوئه حتى تتزاحم على غصون الأشجار وهي تغرد بأصواتها المختلفة التي ما تلبث أن تستكن إلى هدوء خاشع، ومع خيوط الفجر الصادق تسمع شقشقتها الجميلة، معلنة بدء دوام يوم جديد، هذه هي الأشجار والطيور، فماذا عن الإنسان!.

كنت أحد الأيام أنتظر دوري في أحد مرافق الخدمات العامة، ولما طال بي الوقت، أخذت أقلب في المجلات المعدة للقراءة، فعثرت بينها على ورقة شاردة لم يتضح عليها مصدرها، وكانت من بحث علمي عن النوم جاء فيه: «من الملاحظ أن بعض الأشخاص يظلون ساهرين بلا سبب، فهم لا يستطيعون النوم قبل الثانية أو الثالثة صباحا ثم ينامون لفترة كافية، وهؤلاء الأشخاص يعانون من ظاهرة يطلق عليها الأطباء اسم «تأخير ساعة الجسم» ففي جسم كل منا «ساعة» خاصة به تحدد أوقات نومه ويقظته، وعند مدمني السهر تكون هذه الساعة متأخرة عن العادي بمعدل ساعتين أو ثلاث ساعات، فينامون متأخرين وبالتالي لا يستطيعون الإستيقاظ مبكرا في اليوم التالي، مما يتسبب في اضطراب حياتهم العملية، ويقال إن «ساعة» الجسم لدينا جميعا تعمل على أساس أن اليوم ٢٥ ساعة، لكننا نتمكن ببساطة من ضبطها عن طريق تأخيرها ساعة يوميا، ويمكن بشيء من العلاج النفسي والدوائي والغذائي تدريب مدمني السهر على إعادة ضبط ساعات أجسامهم بحيث ينامون في وقت معقول». انتهى الخبر.

«الساعة الواقفة صحيحة مرتين! »

■ إذا ألقينا نظرة على الساعة الواقفة، وجدناها تشير إلى وقت واحد لا يتغير، لكن رغم توقفها إلا أنها صحيحة مرتين في اليوم، استنادا إلى المثل الذي يقول: «الساعة الواقفة على صواب مرتين في اليوم»! وهذا يعني أن الخطأ والصواب أمران

نسبيان، ففي خطئي نسبة من الصواب، وفي صوابك نسبة من الخطأ، وعليك أن لا تتعصب لوجهة نظرك، وعلي أن أتفهم ما تقول. فإذا كنت لا ترى إلا الأفق الذي أمامك فانني أرى الأفق الذي خلفك، و «المسطرة» التي تقول عنها إن طولها ثلاثون سنتيمترا، أقول عنها إن طولها اثنتا عشرة بوصة، والكأس الذي ترى أن نصفه مملوء ماء، أرى أن نصفه فارغ، وهذه «المزهرية» الحمراء الجميلة التي على الطاولة والتي ترى أن على جانبها من جهتك رسما لمنظر جميل، ها أنذا أراها أمامي ولا رسم عليها! فهل يعني هذا أننا مختلفان، وأن أفكارنا متضادة، وأننا لا يمكن أن نلتقي على طريق واحد، ولا على وجهة نظر موحدة؟ وهل يعني هذا التباين في تقديرات الأمور، وهذا التعارض في وصف المشاهدات، أن أحدنا على صواب والآخر على خطأ؟ الصحيح أنه ليس واحد منا مخطئا، فكلانا يقول الحق، ويصف ما يقره الواقع، وتشهد عليه الأبصار، لكن وإن كانت الإطلالة واحدة إلا أن جهتي النافذتين مختلفتان! لهذا أدعوك إلى أن تنظر من زاويتي، وأن أنظر من زاويتك، وأن تبحث عن صوابي وأن أقف مع صوابك، وأن نخرج معا برأي موحد يشتمل على الحقيقتين.

« ٢٤ ساعة .. لماذا؟! »

■ في حياتنا اليومية نحن المسلمين، تظهر فترات اليوم جلية محددة، حيث تميزها أوقات الصلوات الخمس، فالفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، أوقات معلومة، تقام في بداياتها الصلوات الموقوتة التي تذكرنا بالله، والتي تجعل ليومنا قيمة ومعنى، حيث نستشعر قطع مراحله بحس المؤمن العامل العابد.

والمتأمل لحكمة تنوع هذه الأربع والعشرين ساعة التي نسميها اليوم، يرى فضل الله فيها على مخلوقاته التي أسكنها هذه الأرض، وخاصة الإنسان منها، فلكل وقت من أوقات اليوم صبغته ومعناه.

ولو زادت هذه الساعات عن مقدارها، لأحس الإنسان الضعيف بالتعب والسأم، ولو نقصت لاضطربت حياته ولما أكمل حاجاته المختلفة، ميزان دقيق ومنصف بين النهار الذي يطلب فيه معاشه، وبين الليل الذي يمضيه في سباته. فالله سبحانه حينما قدر كوكب الأرض مهبطا للإنسان، جعل ساعات يومه ليله ونهاره، بمقدار دقيق يناسب الإحتياجات الجسمية والحياتية لهذا المخلوق المكرم، الذي سخر الله له كل شيء على هذا الكوكب الفريد المتميز.

وحتى استوثق وبصفة علمية من صحة خواطري هذه، تقدمت إلى الدكتور/ عبدالعليم عبدالرحمن خضر[1]، فحدثته بها، وسألته التعليق، وأن يذكر لي طول اليوم في كواكب المجموعة الشمسية، فقال لي: «نظرا لإختلاف أحجام الكواكب في المجموعة الشمسية من جهة، واختلاف بعدها عن الشمس من جهة أخرى، يختلف طول الليل والنهار (اليوم) على كل منها، علاوة على اختلاف سرعة الكواكب عن بعضها، فاليوم في الكواكب الأقرب للشمس (عطارد ـ والزهرة) يقصر طول اليوم فيها عنه في الأرض، ويمكننا حسابها كالتالي:

اسم الكوكب	طول اليوم بالساعة والدقيقة
	ق . س
١ ـ عطارد	٥,٨
٢ ـ الزهرة	١٤,٩
٣ ـ الأرض	٢٤
٤ ـ المريخ	٤٥,٦
٥ ـ المشتري	٢٨٥,٦
٦ ـ زحل	٧٠٨
٧ ـ أورانوس	٢٠١٦
٨ ـ نبتون	٣٩٥٥,٢
٩ ـ بلوتو	٥٩٤٥

وقد اختار الله سبحانه وتعالى كوكب الأرض ليكون مستقرا للإنسان ومتاعا إلى حين، لأنه سبحانه خصه ببعض الصفات التي تجعله وطنا صالحا للحياة، من ذلك بعدها عن الشمس ٩٢ مليون ميل، لو زاد عن ذلك لتجمدت المياه، وانعدمت الحياة على الأرض، ولو قل عن ذلك لتحولت الأشجار إلى فحم والمياه إلى مكونات الغلاف الغازي (بخار ماء).

(١) أستاذ مساعد، ورئيس قسم الجغرافيا سابقا، بكلية العلوم العربية والإجتماعية بالقصيم، له مؤلفات عديدة، بحث فيها العلوم الكونية من جوانب إيمانية.

ولـو طال النهـار عن ذلك لاحترقت غطاءات النباتات وذاب جليد المناطق الشمالية، وأغرق المدن الساحلية، حسب نسب الطول والزيادة، ولو قل طول النهار لحساب الليل لتجمدت المناطق الشمالية والجنوبية من الأرض، ولانحصرت الحياة داخل المدارين فقط». انتهى.

أخي الكريم، تخيل لو أن يومنا بطول يوم كوكب «نبتون» مثلا، حيث أن اليوم هناك يساوي خمسة أشهر ونصف من أشهر الأرض، كيف ستكون حالنا إذا كان الليل شهرين ونصف! بالتأكيد لن يتمنى أحد ذلك، وليس هنا رابح سوى شركات الكهرباء!.

ثم تصـور لو أن طول يومنـا على الأرض بطول يوم كوكب «عـطارد» خمس ساعـات وثـمان دقـائق، نصفهـا ليل ونصفهـا نهار، كيف نستطيع أداء الصلوات المفروضة، وأين وقت العمل ووقت النوم، غروب وشروق متلاحق، ولا يحبذ هذا اليوم سوى من ينتظر راتبه في آخر الشهر، حيث سيغتبط بالسرعة العجيبة التي ينصرم بها الشهر!

وبعـد فإن الحكمة من تقدير يوم كوكبنا بـ ٢٤ ساعة، لجلية واضحة، بعد معرفة تقديرات أيام الكواكب الأخرى في المجموعة الشمسية، ﴿ **تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمر منيرا * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا** ﴾[1].

« باق من العمر ساعـة »

■ حدثني من أثق بحديثه، فقال: هل سمعت بوفاة الرجل الذي انتقل إلى رحمة الله، قبل عدة أسابيع، قلت: بلى أذكر ذلك، فماذا عندك؟! فعقب يقول: في صباح ذلك اليوم الذي وصل فيه المشيعون إلى المقبرة وبدأ ذووه يلحدونه، كان أحد أصدقائه المخلصين يقف مع الناس، ينتظر انتهاء الدفن ليعزي مع المعزين، وبعد برهة من الإنتظار اقترب ليلقي نظرة الوداع الأخيرة على رفيقه، ومع ازدحام الناس وقف على شفـا حفرة القبر المجاور المعدود للجار الآتي، وفجأة زلت به القدم فهوى في تلك الحفرة، وانتبه الناس لسقطته، فانفلت مجموعة منهم تاركين تجهيز الميت لينقذوا الحي

(١) سورة الفرقان: الآيات: ٦١، ٦٢.

المستصرخ، فهبط إليه من أعانه على الوقوف، وتناوله آخرون حتى أخرجوه سليما معافى، وذهب الرجل إلى منزله!.

وقبل مغيب شمس ذلك اليوم، كان الرجل الذي زلت به قدمه إلى تلك الحفرة قد استكمل أجله الذي أوجل له، فكان أن دفن في ذات القبر الذي سقط فيه، والمجاور تماما لصديقه الذي كان في تعزيته صباحا!!

ومن الفروق هنا، أنه بدلا من الناس الذين انجدوه فاستخرجوه من تلك الحفرة مع اشراقة الشمس، كان أولاده وذووه مع مغيبها ينزلونه ويلحدونه في صدعها ثم يهيلون عليه التراب سائلين الله له الرحمة والمغفرة، فسبحان الله ما أعجب ذلك وما أعبره[1] !!

« ساعة الفوز »

■ إذا تتبعنا مادة «فرح» و «مرح» في كتاب الله الكريم، وجدنا أن الفعل «فرح» ومشتقاته تكرر اثنتين وعشرين مرة كلها في مواضع نهي وانكار سوى أربعة مواضع . .

أما الفعل «مرح» فتكرر ثلاث مرات كلها مواضع انكار، مثال ذلك ما وصى به لقمان ابنه: ﴿ **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾[2].

فتكرر اللفظان ٢٥ مرة في القرآن الكريم . . والإنسان إذا أصاب في هذه الدنيا مالا، أو تحقق له نصر، أو ذاق رحمة، فعليه في ساعة الفوز أن يتذكر أن ربه واهب ذلك كله؟ فلولا التوفيق الذي أسداه، والتأييد الذي أنزله، ما كان لذلك الفائز أن يسجل تفوقا أو يصيب خيرا يذكر، «إن من مدحك فإنما مدح مواهب الله عندك، فالفضل لمن منحك لا لمن مدحك».

فتذكر أيها الفائز في مضمار الحياة هذه الحقيقة، وتوجه ساعة الفوز إلى واهب النصر، فاسجد له شاكرا حامدا، انس نفسك وأنكر جهودك، فإن لم تفعل تولاك الغرور فأنساك ذكر ربك، ودعاك إلى ترديد جواب قارون: ﴿ **قال إنما اوتيته على علم**

(١) القصة وقعت أحداثها في «مقبرة المطا» ببريدة. أثناء تشييع جنازة الشيخ/ «عبدالله بن محمد الدويش» ـ رحمه الله ـ المتوفى يوم ٢٧/ ١٠/ ١٤٠٨هـ.

(٢) سورة لقمان: آية: ١٨.

من عندي ﴾ حين نصحه قومه: ﴿ إذْ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾[(١)] . .

« ساعة الفتح »

■ يظلنا شهر رمضان ١٤٠٩هـ والمجاهدون الأفغان يطوقون مدينة جلال أباد، ويطرقون بوابات كابل. وعلى ثرى أفغانستان تساقط مئات الألوف من شهداء الأفغان ومعهم الكثيرون من شتى جنسيات العالم الإسلامي، وهم يزحفون ليستكملوا قطف ثمار النصر الذي أورقت شجرته حيث حرر المجاهدون النسبة الكبرى من البلاد، وحين انسحب الروس من كامل التراب الأفغاني المسلم، وبعد أن تم تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية.

وإذا أذن الله فتحقق في هذا الشهر الكريم فتح مدينة جلال آباد والعاصمة كابل فسيغمد المجاهدون سيوفهم، ويمتشق المؤرخون أقلامهم، ويسطرون على صفحات التاريخ هذه السطور التي ستقرؤها الأجيال بمزيد من الفخر والعزة:

«في كل القرون الإسلامية كان شهر رمضان شهر الجهاد والإنتصار، جهاد النفس والهوى والعدو والشيطان، فبعون من الله تحقق النصر للأمة الإسلامية في ملاحمها الكبرى التي خاضتها في شهر رمضان في «بدر» و «فتح مكة» و «فتح الأندلس» و «بلاط الشهداء» و «عين جالوت» و «العاشر من رمضان» و «فتح مدينتي كابل وجلال بّاد».

فهل يشاء الله فتتحقق (ساعة الفتح) في هذا الشهر العظيم، إن الأمة من غانة إلى فرغانة، تنتظر هذا الفتح وتموله وتدفع بأبنائها إليه وتدعو الله أن يثبت أقدام المجاهدين بعد النصر ويمكن لهم في الأرض التي حرروها ويستخلفهم عليها ويجنبهم الفرقة والخلاف، ويجمعهم على كلمة الحق والشورى. .

قال تعالى: ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[(٢)] .

فإليه نتوجه قائلين: ﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾[(٣)] .

---

(١) سورة القصص: آية: ٧٦، ٧٨.
(٢) سورة محمد: آية: ٧.
(٣) سورة البقرة: آية: ٢٥٠.

« مـرور الثـوانـي »

■ إذا رغبت أن تعرف سرعة الزمن، وتصرم الدقائق، فانظر إلى قرص الشمس وهو يختفي على خط الأفق في الثواني الأخيرة للغروب، قف أمام هذا الأصيل الذهبي اللون حين لا يبقى من الشمس إلا حمرة فوق سعف النخيل وشرفات المباني، ثم اضبط موقع عقرب الدقائق، وراقب كيف ينطفيء هذا النجم الوهاج والسراج المنير، وكيف يبتعد قليلا قليلا محيلا موقعك إلى ظلام يلف كل شيء؛ إن ثواني نهارك كانت تمر بنفس هذه العجالة! ولم تكن لتحسها والشمس في وسط السماء، لكن خط الأفق كعتبة خارجية أحدث ميناء منظورة لك، فتأمل كيف تقضى هذا اليوم بكل أحداثه وضجيجه فأمسى أثرا بعد عين، وماضيا بعد أن كان حاضرا، وأمسا بعد أن كان اليوم! وها هو الهلال يبزغ في خط الأفق الذي غابت فيه الشمس معلنا مطلع يوم جديد، وسيظلان دائبين مسخرين إلى أن يشاء الله، وسيبقى الليل والنهار يتعاورانك، وستفنى وهما جديدان لا يبليان، فانظر في ثوانيك المتساقطة من عقد عمرك فاستثمرها بعوائد الخير والعمل الصالح، فإنها ـ وهي رصيدك ـ إذا مرت لا تعوض ولا تسترد، وتبصر في معاني هذه الأبيات المنسوبة للشاعر أبي العتاهية ـ رحمه الله ـ :

الشمس تنعي ساكن الدنيا ... ويسعدها القمر
أين الذين عليهم ... ركم الجنادل والمدر
أفناهم غلس العشي ... يهز أجنحة السحر
ما للقلوب رقيقة ... وكأن قلبك من حجر
ولقل ما تبقى وعودك ... كل يوم يعتصر

« أزمنة الأسفار الثلاثة »

■ الأرض تدور حول نفسها كل يوم، وتدور حول الشمس كل سنة، والشمس بمجموعتها تجري لمستقر، هذه معلومات مدرسية، بدا لي في أحد الأيام أن أنقلها من حيز الذاكرة إلى منطقة التصور الواقعي، فوجدتني وأنا جالس أكتب هذه السطور في أسفار ثلاثة بعضها داخل بعض، وكل سفر منها له زمنه، فسفر يومي نجتاز فيه الليل والنهار، وسفر سنوي ندور خلاله حول الشمس، وسفر مع الشمس وكواكبها إلى مستقر يعلمه الله، وعلماء الفلك والجغرافيا يقولون: إن الأرض تدور حول نفسها

بمعدل ١٨ ميلا في الدقيقة، وتدور حول الشمس خلال ٣٦٥ يوما، والشمس بكواكبها تجري لمستقرها بسرعة ١٢ ميلا في الثانية الواحدة. . ، فيالها من أسفار عجيبة نقطعها أو تقطع بنا ونحن في غفلة لا ندري!

ثلاثة أزمان تسري بك وأنت يقظان ونائم، تظنك مقيما وأنت على أجنحة أسفار محطاتها ليل ونهار وشتاء وصيف وخريف وربيع، وسوى ذلك مما لا يعلمه إلا من خلق الأفلاك وأجراها على قدر معلوم محسوب:

« دنياك تحدو بالمسـ ـافر والمقيم جمالها
وعظتك أيام تمر فهل فهمت مقالها
الشمس عند شروقها علم اللبيب زوالها »

فيا أيها المسافر، يا أيها الإنسان، إن ربا خلق هذه الأفلاك وأجراها، وسيرك فيها، قد أوجب عليك الإيمان به وحده، وألزمك عبوديته وافترض عليك واجبات فأتمها، ونهاك عن معاص فتجنبها، فتزود لسفرك بزاد التقوى فهو خير زاد، وكن بصيرا بالزمن الذي تقطعه، والساعات التي تنفقها. قال الشاعر:

«وإنا لفي الدنيا كركب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا يسري »

« هلال العيد والقبة الفلكية »

■ في ليلة عيد الفطر المبارك ١٤٠٨هـ، وبعد أن صلينا العشاء الآخر، شرع إمام المسجد يؤدي بالناس صلاة التراويح، لأن شهر رمضان لم يستوف الثلاثين، ولأن العيد لم يعلن، وفي الركعة السابعة، والإمام يرتل قول الله تعالى: ﴿ **فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾[1]. وقبل أن يستتمها أطلقت مدافع رمضان عدة طلقات معلنة هلال العيد، وتدبرت في نفسي هذا التوافق العجيب بين معنى الآية، وإعلان خبر رؤية الهلال، فسبحان الحكيم الذي سخر الشمس والقمر وأجراهما بحساب دقيق لا يختل، وجعل فيهما من المنافع والمصالح ما نعرفه وما لا نعرفه مما لا يعد ولا يستوفى، وتعالى من جعل الأهلة مواقيت للناس والحج.

ودراسة النجوم والمجرات السماوية علم تعمق في بحثه علماء المسلمين الأوائل اهتداء بقوله تعالى: ﴿ **أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض** ﴾[2]، وقوله عز من

---

(١) سورة الأنعام: آية: ٩٦.
(٢) سورة الأعراف: آية: ١٨٥.

قائل: ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾[1] وسوى هاتين الآيتين الكثير من الآيات الكريمة في هذا المجال، ورغم مضي أحقاب غير يسيرة ترك فيها المسلمون الساحة لغيرهم في علم الفلك والعلوم الأخرى، إلا أن تباشير العودة إلى هذا الميدان بدأت تلوح في الأفق والدليل على ذلك اهتمام جامعاتنا ومراكزنا العلمية بعلوم الفلك وبحوث الفضاء وتخصيص الأقسام العلمية لها، وابتعاث الطلبة المبرزين لدراستها، وتسجيل الرسائل العلمية فيها، ولعل رحلة «ديسكفري» التي شارك فيها الأمير سلطان بن سلمان حفظه الله فاتحة خير لكي تتعمق بحوثنا ودراساتنا في هذا المجال الحيوي الهام الذي يجب أن ننافس فيه الغرب. وفي التغطية الإعلامية التي أعقبت رحلة الأمير الرائد، قرأت عن عزم دولتنا أيدها الله على إقامة «قبة فلكية» في مدينة الرياض، وهي قبة فلكية مجهزة بمناظير كبيرة مقربة، يظهر في سمائها كواكب ونجوم السماء، بصورة بديعة مدهشة، وقد زرت قبل عدة سنوات مثيل هذه القبة في مدينة لندن، إذْ هي أحد أهم معالمها السياحية، ولا أعلم هل كان العرض الذي جرى في سماء تلك القبة هو مشهد حي، أم أنه كان تصويرا مسجلا، إلا أنه كان مشهدا واضحا لأجرام السماء وهي تسبح في أفلاكها في عرض مهيب يكتم الأنفاس، كما رأيت مثل هذه القبة في مدينة القاهرة وكانت على نفس الطراز البريطاني، ولا شك أن بناء هذه القبة في مدينة الرياض سيكون مفيدا، لأن المتأمل في ملكوت الله سيزداد خشوعا وتسبيحا له، والعالم المتخصص سيستفيد من مشاهدها بما يعينه على بحوثه، وهي بعد ذلك كله معلم سياحي يجد فيه السائح والزائر تزجية مفيدة للوقت، فهل نسمع في الأيام القادمة خبر إرساء مشروع هذه القبة الفلكية على أحدث تقنيات العصر التي توصل إليها الإنسان في سبر أغوار الفضاء.. أتمنى ذلك.

« المتوقف يتخطاه الزمن »

■ اليوم فقط اكتشفت معنى جديداً لدقات الثواني في الساعة، إنها رمز للعمل الدءوب المتمثل في كسب الزمن والسير أمامه، فالمتوقف يتخطاه الزمن، والمتعجل يلهث ثم يفشل، أما السائر ببطء وانتظام عقارب الساعة، فهو يحقق كل يوم مساهمة جديدة في صفحة المعارف الإنسانية التي تفتحها الشمس مع كل إشراقة.

اكتشفت هذا المعنى حين راجعني شابان طموحان قدما أوراقهما معيدين في

(١) سورة (ق): آية: ٦.

الكلية التي أعمـل ضمن إدارييهـا وحـين تعرفت عليهما اكتشفت أنني درستهما في الصف الرابع الإبتدائي قبل حوالي اثني عشر عاما تقريبا، وهنا اكتشفت معنى أن تتوقف والزمن يسير!

وفي كل مرة أسافر فيها عبر الخطوط الطويلة اكتشف عجبا!

هذة الشـاحنـة التي تسير بمعدل ستين أو سبعين كيلا في الساعة، اتخطاها بسيارتي الصغيرة بمعدل مائة أو مائة وعشرين كيلا في الساعة لكنني ما أن أتوقف برهة لملء السيارة بالـوقود أو لغرض آخر حتى تتخطاني تلك الشاحنة ببطئها ورتابتها، والعالم سواء كان مهندسا أو طبيبا أو في أي تخصص كان إذا لم يصاحب الزمن في جديده، ويعيش دائما في الساعة الخامسة والعشرين سيجد نفسه أضحوكة الناس يقول لهم: الساعة التاسعة وساعاتهم الحادية عشرة والنصف.

فيا أيهـا الطالب ويا أيها المتعلم ويا أيها الحي: الشمس سائرة نحو المغيب وستشرق غدا، والهـلال يولد كل شهر، والسنة مطيتك إما أن تستوي على ظهرها فتحقق الغاية، أو تجرك خلفها فتحس بالندامة.

« الأتوبيس الطائــــر » !

■ أغمض بصرك وانظر ببصيرتك، وتخيل هذه الكرة الأرضية التي تقف عليها، وهي تلف حول نفسها من الغرب إلى الشرق بسرعة ألف ميل في الساعة، ثم هي في نفس الوقت تدور حول الشمس مندفعة بالجو بسرعة ثمانية عشر ميلا في الثانية الواحدة.

ولو قيل لك إنك ضمن من رشحوا لرحلة «ديسكفري» القادمة إلى الفضاء، لترددت عشرات المـرات قبل أن تأخذ قرارا مدهشا ومخيفا كهذا، لكنك لو تأملت الواقع الفلكي والجغرافي لهذه الأرض التي تعيش عليها لرأيتها أعجب وأدهش من تلك السفينـة الفضـائية التي صنعها الإنسان! فأنت على هذا الكوكب مثل الذي يجلس على مقعد مريح في طائرة تحلق في الفضاء على ارتفاع آلاف الأقدام، وكأنه يجلس في إحدى غرف منزله، ويتناول طعامه بهدوء، ثم يشرب قهوته ويطالع جريدته المفضلة ويسـامـر جاره، لكنـه عنـدمـا يزيح غطاء نافذة الطائرة ويشاهد الثوابت الخارجية ــ بالنسبة له ــ في السماء هنا يعرف أنه في جسم طائر متحرك لا ثبات له إلا في ذاته! ويرى الشمس والقمر والجبال تذهب في اتجاه معاكس لسيره، تماما كما نرى

نحن الشمس تأتي من الشرق إلى الغـرب والقمر يذهب إلى الغرب، بينما الحركة الحقيقية اليومية ليست لها، بل لكوكبنا الذي نعيش عليه.

وفي المحاضرة التي ألقاها رائد الفضاء الأمير/ سلطان بن سلمان ــ حفظه الله ــ في مدينة بريدة، قبل عام تقريبا، قال كلاما لم أنس معناه بعد: «حينما نظرت إلى كوكب الأرض تمنيت لو أن معنا في رحلتنا الفضائية بعض ساسة العالم، ليروا حقيقة هذا الكوكب الصغير الذي تحيط به العين المجردة، ثم هم يتنازعون على حدوده، ويتصـارعـون على موارده»! وكلام الأمير هنا، يجعلني أتخيل «أتوبيسا» مسرعا وفي داخله مجموعة من الركاب يتصارعون على مقاعده إنه لشيء مضحك حقا!

فليت للكرة الأرضية نافذة كنافذة الطائرة نطل من خلالها فنكتشف حقيقتها، لكننـا عليها أصغر من أن نحيط بذلك، غير أن الله أتاح لإنسان هذا العصر أن يكتشف هذه الحقائق بوسائل علمية عصرية، فعسى ذلك يذكره بصنع الله الذي أتقن كل شيء، فيؤوب إلى رشده ويؤدي وظيفته.

« رصيـدك الذي ينقص كل يوم! »

■ شخص زرقه الله بمبلغ قدره واحد وعشرون ألفا وثلاثمائة، فذهب إلى المصرف وفتح له حساب إيداع، وأخذ يصرف منه دون أن يطرح النقص في عقب الشيك الذي يبقى معه، وحين بلغ الرابعة والثلاثين من عمره، وصله من المصرف كشف بحسابه يقول له: إنك صرفت إثني عشر ألفا وسبعين، وبقي في رصيدك تسعة آلاف ومائتان وثلاثون فقط، وهنا استيقظ هذا الرجل من غفلته، وأمسى حريصا على كل رقم تبقى من رصيده الـذي أنفق أكثر من نصفه، وأخذ يعاتب نفسه على سرفها وسهوها، ويستشعر ضرورة أن يصرف ما تبقى في مجالات تنفع ولا تضر، وتخلد ولا تستهلك!

أتـدري من هو هذا الشخص؟! إنـه أنا وأنت وكل انسان يمشي على هذه الأرض، إن أيام عمرك هي رصيدك الحقيقي، وأنت تسحب منها كل يوم يوما، فإذا بك بعد مرور عام هجري واحد قد صرفت ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوما!، ثم تدبر قول رسـول الله ﷺ: «أعـمار أمتي مابين الستين والسبعين وقليل منهم من يتجاوز ذلـك». وانظر إلى أعمار من مات من آبائك وأجدادك وأفراد مجتمعك، ستجد أن القليل منهم تجاوز السبعين وأن الأكثرية مضت في معترك المنايا بين الستين والسبعين،

والأجل بيد الله، فلا تدري نفس متى تستوفي أجلها، فقد تعيش مائة عام، وقد تموت غدا، لكننا نقيس على الغالب، ولا نحكم بالنادر، فافترض أن شخصا في الرابعة والثلاثين من العمر عاش حتى الستين، كم تتوقع أمضى؟ وكم بقي له؟ تأمل تلك الكشف الذي ورده من مصرفه، هذا وهو في منتصف العمر، فكيف بمن سار معظم الطريق:

«وإن امرءا قد سار خمسين حجة   إلى منهل من ورده لقريب»

نعم لقد صرف الكثير وبقي القليل: «وإن المرء بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه»!

فالسعيد منا ــ يا أخي ــ من استثمر الأيام الباقية من حظه في هذه الدنيا، فأنفقها في وجوه البر والإحسان، أصلح دينه بأداء الفروض وبر الوالدين وصلة القريب والإحسان إلى الخلق، وأصلح دنياه بالعمل الجاد المتقن الذي لا يخون فيه ولا يدلس، يبني فيه ولا يهدم.

فلينتبه كل واحد منا إلى رصيده الذي منحه الله له، قبل أن يأتيه ملك الموت فيستوفي عمره ويقبض روحه، يومها يعرف أنه مدين لا دائن، وأنه مطلوب بعد أن كان طالبا:

« إذا كان رأس المال عمرك
فاحترز عليه من الإنفاق في غير واجب »

أُذكر ذلك كله لحظة أن تصحو لأداء صلاة الفجر، وقل: « الحمد لله الذي أحياني بعد أن أماتني وإليه النشور » وقل بعد، أن ينبلج الصبح وتشرق شمس ذلك اليوم الجديد: اللهم كما رزقتني الحياة، واستبقيتني في هذا اليوم، فوفقني إلى أن أمضيه في طاعتك والإحسان إلى خلقك.

ثم تذكر أن الألوف من البشر استوفى الله أعمارهم في الأمس، ولم يقدر لهم أن يعيشوا معك هذا اليوم الجميل، الذي استنشقت هواءه، واستمتعت بشمسه، وتلذذت بأرزاقه، وعشته طولا وعرضا، فانظر كم أنت محظوظ، وكم أنت مسؤول!!

« من قال لك ضيع مستقبلك؟! »

■ يا معشر المهنيين والفنيين: إن ساعة يومكم دقت، فاستنهضوا الهمم واستحضروا العزائم، فالوظيفة اليوم لا تخطب ود من عشق المقعد الدوار والمكتب المكيف والهاتف الرنان، إنها اليوم للعامل بيده والواقف على قدمه، للفني في مستشفاه، وللصانع في مصنعه، وللمزارع في حقله، وللباحث في معمله، لمشغل الآلة ومميكن المكينة ولمحرك التروس، مضى زمن كان له رجاله، وأظلكم زمن أنتم فرسانه، وحق لمثلكم أن يعيش حياته بمنهج عصره.

لا تنتظروا من مجتمعكم أن يغير نظرته للعامل بيده، غيروها أنتم بطموح الشباب وإنتاجية العامل ومكتسبات الواثق، ثم اعلموا قبل ذلك وبعده أن وطنكم وأمتكم الإسلامية، أحوج ما يكونان لموقفكم هذا في زمنكم هذا..

قال لي أحد الاخوان الوافدين: ندب أستاذ جامعة إلى إحدى كليات المناطق في وطنه، فأمضى ثلاثة أشهر يسافر في الأسبوع مرة واحدة يلقي خلالها محاضرته، ولما أنهى مهمته سلم له شيك بالقيمة، فاحتفظ به أياما ولم يصرفه، وقدر أن يحتاج إلى سباك ليصلح ما فسد من أنابيبت بيته، فلما أنهى السباك عمله، طلب منه أجرته، فدهش أستاذ الجامعة حين تبين له أن أجرته في تلك الأشهر الثلاثة، هي أجرة السباك في نصف يومه! ولما شرح له أسباب دهشته، هز السباك رأسه وقال له ببرود غير مصطنع: « من قال لك ضيع مستقبلك؟!»... وانتهى الحوار «بتجيير» الشيك لصاحب الصنعة!

غدا: ١٧ رمضـــان
والإنتفاضة في شهرها السابع عشر

■ غدا السبت ١٧ رمضان ١٤٠٩هـ، يصادف ذكرى معركة بدر الكبرى، أول معركة خاضها رسول الله ﷺ والمؤمنون، ضد الجبروت، والباطل، المعركة التي عاد بعدها المسلمون إلى المدينة منتصرين، فتزلزل اليهود وارتجف المنافقون. هذه الذكرى تجتازنا في هذا العام والإنتفاضة الفلسطينية تمر في شهرها السابع عشر، وهو توافق عجيب يجعل من شهر رمضان، الشهر الذي في يومه السابع عشر ذكرى معركة بدر، هو الشهر السابع عشر للإنتفاضة الفلسطينية ضد اليهود المتصهينين، فحري

بالمسلمين أن يتأملوا هذا الإتفاق بكثير من إعمال الفكر، فأقرب مدلولاته أنه يؤكد جهادنا الطويل ضد اليهود حتى يأتي اليوم الذي يتكلم فيه الحجر فيقول: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي تعال فاقتله.

إن دخول الإنتفاضة شهرها السابع عشر يثبت قوتها وحيويتها التي تستمدها من إيمان بالله لا يتزعزع، ورجاء به لا ينقطع، فما وهن الرجال لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، وها هو الكيان اليهودي يتصدع ويتقزم أمام هذا الصبر الطويل والإحتمال الكبير الذي يبديه الشعب الفلسطيني المجاهد، إن نيران الحرب التي أوقدها الصهاينة في أطراف العالم الإسلامي، قد أطفأها الله بفضل منه ورحمة، فها هي المدافع التي كانت تتجاوب على ضفتي دجلة قد صامت وإلى الأبد إن شاء الله، وها هم الروس ينسحبون من افغانستان والسلام فيها قريب ـ بإذن الله ـ، والحرب بين التشاديين قد خمد أوارها، وطبول الحرب بين المغرب ومنظمة البوليساريو قد توقفت، وتتحدث الأخبار عن تغليب التفاوض على الحرب، واليمنان مشغولان بتدعيم الوحدة، وقادة المغرب العربي يتلاقى قادته لإصلاح ذات البين، وزعماء دول مجلس التعاون الخليجي يؤسسون كل عام دورا من الاخاء والتكامل في صرح بنيانهم المشيد، فليمت الصهاينة بغيظهم فلقد أنبأنا الله من أخبارهم: ﴿ **كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين** ﴾[1].

وليعلموا أننا أمة جهاد ومرابطة، وأن كتاب الله بين أيدينا نتلوه طريا كما نزل، وفي آياته تكررت كلمة الجهاد إحدى وأربعين مرة، قال تعالى: ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** ﴾[2].

« الفرق بيننا ساعــة »

■ عندما يقول لك أحدهم: إنك تشبه فلانا من الناس، فمعنى هذا أن ثمة تقاربا نسبيا بينكما في الملامح الشكلية، لا يلبث أن يتلاشى عند اجتماعكما ورؤيتكما معا، لكن عندما يكون فارق العمر بينك وبين أخيك الشقيق، هو ساعة زمن فقط

(١) سورة المائدة: آية: ٦٤.

(٢) سورة الحج: آية: ٧٨.

فمعنى هذا في الغالب بإذن الله أنكما ربما تشبهان بعضكما إلى درجة التماثل، وتتقاربان في كثير من الصفات الجسمية والنفسية بنفس درجة القرب الزمني للعمر! وعندما يحدث هذا التشابه فإن معناه حصول كثير من المواقف الطريفة المضحكة وأنا جئت إلى الدنيا بعد ساعة من ولادة أخي التوأم «إبراهيم»، والتفريق بيننا عسير على من يقابلنا أول مرة، لكن الخالق جلت حكمته سهل هذه المهمة، بايجاد علامة فارقة هي زيادة أصبع كامل مشارك لإبهام يدي اليمنى، ولا زلت أذكر أننا في السنة الرابعة الإبتدائي، أعدنا السنة معا بهادتين متماثلتين وعندما زار أحد الضيوف المدرسة ودخل المدرسة ليستمع إلى قراءات الطلاب أقامني مدير المدرسة ثم أقام بعدي أخي ويبدو أنه أراد امتحان دقة ملاحظة الضيف الذي سأله بتعجب: لماذا أقمته مرة أخرى؟!، وعندما بدأنا العمل وكنا في موقعين مختلفين ظهر العديد من المفارقات فكثيرا ما عاتبني زميل على تجاهلي له، ولا يرضى حتى أوضح له أنني ما قبلته يومئذ، وأن الذي رآه لم يكن سوى أخي.

وأصعب المواقف تحصل عندما يقابلني أحد من يطالب الأخ بدين إذْ لا يقتنع صاحب الحق بتفسيري، ويعتبره انكارا لكنه موقف يتعادل عندما يقابلني أحدهم فيسدد لي مبلغا من المال ظنا منه أنني صاحبه!!.

وعندما كانت الجزيرة أسبوعية تصدر كل ثلاثاء كانت لا تصل إلى بريدة إلا متأخرة بعد يوم أو يومين وليس لها موعد ثابت، ولا تباع إلا في مكتبة واحدة فكنت آتي صاحب المكتبة وأسأله هل وصلت الجزيرة؟ فيقول: لا، وبالمثل يأتيه الأخ إبراهيم ويسأله نفس السؤال ثم أعود أنا واطرح السؤال مرة أخرى ويفعل الأخ إبراهيم بعد ذلك مثلي، حيث ينعدم التنسيق بيننا ويجرى الأمر بصورة عفوية وحين يكثر السؤال الواحد والوجه الواحد على صاحب المكتبة يطفح كيله ويمتليء غضبه ويصرخ طاردا هذا السائل الملحف اللحوح الذي لا يتوقع منه سوى نصف ريال!!

ولما انتقل الأخ إبراهيم إلى مدينة أخرى ورآني إبنه الصغير لأول مرة وكان بصحبة جده رفض أن يركب سيارته ولم نستطع إقناعه فاركبناه في السيارة بالقوة وهو يبكي بحرقة وينادي: يبه.. يبه! لكنه عندما رآنا بعد ذلك مجتمعين أدرك جزءا من الحقيقة لكنه ظل يناديني بأبيه الثاني وهو حل مفهوم لمعادلة صعبة!!

وقبل عدة أسابيع كانت لدينا مناسبة زواج في الأسرة وكنت ألبس ثوبا أزرق وغترة بيضاء وفوجئت أن الأخ يقدم من مقر اقامته وهو يلبس نفس الألوان فاضطررت

إلى التغيير لأنني المقيم وهو الضيف!.

ولا زلت وسأبقى ما حييت مدينا لحكمة الله ولطفه حين زاد لي إصبعا سادسا أنهى مشكلة لا تحلها الحاسة السادسة.

« ساعة ننامها وتصحو فيها العصافير »

■ شجرة السدر التي تتجاوز نافذتي، تضج مع الفجر الصادق بشقشقة العصافير، التي ودعت النوم، وبدأت رحلة يوم جديد، ولست أدري لم هذا التجاوب والتغريد؟، هل تسبح الله بعد هذا النوم الهادىء الطويل، وترجوه أن يهبها رزق اليوم الوليد؟، أم أنها تنتظر اشراقة الشمس ولهذا فهي تعد خطة العمل وتهيء مسار الرحيل؟!

إن هذه اللحظات المقبلة هي ربيع اليوم، وهي زمان البركة، وهي بهجة الحياة، فكيف أستأنف النوم، في أجمل اللحظات وأغناها، فقررت في ذلك السحر أن أبدل العادة، فخرجت منطلقا أتمشى، فإذا السكون يخيم على كل شيء، ونسيم الفجر الرخي الغني بنفعه يملأ رئتي فيسري في جسدي دواء ناجعا، وها هي الطيور تغادر أوكارها في جذل ومسرة، فما أجمل شوارع المدينة وحدائقها وما ألطف بساتينها المطيفة بها، في هذه السويعات الهنيئة، بعد هذه الغفوة الطويلة، كل شيء يتمطى ليطرد آخر خدر للنوم، الأمل ينعش أرواح الكائنات الحية، والندى يورق على براعم الأشجار الغضة، وسحر السحر يسري إلى تلافيف المخ فيبعث في النفس البهجة وفي القلب الحبور..

فاقرأ كتاب الله ما شاء الله لك أن تقرأ فقرآن الفجر مشهود، وسبح واستغفر مولاك، فما أعظم أن تعد من المسبحين في الأبكار والمستغفرين بالأسحار، وتريض ما شئت أن تتريض فستعود نشيط الجسم مفتوح الشهية مبتهجا بالحياة.

اقرأ الكتب التي تحبها، واكتب ما يجيش في خاطرك، واعمل ما يلذك لك عمله، وستجد أن الله منحك السداد وحباك البركة وألهمك التوفيق.

وقبل أن نتساءل: هل من العقل أن ننام في ساعة تصحو فيها العصافير؟ علينا أن نتذكر أي ساعة تنام فيها هذه الطيور، التي ألهمت بالغريزة ولم تعط العقل!

« كأن لم يكن ما كان حين يزول »

■ ما أصدق هذا الشاعر في قولته تلك، فالزمن يجري حثيثا، وهو في سيره الرتيب المنتظم الذي لا يحس يتخطى كل شيء، ويتجاوز كل فعاليات مادية ومعنوية، يشيب الغلام، ويهرم الشيخ، يهدم البنيان، ويبتلع الساعات والأعوام. لكأنه حصان يجري ولا يلوي على شيء، ليس من غاياته الظاهرة لنا سوى أن يدأب في المسير في حركة متناغمة محتوية على كل شيء. تأمل هذه الحفلة التي نصبت خيامها، وفاحت عطورها واشتعلت أنوارها، وارتفع صخبها؟ كيف تنصرم لحظاتها، ويحترق وقتها، فما هي إلا برهة قصيرة، حتى ينفض سامرها، وتتقوض خيامها، فتقف على عرصاتها وعلى لسانك قول الشاعر:

« ولما رأيت الدار وحشا بها المها
ترود وخيطان النعام تجول
ذكرت بها عيشا وقلت لصاحبي
كأن لم يكن ما كان حين يزول! »

قف أمام هذه الظاهرة العجيبة، ثم اعلم أن الله الذي خلقك، هو الذي خلق الزمن، وهو الذي قدره، وهو الذي أحكم سننه، وحدد مقاصده، واعلم أن كل شيء هالك، وأنه لا يبقى سوى وجه ربك الأعلى، وأن الفناء نهاية كل نسمة حية، وكل جرم مادي، وأن الله يستنسخ عملنا، ويكتب آثرنا، وأننا مبتلون في القول والعمل في الصحة والمرض، في الفقر والغنى، في النجاح والفشل: « فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ».

« غدا تشرق الشمس »

■ غدا السبت، تفتح دور العلم أبوابها، وتستقبل المدارس طلابها وتستهل بلادنا مع اشراقة شمس ذلك اليوم رحلة بناء جديدة يضع فيها المعلمون والمتعلمون أدوارا أخرى فوق صرح التعليم الذي نبنيه من عقود طويلة، وكلما تجذرت وسمقت شجرة التعليم رجونا أن تجود ثمارها وتمتن غصونها، وهو ـ بحمد الله ـ واقع نراه بالعين ونحسه بالفكر، ولن يطول بنا زمن حتى نرى التعليم ـ وبعون الله ـ قد وضع بلادنا في مقدمة الدول الحضارية الصانعة، وليس ذلك بمستكثر ونحن ننظر إلى العلم على أنه هبة الله لخلقه، فلا يطغينا وقد علمنا المبدأ والمصير.

وحين تشرع أبواب المدارس غدا، سيدلف إليها براعم صغيرة انتقلت من بيئة البيت حيث الأم الرؤوم والأب الحنون والأخوة الرحماء، إلى هذه التي يسمونها «المدرسة»، وهم في هجرتهم الجديدة هذه سيفرقون ويتألمون، وعلينا أن نطمئنهم ونحسن وفادتهم، قال لي أحد مديري المدارس، هو الأخ الاستاذ/ علي بن عبدالله الحسين[1]: «في العام الماضي جاءني ولي أمر طالب، يذكر أن ولده تشبث بمراتب السيارة ورفض النزول، يقول: فذهب إليه أحد المدرسين، فحاول أن يتعامل معه كما يتعامل مع كبش العيد، فعضه الطالب عضة شديدة، ولما رأيت توتر الموقف، قلت لوالد الطالب: قد سيارتك، وركبت معهما، وتجولنا قليلا، فأخذت أضاحك الطفل وأحادثه، وأخرجت له حلاوة من جيبي فاطمأن لي، ونزل بسهولة، ودخل فصله فاندمج مع زملائه، فكان لهذا الموقف فوائد تربوية، استفدنا منها الكثير، وأصبحنا نفكر دائما كيف نلغي التصرفات الخاطئة التي تمخض عنها المثل القديم: (يا يوم السبت على الصبيان)! لكي نجعل يوم السبت هو أسعد أيام الأسبوع على نفوس تلاميذنا».

« سـر الوصيـة »

■ عندما يحس الإنسان بدنو أجله، واقتراب ساعته، تظهر له قرارات ومواقف لافتة، فقد يستدرك ويوصي إن كان لم يفعل، وقد يطلب من أهله أن يتحللوا له من فلان أو يسددون له عن علان، أو يوصيهم أن يحتسبوه ولا يبكوه، ومن وصايا ساعة الوفاة ماهو مألوف ومتوقع، ومنها ما هو غريب مستبعد، ومن النوع الأخير أحكي لكم هذه القصة الواقعية التي جرت أحداثها في مدينة عنيزة قبل عشرات السنين، وقد حدثني بها من لا أتهم، يقول: كان (ابن حسن) أحد سكان مدينة عنيزة، وكان من أهل البر والصدقة، وفي أحد الأيام عثر على «درويش» انقطع به السبيل لمرضه، فأقام في أحد المساجد، فأخذ (ابن حسن) يتردد عليه بطعامه وشرابه، ويتفقد حاجته، ويداوي علته، ومضى على ذلك مدة، ويظهر أن الغريب أحسن بدنو أجله، فقال لابن حسن: يا أخي لقد أديت الواجب، وأحسنت إليّ أحسن الله إليك، وإني موصيك بوصية فنفذها، إذا مت فلا ترم ردائي هذا، بل أوقد نارا ثم

(١) هو أحد الشباب المتحمسين لعملهم، يدير مدرسة ابن عقيل ببريدة، أمضى في التعليم ما يزيد على خمسة وعشرين عاما، له كتابات في جريدة الجزيرة، يعبر فيها عن بعض أفكاره التربوية وخبراته في الحياة.

ارمه بها، فوعده (ابن حسن) أن يفعل وعندما توفي الغريب، قام الرجل فأشعل نارا ثم ألقى بالرداء فيها، ولما التهمته النار، تناثر منه الذهب الأحمر على الجمر، فأدرك ابن حسن سر الوصية وعرف أن الرجل كان يحفظ نقوده في هذا الرداء حتى لا يسرقه أحد، وأنه أراد مكافأته على صنيعه، فذهب ابن حسن إلى القاضي، وشرح له القصة، فوجهه القاضي إلى أن يشتري بستان نخل في مدينة عنيزة، وأن يوقفه على هذا الغريب، وفعل المحسن ذلك، فأصبح البستان يعرف في مدينة عنيزة، بـ (حائط مليحان) وهو يقع جنوب قبلة الجامع الكبير بمدينة عنيزة، هكذا روى الرواي لي، وكنت أرجو أن أقف بنفسي على هذا الحائط، لولا أن الظروف لم تتيسر لي بعد، فجزى الله المحسنين خيرا، وأثابهم من عنده الأجر الواسع، والقبول الحسن.

« خط الزوال »

■ تأمل عقرب الثواني، وهو ينبض كالقلب، ويخطو كالعسكري إنه لا يسير وحده، بل نحن معه، حيث يكبر الصغير ويكتهل الشاب ويهرم الكهل! إن الزمن كالنهر الجاري، يتجدد بتجدد ثوانيه لكنه جديد يبلي ويحدث آثارا في كل شيء لحكمة يريدها الله، ولمستقر لا يعلمه إلا هو سبحانه.

والأدباء هم أكثر الناس إحساسا بدالوب الزمن، إنهم يستشعرون خطواته ويدركون دورانه، ويتأملون حطام العربات التي يتركها خلفه، وهي موهبة يملكها من رهف حسه، ودق إدراكه، وعمق في الأشياء فكره، وكما تظهر آثار الزمن على كل شيء، فهي تظهر جلية على الإنسان وهو يتقدم في العمر، فهو مع مرور الأيام ينمو جسميا وينضج فكريا، وحين يبلغ الأربعين يبدر حيث يستوي له عقله وبدنه، ثم يبدأ كالقمر رحلة الهبوط من رأس الهرم إلى السفح، لكأن الأربعين هي خط الزوال حين تنتصف الشمس في كبد السماء ثم تبدأ رحلة الزوال إلى حيث المغيب، «والأربعون هي النص أو المتن وما بعدها فهوامش وحواشي» كما يروى عن الفيلسوف شوبنهور، وفي هذه المحطة من العمر يبلغ الإنسان أشده ويستوي، ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ **ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين** ﴾ وفي الآية الأخرى يقول الله تعالى ﴿ **حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة . . . . الآية** ﴾

وللأطباء وصف علمي لهذه المرحلة إذْ يقولون: «تستمر مرحلة الأشد حتى تبلغ

قمتها في الأربعين، ثم يبدأ إنقلاب فيسيولوجي في مجموع الجسم فتصير عملية الهدم أقوى من عملية البناء والتعويض، ويبدأ هذا الإنقلاب بفروق طفيفة بين العمليتين، ثم تكبر وتتسع».

وعندما يقترب أحدنا من الأربعين تبدأ نجوم الشيب في اللمعان وسط ليل شعره الفاحم في رأسه ولحيته، وفي هذا التحديد، نقرأ لأحد شعراء النبط قوله:

ثلاثين عجات الصبا ثم تنجلي

وعشر ويصبح مقدم الراس شايب

ولعل أجدادنا كانوا يعبرون عن ذلك، حينما قالوا (بعد الأربعين الله المعين).
وعندما بلغ الأديب مصطفى المنفلوطي ـ رحمه الله ـ الأربعين وقف عند هذه المحطة، وكتب مقالته الشهيرة (الأربعون) حيث ودع فيها شبابه وصباه، ورثى فيها نفسه، اسمعوه يقول: (الآن وصلت إلى هرم قمة الحياة، والآن بدأت أنحدر إلى جانبه الآخر، ولا أعلم هل استطيع أن أهبط بهدوء وسكون حتى أصل إلى السفح بسلام، أو أعثر في طريقي عثرة تهوي بي إلى المصرع الأخير هويا) ثم يقول: (أما اليوم وقد بدأت انحدر من قمة الحياة إلى جانبها الآخر فقد احتجب عني كل شيء ولم يبق بين يدي مما أفكر به إلا أن أعد عدتي لتلك الساعة الرهيبة التي انحدر فيها إلى قبري، مضى عهد الشباب، وبدأت اختلف إلى الأطباء الثلاثة طبيب العيون، وطبيب المعدة، وطبيب الأسنان، وتقاربت خطواتي فأصبح فرسخي ميلا وباعي ذراعا، ونعى الناعون إلي كثيرا من أصحابي وأترابي، أي أنهم نعوا إلي نفسي. . .).

* وفي كتابه «من حديث النفس» وتحت عنوان (على عتبة الأربعين) يتحدث الشيخ علي الطنطاوي في هذه المقالة التي كتبها عام ١٩٤٨م عن مشاعره حين أتم أربعين سنة من عمره، يقول: (ونظرت فاذا أنا بعد شهرين، أتم الأربعين، أربعين سنة قمرية، درت فيها مع الفلك، وسايرت الشمس واستقبلت السنين ثم ودعتها كما استقبلتها، واستولدت الآمال، ثم دفنتها كما استولدتها، فما الذي خرجت به من ذلك كله؟ لقد قطعت في هذه السنين الأربعين أكثر الطريق، ولكن لم أعرف بعد إلى أين المسير؟، ومشيت أكثر من أربعة عشر ألف يوما تباعا ولكن لم أدر إلى أين أمشي!؟)

ثم يتحدث الشيخ الطنطاوي عن حياته اليومية التي تمر كأحداث الرواية وعن فترات عمره التي قضاها في آمال يتمها وأماني يستقبلها، ثم يتساءل بعد ذلك قائلا (أفلهذا وجدت وسعيت أربعين سنة؟! أسعيت لأدرك السراب؟) ثم يتساءل مرة

أخرى: (هذا كله للحياة الدنيا، فما الذي نعمله للحياة الأخرى) وبعد أن يتحدث عن حقيقة الدين وعن معناه الجوهري الذي به تتحقق السعادة ويتبارك العمر، يختم مقالته هذه بقوله (هذه حقيقة الدين وهذه غاية الحياة فهل يصل إلى الغاية من مشى أربعين سنة مائلا عنها، ضالا طريقها، ألا يا ضيعة هذه السنين الأربعين!).

* وعلى صفحات مجلة العربي العدد ٨٥ سنة ١٩٦٥م كتب الشاعر: نور الدين أبو ريشة، هذه القصيدة تحت عنوان (وقفة في الأربعين) يقول في مطلعها:

في رحلة العمـر القصـير إلآم نمضي مسرعـين
بالأمس أجهدني التأمل في جموع السائريـن
وتلمست قدمي الطريق تلمس المترفقين
فرجعت أدراجي إلى ماضي بأعماقي دفين

ثم يقول بعد عدة مقاطع:

اليوم تلهو بي الحياة كما تشاء واستكين
وأدان فيها اشتهيه وكنت في أمسي أدين
والشيب في فوديَّ يعبث بالسواد ويستهين
يا طول ما استعبدته وكرهته في الآخرين

ثم يقول:

تلك البقية من شباب العمر توشك أن تبين
هي سؤرة الكأس التي تكوي شفاه الظامئين
أنا لا أصدق أنني كهل بلغت الأربعين
ضيعت أحلام الشباب وكن في حرز مكين
وطويت أجنحتي على وعد كعصر الياسمين

وما دمنا دخلنا حلبة الشعراء، فماذا قال الشاعر عبدالرحمن محمد رفيع حين حل في هذه المحطة، ها هو يعبر عن خواطره الجياشة، في قصيدة كتبها تحت عنوان «يا سيدي» ونشرت له في عدد جمادي الثانية عام ١٤٠٠هـ من (المجلة العربية)، جاء فيها:

الأربعون انتهت والشيب فيك بدا — فحاذر الشيب لا تلهو به أبدا
سلكت درب المعاصي وهي مهلكة — والعمر فيها لقد ضيعته بددا

أما رأيت رفاق الأمس كيف مضوا ... لم يبق من ذكرهم إلا رنين صدى
ظنوا الظنون فعبوا من كؤوسهم ... وما دروا أن كأس العمر قد نفدا
طواهم الموت من بعد اجتماعهم ... فالكل في قبره عن غيره انفردا
وا ضيعة العمر إن قضيت زهرته ... مع الغوايات في طرق الشتات سدى
عد للرشاد ونل من صوت حكمته ... لا يهلكن أبدا عبد إذا رشدا
شتان بين فتى أمسى لشهوته ... وبين آخر في درب الهدى صعدا
هذا ضعيف وهذا قال قولته ... غري سواي وثم أزور بل صمدا

والشاعر رفيع، يذكرنا في أنته هذه، مقالة الأديب المنفلوطي ـ رحمه الله ـ التي جئنا على شيء منها في مقدمة هذا الموضوع والتي ذكر فيها كيف تقاصرت صحته، وكيف نعى الناعون إليه أصحابه وأترابه، كما نحسب أن مشاعر الشيخ/ الطنطاوي تنسجم وتتلاقى مع الشاعر رفيع في بيته الذي افتتحه بقوله: (وا ضيعة العمر. . . .).

* هذان شاعران، فماذا عن الشاعر الثالث؟ نعم، إنه الدكتور/ غازي بن عبدالرحمن القصيبي، والذي أتحف قراء المجلة العربية، في عدد محرم ١٤١٠هـ بقصيدة جديدة، عنوانها (قطرة من مطر) اختتم مقاطعها بهذا الفصل:

«الأربعون أقلعت كزورق منكسر
وهذه الخمسون تدنو كالخريف الحذر
قولي لها: «تمهلي! ببابه وانتظري!»
قولي لها: «لديه ـ بعد ـ كتب لم تنشر
قصائد ما نظمت عن جزر لم تعبر
وقصص ما كتبت عن الحيارى البشر
وموعد لما يحن مع الرياح الأخر»

* هذه هي الأربعون وهذه محطتها الشهيرة، وحق للإنسان أن ينضج وأن يستوي وقد مرت عليه عقود أربعة تقلبت عليه الحياة فعرف صورها، وخالط فيها جنسه البشري ففقه سره، وقرأ فيها التاريخ فأدرك معناه، ومضت صبوة الصبا، وطيش الشباب، فكنه العقل واستقرت السفينة، هذه هي الأربعون فعلى الكيس العاقل أن يقف على قمتها فيستعرض الذي له والذي عليه، ويقلب نظره ليعرف على أي طريق

هو سائر؟ ثم لينظر وراءه فليعرف كم هي المسافة التي قطعها؟ ولينظر أمامه، وليستعن بالله على الآتي، ويسأله الصفح عن الماضى فيا ابن الأربعين إسأل نفسك، ماذا بعد الأربعين؟ ها قد انهيت النص، فما عساك أن تصنع بالهوامش؟!

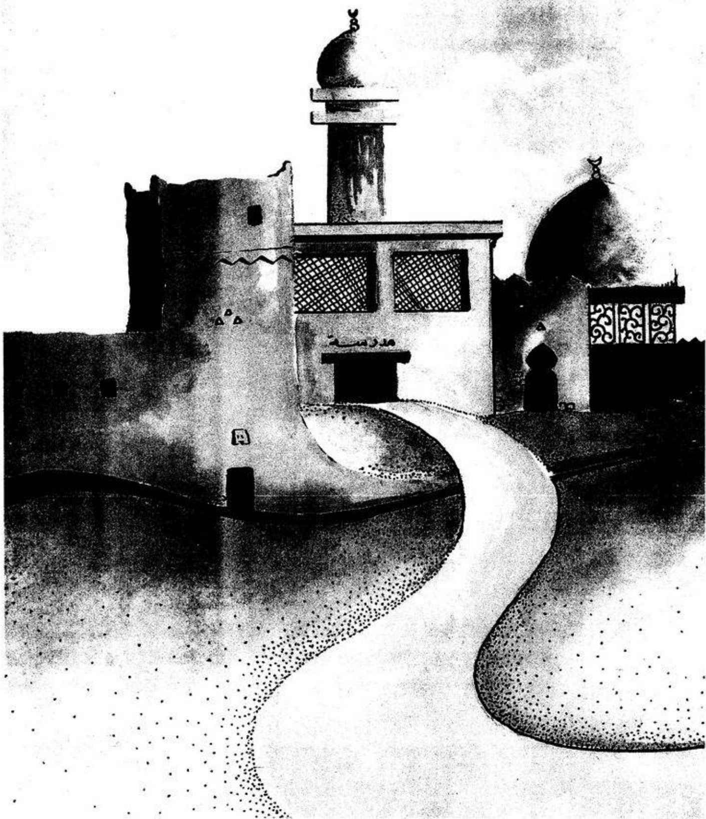
« ساعــــة لمعنــــاك »

■ كيف أنت إذا هربت من منبه الساعة، وتقويم الحائط، وبرامج الراد، ومناظر المرناة، ورنين المسرة، وحمراء الإشارة، ومن أم مثواك، وزغب الحواصل؟! وخرجت من هذه الشرنقة، فيممت صوب الصحراء، حيث حرية المكان والزمان، فانطلق بصرك حتى خطوط الأفق، وامتدت بصيرتك تطوي المسافات وتختصر الزمن، فصفا لك الجو، وتخلصت روحك من مشاغل الحياة ومخترعاتها، ومن أضوائها ومعوقاتها، هنا يمكنك أن تعرف معناك، وتتأمل حقيقتك، وتتدبر ماضيك وحاضرك، وتستقريء آتيك ومستقبلك؛ فتدرك أنك قبل ذلك أسير مبناك، يشغلك طعامك وشرابك نومك ومعاشك، تلهث خلف مقتنيات قننت وقتك وبرمجت لحظاتك، وأشغلت روحك، واستلبت قيمتك، فاهتممت بالعرض لا بالجوهر، وبالقشور لا اللب، فنسيت حقيقتك التي عرفها الأعرابي حين جال في هذه الصحراء الفسيحة، فرأى من آيات ربه الكبرى، في سمائه ذات الأبراج، ونجومه الزواهر، وفلكه الدوار، متأملا قول الحق: ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت**﴾[1] فكيف أنت إذا أجزت نفسك من معتادها الذي تكرره، ومعاشها الذي تتردد فيه؟! كيف أنت إذا عشت في هذه الساعة الخارجية التي تسير عقاربها خارج زمنك المعهود، وفي زمنك المنشود؟!

---

(١) سورة الغاشية: آية: ٢٠.

إجتماعيات



« يا معشر الكتاب صوموا تصحـــوا ! »

■ الكاتب الذي يرعف قلمه في كل موضوع، ويهرف فكره بما لا يعرف، لا أظنه يحترم نفسه وقارئه، والكاتب الذي تسود حروف اسمه كل عدد، ويزاحم منكبه كل تجمع، ويلعلع صوته في كل ضجيج، هو ـ في الغالب ـ كاتب لم تنضج بعد أهدافه ولا دوافعه، وإنما يتغيا رؤية اسمه ورسمه، والمحصل ـ بفتح الصاد ـ بعد ذلك فضـل، ومن الكتـاب من يحترم قلمـه ويكرم قارئه عن الإسفاف ويريحه من رهق الزيارات المتكررة، ومضغ القضايا المعلوكة، فلا يسيل مداده إلا لينير، ولا ينتج فكره إلا ليبدع.

يا معشر الكتاب صوموا تصحوا، ثم إذا صمتم فلا تفطروا على سخيف الآراء وفجيج القضـــايا، قراؤكم لا تهمهم أســماؤكم، يهمهم رأيكم ورؤاكم، فكـركم وابـداعكم، أن تقـولوا ما يجدد يومهم، وينعش فكرهم، ويفتق أذهانهم، ويمتع ضحاهم، ساعدوهم على أن تكون أفكاركم عونا لهم على تحسين أمزجتهم، تماما كالشمس والإفطار وتحايا الصباح.

يا معشر الكتاب كفوا عن تفسير الماء، وطحن الطحين، والإشارة إلى القمر لمن أراكم السهى.

وفقني الله وإياكم إلى تحبير ما ينفع، وتسويد ما يفيد، وأصلح نياتي، ونياتكم.

« أنـــواع الكتـــاب »

■ بعض الكتاب أمسى يشبه بعض أودية نجد المعمرة التي انصرفت عنها مجاري السيول بحكم عوامل التعرية، فانطمرت أغوارها، ولم يبق منها سوى حافاتها التي تشهد على حدود الوادي!..

ومن الكتاب ما يوصف بالنهر الشاب المتجدد الذي لا يشيخ..

وفيهم من يشبه النخلة فهو لا يثمر في العام إلا مرة واحدة، لكنها رغم ندرتها فهي ثمرة نافعة تنتظر.

ومنهم من يشبه «وادي الرمة»، لا يجري في العشر سنوات إلا مرتين، أو ثلاثا، لكنه إذا جرى أقبل قويا وسار بعيداً!.

وبعضهم يشبــه مطر الصيف مخطيء ومصيب. . وفيهم من يكتب في كل موضوع، فكأنه مطر الشتاء يصيب كل موقع. . وفيهم نظير مطر الوسم، إذا هطل بشر وأنبت ــ بإذن الله ــ وفيهم كتاب يماثلون سحابة البرد الثقيلة، ما تصيب من شيء إلا أتت عليه!

وبعض الكتاب كالشمس حاجة ووجودا، تسأل عنه إذا حجبته الظروف، وتستدفيء بكلماته إذا ألم بك صقيع الحياة. . وبعضهم مثل شمس تموز تهرب منها إذا لسعتك!

وفيهم من يشبه القمر المبدر الذي أشرق على الصحراء المخضرة، ثم توسط سماء ليلة من ليالي الربيع الصافية، تحس أنه يعدل مزاجك، ويغمر روحك بالصفاء والهدوء.

وهنـاك شبيه شمس « اغسـطس » وضـوحا، وبالمقابل فيهم من هو أخفى وأغمض من « السهى »!

ومنهم من تحتاجه دائما كالطعام، وفيهم من تستطيع أن تستغني عنه كالحلوى، وبعضهم يرويك بمعانيه وكلماته كالماء النمير، والبعض الآخر كالسراب لا ماء ولا معنى!!

« اقرأ الوجوه واقرأ الكتب »

■ يرى بعض الناس أن الإنكباب على القراءة والإقتصار عليها كافيان لتغذية الفكر وتوليد الرؤى والأحيلة لدى الكاتب، وانك ما دمت تقرأ فأنت قادر على أن تعطي، وهذا صحيح كوسيلة، أما نتيجته فإن عطاءك في هذه الحال لن يكون إلا مزيجا مستوحا مما اختزنه عقلك الباطني، فهو ترجمة لفكر غيرك، وشعور سواك. إن قراءة الكتب وحدها لا تكفي لكي تقدم لقرائك الزاد الذي يشتهونه وينفعهم، إن فيهم من يقرأ أكثر مما تقرأ، ويمتح من نفس المعين الذي منه تمتح! لكن ليس فيهم من يشبهك في ظروفك وبيئتك وبصرك وبصيرتك، فلا تجعل همك أن تقرأ الكتب فقط. إنك حي في يوم هو أحدث أيام الحياة، شمسه جديدة، ورياحه متغيرة، يوم لم يكتب عنه، فتجدد أنت مثله، إقرأ ناسه واحداثه وظروفه، عاشر الناس واختلط بهم، اعرف همومهم ومتاعبهم، تجنب الجدد المطروقة، والسكك المعروفة، ازرع في نفسك روح المكتشف الذي يصنع الإبداع ويفتح الطاقات. إن الكاتب الذي لا

تنظر عيونه إلا في الكتب كالنحلة التي تأكل السكر أو الدبس، فتنتج عسلا له كيميائية ما أكلت، أما نحن فبحاجة إلى الكاتب الذي يشبه نحلة البستان التي تمتص رحيق كل زهرة، فتأتي لنا بعسل هو شذى الأزهار عبقا ونفعا !!

« الكاتب والناقد »

■ مهما راجع المنشيء إنشاءه، فلابد أن يسهو عن تصحيح بعض الأخطاء، ليس لأنك لا تعرف أنها أخطاء، لكن لأنك تقرأها بذات النفسية التي كتبتها فيها، ولو أنك راجعتها بعد يوم لصححت بعضها ! أما إذا قرأها غيرك فقد وقف منها عبر عتبة خارجية، فهو ينظر إليها كما تنظر أنت إلى غيرك فتعدد عيوبه وتعرف مزاياه، فالناقد يكتشف في نصك مالا يخطر على بالك، لأن عزفه غير عزفك، وبصيرته غير بصيرتك، وأنت أمام إنشائك كما أنت قبالة ابنك، لا ترى فيه عيوبا بل مزايا، لكن الناس ينظرون عيوبه شذوذا ويرون مزاياه طبيعة لا تلفت نظرهم. هذه فكرة جالت في ذهني، وأنا أتقلب على فراشي انتظر النوم فلا يواتيني، لأن الكاتب أمام الفكرة، كالصياد أمام الطير، لا يقر له قرار حتى يضعه في مخلاته، وهذا ما حدث، لقد اصطدت الفكرة وطار النوم !

« أيها الكتاب كونوا القراء ! »

■ إذا كان الكاتب مرسلا والقاريء مستقبلا، فإن طبيعة هذين الموقفين الإتساق، لكي تنطبق عليهما صفتا الإرسال والإستقبال. ومحطة الإرسال التي لم تأخذ في حسبانها أبعاد وأنظمة الإستقبال، لا يمكن أن تُسمع ! والكاتب الذي لا يضع في تصوره موقف القاريء، هو مثل الذي ينادي من مسافة بعيدة لا يجاب مهما صوت، ولا يلتفت إليه مهما أشار ! القاريء لا يستسيغ دائما المشاعر الوجدانية التي يحلق فيها الكاتب وحده، ويكره «الأنا»، ويفر من التطويل والاستطراد، لا يحبذ الخطابية والوعظ المباشر والقول المعاد والأفكار المغسولة. فيأيها الكاتب إن قمرك الذي تستنير به لتكتب هو القاريء، وهو ينظر إليك كما ينظر مرتادو القمر إلى كوكب الأرض، «فكما تراني يا جميل أراك» !

« صياغة الخبر المحلي »

■ نعتب على بعض اخواننا مندوبي الأخبار المحلية تحريرهم كثيرا من الأخبار بأسلوب قريب إلى العادية بعيد عن الصياغة المتجددة المشوقة، نحن لا ننكر أن

بعض الأخبار لها صفة لا تقبل صياغتها الإجتهاد في الأسلوب، لكن معظم الأخبار المحلية يستطيع المحرر أن يتناولها من عدة زوايا ويطرحها مقارنا ومقابلا ومستنتجا على أن لا يدعو ذلك إلى الإسهاب والتطويل الممل. . .

إن تبديل الألفاظ التي كثر استهلاكها، وتغيير الأنماط التي عتق استعمالها، وتنويع صور الخبر، كلها أمور يجدر بناقل الخبر أن يراعيها ويتفهم أهميتها لإعطاء الخبر قيمته التشويقية ولست هنا أدعو إلى إستخدام أساليب الإثارة الصحفية في صياغة الخبر فذلك أسلوب غير عملي أصبح القاريء يمجه ويسخر منه، ولكن دعوتي تنحصر في استخدام الأساليب الأدبية والأدوات العلمية التي تعطي الخبر صفة الإمتاع والقبول.

« عشــق الحـــرف »

■ هذه الأحرف الثمانية والعشرون، هل رأيت ثمة شيئا أجمل وأنفع منها؟! هذا العقد الجميل من حبات اللؤلؤ تستطيع أن تشكل منه آلاف الكلمات الجميلة والجمل النافعة والتعابير الممتعة المفيدة. وعشق الحرف لدى بعض الناس عشق مزمن يسري في الدم وينمو مع الأيام، وهو حب يتجذر في نفس المحب، فيصبح هواه الذي يحن إليه وهواءه الذي يستنشقه ومتعته التي يتعزى بها.

والكاتب الذي يدمن الحرف يجد أن متعته ومعنى حياته وسعادة نفسه حين يمسك بالقلم ويمر به على الورق مترجما كل ما يعتمل في نفسه من فكر ورأي، وعندما يتخلص من هذه المشاعر التي رحلها من رأسه إلى الورق يلقي بالقلم جانبا كرسام ألقى ريشته بعد أن أنهى إبداعه للوحة جميلة، كلا الإثنين احسا بالإنتشاء والراحة، واحسا بطعم الحياة وتذوقا متعتها.

والكاتب تكبر فرحته حين يجد عصارة فكره وقد نشرت بين الناس، وتتسع الفرحة أكثر حين يجد لفكرته أثرا بينهم وصدى فاعلا ومفيدا.

حقا إن اللذة الحسية في ذلك أدق من أن يصفها القلم أو يحيط بها الخيال، ولو تذوقها وأحس بها أولئك الذين ينفقون جهدهم ووقتهم في جمع المال وطلب متع الحياة الأخرى لاحسوا مدى الفارق الكبير بين الحياتين.

« طـــابع البشـــر »

■ كلما توفـر لك فهم النفس البشرية، ففقهت غرائـزهـا ودوافعهـا بالقـراءة والإختلاط، أمكنك التعامل مع الناس براحة ويسر، إن فهم طبائع الغضب، وحب الثناء والتملك، والكرامة، وغيرها من الغرائز المطبوعة في الإنسان، تجعلك أقرب ما تكون إلى فهم من تتعامل معه، ورغم اتفاق الناس في الغرائز، إلا أنها تختلف فيهم وتتشـابه كما تتشابه وجوههم وأصواتهم، وهذا يستدعي تعميق الفهم في التعامل، فالناس ليسوا آلات من صنف موحد يفسرها «كتالوج» واحد، إنهم خلق الله، أودع فيهم أسراراً وعجائب، ولا يحيط بفهمهم إلا هو سبحانه.

إن معظم الخلافات التي تقع بين الناس أكثرها يرجع إلى نقص المعلومات عن النفس البشرية، إن الزوج الذي ينسى كلمة الثناء المناسبة في الوقت المناسب، والمدير الذي يحاسب موظفه المخطيء على مشهد من زملائه، والأب الذي يمنع ولده عن اللعب ومخالطة الأقران، كلهم أناس بحاجة إلى أن يقرأوا الكثير عن تركيب النفس البشرية.

« منابـــع الكاتـــب »

■ ما أشبه الكاتب بالنهر، كلما استمرت منابعه بالتدفق، ومصادره بالتغذية، كلما استمر جريانه وعطاؤه، وكذلك الكاتب، عليه أن يغذي معينه دائما بجديد الحياة، فالقراءة الواعية المستمرة والسفر المصحوب بالمشاهدات المتأملة، والإختلاط العميق بالنـاس، والوقوف على عقد المشاكل وطبائع البشر، والإستخدام الأمثل لحواسك الخمس، كل هذه وسـائـل ضرورية لكي يسيل قلمك بالفكرة الجديدة، والطرح الصحيح، وحتى تصبح مقروءا لا مملولا، ومتجددا لا متكررا، فالفرق بين ماء النهر الجديد دائما، وماء البركة واضح لكل مميز، وذلك محمل صعب وطريق وعر، لكن المقصد الحسن، والميول الداخلية، تجعل رحلتك ممتعة ونافعة.

« لغة القرآن، ثقاف الكتاب »

■ اللغة هي آلة الكاتب ووسيلته لصياغة أفكاره، فمتى كانت سليمة صحيحة سهل على معلوماته الوصول، وإذا ضعفت عنده وفشا فيها اللحن، فقد قصرت أداته وعجز عن متح معينه . . .

ولا شك أن كتاب الله العزيز حفظ لنا لغتنا، فهو مرجعنا الثقة فيها، وهو أمر نعرفه نحن المسلمين، ويشهد عليه غير المسلمين فقد ذكر الشيخ مبشر الطرازي، في كتابه « إلى الدين الفطري الأبدي » نقلا عن كتاب « العرب في الجاهلية والإسلام » للبستاني، قوله: «للقرآن فضل عظيم على اللغة العربية، فهو الذي هذب عبارتها ووحد لهجاتها، ونشرها شرقا وغربا، ومن فضل القرآن على اللغة أن علم النحو وضع خدمة للقرآن واشفاقا من اللحن في قراءته، وأن علم المعاني وضع توصلا لمعرفة أسرار القرآن، وأن أشعار العرب في الجاهلية وصدر الإسلام جمعت ليستعان بها على تفسير آياته، ولولا القرآن لتلاشت اللغة العربية بغارات التتر والأتراك بعد أن أزيل سلطان بني العباس. فاللغة العربية في جميع أدوارها كما ترى مدينة بآدابها وحياتها للقرآن».

وقال إبراهيم اليازجي، وهو مسيحي الديانة: « ما أتقنت الكتابة إلا بدرس القرآن العظيم، ونهج البلاغة القويم، فهو كنز العربية الذي لا ينفذ وذخيرتها للمتأدب وهيهات أن يظفر أديب بحاجته من هذه اللغة، إن لم يحيي لياليه سهر في مطالعة القرآن والتبحر في عالي أساليبه ».

وروى لي أحد الإخوان، أن بعضا من المذيعين العرب غير المسلمين، يحرصون على حفظ أجزاء من القرآن الكريم لكي تقوى لغتهم، وتنمو ثروتهم اللفظية، وتلين ألسنتهم، وتصح مخارج الحروف عندهم، بل إن بعض الكتاب قرأ القرآن وحفظه، واقتصر عليه، ومع ذلك كفاه، إذ سهل عليه الإنشاء، وانقادت له اللغة، وقويت لديه ملكة الكتابة، ولم يك بحاجة إلى أن يقرأ سواه. فعلينا أن لا ننسى حظنا منه فهو زاد في الدنيا ونجاة لنا في الآخرة: ﴿ **إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين** ﴾[1].

وأن نحرص على قراءته وحفظه وتدبره والعمل به، وسنرى من خيره وبركته ما ينفعنا ويرفعنا في الدارين، إذْ هو مائدة العلماء، فأنت ترى عالم اللغة يحتج به، وعلماء الفلك والتأريخ والجغرافيا والإنسان وغيرهم يستدلون بما جاء فيه من آيات بينات ليوثقوا وجهات نظرهم، ويؤكدوا صحة نظرياتهم وتوجهاتهم، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين » وقال: « من قال به صدق». فاللهم اجعلنا ممن يرتفع ويقول به، وله الحمد في الأولى والآخرة.

---

(١) ١٦ / ٢١.

« أيها الكاتب هذا دورك »

■ إن دور الكاتب في رقي مجتمعه، دور يشهد له التأريخ منذ عرف الإنسان كيف يمسك بالقلم فيعلم ويتعلم، والكاتب إذا أتقن صنعة الكتابة وتحلى بالصدق والإخلاص ثم استعان بالله، واخلص النية، وتجرد من شهوات النفس، يستطيع بعد ذلك أن يستبطن خفايا مجتمعه، فيعيش همه، ويدقق ملاحظاته، ويغوص خلف عقد المشاكل وأدواء الناس، إن أضر شيء على الإبداع هو أخذ الأمور على أنها مسلمات لا تتغير وقواعد لا تتبدل، بينما مجال المسائل الدنيوية أرحب من أن نقيده فلا يتغير، ونقعده ثم لا يتبدل، فعلى الكاتب أن لا يقبل التقليد والعادية، بل عليه أن يطرح البدائل الأفضل والأخصر والأقل كلفة، وسيظهر له بعد الجهد والتجريب عشرات الأفكار والإقتراحات التي تحسن الحياة، وترفع درجة مجتمعه. ولا سبيل إلى هذا إلا الملاحظة المتأنية التي تتعمق في شؤون الناس ومناحي الحياة. فيأيها الكاتب قلب طرفك في كل فن، وادرس كل جزئية، أشعل بنور فراستك طريقك الطويل هذا فستجد في كل نظرة فكرة، وفي كل فكرة عبرة.

« يشرب ماء ويعطي فكرا »

■ أتخيل القلم وهو يرد على الدواة، أنه لا يشرب ماء ملونا وإنما يشرب كلمات وأفكارا، وأن هذا الحبر الذي امتلأ به جوفه سيلون مئات الكلمات وسيدون عشرات الأفكار، وسيعطي الكلمة المنطوقة عمرا أطول وجرما أوضح، إنك تلون بهذا الماء الأزرق كثيرا من المشاعر وكثيرا من الحقائق، إنك تخطط وتبني وتبرم وتنقض وتلبس الأفكار المعنوية لباسها المادي، فيبصرها قارؤها وقد وضحت رسومها ونطقت حروفها، وأزهرت غصونها فطاب قطف ثمارها وجني رغابها. فلله أنت أيها القلم ما أعجب الغدير الذي تستسقي منه، وما أعذب ينبوعك الذي تذرفه، إنك ترجمان القلب، وإن ماءك شفاء النفس وبلسم الحياة.

« تذوق الكلمات »

■ إن للألفاظ طعوما ومذاقات لا تقل عن طعوم الطعام والثمار. استطعم الليمون والاترج والبرتقال واليوسفي، أترى هذه الثمار الحمضية وهي من فصيلة واحدة سواء في المذاق والنكهة والرائحة؟! إنها ليست كذلك، وإن بدت أنها من

فصيلة واحدة، دقق فيها ستجد أنها مختلفة النكهات متعددة الروائح، وبالتالي فهي مختلفات في القيمة والإعتبار. فقلب اللفظة في فمك، واستطعم بشعيرات التذوق حلوها ومرها، وسيخدمك هذا التذوق في انتقائها ونظمها، وفي تأليفها وتجانسها، وهنا لن تنبو في عبارتك لفظة، ولا تشذ في جملتك كلمة، وستستطيع أن تقول عن الكلمات: هذه حلوة وهذه مرة، وهذه حامضة وتلك مالحة، وستستسيغ لفظة وتمج أخرى، جرب أن تفعل ذلك وأن تتقيد به.

« الفرق بين الحديقة والبستان »

■ من الكلام ما يمتعك أسلوبه ولفظه، ويبهرك بلغته وتركيبه، لكنك معه تسبح في بحيرة من الزئبق لا تكاد تمسك معنى تستفيد منه أو فكرا تتقوى به، فتخرج من حديقته الجميلة وحظك منها الشم والإبصار فقط، وكنت حين الدخول تظنها بستانا ترجو أن تأكل وتتزود من ثماره. إن الألفاظ غير المسكونة بالمعنى زبد لا يلبث أن يذهب جفاء حين تشرق الشمس وتتعاوره الرياح! إن الألفاظ بيوت المعاني، ومن الأولى أن تكون بيوتا جميلة، ومن حقها علينا أن نسكنها المعاني الشريفة التي تؤسس وتبني: « إن السر في السكان لا في المكان »، والشاعر الذي لا يحضرني اسمه، أدرك هذه الحالة فوصفها بقوله:

كلامك يا هذا كبندق فارغ   خلي من المعنى ولكن له طشق!

« ارحلي حيث شئت »

■ تخرج الكلمة من فم صاحبها، فتنتقل عبر قنوات التوصيل مسموعة أو مقروءة. فتخيلها وهي محمولة في الهواء تسمعها كل أذن مستقبلة، أو هي تسود بحروفها ورق الجريدة أو المطبوعة فتتلقفها الطائرات والسيارات، فتسكن على كل رصيف وتأوي إلى كل بيت، وتحملها كل يد. ثم انظر إليها وهي في رحلتها الثانية حين تلتقطها العين أو الأذن فيبرمجها العقل وتسكن الذاكرة، ثم هي بعد ذلك صانعة سلوك ومقيمة حضارة، ومخططة مشروع. أي تأثير لهذه الكلمة العجيبة حين يرسمها القلم أو ينقلها الأثير، فسبحان من علم بالقلم، وجعل الكلمة أداة بناء إذا استخدمت للبناء، ومعول هدم إذا سخرت للشر. فيا أيتها الكلمة الطيبة ارحلي حيث شئت فعوائد نفعك في عقولنا وعلى أيدينا من بعد.

« الكلمة في كتاب الله »

■ ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. . . . . ﴾ الآيات من ٢٤ وحتى ٢٧ : إبراهيم.

﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. . . . ﴾ الآية ١٠ : فاطر.

« المدير والتوجيه »

■ يقع كثير من المديرين في خطأ حينما يوجهون أو يعاتبون مرءوسيهم على مسمع من بعضهم، فتتحول المسألة بالنسبة للموظف إلى دفاع عن كرامته، ولو تم النقاش بين المدير والموظف على انفراد، لأفادت النصيحة، ولأثمر التوجيه، تلك مسألة هامة، الغفلة عنها غير محمودة العواقب بالنسبة للعلاقات الوظيفية.

« العمل الإداري إبـــداع »

■ يبقى العمل الإداري أولا وقبل كل شيء موهبة يجدها بعض الناس في نفوسهم، فيتمثلون بها دورهم الذي يمارسونه في الحياة، وفي نظري أن العمل الإداري هو عملية إبداع وتحديث وبحث عن الأفضل والأمثل أكثر من كونه ترسم لخطى سابقة وآثار عافية.

والإداري الذي يمارس عمله بآلية وعلى طرق عتيقة لا تتغير، هو إداري عاجز لن تواكب وسائله تطور الغايات والأهداف التي تسعى إليها إدارته.

وفي ذات الوقت ستبقى متغيرات الظروف من حوله غير ذات تأثير في وسائله وأساليبه، وهذا يعني في المحصلة الأخيرة قصورا في الإنتاج ونقصا في الغايات. !

والإدارة مثلما هي موهبة وتحديث، هي أيضا مرونة لا ينعصر معها لين ولا ينكسر معها يابس.

فسياسة الناس من أصعب الأمور وأكثرها مشقة والذي قال «إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل». لم يبعد كثيرا عن الحقيقة!

ولكن تبقى الحكمة ويبقى الود والعدل والحلم أسس ذات أهمية كبرى في نجاح

المدير ومن ثم إيجاد إدارة يعمل عناصرها من أجل الغاية بروح مطمئنة خلاقة ومنتجة، وباحساس واستعداد جيد للعطاء والمثابرة.

والمدير الناجح هو ذلك الرجل الذي يسعى دوما إلى تلمس مواطن الضعف في إدارته فيقويها ويرتق خلل الدورة الإدارية بمزيد من الحنكة والتبصر والتخطيط.

وهـو ذلك الرجل الذي يجعل مرؤوسيه يحسون أن جهود المثابر فيهم مجزية ومنظورة ومثمنة، وأن تجاوزات المهمل مكشوفة ومحسوبة.

« توقع قبل أن توقــع »

■ سمعت مرة أحـد «المراسلين» يلاحظ على مديره قائلا: «إنك لو قدمت له عرضا فيه طلاق امرأته لوقع لك عليه»!

ورغم أن هذا المراسل لم ينل نصيبا يذكر من التعليم إلا أنه أدرك بفطرته مغبة استعجال التوقيع دون قراءة أو روية، وقد يصف بعضنا هذا المراسل بالمبالغة مثلما أن البعض قد يصف ذلك المدير بالغباء، وفي نظري أن الفريقين لم يعطيا أحكاما سليمة إذْ أن كل من عايش هذه المشكلة ولو من بعيد سيجد أن «المراسل» معه كثير من الحق إذْ أن أعيان ذلك المدير ليسوا بالضرورة أغبياء فهناك عدد من المسببات أدناها ضيق الوقت وحجم العمل وفرط الثقة مما يسبب مثل هذه المشكلة رغم أن مبررات كهذه قد لا تشفع له استعجاله في التوقيع قبل القراءة.

ومسألة التوقيع دون قراءة ما أمامك أو حتى قبل فهمه أمر في غاية الخطورة ومحذوراته في الغالب غير محمودة، ولست أقول هذا لأني فقدت ثقتي في الناس لكنني انبه إليه في زمن أصبح الناس يُحكِّمون فيه الوثائق قبل الثقة!

وهذا أمر يقع فيه الموظف الصغير والمدير الكبير، إذْ يعتمد بعض المديرين على تأشيرة المسئول الصغير الذي قد تكون كفاءته أقل. فتجده ما أن يطالع التأشيرة حتى يضع توقيعه على معلومات قد تضر بسمعة دائرته لا سمح الله.

وهذه المشكلة يقع فيها بعض الأشخاص الذين لا يجيدون القراءة إذْ يبصمون على عقود أو أوراق دون أن يمكنوا أحدا من قراءتها عليهم وفهم مدلولاتها!

كما يتورط فيها أيضا أولئك الناس الذين يوقعون على اتفاقيات أو معاملات مكتوبة بلغة لا يجيدونها ويحصل هذا كثيراً لمن يسافرون للخارج في علاج أو مهمات

مثل استقدام عمال مثلا إذْ يوقع البعض منهم على كل ورقة تقدم له دون أن يستعين بمترجم يشرح له بلغته مضامين تلك البنود، وكثيرا ما وقع أشخاص في مشاكل نتيجة تساهلهم في وضع توقيعاتهم على تفصيلات تخفى عليهم!.

وبعد . . .

فتلك دعوة صادقة ارفعها إلى كل مدير وموظف وإلى كل تاجر ومسافر أقول لهم جميعا: « توقعوا قبل أن توقعوا ».

* مما احفظه لشاعرنا الكبير: محمد حسن فقي قوله:

كـــم هـــوة تطويـــك في أعـــماقـــهـــــا

إن أنت ســـرت بطرفـــك المعصـــــــوب

« الكـــلام للواقـــف »

■ أحد إخواننا من المختصين في الإجتماعات التي تجتمع أحيانا لدراسة قضية أو مناقشة رأي، اقترح على رئيس الإجتماع ألا يسمح لأحد بالحديث حتى يقوم واقفا، لضمان الإختصار في القول، والكف عن التطويل والإسهاب. لأن المتحدث سيتعجل الجلوس اتقاء لإجهاد الوقوف! ولهذه الفكرة شكل آخر عند الهنود الحمر فهم لا يأذنون لأحد في الكلام عند اجتماعاتهم إلا إذا وقف المتحدث منهم على قدم واحدة!

والواقع أن كثيرا من أسباب فشل الإجتماعات مرده إلى بعد «بضم الباء» المتناقشين عن مناقشة جوهر الموضوع والخوض في مسائل جانبية وتكرار قول بعضهم. وأذكر أنني قرأت لأحد المفكرين قوله « إن سبب طول مناقشة بعض المجتمعين للجوانب الهامشية من الموضوع مرده إلى أنهم يعرفون عنها أكثر مما يعرفون عن جوهر الموضوع».

والحقيقة أن بعض الأعضاء أثناء الإجتماعات ينسون حقوق زملائهم في الوقت، فتراهم يسهبون في القول ويطيلون في عرض أفكار قد تعبر عنها بضع كلمات موجزة وواضحة، وتراهم أحيانا يكررون أفكارا سبق التعرض لها أثناء الإجتماع، والمتحدث الذي يطيل في حديثه كثيرا ما ينسي «بضم الياء» آخر حديثه أوله، ففي الإيجاز إنجاز ووضوح وكسب للوقت، وإعطاء الفرصة لبقية المجتمعين أن يدلوا بدلوهم ويطرحوا وجهات نظرهم في الموضوع.

ولا شك أن نجاح الإجتماع يتوقف على مقدرة رئيس الاجتماع في إدارة دفة الحديث وتغيير مجرى الحوار كلما أحس أنه بدأ يتجه إلى التشعيب والإستطراد والإبتعاد عن أصل الموضوع.

« فلسفة " لا أدري " »

■ قال لي: كنت أحد أربعة نعمل في دائرة تقدم الخدمات والمعلومات للمراجعين، وكان لكل واحد منا تخصصه ومسؤوليته، لكن حدود هذه التخصصات لتقاربها لا يكاد يدركها كل المتعاملين معنا وكثيرا ما دخل علي المستفسرون عن غير مسؤوليتي فاجيبهم: « لا أدري » ويرن الهاتف بالسؤال فأقول: « لا أدري ».

وأقول للمراجع إن طلبك هذا ليس في محيط اختصاصي فيجيبني أحيانا بأن العمل واحد، وأحذقهم يعلل مراجعته لي بأن صاحب الإختصاص غير موجود.

ولم يكن هذا الخلط وحده من المراجعين هو الذي يشعرني بالضيق، بل ان وطأة «لا أدري» هي التي تحسسني بالضآلة والسطحية كيف استحسن النظر بعين واحدة ولدي القدرة أن أنظر بعينين، ومن يومها قررت أن أعرف ما يدور داخل أروقة دائرتي وأن استكشف خطوط اختصاصات زملائي وما يطرأ عليها من تحولات وتبدلات، وبذلك استكشفت بصورة انصع معاني اختصاصي، وقويت روابطي مع زملائي تنسيقا وترابطا وتعاونا، وأنهيت إلى الأبد قولة «لا أدري» وأحسست والمراجع يقبل علي أنني أكثر حماسا وثقة وانطلاقا «فالمعرفة قوة» وكانت أحاسيسي طافحة بالفرح وأنا أجيب على كل معلومة تراد مني وينشدها المراجع دون ان استخدم الكلمة الباردة «لا أدري».

وما أن أنهى محدثي إسهابه الشيق، حتى ضحكت له قليلا وأنبته كثيرا كعادة المثبطين أمثالي، وقلت له: لو أنك تعرف ما أعرفه عن قول «لا أدري» لما تجرأت فأحدثت ما أحدثت.

فقال وعلامات التعجب ترتسم بين عينيه، زودني سريعا بما تعرفه..

وهنا أخذت أسرد عليه قول الأولين والآخرين في «لا أدري»!

- «لا أدري» نصف العلم.
- من قال «لا أدري» فقد أفتى.

- من ترك قول «لا أدري» فقد أصيبت مقاتله.
- لو سكت من «لا يدري» لاستراح الناس.
- بكثرة «لا أدري» يقل الخطأ.
- لقد حسنت عندي «لا أدري» حتى هممت أن أقولها فيما أدري.

وحين استمررت أملي عليه محفوظاتي هذه عن قول «لا أدري» جمع نفسه والقى بيده قريبا من فمي وهو يغالب ضحكات مكتومة في صدره ويردد بتقطع: «على رسلك لقد كفيت ووفيت» بربك أرني نصف العلم في «لا أدري»، وأين فتياك في «لا أدري» وكيف تحمي مقاتلك بقول «لا أدري» والذي لا يدري لماذا لا يحاول أن يدري فيستريح الناس فعلا مثلما استراح مراجعي من أسلوبي الجديد في إلغاء «لا أدري».

واستمر يمطرني بوابل مرافعاته قائلا: إنني لا أدعو من لا يدري بأن يفتي أو يرشد ولكنني أدعوه إلى أن يتعلم ويتقصى ويبحث لكي يصبح «يدري» حقا.

« التوثيـــق »

■ في أحد البنوك جلس قربي رجلان بدا أن أحدهما قد طالبه موظف البنك بكشف الحساب ولم يكن معه، قال لصاحبه وهو يحاوره: لم أكن أتصور أهمية الكشف الذي يبعثه البنك لي لهذا لم أحتفظ بنسخه مطلقا.

فأجابه صاحبه:

- «إنك مضيع وإلا فإن حفظ الكشف مسألة هامة لتعرف حركة حسابك وما طرأ عليه..».

إن أمثال هذا الأخ في مجتمعنا كثيرون، وإذا بحثت وجدت أن الناس في مسألة حفظ الوثائق والمستندات على ثلاثة أنواع: نوع لا يعتمد حفظ شيء من أوراقه ومستنداته، ونوع يحفظها بأسلوب فوضوي، لا يكاد يهتدي إلى ما يطلبه منها، ونوع تجده يخصص في منزله موقعا يرتب فيه ملفا لكل نوع من وثائقه ثم يفهرس هذه المؤلفات ويرقمها ويبوبها، ويضع كل شيء في محله الصحيح، ويهتم بعقوده التي يعقدها وبسندات القبض التي يستلمها، وجميع أوراقه ورسائله ما دق منها وما جل فيحفظها في ملفاتها في مكان مكين لا تطاله أيدي الأطفال ولا تصله عوارض الإتلاف. ثم هو يرجع إليها عند الحاجة بأقل ما يمكن من وقت وجهد، فيحفظ بذلك حقه من الضياع، ويكفي نفسه كثيرا من المشاكل والخصومات.

إن هذا النـوع هو ما نأمـل أن يكثـر سواده في مجتمعنا سعيا لمصلحة الفرد ومصلحة الجماعة بعد ذلك.

« النـــاس والحقـــوق »

« قاض إذا الـتـبس الأمـران عنَّ له
أمـر يخلـص بين الماء والـلبـن »

لو أن هذا القاضي الذي وصف بهذا البيت دخل إحدى مكاتب الحقوق التي يتحاق فيها الناس، لأعيته الحيلة في أن يصل بين متنازعين أو أن يقرب بين وجهتي نظر متعارضين.

وإن القاضي الذكي، والموظف المخلص، والمصلح المحتسب، ليحار كيف يجد الحق بين أفواه المتخاصمين، كل واحد يدعي أنه هو المظلوم وأن غيره الظالم، وأنه لا يقبل إلا بما يراه ويخدم غرضه. وأنه سيبتعد عن خصمه مترا كلما اقترب منه فترا. .

ما سر التباس الحقوق هذه الأيام، هل ضعف الوازع الديني في قلوب الناس؟ أم نام الضمير في نفوسهم؟ أم أغرتهم المادة ببريقها فتكالبوا عليها وتنازعوها؟.

إن الإنسان حقيقة ليدعو بالعون لأولئك الذين ساقتهم الأقدار ليكونوا وسائط للفصل بين مصالح الناس المتشابكة، وإنهم لبحاجة ماسة إلى مقادير كبيرة من الذكاء والفـطنـة والفـراسة علاوة على ما تزودوا به من علوم ومعارف ليميزوا بين الصدق والكذب، وبين الحق والباطل، والزائف من الصحيح، ثم يخلصوا الماء من اللبن أو يخلصوا اللبن من الماء!

« عشر سنوات بعد الإحصاء! »

■ أحداث الحياة كفقاعات الماء ما تلبث أن تنطفيء، لقد كتب الله الزوال على كل شيء، فالزمن يمشي ويدعو الناس ليمشوا معه لأنه لمن يقف منتظرا أحدا، ولا يبقى لهذه السنين المنطوية سوى صداها الحاكي، سوى الذكريات ما حلا منها وما مر، وشهر رمضان الكريم شهر متميز بين شهور السنة الإثني عشر، إذْ هو نقيبها، والذكريات فيه تبقى عالقة بالنفس زمنا طويلا يجترها الإنسان فتسري في نفسه كحلم لذيذ.

ومن ذكرياتي في هذا الشهر أذكر أنني في عام ١٣٩٤هـ كنت ضمن مجموعة كبيرة نشكل فريقا هو أحد مئات الفرق التي انتشرت في ربوع بلادنا «للإحصاء السكاني العام» الذي دعت إليه الدولة، أذكر هذه المناسبة ونحن في رمضان ١٤٠٤هـ أي بعد مرور عشر سنوات عليها، لأذكر بها كل مواطن مخلص لبلده ساهم بها، وكانت منطقة مجموعتنا هي منطقة القصيم، وبالتحديد «جبل ابانات»، كان التنظيم الذي خطته «إدارة الإحصاءات العامة» يقوم على عدة فرق عمل، إذْ سبقتنا إلى المنطقة فرقة حصرت القرى والهجر ومضارب البادية وأعطت كل منزل رقما، ثم جاء دور مجموعتنا في شعبان لاستيفاء تفاصيل الإحصاء من أفواه الناس استدلالا بالأرقام المرقومة على المنازل وبيوت الشعر. وكان أول شيء فعلته مجموعتنا هو أن حطت رحالها في «مدرسة ضليع رشيد الإبتدائية» و«ضليع رشيد» هذه هي حاضرة تلك النواحي.

وتولى المراقب المسئول عن مجموعتنا توزيع أفراد الفريق على القرى، والهجر وإذا لم تخني الذاكرة فقد تم هذا التوزيع «بالقرعة»، وكان من حسن حظي أن تحددت مهمتي في إحصاء «الحاضرة» نفسها قرية «ضليع رشيد» وهذا مما خفف علي عناء المسافات البعيدة، إذْ تشكل القرية عددا قليلا من المباني المسلحة ومباني الطين وعشرات من بيوت الشعر المطيفة بالقرية وبدأت تسويد صحائفي بالأرقام وسط كثير من المواقف الطريفة والممتعة، إذْ كان بعض أهل القرية وخاصة أهل الأطراف منهم يجهلون ماهية الإحصاء والقصد منه، فهذا صاحب أسرة يزيد في عدد أسرته ظنا منه أن في الزيادة نفعا متوقعا وعاجلا قد يدار، وآخر يدعي لي بأنه رأس هؤلاء القوم المحيطين به وكبيرهم، وآخر يضللني في مقدار عمره، إلا أنني كنت متيقظا لدوافع كل شخص متحريا أن أدون في سجلاتي ما اقتنع بصحته فقط.

وحين كان الواحد منا يعتذر عن قبول «الوليمة» يصر صاحب البيت إلا أن يلقي في حوض «الداتسون» خروفا، لقد كان الناس هنا كرماء حفيين بضيوفهم، وانصرم شعبان ونحن لم ننه مهمتنا إذْ أهل علينا شهر رمضان وأمضينا منه حوالي ثلاثة أيام وكانت أياما صعبة إلا أنها حفلت بمواقف ممتعة أثبت فيها أفراد مجموعتنا معنى أن يتفانى المواطن في سبيل خدمة وطنه وكيف يتلذذ العناء من أجل نهضته ورقيه.

لقد كانت هذه الثلاثة أيام التي عشتها في رمضان ضمن تلك المناسبة هي وحدها الأيام التي تذكرني بتلك الرحلة الماتعة والنافعة وبأولئك الزملاء المخلصين

الذين تفرقت بهم السبل بعد آخر يوم من مهمتهم، فما ظنك بهم اليوم وبين بعضهم عقد من الزمان!

« الأم والشمـــس »

■ ما أشبه الأم بالشمس، فالشمس مجهول قدرها، حتى إذا حجبها السحاب أياما، اشتاق إليها الإنسان والحيوان والنبات، وتبين لهم بفقد منافعها قيمتها الكبيرة، فهي التي تبعث مع الإشراق أشعتها الحانية فتوقظ الطيور في أوكارها، والحيوانات من جحورها، والناس إلى أعمالهم، تُهدي ـ بإذن الله ـ نورها الوهاج فيطهر الأرض، ويرسل الماء وينبه الكائنات، فيسري الدفء والنماء في كل حي، وحين تؤذن للمغيب يأوي كل شيء ساكنا هادئا إلى مستودعه. وهل الأم الرؤوم إلا ذلك، تكون في البيت، فيعمر كونه بشمس مشرقة ساطعة، تملأ جوانح أفراده بالبهجة والطمأنينة والهدوء، فيغنى قلب الزوج بالسكن والإستقرار، ويمرح الأطفال كقطيع وعل أدفأته شمس الصحراء ذات ضحى شاتية، وبهذا يثرى الجانب الروحي للبيت، ويتعادل بتلك الثراء ميزان الحياة.

هجس بكل ذلك حين رافقت أم أولاده طفله الصغير الذي نوم بالمستشفى لعدة أيام، فتحول البيت إلى كوكب بارد لا ينيره سوى القمر، وتصبر الأطفال أياما، لكنهم ما لبثوا أن ضجوا من هذا الضوء الهادىء الشاحب الذي لا يرسل حرارة، ولا يبعث دفأ ولا يسكب حنانا، سئموا من هذا النور الذي لا يحرك في أوصالهم سر الحياة واخضرار النماء. فالرجل بقوامته لا يغني عن أمومة المرأة، والقمر بضوئه ووظيفته لا يسد مسد الشمس بدأبها ومنافعها. فيا ربي ما أحكمك سخرت الشمس والقمر يتعاوران يومنا على هذا الكوكب فيكملان عليه دورة الحياة، وألهمت الذكر والأنثى غرائز الأبوة والأمومة ليعمران كونهما الصغير، فيشب الصغار فيه تكلؤهم رحمة ربهم وعنايته.

« الأمومة في قصة من الواقـــع ! »

■ أكثر عليها أولادها بشغبهم ومتطلباتهم، فهذا يريد طعاما، وذاك يريد شرابا؟ الرضيع يطلب حليبا وتنظيفا مستمرا، والفطيم يلاحقها متشبثا بطرف ثوبها، إذا جلست اتخذها سريرا، وإذا قامت أرادها حمالا، وأبناء العاشرة يتنازعون ويتضاربون

على الجليل والدقيق، وكلما عقدت بينهم هدنة انتهكها أحدهم، فيرتفع صراخهم وتتنادى استغاثاتهم! فضاقت بهذا الوسط الذي ينهك الأعصاب ويتعب الأجسام، وخرجت متسللة إلى حديقة البيت تستنشق عبق الأشجار، وتتنسم هبات الأصيل، وتستدفيء بخواتم أشعة الشمس الغاربة، وجالت بين الأشجار عدة جولات، ثم عرجت على بيت الدجاج فتذكرت الدجاجة الحاضنة التي مر عليها أيام طويلة محتضنة بيضها، فإذا هي قد تركته بعد أن فقس وخرجت منه الصيصان، وإذا هي في موقع آخر وأفراخها يدورون حولها وهي تظللهم بجناحيها، وتملي عليهم تجاربها، تعلم الجاهل، وتطرد خلف الشارد، وتحمي الحمى مخافة أن ينتهك! وبصرت في محضن الدجاجة القديم، فإذا هو مشغول بقطة ولدت أخيرا، وإذا هي قد استلقت لأولادها وهم واردون عليها كل واحد منهم يرضع شطرا، وهي صابرة على الحبس، سعيدة بالأمومة.

وتفكرت هذه الأم ـ الغاضبة على أولادها ـ في حالها وحال هذه الأمهات، فضحكت في سرها، وعادت إلى أولادها وهي أكثر حنوا وحدبا فهدهدت رضيعهم، وأطعمت جائعهم، وتدخلت في نزاعهم ففضته، وفي احتياجهم فلبته، والتفوا حولها شبعى البطون ساكني القلوب، فهدأت الأصوات ونامت العيون.

« أنت أبخص بحالــك ! »

■ قال لي: لوالدتي بضع دجاجات، تشرف على تربيتها ومراقبة سلوكها. فهي بعد أن أنهت مراسم زيجة آخر الأبناء وآخر البنات صرَّحت بأنها الآن قد أحالت نفسها على التقاعد، وأمست معظم أوامرها لأحفادها تتمثل في طلبين: أطعموا الدجاج، أسقوا الدجاج !! وهي لا تقتصر على تغذيتها بل تراقب تصرفاتها وتدرس سلوكها بعين ملاحظة وفكر متأمل. ! وقل أن تغرب شمس يوم إلا وقد اكتسبت منها درسا، أو إقتنصت عبرة، ثم تأتي إلينا فتحكيها بلسان المكتشف المأخوذ بما رأى!

وذات صباح، أثناء إحدى جولاتها الروتينية، رأت «كرتونا» فاستغربته، فلما وقفت عليه، رأت في وسطه دجاجة جمعت تحتها بيضها واحتضنته، ونظرت الوالدة في ارتفاع جوانب الكرتون وفتحاته الجانبية الصغيرة، فقدرت بثاقب رأيها وبعد نظرها أن الصيصـان متى فقست من البيض فلن تستـطيع الإنعتاق منه والسعي لطلب الـرزق، فقـامت وأزاحت الأم عن حضـانتها، ونقلت البيض إلى مكان قصي في

الغرفة، ثم دعت الأم لإستئناف أمومتها، لكن الدجاجة التي فرض عليها هذا الرأي تأبت وغضبت وتقدمت إلى بيضها فنقرته بمنقارها بيضة بيضة، وتركته يسيح على الأرض. !

ولم تكسب والدتي هذه المرة أفرخا جديدة، لكنها استفادت درسا حيا لا تنساه. !

ومضت أيام، وفي ذات يوم رأت دجاجة أخرى قد احتضنت بيضها في نفس الكرتون، وبحكم الخبرة السابقة، تقدمت الوالدة إلى الكرتون فوسعت فتحاته الصغيرة فقط وتركت الدجاجة تؤدي وظيفتها وفق وجهة نظرها، وبعد أيام كان ابناؤها يملؤون الكرتون ويتسللون بسعادة داخلين خارجين مع فتحاته. ! أما الدجاجة الأولى فلم تكرر دور الأم الحاضنة منذ تلك الواقعة الشهيرة السابقة. ! واليوم كلما أرادت الوالدة أن تفرض رأيها على أحد أولادها أو أحفادها، ذكرها بذنبها مع تلك الدجاجة، فيظهر على ملامح وجهها الندم، وتصمت قليلا مطأطئة رأسها. ! ثم ترفع رأسها وتقول: «يا ولدي أنت ابخص بحالك. !! ».

« أحاكم الزوجة بتهمة الوردة التي كتمت عبيرها ! »

■ أستأذنكم أن أقسو قليلا، فالكاتب يشبه الطبيب عليه أن يجرح أحيانا لكي يتسبب بإذن الله في الشفاء، والظاهرة التي أرغب تناولها في هذا الطرح، هي ظاهرة فقدان أساليب تجلية مشاعر الحب والتقدير للزوج عند بعض نسائنا، وهو موضوع أود دائما أن أثيره لكثرة ما أراه وأسمعه واقرؤه عن حياة كثير من المتزوجين، وأجد الفرصة مواتية هذه الأيام، وجريدتنا الجزيرة تنقل لنا يوميا أخبار الزيجات السعيدة، والزوج والزوجة في هذه العطلة البهيجة لديهم من راحة البال بعد قضاء الأشغال ما يعينهم على القراءة ومراجعة الحساب، وقبل الدخول في الموضوع أود الإشارة إلا أنني سأتحدث عن هذا البعض من نسائنا ممن يتصفن بخفاء المشاعر ولا يحسن إبرازها في القول والعمل، إذْ لست أعمم في ذلك. ففي نسائنا من تحسن هذا الجانب. فتأسر قلب زوجها بلطف معشرها، وتجدد بيتها بفيض مشاعرها وسخاء عواطفها، وكثيرا ما أرى وجه شبه كبير بين صحرائنا ونسائنا، فصحراؤنا رغم جدبها الظاهري إلا أن باطنها غني بنعم الله من بترول ومعادن ثمينة. ونساؤنا مع خفاء تعبيرهن بالكلمة والسلوك عن مشاعر الود والحب الذي يكننه لأزواجهن إلا أن باطن قلوبهن يعمره

الإيمان بالله ثم الحب والوفاء لأزواجهن. لكن بعضهن لا يترجمن ذلك عمليا لأسباب كثيرة، فهل تخضر عواطف وألسنة زوجاتنا كما اخضرت صحراؤنا أخيرا!

إن صفة الطاعة في الزوجة لا تكفي لإسعاد الزوج مالم تتوفر لدى الزوجة صفة المبادرة والمبادأة في عمل وقول ما تراه يسعد زوجها ويجدد حياته ويوثق عرى الود بينهما، إن كثيرا من الأزواج يشكون من جفاء زوجاتهم وإنْ كانوا يقدرون جهودهن المتطورة والمحمودة في الطبخ والنظافة وخدمة الأولاد وشؤون المنزل عامة، إذْ هاهنا تمر سحابة المرأة فيهطل ديمها، أما الرجل فيعيش في ظل المطر كما يقول الجغرافيون! فلا يجد اهتماما خاصا به يرضي روحه ويروي مشاعره ويحسسه بوجود الزوجة التي يسكن إليها والواحة التي يستظل بها، وتجد هذا الصنف من النساء لا يتجمل إلا حينما يغادر البيت لوليمة أو حفل عرس، فحليها وعطورها ومكياجها وثيابها الجميلة مخزونة في البيت لهذه الغاية فقط!! ومرد هذا ولا شك نقص في ثقافة المرأة الزوجية، حتى المتعلمات منهن لا زلن متأثرات بأمهاتهن في معاملة آبائهن أكثر من تأثرهن بالعلوم التي كسبنها في المدرسة والقراءة الحرة، وهذه العلة في الزوجة تمثل سببا رئيسيا من أسباب الطلاق، فكثيرا ما نسمع على ألسنة بعض المتزوجين العبارات التالية: «زوجتي لا تفهمني» «زوجتي مشغولة عني» «إنها لا تهتم بي»! والمرأة إذا سمعت من زوجها مثل هذه العبارات أو نقلت إليها من طرف آخَر، حملت على زوجها حملة منكرة واتهمته بالظلم، ونكران الجميل وقلة الوفاء وأنه لا يقدر متاعبها طول النهار مع بيتها وأولادها ولم تعلم المسكينة أن جهودها وتضحياتها في البيت لا أثر لها في نفسية الزوج مالم تتوجه بكلمة طيبة، وابتسامة مشرقة تستقبله بها عندما يعود من عمله متعبا، وأن مبادرة منها بمعاملة تنم عن تقدير لبعلها، كطبخة يفضلها، أو سلوك يرضاه منها، لها في نفسية زوجها أثر لا تمحوه الأيام، إن المرأة هي نبع العواطف، وما عواطف الرجل أمامها إلا انعكاس لفيض عواطفها مثلما يعكس القمر نور الشمس فيبدو بدرا منيرا ولولا الشمس ما بدا كذلك. والرسول ﷺ أوصانا أن نتزوج الودود. إنني هنا أحاكم هؤلاء الزوجات بتهمة الوردة التي كتمت عبيرها!

« أرضعت الطفلتين لتحرمهما على زوجها ! »

■ إرضاع الرضيع من غير إمه مسألة درجت عليها الإنسانية منذ القدم، حتى أنها تصبح في بعض الأحيان ضرورة بحسب المحيط الإجتماعي أو ما يعرض من

حالات خاصـة، وقـد أخـذهـا الإسـلام بعين الإعتبار وجعل لها ثقلها وأثرها في العلاقات الاجتماعية من حيث الإباحة والمنع .

قال رسـول الله ﷺ: «يحرم بالرضاع ما يحرم من النسب» متفق عليه، وفي مجتمعنـا تحدث للأسف مآس تتسبب فيهـا بعض النساء اللاتي لا يقـدرن عواقب الإرضاع، ولا يستخدمنه بالإسلوب الصحيح الذي أقر لأجله، بل إن بعضهن قد تعمـد إلى إرضاع مولود لإحدى قريباتها لمجرد إسكاته عن الصياح، وقد شاهدت بنفسي أمثـال هذا، وقال لي أحد الاخوان: «لقد حدثتني قريبة لي، فقالت: لقد أرضعت ابنتك فلانة، وعليك أن تسأل حولا كاملا قبل أن تزوجها، لأن زوجي وقد صار أباها بحكم الرضاع لا يحصى عدد من أرضعنه في البلدة! يقول، فسألتها: وما الـذي أجبرك على إرضاعها؟ فقالت: رأيتها ضعيفة، وفي حليبي وفر على مولودي فارضعتهـا عدة مرات، يقول: وحدثتني عن قصصها مع الإرضاع فقالت: زارتنا قريبة لنا ومعها طفلتان جميلتان، فرأيت زوجي يطري جمالهما، وحين تغافلت أمهما أخذتهما فأرضعتهما عدة مرات، لأحرمهما على زوجي ! .

فعجبت من ذلك غاية العجب وسألت محدثي: أعاقلة هي أم مجنونة، فقال: بل طبيعية لا نتهم عقلها بشيء، لكنه هوس بعض النساء حين تسيطر عليهن مخاوف فقدان الزوج، قلت: سبحان الله، واستكمل صاحبي حديثه فقال: لقد اضطررت إلى أن أحرر قائمة طويلة بأسماء من أرضعتهم من أبناء الأسرة, وأن أحتفظ بها وصية موثقة، أرجو بها أن أمنع المآسي المتوقعة عند زواج هؤلاء الأبناء» .

وأعرف اختين تزوجتا أخوين، ولما ولدتا معا تبادلتا إرضاع مولوديهما فترة من الفترات، ليس لأسباب وجيهة مطلقا بل لحماقة وأوهام يختلقانها في أفكارهما، والزوج المسكين الذي فرضت عليه الأبوة وحرمت على ولده إبنة عمه هو آخر من يعلم!

إنني أنبه إلى هذه المسألة وأرجو أن تجد النساء التوعية الكاملة حولها ويكفينا ما نسمعه دائما من التفريق بين زوجين تبين بعد فترة لعجوز في الأسرة أن فلانة أو علانة أرضعتهما.

« فتاة في بريدة تحارب غلاء المهور ؟! »

■ اليوم فقط ظهر لي أن هناك طرفا مهما قادرا على أن يقضي على غلاء المهور والمغالاة في حفلات الزواج وما يستتبعه من مظاهر محلية ومستوردة .

أتدرون من هو هذا الطرف؟!. إنه ليس الأب وليس الأم ولا حتى الزوج، إنها الفتاة المتزوجة صاحبة الشأن حين تدرك فعالية دورها في هذا المجال، لن أنشيء لكم حديثا وعظيا بل تعالوا معي إلى هذا الخبر السار الذي رواه لي من أثق بصدق حديثه وشهد فصوله الواقعية عن قرب.

في الأمس القريب زفت بنت فلان إلى فلان وكانت خطبتها وزواجها ورحيلها إلى بيت الزوجية أسلوبا متميزا في بساطته وعفويته، كان البدء حين ضغطت الفتاة على أبيها لكي يرد ما يقارب ثلاثة أرباع المهر الذي دفعه الخاطب حسب المعتاد الذي يدفعه الناس في الوقت الحاضر، معللة ذلك بأنه يتنافى مع مبدأ السنة المطهرة التي تقرر بأن أبركهن أيسرهن مهرا واكتفت من المهر بمقدار معقول أمرت بأن يشترى لها منه خمسة أثواب متوسطة القيمة وحلية يسيرة من الذهب!

وكانت رغبتها التي نفذت من قبل أبيها وأمها هي أن يقتصر في ليلة الزواج على دعوة الأقارب والجيران، وأصرت على منع الأسلوب الجاري في إحضار ما يسمونه (الطقاقات) وهي مجموعة من عدة نساء تضرب بالدفوف في وسط النساء ويشترطن أجورا باهظة، وتتنافس النساء في العادة على القاء مبالغ كبيرة عليهن ليمدحن فلانا ويشدن ببيت علان، رفضت هذه الفتاة أسلوبا كهذا وتطوعت أختها فأعدت في ليلة الزواج عددا من الأشرطة التي حوت تسجيلات لآيات من القرآن الكريم ومواعظ لندوات تحدثت عن أهمية شكر النعمة وحفظها، وعن مساويء البذخ والإسراف في حفلات وأطعمة الزواج، وعن الشرور والمفاسد التي تنتج من إغلاء المهور والتنافس في ذبح الولائم وإقامة الحفلات.

وقبل أن أختم هذا الخبر كما نقل إلي من مصادره، أشير إلى أن هذه الفتاة متعلمة وخريجة إحدى المدارس الثانوية، فهذه المباديء وهذه القناعات وقبل كل شيء هذا الإيمان العميق الرافض لكل مظاهر وأعراف الزواج السيئة التي تفقر الزوج وتنهك الأب، كل هذه المباديء لن تكون إلا من متعلمة مثقفة عرفت ما لها وما عليها أدركت حدود الله فلم تنتهكها، ووعت واجبها في مجتمعها فنهضت به، وصدق الله العظيم: ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾[1].

---

(١) سورة الرعد: آية: ١٩.

وبعـد . . فيا أيتهـا الفتـاة المسلمـة العاقلة حفظك الله وبارك لك في بيتك السعيد، وأنت تضربين لاخواتك المسلمات مثلا رائعا وقدوة صالحة، سائلا المولى أن يكثر في مجتمعنا من أمثالك [1].

إلى تعليم البنات: أدرسوا هذه الإقتراحات !!
لمصلحة أزواج وزوجـــات المستقبـــل

■ كثرت محلات الخياطة النسائية بكم لا يصدق، وعم الإنتشار القرى والهجر، وأصبحت ظاهرة جديرة بالبحث والتأمل، وأي واحد منا إذا استرجع معلوماته قبل عشرين عاما وقبل أن يتعمم تعليم الفتاة، تذكر كيف كانت فتيات ذلك الوقت يجدن الخياطـة. فقـل أن يخلو البيت من «مكينـة الخياطـة» وكانت النساء عموما يخطن لأنفسهن، وغالبا ما تجد في الحي عشرات الأسر التي يتكسب نساؤها من الخياطة، وكـانت بيوتـات كثيرة تعيش على هذا المورد، وأرامل ومطلقات يسترزقن من هذه المهنة، وكان «سمننا في دقيقنا» كما يقولون.

واليوم قل أن تجد المـرأة التي تخيط لنفسها، وندرت النساء الوطنيات اللاتي يستفدن ويفدن في هذه المهنة، حتى المشاغل الوطنية التي أنشئت بأسماء سعودية تجد العـاملين فيها غير سعوديين، ولقد أصبحت ظاهرة تكاثر محلات الخياطة النسائية ظاهرة غير صحية لأسباب كثيرة أهمها: أولا: أن المستفيدين منها ليسوا أيديا وطنية. ثانيا: كثـرتها شجعت المرأة على الإسراف في تفصيل الملابس، لأن هذه المحلات استغلت الموضة التي تستهوي بعض النساء، ثالثا: أسعارها الباهظة أصبحت ترهق الزوج، وتستنزف ميزانية الأسرة فيما لا مردود له. رابعا: كثرتها واعتمادها على العنصر الرجالي من غير السعوديين لا يهيء المناخ الملائم لنمو الأيدي الوطنية النسائية في هذا المجال.

هذه أهم الأسباب التي تدعونا إلى التفكير جديا لإنهاء هذه الظاهرة الطارئة على مجتمعنا إنهاء تدريجيا مدروسا، والحل العملي يكون بإيجاد البديل الوطني الذي يحترف هذه المهنة، ويتيح للسحابة التي تتكاثف من بخار بحارنا أن تمطر في أرضنا،

(١) لاحظنا أن كثيرا من حفلات الزواج أخذت تبتعد عن المظاهر السلبية حيث يحرص كثير من الأسر، على القصد في الإنفاق، ودعوة بعض العلماء لوعظ الحاضرين في هذه المناسبة، وإنهاء الحفل في وقت مبكر.

فننتفع من نباتها!! لذ أقترح على الرئاسة العامة لتعليم البنات أن تجعل من أهداف التعليم في الكفاءة المتوسطة إعداد الطالبة لتكون ربة بيت ناجحة، وأن تهتم بالمواد التالية:

١ ــ الخياطة والتفصيل.
٢ ــ الطهي.
٣ ــ التدبير المنزلي.
٤ ــ تربية الأطفال.

وألا تمكن الطالبة من حمل شهادة الكفاءة المتوسطة حتى تكسب درجات النجاح في التطبيق النظري والعملي لهذه المواد، وفي المرحلة الثانوية تعمق هذه المواد كيفا وتقلل حصصا، فتدرس الطالبة أحدث الأساليب في هذه المواد، وهذا بالتأكيد لن يعيق الطالبة عن دراسة المواد الأخرى والتي معظمها لن تحياه واقعا معاشا، أما تلك المواد فهي الأصل، وهي التي ستنتفع منها الطالبة التي ستكون يوما «أما» بالضرورة، وبالتالي تفيدها في بناء أسرتها وأداء وظيفتها الأولى في الحياة وهي: الزواج والأمومة، ونعود إلى موضوع «الخياطة» فلو أسس فصل عملي للخياطة النسائية في كل «متوسطة» تزاول فيه الطالبات أعمال الخياطة بواقع حصص كافية في الاسبوع، ومن الممكن أن يخيط هذا الفصل للراغبات من النساء بأجور معقولة، فيكون لهذا الفصل مورده المالي الذي يستغل جزء منه لشراء المواد المساعدة، وجزء يمنح مكافآت لتشجيع العاملات منهن لتعتاد الطالبات على المزاولة العملية لهذه المهنة، ولكي تكسب الراغبات منهن الخبرة التي تعينهن على مزاولة هذه المهنة تجاريا، ومن لا ترغب تستطيع ــ على الأقل ــ سد حاجتها الشخصية هذا ما أطمع أن نراه مستقبلا. وهو بلا شك في مصلحة أزواج وزوجات المستقبل.

* ومن الذاكرة أروي لكم هذا الخبر الذي قرأته قبل عدة أسابيع لكنني نسيت أين قرأته، يقول الخبر: «قالت الدكتورة الأوربية ــفلانةــ وهي تودع طالباتها بمناسبة احالتها على التقاعد: بعد أيام سأترك هذه المدرسة، بعد أن درست طيلة السنين الماضية. وحققت آمالي في التعليم والشهرة، وحصلت على الدكتوراه على حساب الزواج والأبناء وتكوين الأسرة، وسأذهب إلى منزلي لأعيش وحيدة دون زوج يظللني أو أسرة تؤويني؟ وبعد شهرين سينساني الناس في غمرة حياتهم، فخذن مني نصيحة مجربة تنفعكن، لا تعدلن بالزواج والأمومة شيئا، فهي الوظيفة الحقيقية

الباقية للمرأة». هذه نصيحة امرأة أوربية مرت ببريق الوظيفة وأضواء الشهرة، ثم ما لبث أن انطفأ كل ذلك. وعاد وعيها متأخرا، لتعرف أن ليس للمرأة سوى كنف زوجها وحنان أولادها، وأسرة تظللها حية وتترحم عليها ميتة، والله الهادي إلى سواء السبيل[1].

« الأم المكافحـــة »

■ أسمع أحيانا بعض قصص الأمهات اللاتي ترملن بعد أن فقدن أزواجهن، فحدبن على أولادهن، ومنحنهم الرعاية والعطف، وتدبرن أمورهن بالقليل الذي خلفه الأزواج، ثم أكملن المشوار بأثمان حليهن وما تجود به أيدي أهل الخير حتى شب الأبناء عن اليفاع وتأهلوا للمسؤولية، بعد كفاح مرير دعامته الصبر وأركانه الإيمان والإحتساب.

إحداهن عندما مات معيلها وواجهت مصيرها، أخذت تنفق على أبنائها من حليها، كلما طرأ مصروف باعت شيئا منه، حتى نفد الحلي، ولم يبق عندها سوى مجموعة من القدور النحاسية، فجاءها ذات يوم أكبر أبنائها، يطلب نفقة له ولاخوته اقتضتها الضرورة، فأفهمته الحال، فقال لها: «يا والدتي امنحينا قواتك نمنحك غدا قواتنا، إإذني لي ببيع هذه القدور، لنتدبر بثمنها الأمور، فضحكت من مقاله، قائلة: إنها ليست أغلى من الذهب، خذها وتصرف بها، تقول هذه الأم، وكرت السنون، فأخذني ولدي، ذات يوم إلى أحد معارض الأواني المنزلية، وطلب مني أن اشتري ما أحتاجه، فتذكرت مقالته القديمة، وحمدت الله الذي لم يخيب التعب.

ولأن الله لا يكلف إلا ويعين، فكثيرا ما نسمع أخبار رجال منحهم الله المال والإيمان، يغـدقـون فضل أموالهم على مثل هذه البيوت، ويرون في قضاء حوائج الأرامل نعمة تفضل بها المنعم عليهم، عن أحد هؤلاء، يتحدث لنا الشاعر أحمد شوقي في بيتيه التاليين:

---

(١) في الـوقت الـذي أعـد فيه هذا المـوضـوع للكتـاب، قرأت في مجلة اليمامـة، العـدد ١٠٣٢ في ٢١/٤/١٤٠٩هـ، رسالة فتاة عنونتها المجلة: طبيبة تصرخ: «خذوا كل شهاداتي واعطوني زوجا»، مما جاء فيها قولها: «خذوا شهاداتي ومعاطفي وكل مراجع الطب وجالب السعادة الزائفة ــ المال ــ واسمعوني كلمة «ماما». وهو تصريح نضيفه إلى ما سبق.

واقســـم كنـت المـرء لم ينس ديـنـه
ولم تلهـه دنـيـاؤه وهـي ما هي
وكـنـت إذا الحـاجـات عز قضـاؤهـا
لحاج اليـتـامـى والأرامـل قاضـيـا

« الزوجـة الصالحـة »

■ استنفد والده كل الوسائل التربوية لإصلاحه، فالولد في سبيل غير قاصد، وفي تيه يبعث اليأس، وقرر الوالد أن يرمي آخر سهم في كنانته، أن يزوجه، فلعل في زواجه صلاحا له، وشاء الله أن يرزق هذا الشاب الطائش، فتاة صالحة تقية، رزقها الله الإيمان والسكينة، والصبر والذكاء، فتألفته أشهرا لا تنكر من عجبه شيئا، ثم بدأت تسمعه المحاضرة المسجلة، وتقرأ معه الكتاب النافع، وتذكره بالواجب، فبدأ الشاب يتغير شيئا فشيئا، فهجر السهر والدخان وواظب على الصلاة والقرآن، وعاد إلى عمله، وتبدلت أخلاقه الوعرة، ونفسه الشكسة، فغشيته السكينة، وغمرته الطمأنينة، يقول والده: لقد غيرت هذه الفتاة الصالحة من سلوك ابني، فقومته على الطريق، حتى أمسى بارا بنا حريصا على ما يسعدنا، ولم تقتصر هذه الزوجة الصالحة، على إصلاح الزوج، بل شمل نشاطها الأسرة عامة، فأمست تجتذب بالود أطراف الأسرة كلها، فتجمعهم على المحبة والبر، وتصلهم بالمعروف والخير، ثم ختم الوالد كلامه قائلا: لقد فقهت اليوم المعنى الذي رمى إليه رسول الهدى ﷺ حين قال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

« العـروس المجادلـة »

■ دخل العريس على قريبته العروس، واستفتح الشاب الليلة باستعادة ذكريات الطفولة حين كانا يلعبان معا ويمرحان سويا، وكان غرضه من ذلك، أن يلاطف زوجته بموضوع خفيف تستطيع أن تجاذبه أطرافه بهدوء، لكن هذا الموضوع أدخلهما إلى موضـوع «السن»، ، حيث قدر الزوج على ضوء هذه المعلومات القديمة سن زوجته فلم ترتاح الزوجة لهذا التقدير، فلاغته فيه، وكلمة منه وكلمة منها واحتدم الخصام، فتهاجرا من ليلتهما، ولم يمض أسبوع حتى أعلن الزوج الطلاق، وحجته في ذلك أن الليلة الظلماء تتبين من عشائها، فمادام هذا الموضوع التافه سبب هذا

الإزعاج فكيف بقضايا الحياة الصعبة إذا طرقتها، إذن فنزول من أول الدرج خير من تحويلة من أعلاها، هكذا فلسف هذا الشاب قراره. ولو جرب وكنه، لعرف أن «العمر» أصعب موضوع تجادل به امرأة !

« الحمايـــة المسلحـــة »

■ حدثني أحدهم، بواقعة أكد صحة حدوثها، قال: قدم فلان من منطقته إلى إحدى المدن الكبيرة، وفي معرض زياراته إلى أقاربه وأصدقائه، توجه إلى صديق له، وفي طريقه إليه، قابله شخص من جماعته، فلما علم وجهته، قال له، وفي نيته أن يورطه بمقلب: إن صديقك هذا يبحث عن زوجة ثانية، فلعلك تشير عليه بما ينفعه! فأجابه هذا الرجل بالقبول، وحين وصل إلى منزل صديقه، حيا الصديق ورحب، وفي لحظات كانت المرأة قد أعـدت لهما القهوة والشاي، وبينما هما يتناولانها، قال الضيف لمضيفـه: «سمعت يابو فلان أنك ترغب الزواج، وأنا أعرف بنت فلان، جمعت الخلق والجمـال، فلعلك تتقـدم لها» فرد عليه المضيف: على يدك ياخوي، ما أطلع من شورك! فعقب الضيف: خلاص اعتبر الموضوع منتهي، أنا أدبر لك كل شيء! ويظهـر أن المـرأة حينـما سلمت زوجها القهوة، بقيت خلف الباب تتصنت عليهـما، فلما سمعت الحوار الذي جرى بينهما، لبست عباءتها، وتناولت عصا من الخيزران، وهجمت عليهما، فصرخ الزوج في وجهها وهو يلوذ بضيفه: «والله ما قلت شيء، هو اللي يشير علي، وأنا ما رديت عليه كلمة»! وخرج الضيف بعد أن تم تعزيره بعدد من العصي! تأديبا له وردعا لأمثاله!

« الشريكـــة اللاصقـــة »

■ قبل عدة سنوات، شاهدت محاورة طريفة أجراها التلفاز، مع صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، مما استملحه منها، هذه الطرفة التي أخبر الأمير عنها، أنقلها هنا بأمانة، حدث ــ حفظه الله ــ يقول: كان عندي أحد المراسلين، كثير الشكاية من زوجته وكنت أطرح عليه كثيرا من الحلول لإصلاحها، ولما تعددت، قلت له: طلقها يا أخي واسترح! فقال لي: أترى هذا؟! وخرج من عندي، وفي اليوم التالي: سألته عن الحال، فقال لي بأسى: لقد طلقتها فرفضت!! فأجبته وأنا أغالب ضحكي، إذن لقد انتهت الحلول!

« مصليات النســـاء ! »

■ إلى عهد قريب كانت بيوتنا الطينية، لا تكاد تخلو من موضع للصلاة، يحجر في مساحة صغيرة لا تتسع إلا لمصلية أو المصليتين، وأحيانا أكثر، حسب سعة البيت وكثرة أفراده، وعادة يكون هذا المصلى في «جانب من (القبة) ـ الصالة ـ أو في فناء الدار»، وهم بهذا يعطون الصلاة حظها من مساحة البيت، وتستشعر نساء البيت بمواقيت الصلاة، فتقتدي فروعها بأصولها وتنشأ صغارها على ما جبلت عليه كبارها، فتفقه السابقة اللاحقة، ويحصل مع الإجتماع النشاط والدأب. ومع بناء الفلل الجديدة، لم تنتقل هذه المصليات إلى مواقعها الجديدة، وأصبحت كل امرأة في البيت تغلق على نفسها غرفتها وتصلي، وغاب هنا ـ جانب التأسي والتعاون على التقوى، وبركة توحيد المكان، فهل تحيي نساؤنا هذه الأماكن الطاهرة في بيوتنا، إنها بذلك تصل ما كاد ينقطع، وتستعيد أفضل موقع يحتله مخطط البيت.

« هل تغير معيار القيمة عند المرأة »

■ هل أصبح الفستان هو المعيار الذي تقيم به المرأة وسط المجتمع النسوي، أكاد أجزم بذلك، ولي عليه شهود كثيرة، أبرزها تكاثر محلات الخياطة النسائية، حتى أن الشارع الذي انقطع عن المرور به أسبوعا في حي الصفراء ببريدة، أجده في المرة الثانية وقد استضاف عددا جديدا من محلات الخياطة التي حملت أسماء رنانة طنانة، وتمر بالشارع فتعجب لكثرة النساء اللاتي يراجعن هذه المحلات، عجبي لا ينتهي، وحزني من هذا الخواء لا يواسيه شيء، أيتها المرأة اتق الله، أين ثمار التعليم؟ وأين قيمه؟ بل أين تأثيره؟ تغلبي على هذه النزعة المسرفة التي جعلتك تحتاجين في الشهر إلى أكثر من ثوب، فلكل حفل موديل، ولكل مناسبة لون، ماهذا؟ أمنحكن الله هذه الفسحة من العمر لتقضنها في هذا التافه! ألا هل فيكن مجموعة رشيدة تعيد المعيار الحقيقي للقيمة؟ لتذكر بأن الإيمان والتقوى والعلم والثقافة والبساطة والتواضع، والحكمة والتعقل، هي الموازين الحقيقية التي يجب أن تثمن بها المرأة وسط مجتمعها، ألا هل منكن من تقول الحق؟ فتنال شرف الريادة، وتقف أمام هذا الإسفاف المخجل، والإسراف المنهك، قلن كلمتكن صريحة، وطبقنها سلوكا، وسترين كيف يمكث الحق ويزهق الغثاء.

« البركة في التيسير لا في التعسير »

■ قبل ثلاثين عاما كان للولائم طعم سعيد في مجتمعنا، وخاصة ولائم الأعراس، يومها كان غالب الناس لا يعرف اللحم والفاكهة والشاي إلا فيها، وكان المولم يحس بحاجة الناس إلى الطعام، فكان مأجورا على تكلفه، محمودا عند الناس على دعوته، واليوم وبعد أن فتح الله الرزق العميم على مجتمعنا، أصبح العقلاء لا يحمدون مظاهر هذا الإسراف والتكلف في حفلات الأعراس، إن هذه الأموال التي تنفق في غير الحاجة أولى لها أن تأخذ طريقها إلى مصارف هي أحوج إليها، نقول هذا وقد غالى الناس في مراسم الزواج، وأصبحوا يسنون كل عام تكاليف جديدة هي في حقيقتها عقبات أمام الشباب الذين يطرقون هذا الباب، إن البركة في يسر المهر وقلة التكاليف، وإن الذي يزوج ابنته فيقيم وليمة عرسها في بيته ويقتصر على الأقارب والجيران الأدنين فقط، ويولم بشاتين أو ثلاث، ويسقط كل هذه المصارف الضائعة، والساعات المهدرة، ويوفر على الناس وقتهم وراحتهم، إن مثل هذا نحسبه ـ إن شاء الله ـ مقبولا عند الله محمودا عند الناس، وهو يوم يفعل ذلك سيكون قدوة صالحة يتأسى بمثله الآخرين، وأثق أن الله سيبارك لإبنته وسيصل التوفيق بينها وبين زوجها على الدوام.

« استثمرن عوائدكــــن »

■ حين دخلن بناته وحفيداته الصغيرات يخطرن بثيابهن، قال لي والدهن، وهو يرتفق على متكئه: أتنظر إلى ذلك الفستان؟ إن والدتها اشترته بمائتين ريال، وتلك بمائة وخمسين ريالا، وهي ثياب لا تعمر أكثر من شهر. إن معظم بناتي عاملات ويقبضن رواتب كبيرة، لكنها تذهب في القنوات المعروفة سلفا: العطور والمكياج، والفساتين والأحذية، إنهن لا يدخرن شيئا مما يقبضنه، ينسين أن الإدخار أمان بمشيئة الله ـ وأن الإستثمار ضمان ـ بحفظ الله ـ لقد قلت لهن أعطنني جزءا من رواتبكن أدخره عندي لكن، ثم اشتري به عقارا يدر عليكن عوائد تجدنها حين تتركن العمل لسبب من الأسباب! وللأسف لم تقتنع واحدة منهن، لسيطرة الحمى الشرائية عليهن! وإذا تفكرت في هذه المشتريات رأيتها لا تعمر طويلا، فما أسرع أن تأخذ طريقها إلى صندوق القمامة، ليتهن يعلمن أن الإدخار حكمة وعقل، وأن الإسراف سفه وحسرة. هذه مشاعر أب مجرب أنقلها وأطمع أن تنال حظها من التفكير.

« نمـــاذج لا تحتـــذى »

■ بعض الزوجات ــ هداهن الله ــ ينهكن أزواجهن بمطالبهن ومراغبهن التي لا تنتهي، فهن مسرفـات مبـذرات، تخلب لبهن المظاهـر الـزائلة من حفـلات ومناسبات، همهن الهاتف وثرثرته، والتلفاز ومسلسلاته، والسوق وبضائعه، والخياط وأزياؤه، ويظل الزوج يلاحق هذه المراغب، على أمل أن يوفيها ويتمها، لكن هذا النوع من النساء لا تكتفي إذا وجدت بل تتجدد حاجاتها كلما تحقق منها شيء، لأن عقلها يسكنه الخواء وتعمره التفاهة، وهذا هو السبب!

قال المجـــرب:

« إذا لم يكـــن في منـــزل المـــرء حرة
تدبـــره ضاعـــت مصـــالـــح داره »

« السـفر ومخـازيـــه »

■ السفر ومخازي بعض فرسانه قضية ذات أبعاد كثيرة، وأثق تماما أن القضية لا تبلغ مستواها المؤلم إلا لدى المواطن الملتزم الذي سافر إلى هناك، وشاهد تلك النماذج السيئة التي يندى لعملها الجبين بما تقترفه من آثام ونزوات! لقد سافرت إلى لندن والقاهرة ودمشق وبومباي خلال الخمس سنوات الماضية، وكنت في كل سفرة أجد المخازي أفظع والآلام أنكى فما أن يحط واحد من هذه العينات قدمه على أرض المطار حتى يتحول إلى إنسان بهيمي تسيره غرائزه ويقوده شيطانه!

كانت آخر سفرة لي إلى (بومباي) وهناك لمست الخزي كأشد ما يكون، فما أن تمر بالشارع حتى يلحقك ثلاثة أو أربعة من الهنود ويخاطبونك بلهجة عربية مكسرة (تريد شيئا) وحين صرفتهم رفض أحدهم إلا أن يحاول معي، ولما قلت له: إنني مسلم لم أفد إلى هنا لمثل هذه الأمور، ضحك مني وقال: «إنكم لا تأتون إلا لمثل هذه الأمور» لقد عرف هؤلاء البضاعة الرائجة لدينا فاستغلونا بها.

وفي يوم جمعـة قلت لصاحب تاكسي: خذني إلى الجامع فضحك وقال: إن كثيرين منكم يحلوا لهم النوم في مثل هذا الوقت! لقد أساء أولئك إلى عروبتنا وإلى عقيدتنـا واعـطوا العالم جميعا صورة مغايرة عن حقيقتنا! وليس فقط سوء الأخلاق

المتمثل في هذه النماذج، بل أيضا التغفيل وسوء التصرف وجهل اللغة وجهل الأنظمة، فتراهم دائما عرضة للإصطياد السهل والضحك عليهم ونهب أموالهم فهم فريسة سهلة وصيد سمين.

لقد مزقت صورتنا بما فيه الكفاية، وأسيء للشموخ العربي بما فيه الكفاية، وشوهت صورة الإسلام بما لا مزيد عليه... فاين الغيورون على دينهم وعروبتهم؟ أين المخلصون للوطن الخليجي برمته؟ لقد حان الوقت لوضع الحلول الناجعة لإيجاد المسافر الملتزم بمباديء دينه والغيور على عروبته، لقد ترك الحبل على الغارب بما فيه الكفاية وأصبح طرح الحلول العملية لهذه القضية مسألة لا تقل عن أي خطر يداهم الأمة. فهل نحن فاعلون[(١)]؟!

« مطلوب توعية الشباب المسافرين »

■ أصبح من الأهمية بمكان توعية وتبصير الشباب المغادر للسفر والسياحة، وذلك قبل مواسم السفر المعتادة كقبل العيدين وقبل العطلة الصيفية وقبل عطلة الربيع، وذلك عن طريق وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتلفزيون، ليكونوا على بصيرة من أمرهم وعلى فهم متمكن لما هم مقدمون عليه ذلك لأن السفر اليوم أصبح يكتنفه عدد من المخاطر الأمنية والصحية، بل والإنحرافات الاخلاقية، مما يموج به الشرق والغرب.

وكثير من الشباب يجهل حالة الأمن في البلاد التي يسافر إليها فهو في بلاده يتعامل مع الغير دون حذر أو شك، وقللت حالة الأمن التي يعيشها في بلاده درجة الحذر والحيطة، فتراه في بلاد الغرب قد يتعامل مع اناس بود وصداقة، بينما هم يعتبرونه في نظرهم صيدا سمينا نزل من السماء، وهنا يحصل من الأغلاط والمشاكل والسرقات ما لا يتكهن بعواقبه أحد!

ثم هو يجهل ما تجرفه إليه الحياة العابثة هناك من أضرار في دينه وبدنه، ويكفينا مثالا ما تتناقله الصحف هذه الأيام من أمراض الجهاز التناسلي على مختلف

(١) كان قرار وزارة الداخلية بمنع الشباب دون الواحدة والعشرين من السفر قرارا حكيما وصائبا، لأن في السفر أضرارا على الدين والصحة لا يصمد أمام مغرياتها إلا من عصمه الله، وأحرى بمن كبر سنه واستوى عقله أن يدركها فيتجنبها، خوفا من الله الذي لا يغفل عنه طرفة عين.

مسمياتها[1]، وقل من شبابنا من يعي مخاطر هذه الأمراض، لذا فإنه من الواجب أن تتصدى وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون إلى الشرح والتوعية، وأن تبصر المسافر بما يجب عليه وما لا يجب عليه، وأن تعطيه فكرة عن البلد الذي سيقدم عليه.. وقد تكون أحسن الوسائل في ذلك عن طريق الخطوط السعودية فيعطى المسافر عند تسليمه تذكرته معلومات تشمل جميع الجوانب المفيدة له، على أن يذكر بأن يكون خير سفير لبلاده، وأن يتجنب البذخ في الصرف وغير ذلك من العادات التي تتفشى بين السائحين غير الملتزمين.

« رعايـــة النخبـــة »

■ في كل مجتمع أفراد من الناس منحهم الله تميزا فطريا عن غيرهم، ووهبهم مستوى مرتفعا من الذكاء، وأوجد لديهم استعدادات نفسية وجسمية لشأن من شؤون الحياة. وأي مجتمع يرعى هذه النخبة، فييسر لها طريق التعليم المتميز ثم بعد ذلك سبيل العيش الميسر، سيضمن بإذن الله استثمارا حقيقيا لطاقاته المتميزة، وسينشأ لديه مناخ حقيقي للإبداع والتحضر. إن الإختراعات الحديثة التي حققها الغرب، ما كان له أن يصل إليها لو أنه أهمل شأن الصفوة الموهوبة في مجتمعه، لقد أقام مدارس متميزة للموهوبين، وكفل لهم امتيازات مالية وفرغهم علميا، وأتاح لهم فرص التفكير والإبداع، فتوفرت لديه بإذن الله بيئة علمية تجذب العلماء وتخرج المفكرين، وتدفع الإنتاج.

ونحن المسلمون دعانا الله إلى الأخذ بأسباب القوة قدر استطاعتنا، لأن في قوتنا قوة الإسلام، وفي رقينا عزته، وليس بعد التمسك بهذا الدين أوجب من الأخذ بأسباب العلوم والتطور.

وبلادنا العزيزة، أخذت ـــ والحمد لله ـــ في استراتيجيتها هذا المبدأ وأقرب الأدلة على ذلك، تأسيسها لمدينة الملك عبدالعزيز للتقنية والعلوم، إن العبء الكبير والمسؤولية العظيمة الملقاة على عاتق هذه المدينة، يجعل الجميع يتلهفون على سماع أخبارها والسؤال عن إنجازاتها ويأملون أن يرون اليوم الذي تخطو فيه بلادنا خطوات

---

(١) نذكر من أمراض التحلل والإباحية التي تفشت في العالم هذه الأيام مرض «الإيدز» كما نذُكر أن المسلم لا يتجنب الزنا واللواط، لأنهما يلحقان بجسمه الأمراض الفتاكة، بل لأن الله نهاه عن مواقعة هاتين الفاحشتين، وهذا الإمتناع لهذا السبب؛ دليل على الإيمان واليقين، عصمنا الله من الزلل.

متقدمة في المجالات العلمية، وأن تضعنا هذه الخطوات ـ بعون الله ـ في صفوف الدول الأولى في هذا الميدان.

لكي يسوق المزارع إنتاجـــه علينا أن نهيء له مسائل خمســـا

■ لاحظت أن الكثير منا إذا تحدثوا عن الإنجازات الكبرى التي حققتها الزراعة ينسـون أن النسبـة الكبرى من المزارعين لا تمكنها قدرتها المالية ولا مساحة أرضها الـزراعية من تركيب أجهـزة ري محورية، وأنهم يعتمـدون في إنتاجهم على زراعة الخضروات والفواكه والأعلاف إضافة إلى النخيل والأشجار المثمرة، والدولة الكريمة مدت يد العون لكل فئات المزارعين، فمنحتهم الأراضـي، وأقرضتهم القروض، وأوصلت لهم خدمات الكهرباء والطرق المسفلتة، وذللت أمامهم كل صعب حتى وقف صغارهم على أقدامهم، وضارع كبارهم أفضل مزارعي العالم، وأخذت المزارع تعطي إنتاجها بعد أن أينعت ثمارها.

ومع هذا العطاء السخي والرعاية المستمرة من الدولة للمزارع، فلا زال يأمل في إجراءات تنظيمية تمكنه من تحقيق الربح الأدنى الذي يكفل له تسديد ما عليه من أقساط وتغطية مصروفات مزرعته. وهذه المسألة أراها تتحقق إذا تكرم المسؤولون في دولتنا الرشيدة فنظروا في خمس مسائل هي:

المسألة الأولى: أن نحمي الإنتاج الوطني عن طريق إيقاف الإستيراد الخارجي من الخضروات والفواكه، وذلك في أوقات معينة لأصناف محددة، إذْ أننا نرى أنه في الوقت الذي يتوفر فيه «الخيار» الوطني مثلا بكميات هائلة، يتواجد في الأسواق وفي ذات الوقت «خيار» مستورد «وهذا مثال فقط»!! والحماية التي أدعو لها يجب أن تتوازن بحيث يحسب فيها طرفا القضية المزارع والمستهلك، فلا المزارع يخسر ولا المستهلك يتضرر من ارتفاع الاسعار، «فلا يجوع الضيف ولا تفنى الغنم» فنحن بهذا الإسلوب سنعطي للنوع الذي نحميه فرصته في تحقيق أقيام معقولة تسمح للمزارع بالربح.

المسـألـة الثانية: تأسيس شركات تسويق تتولى تسويق الإنتاج الزراعي من منطقة إلى منطقة، وتصدره للخارج إذا فاض، ذلك لأن بلادنا قارة كبيرة وهي بأمس الحاجة لمثل هذه الشركة.

المسألة الثالثة: تأسيس مصانع للتمور والفواكه، وتعليب الخضروات، وغير ذلك من المصانع التي تقوم على الإنتاج الزراعي، وهي بلا شك ستمتص الفائض، وتنشط الفلاح، وتنفع المستهلك.

المسـألة الرابعة: إنشاء ثلاجة كبيرة في كل منطقة زراعية تتولى حفظ بعض الخضروات التي تأتي في موسم معين بكميات كبيرة فيزيد فيها العرض على الطلب.

المسألة الخامسة: مراقبة توفر الآليات وقطع الغيار بأسعار مقبولة للمزارع، وتوفير ورش صيانة في المواقع الهامة للزراعة في بلادنا وتدريب عمالة وطنية لإدارتها وتشغيلها[1].

هذه المسائل الخمس ستكفل ــ إن شاء الله ــ للإنتاج الزراعي تسويقا أفضل وربحا أكثر إدرارا، وهي في ذات الوقت لمصلحة المستهلك الذي سيأكل من إنتاج وطنه، وليست الدولة وحدها المعنية في تحقيق هذه المسائل. بل إن القطاع الخاص ورجال الأعمال عليهم آمال معقودة في هذا المجال، وسيجنون أرباحا وفيرة لو فكروا في مثل هذه المشاريع التي ستخدم وطنهم ومواطنيهم.

وبعـد فإنني أتطلع ويتطلع معي كل المواطنين إلى اليوم الذي نرى فيه هذه المطالب قد تحققت، وما ذلك على همم المسؤولين في دولتنا الرشيدة بصعب ولا عسير.

« متقاعـد أم مستشـار »

■ بعـد مرور أكثـر من نصف قرن على تأسيس مملكتنا المزدهرة وعلى بدايات الخدمة الوظيفية في بلادنا، أصبحنا نسمع ونقرأ كثيرا عن التقاعد وما يدور حوله من جدل، وتنـاولت أقـلام الكتـاب الحـديث عن العوامل النفسية التي تعتري بعض المتقاعدين بسبب الإحالة عن العمل الذي جرهم إلى فراغ لم يعرف بعضهم كيف يملؤه[2].

وإضـافـة إلى أن سن الستين هي فترة كثير من الناس يجتازها وهو بكامل قواه فإن

(١) نذكر هنا أن من أمانينا التي نرجو أن لا نموت حتى نراها: مسألة تصنيع قطع غيار الآليات الزراعية، التي تتلوها بداهة تصنيع الآليات الزراعية نفسها، وتلك لا شك هم مهم في عقول المخططين للإستراتيجية الزراعية في بلادنا السائرة إلى آفاق النهضة والرقي.

(٢) يذكر أن موظفا أحيل على التقاعد، فأخذ يتردد على زميله في مكتبه، فلما ضاق به هذا الزميل، سأله متعجبا: هل أحالوك على التقاعد أم أحالوك علي؟!.

المد التنموي الذي تعيشه بلادنا بحاجة إلى سواعد ابنائها كبيرهم وصغيرهم. وانطلاقا من هذه المقدمة فان لي فكرة أطرحها هنا وأؤمل أن تجد من الجميع القبول والتفهم.

ففي نظري أن الموظف الذي جاوز الستين عاما وخدم بلاده أكثر من ثلاثين عاما أو أربعين عاما ليس من المكافأة والإحسان أن نسميه «متقاعد» خاصة وأن هذه اللفظة توحي لصاحب الستين عاما أن حياته العملية والفكرية ومشاركته الإجتماعية قد انتهت فيصاب بحالة من الإحباط واليأس والشعور بفقدان القيمة والعز القديم. رغم أننا نعرف أن كثيرا من الأعمال الجليلة في العالم إنما جاد بها أصحابها وهم بعد الستين سنة وتلك حقيقة يعرفها الجميع.

لذا أرى أنه من الحكمة أن من خدم في الدولة أو في الشركات والمؤسسات الوطنية الفاعلة أكثر من ثلاثين سنة ثم طلب الإحالة عن العمل، أن تمنحه الدولة ويمنحه المجتمع تبعا لذلك لقب «مستشار» ويعطى بذلك «شهادة» تبين سبب منحه هذا اللقب وأن بلده ومجتمعه ينتظر منه العطاء والمشاركة وابداء الرأي والمشورة في شئون التقدم والإزدهار ومجالات الحياة.

إن أمراً كهذا سيشعل فيه جذوة العمل بجهوده الذاتية والمشاركة في بناء الوطن على أصعدة أخرى بفاعلية وشوق، وأمراً كهذا سيمتعه ويلذ له معنويا أكثر من أي إستحقاق مالي يأخذه، وإن من يعمل في حقل وظيفي معين أكثر من ثلاثين سنة سيصبح ولا شك مستحقا على لقب «مستشار» إذْ هو متمكن وقادر على أن يعطي النصح والمشورة فيه سواء في مجال العمل الحكومي أو في القطاع الأهلي، ولأن هذا المسمى يعطيه دفقا من الإكرام والتقدير فتتحسن بذلك نفسيته ويحاول جاهدا أن يقدم لوطنه ومواطنيه نصحه وتجاربه بنفسية راضية واحساس واثق. .

وناحية أخرى، وإن كانت ليست على نطاق واسع فإنه من النافع لو عمدت الدولة أيدها الله إلى إيجاد قسم في كل مصلحة حكومية وفرع باسم «قسم المستشارين» ويعين في هذا القسم كل موظف جاوز الخامسة والستين من عمره وخدم في الدولة وأحيل على المعاش ويرغب في العمل، على أن تتم معاملتهم المالية على نظام مكافأة الساعات كأن تحدد لهم ساعات معينة في اليوم، ولا يرتبطون بالدوام الوظيفي الطويل اعتبارا لكبر سنهم، على أن تحال إلى كل متخصص منهم القضايا التي أمضى خبرته فيها ويستفاد بذلك من تجربته وممارسته الطويلة وأن تهيأ قريبا من مكتبهم غرفة

واسعـة تكون بمثابة قاعة محاضرات وتدريب يقوم فيها هؤلاء «المستشارون» بالقاء محاضرات في تخصصـاتهم على الموظفين الجدد والراغبين من الموظفين في الإستفادة ويكون ذلك حسب برنامج تعده المصلحة.

أسجل هذا الإقتراح مدفوعا باحساس الإبن ناحية آبائه..

ذلـك لإنني أشعـر أن كل موظف في بلادي أحيل على المعاش بعد خدمته الطويلة لأمته هو بمثابة الأب وصاحب فضل علينا جميعا نحن الأجيال الصاعدة وأنه قدوة لنـا ومثل نترسم خطاه في البذل والعطاء والتضحية من أجل نهضة وعزة أمتنا الإسـلامية، وفي النهـاية لا يفـوتني أن أضـع ملحظا مهما حول من يستحق لقب «مستشار» إذْ قلت سابقا أنه من أكمل ثلاثين سنة في خدمة الدولة وأنا أضع ذلك كحـد أدنى وإلا فإن المستحق الأكبر هو ذلك الذي أكمل أربعين سنة في الخدمة وجاوز عمره الخامسة والستين والأمر بعد ذلك قابل للتداول!

« العـــود أحمـــد »

■ إذا أمعنت التفكير في مراحل التعرية الجغرافية في السهل والجبل، وعادات الناس في المأكل والملبس، وجدت وجه شبه واضح بينهما، فعوامل التعرية تأخذ في النحت والنقل على صفة بطيئة، حتى ترى تلك الكثيب الهلالي وقد تغير اتجاه قوسه أو تبـدل مكـانـه، وتلك الجبل الأصم تساقط صخره ونحف خصره. ومثل ذلك العـادات في تطورها، لا تراها في الوقت المعاصر تتغير، لكنك حين تنظر بالمجهر خلفك تراها قُلَّب حُوَّل، بينما الرجال يرتدون «العمامة» و«الشطفة» والثياب الواسعة ذات «الردون» الفضفاضة، إذْ تجد بعد مرور عشرات السنين: «العقال» و«الكبك» و«الغـترة البيضـاء»، وقل مثل ذلك عن اللهجة، والمسكن، والملبس.. والعباءة العربية التي نعرفها بـ «البشت» و«المشلح» إحدى أنواع الألبسة التي اعترتها عوامل المد والجزر! قال لي أحد الاخوان والذي يمر بعشر الخمسين: «أذكر أنني ذهبت إلى السـوق ولـما جلست في أحد الدكاكين الذي ضم مجموعة من كبار السن ووجهاء القوم، قال أحدهم لي: لماذا يا ولدي لا تلبس المشلح إن من قارب سنك ــ في الثامنة عشر ــ فقد دخل في حكم الرجال الكبار له ما لهم وعليه ما عليهم».

وأذكر أنه قبل خمسة وعشرين سنة تقريبا، كانت الغالبية من الرجال وخاصة من انتصف بهم العمر يرتدون «المشلح» في الجامع والسوق والولائم، وكان كبير السن

خاصة يتعيب أن يخرج إلى السوق بدونه، بل ربما نسي عصاه لكنه لا ينسى «بشته»!، واليوم قلب نظرك في الجامع أو السوق أو في حفل عرس أو جمع من منتديات الناس، فلن تجد في المائة ـ ممن انتصف بهم العمر ـ سوى ثلاثة أو أربعة يرتدون العباءة العربية، لقد تغيرت المفاهيم حولها، أصبح الشباب والكهل يجد حرجا في لبسها، لأن السائد هو هذا، والناس تأكل ما تشتهي، وتلبس ما يشتهي الناس، وانظر إلى وليمة العرس، فستجد أن «العريس» هو الذي يرتديه، وربما في الحفل أشخاص بعدد الأصابع يلتزمون به!

هل يعني ذلك أننا ـ على المستوى الشعبي ـ تخلينا عن لبس «المشالح العربية» تلك الشعار العربي الرائع، الذي ورثناه عن قرون سحيقة ضاربة في التاريخ، فأمسى رمزا وعلما للعربي في كل مكان؟!

إن في «العباءة العربية» تاريخ سؤددنا الطارف والتليد، وفي أعطافها وأردانها وقصباتها الهيبة والجمال والشمائل العربية الأصيلة.

فيا شيوخ ويا شباب قومي، عودوا إلى رمزكم الأصيل، «فالعود أحمد» لا تدعوا العباءة تسقط، ضعوها على أكتاف الأجيال الوارثة.

« يا صناع الطائرات أفيقــوا »

■ تابعت التغطية الإخبارية الضافية عبر جريدتنا الجزيرة لحادثة اختطاف الطائرة السعودية ثم حادثة اختطاف الطائرة الكويتية.. والحقيقة أنه لا شيء آلم ولا أبشع من هذا الأسلوب الوحشي الذي يعرض أبرياء فيهم نساء حمل وأطفال رضع وشيوخ مرضى إلى الموت فرقا في أجواء انقطعت فيها أسباب الأمل والرجاء إلا من إله عظيم في قبضته السموات والأرض، إن الرجل منا وهو صحيح البدن صميدع القلب أكنه العقل عركته رحى الحياة بثفالها حين يعصف الجو ويكفهر المناخ وتتأثر الطائرة بالمطبات الهوائية صعودا ونزولا، يتشبث بالجريدة بكلتا يديه ويدفن رأسه وتفكيره في صفحاتها ويستعرض كل إعلاناتها من المفقودات حتى المناقصات ويقرأ رغم أنفه كل الزوايا التي كانت لا تعجبه، هذا وهو ذاك والوضع كذلك..؟! فكيف بالنسوة الحوامل والأطفال القصر والشيوخ المتعبين المسنين وهم يواجهون عصابة تكفنت بأكفانها وصوبت مسدساتها وهددت بتفجير الطائرة السابحة في الفلك بين برهة وأخرى..!! ألا يا له من موقف عصيب لم يعرفه الإنسان في تاريخه البشري، حتى

القرصنة على ظهر باخرة تمخر المحيط، النجاة فيها أرجى ألف مرة من طائرة يحملها الريح فوق متن الغيوم ــ بقدرة الله ــ .

لقد أصبح وجود حل يقضي على ظاهرة الإختطاف مطلبا هاما من مطالب الأمم، وأظن أول هذه الحلول هو توفر وسيلة تقضي على المختطف وهو يحاول فرض هيمنته على قائدها وركابها، ذلك لإن إجراءات التفتيش عن الممنوعات التي تجري في مطارات العالم قبيل صعود الركاب إلى الطائرة أصبحت إجراءات غير كافية، ودليل ذلك كثرة حوادث اختطاف الطائرات التي تكررت خلال السنوات الأخيرة، والحق أنك تعجب أشد العجب إذْ ترى أن الطائرات الحديثة المجهزة بأعقد الأجهزة التقنية العالية لا زال ينقصها وجود جهاز مخصص للقضاء على المختطفين! وأظن أن هناك عدة سبل يمكن بواسطتها شل تفكير وأعصاب المختطف في أول وهلة يعلن فيها اختطافه ويحضرني الآن أسلوبان :

١ ــ أن تجهز الطائرة بجهاز ينفث مواد كيميائية سريعة المفعول تخدر الخاطفين وعامة الركاب كتأثير مؤقت لا يضر بالصحة، على أن يكون تأثير هذه المواد محققا للغرض في ثوان لا تسمح للمختطف باملاء مطالبه ولا بدء تحركاته، وأن يكون التحكم بزر هذا الجهاز في قمرة الطيار، ويزود الجهاز بشاشة تلفزيونية تنقل للطيار كل ما يدور في الطائرة عن طريق كاميرات تكشف جميع أركان الطائرة ليكون تصرف الطيار سريعا لحظة بدء الخطف، وأن توجد أزرار تنبيه في قمرة المضيفين يتم بواسطتها الإنذار السريع عن أي حالات مشبوهة، ويكون الطيار ومساعده مستعدين لارتداء كمامات واقية عن هذه المواد سريعا، ويجهز كل سقف مقعد بفتحة سرية غير ظاهرة تنفخ هذه المواد.

٢ ــ أن تجهز الطائرة بنظام كهربائي يحدث صعقا خفيفا لا يكون ضارا بالصحة، لكنه يفقد الركاب توازنهم ويشل سيطرتهم على أنفسهم لمدة معينة يكون الملاحون خلالها قد ملكوا زمام الأمر وكتفوا المختطفين، على أن يكون الملاحون قد تدربوا على مثل هذا الإجراء ضمن تدريبات السلامة، وتعرفوا على الأسباب المانعة والواقية لهم من مفعول هذا الإجراء سواء في تخصيص أماكن سرية معروفة معزولة عن هذا التيار أو في توفير وسائل حماية أخرى.

وأخيرا فإن العلم الحديث الذي صنع العجائب المدهشة في عالم الأسلحة الفتاكة التي يدق على الأفكار تقصي كنه أسرارها قادر ــ إن شاء الله ــ إذا حسنت نية

أصحابه في خدمة الإنسانية ــ أن يتوصل إلى وسيلة عملية تجعل قراصنة الطائرات يضربون كفا بكف يأسا من عقم التفكير في خوض هذه المغامرة. . . فانتظروا إنا منتظرون.

« هل يتصل البحران بقطار المناطق الخمس ؟ »

■ قرأت ما كتبه الشيخ الفاضل عثمان الصالح تعليقا على الأسئلة والأجوبة التي دارت مع ضيف الجزيرة الأستاذ فيصل الشهيل وقد تمنى لو أن الأستاذ محمد الوعيل أثار بعض الزوايا المجهولة في فكر وذكريات الضيف، وخاصة في مجال عمله الحالي «سكة الحديد»، ثم ختم الشيخ تعليقه الضافي بالأمنية التالية: التي حركت مشاعري ودفعتني إلى تحرير هذه السطور، إذْ قال: «والذي نحبه ونصبو إليه هو أن يتم قريبا إيجاد خط حديدي ينطلق من الرياض إلى القصيم ذات الثروة التجارية والمائية والزراعية والبشرية والتعليمية ومنها ومن بريدة إلى المدينة المنورة وإلى الثغر الباسم ــ الميناء الإسلامي إلى جدة المدينة العظيمة، إن في هذا الخط ثروة للدولة ولهذا الشعب، ويقرب المصالح، وينمي المنافع، ويقرب أجزاء الدولة إلى بعضها الخ. . . انتهى ما قاله الكاتب.

والحقيقة أن هذه الأمنية لو تحققت لتحقق معها الخير الكثير لصالح مناطقنا الخمس، الشرقية، الوسطى، القصيم، المدينة، الغربية.

ولقد رأيت أن من المناسب قبل التطرق إلى فوائد هذا المشروع، أن أعود إلى مرجع تاريخي يتطرق إلى تاريخ السكة الحديدية في المملكة العربية السعودية، فوجدت ضالتي في كتاب «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز» لمؤلفه خيرالدين الزركلي، فهو يرى أن خط السكة الحديد والوحيد الذي يصل بين الدمام والعاصمة الرياض. افتتح رسميا في ١٩ محرم ١٣٧١هـ في عهد جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله، ثم يقول في الجزء الثالث صفحة ٨٤٢ مستكملا حديثه عن خط سكة الحديد: «وكتب لي السيد رشدي ملحس، في اليوم نفسه، عند افتتاح الخط قائلا: ونسأل الله أن يمد في عمر مولاي، فيتم ايصاله إلى جدة، وقالت جريدة أم القرى في ١٣٧١/٥/٥هـ: «إن الملك بمناسبة افتتاح سكة حديد الدمام ــ الرياض، قد أبدى الرغبة في استمرار العمل لإيصالها إلى جدة، بحيث تصبح المملكة تربطها شبكة حديدية تبدأ من الدمام على ساحلها الشرقي وتنتهي بجدة على ساحلها

الغربي، في مسافة طولها نحو ألفي كيلو متر. قلت ـ الكلام لا يزال للمؤلف: وفي اكتوبر ٥٣م وضعت «شركة الهندسة الدولية» في سان فرانسيسكو، تخطيطات هندسية ورسومات وخرائط للسكة الحديدية بين الرياض وجدة، في مجلد ضخم بالعربية والانكليزية، كتب القسم العربي منه بخط اليد والانكليزي بالآلة الكاتبة، رأيت نسخة مصورة عنه، ولا أعلم ماتم في شأنه.. الخ.

هذا بعض ما قاله المؤلف، وإذا قارنا بين ما تمناه الشيخ عثمان، وما أخبر عنه خير الدين، نجد أن الأمنية قديمة، وأن عمرها ينوف على الأربعة والثلاثين عاما، ولقد شهدت بلادنا المملكة العربية السعودية خلال هذا الجيل المنصرم تطورا وتحضرا وبناء على شتى الأصعدة، وفي زمن قياسي لم تحققه أمة في التاريخ، لكن المستقريء يعجب حين يرى أن خطوط السكة الحديد بين تفريعات المواصلات المختلفة لم تتطور كما وإن كنا لا ننكر تطورها كيفا، إذْ اقتصرت على الخط القديم، الذي يصل الرياض بالدمام طيلة هذه الفترة التي نمت فيها مجالات بلادنا، فأصبحت بحاجة الى استكمال هذا الخط ليصل الرياض بالقصيم ومنه إلى المدينة وجدة.

ولا شك أن بناء خطوط السكك الحديد وتشغيل القطارات، يكلف نفقات مالية مرتفعة، إذْ هي من أكثر وسائل المواصلات كلفة، لكن دولتنا التي حققت الكثير على أرضنا الخيرة المعطاءة، لن يصرفها ذلك عن تحقيق هذا المشروع الذي سيصل البحرين: الخليج العربي شرقا،والأحمر غربا، والذي سيخفف الضغط على الطرق البرية والبحرية والجوية، والذي سيشجع المزارعين والصناع والتجار على تسويق بضائعهم، ويوفر للمواطنين وسيلة ركوب أكثر أمنا، ويسهل نقل أنواع الوقود إلى مختلف المناطق، ويساهم في نقل حجاج الداخل وكذا حجاج المشرق.

والفوائد متعددة يطول بسطها، وجميعها تؤكد الجدوى الإقتصادية من اقامته، والله أسأل أن يعين ولاة الأمر في بلادنا الناهضة إلى كل ما يسعون إليه من مشاريع خيرة منتجة، والله الموفق والمساعد سبحانه.

« قطار المشاعر المقدسة، متى نراه ؟ »

■ الأسلوب الذي طبقه المرور في المشاعر المقدسة خلال أيام الحج هو أسلوب عملي متطور... إذْ لا يسمح لأصحاب السيارات الصغيرة التي تقل حمولتها عن تسعة ركاب بالدخول إلى المشاعر بل تقف دون ذلك في مواقف مخصصة لها، وحتى

السيارات الأخرى محظور عليها الوقوف في منى إذْ على الحاج أن ينزل أمتعته ثم يخرج بسيارته إلى أماكن للوقوف خارج منى .

لكن تبقى مشكلة الدخول إلى مكة والنزول إلى عرفات ثم الإنصراف منها إلى مزدلفة والعودة بعد ذلك إلى منى وهي مهمات لا يستغني فيها الحاج عن سيارته وهنا نجد أن الحلول التي طبقها المرور غير كافية لإنهاء مشكلة اختناق المرور وازدحام السير[١] .

أذكر في حج هذا العام أننا انصرفنا من عرفات بعد مغيب الشمس أي في حدود الساعة السادسة والنصف تقريبا ولم نصل إلى مزدلفة إلا في حدود الساعة الثانية بعد منتصف الليل بالتوقيت الزوالي أي سبع ساعات في زحمة السيارات ودخان الشاحنات وسيارات الديزل ومخاطر المرور وتوتر الأعصاب . . . رغم أن المسافة بين عرفات ومزدلفة قد لا تزيد على سبع كيلو مترات . . ولقد وصلت أعداد السيارات هذا العام إلى رقم قياسي يتعذر على خطوط المشاعر أن تستوعبه مهما كانت قدرتها وسعتها ، ولولا عون الله ثم الجهود الجبارة والوسائل الحديثة التي يطبقها جهاز المرور، لما كان هناك طريق سالك، والدولة حفظها الله تنفق الآف الملايين من أجل راحة الحجاج وسلامتهم . .

وأظنه حان اليوم الذي أصبح فيه من المهم إقامة سكة حديد بين مكة ومنى ومزدلفة وعرفات لتسيير قطارات تنقل الحجاج مع أمتعتهم على ضوء رحلات محددة تتفق مع توقيت نسك الحج . .

وإذا رؤي أن يسير القطار تحت أنفاق في الأرض فسيكون عمليا أكثر ومن الممكن أن يكون القطار بدورين مثلا ويخصص عربات منه للأمتعة . . وإذا رؤي أن يكون القطار بدون مقاعد ولكن يقف كل حاج ماسكا بيده ما يسنده مثل ما يشبه حافلات الخطوط السعودية التي تسيرها بين المطار والطائرة على أن تخصص مقاعد لكبار السن، وذلك لأمرين أولا : أن المسافة التي سيقف فيها الحاج قد لا تستغرق الخمس دقائق لقرب المشاعر مع بعضها وثانيا لأن عربات القطار بهذه الصورة ستصبح ذات قدرة استيعابية هائلة . . .

ومهم أيضا أن يكون الركوب فيه بأجرة معينة تساير امكانيات الحجاج، لأن

---

(١) كان ذلك في حج عام ١٤٠٣هـ.

ذلك سيخفف من الركوب دون حاجة ماسة، ويجعل لهذه المؤسسة موردا ينفق عليها في الصيانة والتطوير، وبهذه الفكرة يمكن حجز جميع السيارات في مواقف دون مكة، وتصبح مكة والمشاعر المقدسة خالية من السيارات لأن القطار سيكون له محطات معينة في كل النقاط المهمة.

إن تطبيق هذه الفكرة ليس صعبا على همم دولتنا الرشيدة. . . التي نحتت الجبال لتقيم الأنفاق وبذلت كل غال ورخيص من أجل خدمة الحرمين الشريفين.

« محاورة صريحة »

■ كنا ثلاثتنا نقف على فوهة بئر في مزرعة بمنطقة (البطين) بطن القصيم الزراعي، وكان الفني يعالج النقص الحاصل في ضخ الماء، وقرر أن نزيد على الخمسين أنبوبة عشر أنابيب أخرى، ليصبح سحب الماء من مسافة مائة وثمانين مترا. . .! قلت للفني إن البئر قبل عام كانت خمسا وثلاثين أنبوبة ثم زدناها عشرا وخمسا واليوم تريدنا أن نزيدها عشرا أخرى إن هذا لأمر يدعو للقلق. .؟!

فرد علي الفني متبرما من تبرمي إن الآبار من حولك كلها بهذا العدد وشأنك شأن الناس فإن كنت تريد ماء فاصنع صنيعهم فتدخل أحد ثلاثتنا قائلا: إن بداية البذر لموسم القمح قد أزفت هذه الأيام وبدأ الناس في تشغيل أجهزة الماء المحورية وهذا سبب نقص الماء. .؟!

فرد أحدهم: لكن مستوى الماء بانحدار مستمر والناس ماضون قدما في حفر الآبار الارتوازية في هذه المنطقة. . !

فأجاب الثالث: إن مصادر التعويض للفاقد من الماء موجودة لكن نسبتها في ظني أدنى كثيرا من نسبة الإستنزاف الحاصل وهذا يفسر حدوث النقص في مستويات الماء، فعلقت على حديثهم قائلا: إنني أظن أن المشكلة ليست مشكلة مخزون الماء ومصادره بقدر ما هي مشكلة فنيات حفر البئر وحجبه وهذا يفسر استقرار مستوى الماء في بعض الآبار وتذبذبه في البعض الآخر. . .

واستمر تبادل الحوار على هذا المنوال.

« المياه قضية الساعة »

■ قال لي أحد المزارعين: أجريت دراسة على ضخ المياه في موقع «ما» من منطقة «البطين» الزراعية بالقصيم، مساحته ٢٠ كيلا في ٢٠ كيلا، فظهرت الحقائق التالية،

يوجد في الموقع ٢٠٠ بئر، كل بئر يضخ ألف جالون في الدقيقة، أي أن هذه الآبار جميعها تدفع ٢٠٠ ألف جالون في الدقيقة، وهي تعمل خلال ٢٤ ساعة خلال موسم زراعة القمح! والمشكلة تكمن هذه الأيام في انخفاض مستوى الماء إلى منسوب تعجز المكائن السطحية عن سحبه فالعديد من المزارعين استمر في إضافة أنابيب جديدة، ليلحق منسوب المياه الهابط، حتى وصلت هذه الأنابيب إلى سبعين أنبوبة بطول ٢١٠م، وهذه مسافة لا تأتي بها إلا أضخم المكائن. وليست المشكلة مشكلة نضوب مياه مخزونة ومحددة المستوى إذْ ثبت أن التعويض مستمر لهذه المياه، وأن ثمة أنهر تجري تحت الأرض تغذي هذا المخزون، فما أن ينتهي موسم القمح، وتتوقف المكائن عن الهدير، حتى يرتفع منسوب المياه بنسبة ٥٠٪، ويعود إلى وضعه الطبيعي قبل عدة سنوات، وهذا بحمد الله يعطينا اطمئنانا وراحة، لكن المشكلة تكمن في تعدد الآبار في الموقع الواحد، مما يجعل الصرف أكثر من الوارد، والفاقد أكثر من التعويض، ونتائج هذا واضحة الآن في كثير من الآبار التي توقفت عن جلب الماء، لأن المنسوب انخفض وهذا يحدث خاصة في مثل هذه الأيام في الشهر الأخير من عمر الزرع، حيث يقبل الصيف ويشتد الحر، ويقل منسوب الماء في الأرض إن المسألة بحاجة إلى دراسة عميقة من قبل أهل الإختصاص للوقوف على الطبيعة ووضع الحلول الناجحة التي تكفل ترشيد سحب هذه الثروة الطبيعية الغالية، حتى لا يتضرر المزارع الذي يقدم على وضع ثروته في موقع لا يأمن غور مائه، ولا يقدر ثمن مخاطرته. والله ولي توفيقنا وتوفيق الجميع.

« قطع غيار الآلات الزراعية »

■ الأسعار، والوفرة، بالنسبة لقطع غيار الآلات الزراعية، هي إحدى المشاكل التي تواجه المزارعين في بلادنا، فكثير من أصحاب الوكالات لا يؤمن القطع بصورة مستمرة، وإذا وجدت فإن أسعارها مرتفعة وعلى سبيل المثال ففي السوق الآن أكثر من خمسين نوعا من المكائن الزراعية وعادة ما يقع المزارع في اشكالات مع هذا التنوع، لأنها ليست على مستوى جودة واحدة، ولا كل الوكلاء ملتزمين بتوفير قطعها.
ولو درست أحوال هذه المكائن وانتخب منها ثلاثة أنواع، فاعتمدت وحدها لكان في ذلك مصلحة كبرى، أولها نبذ الأنواع الرديئة وثانيها: القدرة على متابعة وكلائها وتأمين قطعها وثالثها: توفير قطع التشليح بصورة أكبر لحصر العددية السابقة. إن

المزارعين الذين يعانون من مشاكل صيانة الآلات الزراعية، يرجون أن يراقب وكلاء قطع الغيار، وأن توفر الورش الكبيرة المتخصصة، والمخارط القديرة، فعلى سبيل المثال لا يوجد في منطقة القصيم سوى مخرطتين للأعمدة والسرندلات، وهي لا تفي بالغرض، إذْ يعطون مواعيد تزيد على الأسبوع، وهذا يحدث ضررا فادحا في المحاصيل الزراعية عند الفلاح، خاصة في فصل الصيف. أما مشاكل القطع والصيانة في أجهزة الري المحورية فكثيرة لعل أهمها أن هذه الأجهزة مصممة على نظام موديلات سنوية، فما أن يطلب الفلاح صيانة جهازه بعد عامين أو ثلاثة حتى يقول له الخبير، إن جهازك موديل معقوب، فيغير عليه قطعاً كاملة سليمة، لا سبب لتغييرها سوى تغير الموديل! هذه بعض هموم المزارعين أطرحها على هذه الساحة، وأثق أنها ستجد من المسؤولين آذانا واعية وقلوبا رحيمة. وتلك هي أمانينا القريبة، أما أمانينا الطموحة فهي أن نرى اليوم الذي نستطيع فيه تصنيع قطع غيار هذه الآلات في بلادنا، تمهيدا لصنع الآلات نفسها، وأرجو أن يكون ذلك اليوم قريبا، وهو بعون الله كذلك، فحملة الأمانة في بلادنا على مستوى المسؤولية، والتعليم الفني والمهني أسس قاعدته وبنى كوادره، وأصبح مهيئا لحمل هذا التكليف، إننا إن فعلنا ذلك دفعنا بالزراعة أشواطا أخرى إلى الأمام. . .

« هل تبقى صورة الماضي وسط مدننا »

■ مركز المدينة القديم، هو شاهد تاريخها، ودليل عراقتها، والزائر لأي مدينة لا يعتبر زيارته كاملة، إلا إذا خطا في أسواقها القديمة، وتسوق من محلاتها العتيقة، ووقف متأملا آثار سكانها الأوائل، فيخرج وقد أبصر الماضي، واستنشق رائحة التاريخ المسطر على بيوتها، والمنقوش على أحجارها، والملون على أبوابها. وكل مدن العالم تحرص على بقاء الطابع المتميز للبقية الباقية من بيوتها وأسواقها القديمة؛ لتجذب الزائر، وتؤصل التأريخ، وتقيم قنطرة الربط بين الماضي والحاضر؛ ولذلك نجد أن بلديات هذه المدن تحرص على أن يكون تجديد وترميم هذه المنطقة على نفس الطراز القديم، وأقرب مثال عندنا، مشروع منطقة قصر الحكم بمدينة الرياض، ومدينة جدة القديمة، وبعض الشيء في منطقة القصر القديم بحائل. وفي معظم مدن العالم ترى الحرص على هذا الأسلوب، حيث الأسواق القديمة بها لازالت عامرة بمبيعاتها وتحفها التراثية، كخان الخليلي في القاهرة، وسوق الأحمدية في دمشق،

والسوق المسقوف في استانبول، ومدن المملكة ــ والحمد لله ــ أخذت بنصيب وافر من هذه الخطة، وتحرص إدارة الآثار وبلديات المدن على تطبيق هذه الفكرة ما أمكن لها ذلك.

وفي الفترة الأخيرة تسعى بلدية مدينة بريدة، إلى تنظيم ساحة الجرده، وهي خطوة جيدة، لكن محبي الآثار، يأملون أن تحتفظ بريدة بملامح منطقتها القديمة، وأن لا يحدث تغييرا جذريا، يفسد صورة الماضـي فيها. وليت المنفذين للمشروع يضعون في تصورهم تطبيق الشكل القديم لهذه المنطقة، فسوق «المجلس» ــ القشلة القديمة ــ، و «قبة رشيد» و «الوسعة»، نأمل أن ترمم على هيئاتها الحالية، وأن يشجع أصحاب المهن والمبيعات القديمة، كتجار المشالح والعطورات والتحف والخرازين وغيرهم، والذين كانوا يعمرونها من قبل لكي يعودوا إليها، فنستعيد بهم وبها لوحة من الماضـي تكاد تندرس.

« سوق الحرف الشعبية متى يقوم ؟ »

■ نحن مدعوون إلى أن نعطي الجانب الحرفي والمهني لتراثنا الشعبي حقه الذي يستحقه من الإحياء والإنبعاث، فقبل ثلاثين أو أربعين عاما كانت أسواقنا القديمة تعج بالصناع المهرة والحرفيين المجيدين المبرزين في كل فن.

واليوم نرى صناعاتنا المهنية القديمة بتنوعها وجودتها تكاد لا تخطر على قلب أحد من أبناء جيلنا، أين هي؟ لقد اندثرت أو تكاد! ولكن أهلها لازال فيهم بقية لم تخطفهم يد المنون بعد، إنهم الأساتذة الذين انفصم بهم عرى التواتر المهني الذي ورثوه أب عن جد منذ مئات السنين، فهل يمكن لنا أن نتدارك الوقت، ونوقد الشعلة بهذه الجـذوة التي تكـاد تنطفيء، لا أستطيع هنا أن أخاطب جهة معينة إذْ تتعدد الجهات المسؤولة عن إحياء هذا الدور الجميل الذي ولى، إن المتاحف الشعبية تعطي معـاني ملمـوسة ومنظورة عن هذا التراث الحرفي الرائع، لكنها معاني جامدة ميتة! والحـل يكـون في إيجـاد سوق شعبي تتواجد فيه كل الحرف حية ناطقة بشخوصها وآلاتها، يشاهد فيها الزائر صانعا يصنع قدرا، وخارزا يخرز نعلا، ونجارا ينجر لوحا، وخاصفا يخصف حصيرا، وصائغا يذيب إسوارا، وحدادا يطرق فأسا. . . الخ.

بواسطة أساتذة هذه الحرف الباقين على قيد الحياة نستطيع أن نؤسس جيلا يتعلم على أيديهم ويتفهم قدر هذه الحـرف، ويقـوم بدور التـوصيل الطبيعي بين

الأجيال. فلو أن بلديات مدننا الهامة انشأت مثل هذه الأسواق وخصصت لنشاطها ساعة في الأسبوع يزاول فيها الحرفيون أعمالهم ورصدت لهم مكافآت مجزية ومغرية، لو نفذت ذلك لحققت لتراثنا أروع انبعاث وأعظم تقدير.

« يا أيـــام الصبا ما أروعك !! »

■ إذا حلى لك أن تغسل عينيك «بقطرة» شافية وتزيل عن روحك صدأ السنين وركام الأيام، فاذهب إلى مهد الطفولة إن كان باقيا، وأسألك الله إن وجدت الطريق لم يفترشه «الإسفلت» إلا خلعت نعليك، وتحسست بقدميك تراب الأرض ماشيا. . فمنذ أيام وجدت نفسي وسط البلدة القديمة وتحديدا في طريقي إلى مدرستي الإبتدائية حين كنت طفلا قبل عشرين عاما، وطغت كل الأحاسيس في نفسي واستجاشت كل المشاعر المخزونة في فكري.

وأوقفت سيارتي، وترجلت سالكا الطريق الموصل للمدرسة، ورغم أن الطريق الضيق المترب خاليا إلا من بيوت الطين الخربة المهجورة المصطفة على جانبيه إلا أنني كنت أحس أن كل زملائي الصغار حولي، وأن الدرب المتعرج يسيل بهم وصيحات الطفولة وشغبها يندى بها الطريق، وواصلت مسيري وما هي إلا برهة حتى وجدتني على باب المـدرسـة، إنها «المدرسة العلمية»[1] هذا مبناها القديم الذي خلفته بعد انتقالها لحي جديد، هذا هو المبنى الذي قضيت فيه فترة الطفولة دارسا. .

ووقفت على الباب فإذا هو مفتوح وأحسست بالهيبة والوجل الذي كان يلبسني حين أصل المدرسة متأخرا، ودخلت بهو المدرسة فإذا البنيان هو البنيان، ودلفت إلى الفصول المشرعة الأبواب فتنقلت من الفصل الأول حتى أنهيت الفصل السادس.

ثم عدت فوقفت وسط الفناء فإذا بي أشعر أن صورته القديمة في فكري أوسع

(١) هي المدرسة الدينية الأهلية ببريدة، تأسست عام ١٣٨١هـ، بجهود أهلية، كان مديرها الشيخ الورع «محمد بن فهد الرشودي»، أتم الله عليه نعمه وختم له بخير ما يختم به لعباده الصالحين المصلحين، وعاونه في التدريس بها ثلة من الأساتذة الأخيار، الذين نذكرهم بالتقوى والإخلاص، ونتوجه إلى الله أن يثيبهم من عنده كفاء ما بذلوه من علمهم، وما أعطوه من وقتهم، ولازالت هذه النبتة المباركة تواصل رسالتها، وقد أسند الإشراف عليها مؤخرا إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وكنت التحقت بها ومعي الأخ إبراهيم عام ١٣٨٤هـ، وفي السنة الرابعة ١٣٨٧هـ، تحولنا إلى مدرسة تحفيظ القرآن الكريم ببريدة.

مما هو عليه الآن! لقد ضاقت وصغرت الأشياء في مرأى العين فما السعة والجمال والبراءة إلا صنع عين الصغير!

فهذا الطريق الذي لا يزيد عرضه على ثلاثة أمتار كان في نظري وأنا صغير أوسع الطرق وأشرحها، وهذه البيوت الطينية كانت أعلى البيوت واسمقها!

إن الآثار هي الخيط المادي الوحيد الذي يصلنا بالماضي العريق، وبدونها تبقى صور الذاكرة غير ذات وعاء تسكن فيه، فيا أيام الصبا ما أروعك، ويا مهد الطفولة سقيت من المزن غيثا ممرعا.

« حين أجد نفسي »

■ عندما ادخل مدينة من مدن بلادي، أضرب صفحا عن أحيائها الجديدة، وأيمم صوب الأحياء القديمة أتملى الماضي العريق واستنشق عبق الأصالة حين كانت مبانينا بموادها وهندستها وأثاثها ورياشها من عمق الذات وهوية الأرض.

أحس بالراحة والإنتشاء والحبور وأنا أشاهد المتاجر البسيطة المتخلفة عن الماضي، وأحس بالسعادة وطعم الوفاء وأنا أتملى بعيني رجالا طاعنين في السن يصرون على أن ينهوا بقية حياتهم في قلب مدننا في المكان الذي شهدوا فيه إقبال الزمان عليهم وإدباره عنهم! دون أن يسمحوا لتيار المدنية الجارف أن ينقلهم إلى شواطئه الأخرى.

إنهم شهداء على الماضي بكل معانيه الجميلة والأصيلة والقاسية، ولو أن بلديات المدن راعت أن تبقي أجزاء من الأسواق القديمة المبنية بالطين دون أن يمسها نزع الملكيات وأن ترمم ما تهدم منها، وتنسق مع أصحاب الدكاكين الذين يزاولون مهنا حرفية ويدوية قديمة والذين يبيعون الأدوات والمأثورات الشعبية القديمة، أقول تنسق معهم وتشجعهم وتضع لوحات ترشد زوار المدينة اليهم وتمد لهم يد العون في بعض النواحي، لو فعلت البلديات ذلك لساعدت في إبقاء النافذة المطلة على الماضي مشرعة ولمدت بسبب إلى جزء غال وحبيب إلى نفوسنا يصل أبناءنا بماضيهم، لأن من لا ماضي له لا حاضر له.

« ما أحلى " شري " .. »

■ قال لي[1]: قبل خمسين عاما كنت في قافلة قادمة من الشام تريد القصيم، وفي

(١) القائل هنا، هو عمي: «صالح بن عبدالكريم الطويان» ــ رحمه الله ــ ١٣١٧ ــ ١٤٠٩هـ، ففي

منتصف الطريق تقريبا بين حائل وبريدة أنخنا رواحلنا في هجرة صغيرة قيل لنا إنها «شري» وعندما شاهدت تربتها قلت لرفاق الرحلة: إن هذه التربة هي أنفع ما تكون للزراعة، ولو قدر لي أن أزرع ما زرعت إلا هنا! ضحك بي الجميع عامئذ، كيف؟! أتزرع هنا يا رجل؟! في هذه الأرض البعيدة الجرداء.

واليوم وبعد نصف قرن من الزمان تعال شاهد هذه الهجرة لقد شبت عن الطوق فأصبحت إحدى مراكز إمارة منطقة القصيم، وأصبحت منطقة «شري» من أوسع مناطق القصيم الزراعية لجودة تربتها ووفرة مائها، فوزعت أراضيها على المستثمرين من المزارعين، وركبت فيها مئات أجهزة الري الحديثة، وأمست أطنان القمح تصدر منها بالآلاف، قلت له: لقد ذكرتني قول الشاعر:

ولست بعلام الغيوب وإنما
أرى بلحاظ الرأي ما هو واقع

ولا أدري مم أعجب، هل لحدسك؟ أم لهذا التطور الزراعي الكبير؟ وحقا إن كمال العقل إصابة الرجل بظنه، وأن هناك رجالا آتاهم الله نفاذ البصيرة وسداد الرأي وقوة الملاحظة وطول الهمة، فترى حدسهم كثيراً ما يصيب وتوقعهم قليلا ما يخطيء. وقدر لي أن أزور «شري» عدة مرات، فوجدتها منطقة زراعية واسعة الأطراف كثيرة المزارع غزيرة الماء، وهي اليوم بحاجة ماسة إلى إقامة «صوامع غلال» فيها لتشكل مع الصوامع الواقعة قرب «بريدة»، والصوامع الواقعة في «حائل» ثالوثا يخفف الضغط والعبء الواقع على الصومعتين. والله المعين والموفق لصالح الأعمال:

«ذكي تظنيه طليعة عينه
يرى قلبه في يومه ما يرى غدا»

«سنابل وخمائل»

■ نحن عائدون من الرياض إلى القصيم، والطائرة تتطامن وتتأرجح تمهيدا للهبوط في مطار القصيم، ومساحات القمح الخضراء على أرض (المليداء) تتناثر على

= السنوات العشر الأخيرة من عمره، أغرم بالزراعة، فكان أن اشترى مزارع كثيرة في المليداء، وآثال، والبطين، وشري، وأذكر أنني صحبته في تلك العام، وهو في طريقه إلى «شري» فاشترى عددا من المزارع، وكلما قلت له: ألم تكتف بما اشتريت؟! رد علي: أرض طيبة وماء حلو! فأجبته ضاحكا: من شري حتى الشام، الأرض طيبة والماء حلو!، غفر الله له، أحسبه ـ إن شاء الله ـ ينوي بذلك فضيلة الغرس وأجر الزرع، كتب الله له ثواب أعماله وصالح نياته.

رقع متعددة متنوعة، تأسرك بدواويرها ومستطيلاتها وجليسي يشرئب بعنقه هنا وهناك، مالئا عينيه بالخضرة والمناظر الآسرة، وهو بين الفينة والأخرى يندار بوجهه إلي ويثني إعجابه الكبير بما يرى!!، قلت له إن هذا الشهر هو عرس القصيم، حيث تزدان جهاته الزراعية بمناظر حقول القمح الخضراء التي تطاول خط الأفق، حيث ترتفع قصب القمح بسموق وشموخ، وما ترى الآن أسفل منك لا يمثل من مزارع القمح نسبة تذكر، إن تعداد مزارع القصيم ينوف على الستة آلاف مزرعة، وإذا افتخرت الرياض بنهضتها الحضارية وتوسعها العمراني الكبير، وافتخرت المنطقة الغربية بمقدساتها وموانئها، وافتخرت المنطقة الشرقية بمصانعها وشركاتها الإقتصادية، فإن القصيم يزهو بمزارعه الواسعة ومياهه الدفاقة الفوارة، ليؤلف مع شقيقاته المناطق الأخرى حلقة التكامل الإقتصادي والحضاري الذي حبانا به رب العباد، والمزارع في القصيم يخلص لمزرعته وهو شديد الحدب عليها وكثير الإنفاق فيها، وهو مقتنع أن سبيل الإستثمار الأمثل والأبقى هو بها وعن طريقها، وقد تكون أيامك ماتعة وسعيدة لو تجولت في غدد من مزارع القصيم، إذا لرأيت ما يسرك ويبهج خاطرك ويزيد في حبك للقصيم ولوطنك عامة.

وودعت جليسي وهو أكثر ما يكون افتخارا بالقصيم ورغبة في استكشاف مناحيه!.

« الزيارات الملكية التاريخية لمنطقة القصيم »

■ دأب الخلفاء وولاة الأمر، منذ بدء العصور الإسلامية، على تفقد ولاياتهم وشعوبهم، والوقوف على أصعدة منجزاتهم، والإستماع إلى هموم وآمال مواطنيهم إحساسا منهم بعظم الأمانة التي يحملونها، وحرصا منهم على تحضير وتطوير بلادهم، وحث ولاتهم والقائمين بأمرهم على إنجاز تعليماتهم لإسعاد مواطنيهم وتأكيد الصلات الحميمة التي تربط بين ولي الأمر وشعبه، وعلى هذا المبدأ الإسلامي الرفيع، سار الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ، والتزم به ابناؤه من بعده، الملك سعود وفيصل وخالد، تغمدهم الله برحمته، وتأتي اليوم زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ، لمنطقة القصيم تأصيلا لهذا النهج القيم، وقد رأيت من المفيد في هذه المناسبة السعيدة على قلوب الجميع، أن أتتبع تاريخ الزيارات الملكية لمنطقة القصيم، بدءاً من أول زيارة قام بها الملك عبدالعزيز لمنطقة القصيم، بعد توحيد المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ.

ونـظرا لشـح المـراجـع التاريخية المدونة عن موضوع الزيارات الملكية لمنطقه القصيم، كموضوع مستقل، وجدت أن من الضروري استقاء المعلومات من أفواه كبار أهل البلد من المعمرين الذين عاصروا هذه الزيارات بدءا من أولها، فكان أن قابلت المشايخ: حمود بن عبدالعزيز المشيقح[(١)]، محمد بن عثمان القاضي[(٢)]، عبدالله ابن إبراهيم السليم[(٣)]، ورجعت إلى بعض المصادر مثل «تذكرة أولي النهى والعرفان» للمؤرخ الشيخ إبراهيم بن عبيد[(٤)] وإلى كتاب «معلم ومجتمع» الصادر عن مركز ابن صالح بعنيزة.

« الزيـــارات الأولـــى »

في عام ١٣٢٢هـ تم فتح «القصيم» ويؤكد الشيخ محمد القاضي، أن الملك عبدالعزيز كان يتفقد القصيم سنويا حتى عام ١٣٣٠هـ، وهي فترة توطيد الحكم، أما الزيارات التي تمت بعد توحيد المملكة، وكان فيها استقبالات رسمية، فيعتبرها سبع زيارات رسمية، ويتذكر الشيخ حمود المشيقح إحدى زيارات الملك عبدالعزيز للقصيم عام ١٣٤٢هـ.

١٣٥٧هـ

في كتابه «تذكرة أولى النهى والعرفان»، يصف المؤرخ الشيخ إبراهيم بن عبيد زيارة الملك عبـدالعـزيز إلى القصيم ويؤكـد تاريخ هذه الـزيارة الشيخان المشيقح والقاضي، وفي كتاب «معلم ومجتمع» يتحدث الشيخ/ صالح الضراب عن ذكرياته التي أملاها على معالي الدكتور/ عبدالعزيز الخويطر، فيذكر أن الملك عبدالعزيز زار

(١) من وجهاء بريدة وتجارها، على دراية كاملة بالتاريخ الذي مر عليه، له اطلاعات في كتب الشريعة والتاريخ، وهو معدود من المعمرين الذين يرجع إليهم بالمشورة والرأي. ـــ توفي رحمه الله تعالى عام ١٤٠٩هـ ـــ بعد تحرير هذا التهميش.

(٢) من أسرة القاضي المشهورة بالقصيم، مثقف ومحب للقراءة، يعي أحداث التاريخ، وهو مسؤول عن أمانة المكتبة الصالحية بعنيزة.

(٣) شاب في عمر الشيوخ، يحلق بك في أجواز الفلك فيريك الأهلة والنجوم، أمضى جل عمره في التربية والتعليم، وكان من الرواد المؤسسين، اهتم في العقود الأخيرة من عمره بالفلك، فجوده وعد فيه من المبرزين، له فيه كتب تعتبر مراجع لهذا الفن، وقد عرفته ودودا فكه الحديث مليح النادرة.

(٤) شخصية متميزة على فقه في علوم الشريعة وخاصة علم الفرائض، فهو على دراية عميقة فيه، وكثيرا ما يرجع إليه القضاة يستطلعون رأيه في مشكل مسائلة، محبب إلى تلامذته لظرفه ودعاباته، تاريخه صدر من خمسة أجزاء، وهو يسجل أحداثا لم يسبقه في كثير منها أحد.

مدينة عنيزة عام ١٣٥٥هـ، وأن مدرسة المرحوم ابن صالح[1] أقامت له حفلا كبيرا، أعجب به جلالته فأبرق جلالته لمدير المعارف العام باعتمادها مدرسة حكومية، والمرجح أن زيارته تمت عام ٥٧هـ وليست ٥٥هـ كما ذكر ذلك الشيخ القاضي.

١٣٦٠هـ

يتحدث الشيخ إبراهيم بن عبيد عن زيارة الملك عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ إلى القصيم في هذه السنة، حيث وصل موكب جلالته، وخيم في «التغيرة» موضع شمال شرق بريدة ــ فاستقبله الأهالي استقبالا عظيما، وأقام في بريدة أياما ثم ارتحل، ويتذكر هذه الزيارة الشيخ حمود المشيقح، فيقول إن الملك عبدالعزيز ــ يرحمه الله ــ كان إذا جاء بريدة أقام فيها أياما طويلة لا تقل عن شهر، وكان يخيم بالتغيرة[2].

١٣٦٦هـ

يقول الشيخ ابن عبيدة في مؤرخه: في هذا العام أمر الملك عبدالعزيز ــ يرحمه الله ــ بتأسيس مطار في مدينة بريدة في القصيم، ولما كان في صباح ١٧/٤/١٣٦٦هـ خرج أهل القصيم إلى المطار للاستقبال حيث وصل عاهل الجزيرة من الرياض على ثمان طائرات، ويتذكر الشيخ حمود المشيقح هذه الزيارة، ويقول إن طائرة جلالة الملك كانت أول طائرة تهبط في مطار بريدة، وأن أهل القصيم قاموا باستعراضات عسكرية احتفالا بقدوم جلالته، وأنه سر بما أبدوه من محبة وفرح، بقدومه، ويذكر أن أحدهم قال للملك عبدالعزيز «لو أنك ما ركبت الطائرة!» فرد عليه: «أنا متوكل على الله في الأرض والسماء»!. وأن الملك عبدالعزيز أهدى «عربية» إلى الشيخ عبدالعزيز المشيقح، لتساعده على تنقلاته، وأن الملك، كان يحرص على زيارة بيوت المشائخ والوجهاء في بريدة، مثل بيوت المشيقح، والسليم، والرشودي، والشريدة، والربدي، تقديرا واجلالا لهم. ويقول الشيخ حمود إن الملك عبدالعزيز في هذا العام منح مزارعي القصيم عددا من المكائن الزراعية، بقروض ميسرة، ولعلنا نستطيع أن

---

(١) صالح الناصر الصالح ــ رحمه الله ــ، شخصية تعليمية رائدة، ينظر إليها في مدينة عنيزة، وفي منطقة القصيم عامة، نظرة تقدير واحترام فقد جاهد لكي ينقل تجربة التعليم النظامي إلى المنطقة، وقد أولته حكومتنا الرشيدة دعما سخيا شد من أزره، وهو الأخ الأكبر لأستاذنا القدير الشيخ «عثمان بن ناصر الصالح»، مد الله في عمره وغفر له.

(٢) «التغيرة» منطقة زراعية شمال شرق بريدة، أصبحت اليوم جزيرة يحيط بها العمران من جهاتها الأربع، غرسها وبدأ فلاحتها العم صالح العبدالكريم الطويان، في جانبها الغربي والجنوبي، وإبراهيم البليهي في جانبها الشرقي، رحمها الله جميعا، وكان ذلك في حدود عام ١٣٥٨هـ.

نؤرخ لبدء القروض الزراعية للمزارعين بدءا من ذلك العام: ويقول الشيخ حمود، إن هذه الزيارة هي آخر زيارة قام بها الملك عبدالعزيز للقصيم، حتى توفي ــ يرحمه الله ــ.

١٣٧٣هـ

يقول الشيخ القاضي، إن الملك سعود زار القصيم في شهر ربيع الثاني من هذا العام، وذلك بعد وفاة والده بشهر، ويتذكر الشيخ المشيقح هذه الزيارة، فيذكر أن الملك سعود أمر في هذا العام ببناء الجامع الكبير، والمعهد العلمي ببريدة. ويقول الشيخ العبيد في مؤلفه الجزء الخامس إن الملك سعود زار في هذا العام القصيم حيث خيم في البطين يوم ٦/١١، وأقيمت احتفالات كبيرة، ثم خيم في بريدة، وزار مدن القصيم: عنيزة والرس والبكيرية والبدائع.

١٣٧٧هـ

يقول الشيخ ابن عبيد في مؤلفه عن أحداث هذا العام إن الملك سعود زار القصيم يوم ٤/٢٥ وكان موضع حفاوة أهلها، وقد شملت الزيارة معظم مدن القصيم.

١٣٩٣هـ

في ٩ صفر هذا العام زار الملك فيصل منطقة القصيم، وأقام في «المليداء» وقدمت للسلام عليه وفود القصيم، حيث أقام عدة أيام وافتتح الكثير من مشاريع الدولة في المنطقة.

١٤٠١هـ

في هذا العام زار القصيم الملك خالد بن عبدالعزيز وبصحبته ولي العهد سابقا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ــ وأقام الملك خالد ــ يرحمه الله ــ عدة أيام سعد أهل القصيم خلالها بزيارته، وافتتح عددا من المشاريع الحضارية في المنطقة.

١٤٠٨هـ

في هذا العام يشرف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز منطقة القصيم بزيارة ملكية كريمة، سيرا على نهج صالح، يتفقد خلالها جزءا غال من وطنه، فمرحبا بقدومه الميمون، حفظه الله، وأعز به الإسلام وأهله[1].

(١) أقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله في القصيم عدة أيام وحظي من شعبه في المنطقة بالود والمحبة، وكانت أيام إقامته أياما سعيدة، سجلها التاريخ بسطور مشرقة.

« المعاصـرة حجـــاب ! »

■ عاش حتى آخر يوم من عمره في بيته الطيني المتواضع، وسط أقدم الأحياء الشعبية، فرحمه الله رحمة واسعة، لقد قابلته عند مدخل بيته قبيل وفاته بأسابيع كان رغم كفاف بصره ووحدته يحدثني بحديثه الشجي، الغني بهادته، الطلي بنغمته. .

وكانت متعته الوحيدة وسلوى نفسه هي أن يقرأ ويحادث، وقد حال عمى عينيه دون تحقيق هذه المتعة، فطيبت خاطره يومها بأن عماه مرده إلى «الماء الأبيض» الذي غشى عليهما بسبب الشيخوخة ما يسمى طبيا «كتاركت» وأن علاجه سهل بحول الله.

لقد كان الأمل وحب الحياة يملأ عينيه الطافيتين وودعته فكان الوداع الأخير!

مات «وإذا مات رجل مسن فكأن مكتبة عامرة قد أحرقت» ظاهرة هذا الإنسان تكمن في ذاكرته التي تحوي تاريخا لا تسعه المجلدات، يحادثك عن أي فرد فيقدم لك معلومات لا تتخيلها، ويسرد لك أحداثا من التاريخ القديم والحديث مرتبة ومبوبة فكأنه يقرأ في كتاب، ويتناول لك الأنساب فتعجب أي رأس هذا الذي يسع كل هذه المعلومات! وظاهرة هذا الرجل هي أيضا في تواضعه وبساطته وأنسه بالآخرين، كان يكسب قوت يومه لقاء بيعه «فناجيل الشاي» فكان يحمل أكبر عدد منها يضع جزءا فوق رأسه ويملأ يديه من الجانبين بأكبر عدد ممكن من الفناجيل، وينادي بصوت منغم ــ فناجيل ــ فناجيل وتطربك هذه المناداة حين يموسقها بقرعه الفناجيل بعضها ببعض!

كنت صغيرا، وكثيرا ما اعترضت طريقه طمعا ببضاعة ذاكرته لا ببضاعة يده، وكان أقرب الزبائن إلى نفسه هو من يسأل عن بضاعته الخفية تلك!

ثم هو من أجل أن يُسوِّق بضاعتيه لا يمل التطواف ولا يسأم المشي، وكان ينطلق من مركز البلد ليتوجه شمالا أو جنوبا إلى مسافة ينتصف بها البلدة، ثم بدأت هذه المسافة تقل مع الأيام حتى أمست عبارة عن عدة خطوات يخطوها من منزله ليلقي بجسمه المتهالك على عتبة أقرب دكان إليه يجلس ساهما خاليا من بضاعتيه!

فالمستمعون الحريصون شغلتهم الحياة، وكؤوس الشاي امتلأت بها المحلات وتكدست بها بيوت الناس! كل أولئك الرفاق الذين سامرهم، والأصحاب الذين حادثهم وأضحكهم لم يعد يذكرونه، ألهتهم الدنيا فنسوه ضمن ما نسوه!

كأنه لم ينعش يوما مجالسهم بطيب حديثه وبديع تاريخه! كأنه لم يغن عقولهم بروائع حكمه وجميل بيانه، لقد رحل والعبق الجميل يشيعه إذا لم تشيعه الرجال[1]!

« مازال يدأب في التــاريــخ يكتــبــه
حتى غدا اليــوم في التــاريــخ مكتــوبــا »

« أبو أحمد » شخصية مرحـــة !

■ في خضم أمواج الحياة المتلاطم، ومع عجلة الأيام الدائرة التي لا تفتر وما يحدثه ذلك ــ أحيانا ــ من تكاليف ورتابة، يحس الإنسان بقيمة الشخصية المرحة المتفائلة التي تضفي على من حولها جوا بهيجا مفرحا، والمرء في سعيه اليومي كثيرا ما يقابل هذه النوعية من الشخصيات التي تتمتع بموهبة النكتة والإبتسامة وطيبة القلب والتفاؤل الـذي لا حدود له، وهم أذكياء لا يشكـون لك حالهم، ولا يستعـرضون أمامك مشاكلهم، فما أشبههم بالقمر حول الأرض لا يريها إلا جانبه المضيء.

وفي هذا، أتحدث لكم عن شخصية مرحة من هذا الطراز، زاملته في إحدى الدور التعليمية، قبل ثماني سنوات تقريبا، وطيلة الأربع سنوات التي عملتها معه لم أر ذلك الرجل ــ الذي تجاوز الأربعين من عمره ــ في موقف خصام أو غضب أو تشـاؤم، رغم احتكـاكـاتـه ودعـابـاتـه ومقالبه مع الزملاء، فالابتسامة لا تفارقه، والضحكة العميقة الصافية لا تعوزه، والنكتة العفوية على طرف لسانه.

وفي الرحلة البرية الأسبوعية تتألق شخصية زميلنا هذا، فكثيرا ما يضحكنا بقصائده الهزلية التي نضحك عليها أكثر مما نضحك منها، وحين ينقسم الزملاء إلى فرقتين استعدادا لمباراة الكرة، تجد قائدي الفرقتين يتنازعان أيهما يضم «أبا أحمد» إليه، وحين يصول في الملعب ويجول تضحك ملء قلبك للأسلوب الهزلي المسرحي الذي يلعب به كرة القدم حتى أن بعض الزملاء كان يقول: إنه لا يضرب الكرة بل هي التي تضربه فترتد إلى زميله! وهو يستغل استبعاد الفريق المقابل لخطره، فيسجل هدفه بصورة ثعلبية تبقى مثار ضحك وتعليقات الزملاء في سمرهم.

وينتهز البعض هذا المدى الواسع لنفسيته فيتجاوز حدود المعقول في ممازحته، فيعمد إلى أن يقبض على جيب ثوبه فيشقه حتى أسفله، فيقوم آخر فيمزق جانبا منه،

(١) هو عثمان العيدان، شخصية متميزة مشهورة في بريدة، من الرواة القصاص الحفاظ، وعلى دراية واسعة بالتاريخ والأنساب، توفي في بريدة في حدود عام ١٤٠٣هـ عن خمسة وسبعين عاما تقريبا.

فيضحك الجميع وتكثر التعليقات الساخرة، أما هو فيضحك ويسر أكثر منهم، وإذا استطلعت أخباره وجدته قد حسب لهذا الفصل حسابه فجاء للرحلة بثوب قديم لا يخاف عليه أمثال هذا العبث، إن مصدر أنسه أن يرى من حوله سعيدا يضحك.

وكنت أعجب من المعين الوافر الذي تمتح منه هذه الشخصية تفاؤلها ومرحها، ولم تتح لي فترة المزاملة القصيرة والمملوءة بالعمل الغوص في أعماق هذه النفس واستبطان فلسفتها والدوران حولها؛ لفهم جوانب حياتها.

وقبل أيام، وذات صباح كنت أتسوق فيه، وإذْ بهذا الزميل أمامي، وعانقته بود وأنا أقول له: لقد ظننتك في باديء الأمر ابنك ــ الذي كان عامئذ في الرابعةَ عشرةَ من عمره، قلت ها هو كبر وأصبح يشبه والده، لكأنك تعيش خارج فلكنا لا تتأثر بسنواتنا التي تمر، فضحك الضحكة التي أعرفها وضرب على كتفي وهو يقول: أُذكر الله، قلت: ما شاء الله كان[1]

« مسئول وموقــف »

■ «ابن طالب» لست أعرف من اسمه غير شهرته، ولم أر وجهه سوى مرة واحدة في حياتي، حين دخلت عليه في مكتبه بإمارة «البطين» بمنطقة القصيم، صحبة أخ يعقب على معاملته، لست أتملق هذا الرجل فهو في ذمة الله منذ عامين، أو ثلاثة، ولكنني إعجابا بأحد مواقفه حبَّرت هذه السطور، فقد حدثني أحد الإخوان، قال: ركبت الطائرة متوجها إلى الرياض، فصادف أن كان بجانبي أمير مركز البطين «ابن طالب» ــ رحمه الله ــ ومعه أحد أبنائه الصغار، فاستعنا على قطع الطريق بتشقيق الحديث، وتبين لي أنه مسافر إلى الرياض لعلاج عينيه، وحين حطت بنا الطائرة أسرعت فاستأجرت سيارة، ولما لم أر أحدا في استقباله عرَّفته بنفسي وعرضت عليه الركوب لتوصيله، تقديرا لكبر سنه ومرض عينيه، فلما سمع دعوتي أطرق قليلا ثم سألني: هل أنت فلان صاحب الموضوع الفلاني الذي ندرسه في الإمارة؟! قلت له: نعم، هو أنا، فاعتذر بلطف، وقال: لا يمكنني الركوب معك، سأستأجر سيارة،

(١) هو الأخ الأستاذ/ «سليمان بن إبراهيم الطامي»، عرفته زميلا في مدرسة العباس الإبتدائية ببريدة، خلال الفترة من ١٣٩٧هـ إلى ١٤٠٠هـ.

فودعته وأنا أكثر تقديرا له واحتراما، فرحمه الله، وأثقل بهذه النزاهة ميزانه، وأسكنه فسيح جناته[١].

« المــؤرخ »

■ الليل يرخي رواقه الأسود بانسياب لا أستشعره، والطريق الإسفلتي يقودني بصمت إلى أطراف البلدة حيث تقوم مزرعته، وعلى ضفافها أوقفت سيارتي وأكملت مشواري مشيا، فالهواء المشبع برائحة الحقول يسري رخيا، والنخيل الباسقة بمنظرها الليلي المهيب تحيل المكان إلى لوحة جليلة آسرة!

وما هي إلا برهة قصيرة حتى قابلت ابنه وسألته أين الوالِد؟ فتقدمني صوب المنزل ودخلت وراءه، وحين تقدمت وصافحت مضيفي[٢] همَّ أن يقوم لولا السبعون التي أثقل حملها كاهله، وجلست على ميمنته مقلبا نظري صوب جهات الغرفة حيث يقبع في أحد أركانها «دالوب» انتظمت فيه مجموعة لا بأس بها من الكتب المجلدة التي دلت ألوانها الشاحبة على قدمها، وأمامه وعلى ميسرته عدة كتب ومخطوطات القيت على بعضها بشيء من العناية والإهتمام.

ولما كنت أعـرفـه مزارعـا من الطراز الأول فقد بدأت الحديث معه في هذا المجال، ثم عرَّجت بعد ذلك فسألته عن صحته فشكى بأسى ما يعانيه من وجع في ركبته وآلام في ظهره «ديسك» وأن هذا الأخير يجعل القراءة والكتابة بالنسبة إليه مهمة عسيرة، وحين قال الكتابة، سألته بعفوية: وما الذي يجبرك على القراءة والكتابة وأنت مثقل بهذه الآلام وفي عينك ضعف لا يخفى؟!

فأجـابني ببساطة: إنني أسعى إلى أن أدون بعض الجوانب الهامة في تاريخ البلدة، وكـما ترى أمـامك، فالكتب إضافة إلى روايات الرجال والوثائق هي أهم مصادري فيما أكتب. وحين سمعت منه هذا القول صغر في نفسي ما جئت من أجله واندفعت بشوق أبادله الحديث حول مشروعه التأليفي هذا.

---

(١) كتب الأخ الأستاذ/ «إبراهيم بن عبدالله الحميد» من الرياض معلقا على موضوعي هذا يقول: «ابن طالب، هو أمير البطين السابق/ «سعود بن عبدالله آل طالب» ثم ذكره الكاتب بالصلاح والاستقامة والعدل وحب الخير، وذكر أن أكبر أولاده هو عبدالله بن سعود آل طالب أمير دخنة بمنطقة القصيم فشكراً للأخ عبدالله على هذه الإضافة والتوضيح.

(٢) هو الشيخ سليمان بن عبدالله الرواف. أمد الله في عمره، وأحسن لنا وله الخاتمة.

وأخذ المزارع بكل وقار العمر وحنكة الأيام يحدثني بتفاصيل مبوبة عن انجازه، في هذا المسعى وعن الخطوات المتصاعدة التي سارها لكي يبني تاريخه على نسب كبيرة من اليقينيات، مستخدما في سبيل ذلك كل الوسائل العلمية الدقيقة المتاحة له، وأن بعض الحوادث اقتضت الدقة فيها أن يجمع حولها سبع روايات وهو الآن بصدد نخلها لنقض ما يتهافت منها وترجيح ما يثبت أنه الأصح.

ثم أخذ يستعرض بلسان الناقد البصير بعض المؤلفات التاريخية، مشيدا ببعضها متعرضا للبعض الآخر، مستكملا في نقده أدوات النقد ومحملا الألفاظ أحمالها من المعاني بمنهجية علمية.

هذا الإنسان لم يتخرج من كلية تدرس التاريخ، لكنه يناقشك عن توثيق الروايات وتمحيص الأقوال بمنطق المؤرخ الحاذق، مستمدا مقدرته من فطرة سليمة وتجربة غنية، وإدراك معرفي استقاه من أفواه الرواة وبطون الكتب.

رائع هذا الإصرار، وعظيمة هذه الإرادة «فلا شيء يجعلنا عظماء كألم عظيم».

وحين انتهت الجلسة الممتعة، شيعني ابنه خارجا وقبل أن يغلق الباب التفت إليه وسألته قائلا:

– بالتأكيد أنت طالب جامعي؟!

– فقال وهو يبتسم: ظنك في مكانه فأنا في السنة الأولى قسم «التاريخ».

– قلت له: هذا رائع: إذا فأنت بمقدورك أن تساعد الوالد في مهمته ولو أن تنسخ له بعض الأوراق.

فضحك مني وقال:

صدقني ما فعلت هذا ولا أحسبني فاعله! لأن اهتماماتي تأخذ صورة أخرى.

فودعته وأنا أردد في سري: «آواه لو عرف الشباب وآه لو قدر المشيب».

* إشراقة..

ومن وعى التاريخ في صدره
أضاف أعمارا إلى عمره

« شخصيـــة متمــيزة »

■ ولد العم «صالح بن عبدالكريم الطويان» - رحمه الله - عام ١٣١٧هـ تقريبا، توفي والده وعمره ثماني سنوات، أي أنه عاش يتيما، درس في «كتاب الصقعبي» كما درس بعد ذلك في مدرسة بمدينة دمشق، وعاد إلى بريدة حيث درس في حلقة الشيخ إبـراهيم الجاسر - رحمه الله -، وكل هذه الفترات الدراسية لم يكملها، إذْ مر بها في مراحل زمنية قصيرة لظروف أسرته في ذلك الوقت. لكنه بعد ذلك ثقف نفسه ذاتيا، فقد كان ولوعا بالقراءة الحرة، محبا للمباحثة، شغوفا بتعلم كل شيء، ومثل أبناء جيله في تلك القرن انخرط في قوافل العقيلات، فامتهن تجارة المواشي والبضائع بين الجزيرة العربية والأقـطار المجاورة، وفي عام ١٣٥٨هـ اشترى مزرعة التغيرة ببريدة، فترك حملات العقيلات، وأصبح مزارعـا، وحين اشترى هذه المزرعة الواقعة شمال شرق مدينة بريدة، أخذ أقاربه وأباعده يلومونه على هذا القرار، لكساد سوق الزراعة في ذلك الوقت ورواج حركة التجارة المتنقلة، لكنه ــ رحمه الله ــ كان بعيد النظر، يستقريء المستقبـل، فكان يقول إن طور العقيلات قد انتهى، وإن البلاد ستدخل في طور حضاري آخر تستقر فيه الناس وتنشط حركة العقار والزراعة، وكان له في مثل هذا التـطلع مواقف عجيبـة، أدركها بمواهب منحها الله له، من ذكاء نادر ومطالعات مستمرة، ومحاورات كثيرة مع كبار المفكرين في الأقطار العربية المجاورة، وكان يرى أنـه سيكون لتوحيد المملكة وتفجر ينابيع البترول أثر في تغيير الأحوال السائدة في البلاد، ولهذا انسحب عن حملات العقيلات وسنه لم يتجاوز الأربعين واشترى مزرعة التغـيرة، لكي يؤسس استثمارا عقاريا وزراعيا، وشاء الله أن ينجح في زراعته، وأن تكون أطراف مزرعته التغيرة من أهم أحياء مدينة بريدة، وأن تصبح المزرعة في وسط المدينة، بعد أن تجاوزها العمران شمالا بعدة كيلو مترات.

ومضى يكدح في مزرعته طيلة نصف قرن، حتى إنه ليعد من أقدم المزارعين في بريدة.

لديه ذاكـرة عجيبـة، إذْ يحفظ كثـيرا من القصـائد والأخبار، وهو من بهجة المجالس، فكها في حديثه، أعجوبة في تشقيقه للحديث وروايته للأحداث، وقد شغلته الزراعة والتجارة عن المطالعة والأدب، وكان دائما يبدي أسفه على عدم تعلمه النحو، ويراه أساس البلاغة والخطابة، وأن الذي يتقن قواعد اللغة يكتسب الجرأة

على الخطابة والكتابة، لأن اللغة هي الأداة الموصلة للأفكار، وكان ـ رحمه الله ـ يقرض الشعر، ولا يحب أن يشتهر به، ولا يرغب أن يذيع من قوله سوى غرضي الحكمة والحماسة، ولم أنقل عنه ـ رحمه الله ـ سوى أربع قصائد تقريبا ـ وللأسف لم أرو عنه شيئا من قصصه وأخباره، إذْ أنني بدأت كتابة زاويتي (من أفواه الرواة) في عام ١٤٠٥هـ، وهو العام الذي أصيب فيه ـ رحمه الله ـ بمرض ألزمه الفراش، وأضعف ذاكرتـه، وجعله عزوفا عن الكلام، ولهذا لم يتيسر لي الإستفادة من جمه الغزير، اللهم سوى رواية بعض قصائده وقد دونتها في هذا الكتاب، وشيئا يسيرا من رواياته، كان لا يزال باقيا في ذاكرتي أيام محاورته عندما كان صحيحا.

وكان ـ رحمه الله ـ محبا للخير، تبرع بأرض واسعة شمال ملكه، وجعل ريعها على مساجد بريدة، كما أوقف أرضا لتكون معهدا لتحفيظ القرآن، وتبرع بأرض واسعة على شارع التغيرة، لإقامة دار للمسنين عليها، وله أوقاف وصدقات معلنة وخفية.

وهو من محبي الزراعة فقد أمضى العشر السنوات الأخيرة من عمره في شراء المزارع وعمارتها، وكان يهدف من ذلك أجر الزرع، وفضيلة الغرس، وليس أدل على ذلك من تسميته لعدد من مزارعه لتكون ثلثه من بعده، هكذا نحسبه والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا.

وكان له ـ رحمه الله ـ آراء صائبة في أمور الدين والأخلاق، وكانت له مواقف مشهودة، مع كبار الناس في عصره، سواء في بلده، أو في الأقطار العربية التي سافر إليها لأغراض التجارة والعلاج، وكان أهل بلده يجلونه ويحبونه ويقدمونه، وبالمقابل كان يحب بلده دون تعصب، ويقف معها بعدل وخلق. وهو في مجلسه، يكره الغيبة والنميمة، وبذاءة القول، ولا يحب أن يساء إلى أحد، وهو إذا لم يتحدث عن الأدب والعقيدة، فان الموضوع الثاني، هو حديثه عن الزراعة والتجارة.

مرض عام ١٤٠٥هـ، بمرض مزمن، أضعف قواه ودام معه أكثر من ثلاث سنوات فصبر وصابر واحتسب الأجر من الله، فلم تكن تسمع منه سوى (الحمد لله)!

وفي ليلة الاثنين ١٤٠٩/١/٢٤هـ وبعد مرض ألزمه الفراش أكثر من ثلاث سنـوات، حضرته الوفاة، على سريره بمستشفى الملك فهد التخصصي بالقصيم، وهذا تقرير عن ساعة احتضاره، أنقله هنا بأمانة عن الممرض الذي رافقه أثناء تنويمه بالمستشفى، وقد دونته بعد سماعه من الممرض، في اليوم الذي شيع فيه، رحمه الله

(قال لي الأخ/ «جلال» الذي حضر وفاة العم صالح : في الساعة ١١,٣٠ من ليلة الاثنين في تلك الساعة كان نائما، ثم تيقظ، وأجلسته على السرير، ثم ظهرت عليه علامات عجيبة، وهي :

١ ـ ابيضَّ واحمرَّ وجهه، وابتسم، ووجهه يضحك كله، وظهرت عليه علامات الفرح والسرور، فظننت أن ذلك دليل على أنه رأى نفسه مرتاحا وسيخرج، ثم رأيت كأن جانبه الأيمن المشلول يتحرك، ثم طلب مني قائلا : يا جلال هات ماء، فأحضرت له كأسا من الماء، فمسكه بيده، وكلما شرب جرعة منه يقول : (الحمد لله، أحمدك يارب) قالها ثلاث مرات، ثم شرب كأس الماء كله، وهو يبتسم، ثم قال لي تعال فمسكني من جيبي ثم عدل نفسه، ومسك أذني وهو يقول مبتسما : «الله لا يهينك»، مرتين.

٢ ـ في الساعة ١١,٥٥ بدأ يردد بصوت مسموع قائلا وهو يرفع اصبعه : «أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله»، ثم يقول «الحمد لله»، وكأنه يخاطب شخصا أمامه وهو في غاية السرور، ولسانه فصيح، ثم انقطع نفسه الساعة ١٢,١٠ . فرحمه الله رحمة واسعة.

« ذكريـــات قصيمـــة »

■ الشيخ «عثمان الناصر الصالح» أشهر من أن يترجم له، فهو من رواد التربية في بلادنا، كان آخر عمل حكومي شغله هو: مدير معهد العاصمة النموذجي، له نشـاطات أدبية واسهامات كتابية ينظر إليها بعين التقدير والإجلال، ومن تلامذته الأمراء، والوزراء ووجهاء الناس، له حضور ثقافي واجتماعي متميز في وطنه، وهو عضـو في كثـير من المؤسسـات والجمعيات . . ولقـد كتبت في جريدة الجزيرة عام ١٤٠٣هـ مقالا، أثنيت فيه على بعض أعماله، فعقب علي بهذه الرسالة، التي حررها بتاريخ ١٤٠٣/٩/١٠هـ، وفيها استعرض ذكرياته القصيمية بين بريدة وعنيزة حين كان يدرس في مدرسة أخيه ابن صالح بعنيزة، ولأن هذه الرسالة تعتبر وثيقة تربوية، حفلت بالكثير من الذكريات الطريفة، فقد رأيت أن استعرض لكم بعض فقراتها، وانني لأرجـو أن يكتب الشيخ عثمان ذكرياته التربوية، ليقدم للأجيال حقائق عن الكفاح المضني الذي بذله الأوائل لكي يؤسسوا قواعد التعليم في بلادنا، نعود إلى رسالة الشيخ عثمان، لنقرأ حديثه عن القصيم الذي ننقله باعتزاز، حيث يقول:

(القصيم (إقليم) فيه وله التاريخ العاطر والماضى الناضر، وفيه ثراء وإن شئت عرف كلمة ــ ثراء ــ فله ثلاث:

١ ــ ثراء في البشر فهو هامة (بتخفيف الميم المفتوحة).
٢ ــ وثراء في الأرض والتجار والتجارة.
٣ ــ وثراء في الماء الذي أنبت الزرع ونمى الضرع (لبنا ولحما ودواجن).

ثم يتحدث الشيخ عثمان، عن نشأته التعليمية فيقول بتواضع العالم:

(العلم الـذي تلقيته ضحل، ولكن الخدمة في مجال التربية والتعليم الذي بدأت شوطه فاتحة عام ١٣٥٦هـ مدرساً ــ أو كأول مدرس ــ في نجد ــ هذا العلم الذي تلقيته ليس في مسقط رأسي ــ على ضآلته ــ لم يكن إلا عندكم في القصيم . . . القصيم الـذي وصفته لك وهو معروف قبل وصفي بأنه أثرى بلد ومنطقة في المال والرجال والأرض والمال، تلقيت التعليم ــ وأنا من سدير المنطقة ــ في منطقة القصيم في أول عام ١٣٤٨هـ دارسـا في مدرسة عنيزة الأهلية بقيادة البطل الأديب والمربي القدير ــ صالح الناصر الصالح ــ حتى عام ١٣٥٥هـ، وكان أستاذنا المشار إليه شاعـرا وأديبـا، زاول التعليم والتربية قبلما يهبط إلى ــ عنيزة ــ في كثير من بلدان الخليج، كما درس على مشاهير مربي العالم أمثال محمد الشنقيطي وناصر الأحمد ــ الأول عالم لغوي وشرعي، والثاني عالم في الفقه والفرائض، ومن أساتذته في البحرين والكويت: إبراهيم العريض الأديب والشاعر ــ حي يرزق ــ وحافظ وهبه السياسي والمحاضر.

وكان تضلعه بالأدب في (الزبير) في مدرسة النجاة، وفي الكويت في المباركية، مدعاة فخر ــ لنجدي ــ كافح وسافر من مسقط رأسه إلى هذه الأقطار، فشق طريقه، وكان أديبا ضليعا وخطيبا مفوها، ويكتب خطا جميلا لجميع أقسام الخط وأنواعه من الثلث والنسخ والرقعة إلى خط استحدثه وسماه تجاريا يقرب من الديواني الجلي، من هنا أستطيع أن أقول أن هذه الفترة الطويلة في ميدان التربية ومجال التعليم غطت على قصورنا وأضفت على نقصنا ستارا كثيفا جهل الكثير فيه أننا كنا في يوم من الأيام لا مدرس على الـطريقـة الحديثة، ولا معلم على النهج القويم، وأن المنشيء للرسالة وكاتبها بخط سليم وانشاء صحيح يتحلى بها في الانشاء من لغة ومفردات تأخذ من أدبنـا الجـاهلي أسلوبا، ومن بلاغة شعراء المخضرمين منهجا، ومن شعراء النهضة الاسلامية في عصرينا الزاهرين: بني أمية وبني العباس ثوبا نظيفا، نعم ليس موجودا

ولا متوفرا تلك الحقبة في أحد، فالناس بقدر ما يتحلون بالكرم والأصالة والنعرات القبلية والتباين بين الحاضرة والبادية في الطباع مع التماثل بالفخر بالأحساب والكرم والشهـامة والرجولة فانهم لا يدركون في نجد عموما علما أدبيا ولا تعليما حديثا إلا حلقات في المساجد لجلة العلماء وخاصة في الرياض والقصيم، وفي «بريدة» بالذات تلك التي فيها أقطاب كبار نفع الله بهم. ولكنني والقلم في يدي لا أترك أن أسجل شهادة من صميم قلبي ومن عميق وجداني مكللة بالصدق (لا مجاملة فيها لدرجة المبالغة)!! بأن في بريدة علمين فاضلين ومربيين ساميين ومواطنيين نبيلين هما: صالح الصقعبي، وعبدالله بن إبراهيم السليم، الأول فارق الحياة ولم يبق إلا عطر شذاه، والثاني مازال طودا شامخا في التربية والعلم والتجربة والفلك (التقويم) الذي أصبح فيه وحيدا، وضل متقنا له ولم يزل في التبحر فيه فريدا، فهذان كانا في سنواتي الدراسية في عنيزة صديقـين حميمين لأستاذنا ــ صالح الناصر الصالح. يحضران كل حفلة ويتبـادلان المعـارف (إن المعارف في أهل النهى ذمم) ولا تكون حفلة ولا إقامة في المـدرسـة الأهلية ولا يصل زائر كبير ملكا كان أو أميرا إلا وتجد الدعوة مسرعة إلى «الصقعبي» و «السليم» وأتذكر وذلك في عام ١٣٥٢هـ أن حفلة مخصوصة أقيمت على شرف الشيخ/ صالـح الصقعبي، كنت فيهـا طالبا خطيبا حييته (بمجهودي الضعيف وإنشـائي السخيف وعجزي المخيف!!). بقصيدة نونية تزيد على المائة بيت، وأتـذكر ولا أنسى أنني سجلتها في جريدة كنت أنشأتها في المدرسة بعنوان: (لسـان الوطن) وأرسلتها إليه ويصعب علينا في ذلك اليوم أن نأخذ صورة لجريدة تتكون من ١٦ صفحة، ولا أنسى ولن أنسى وقد خلع علي العم «صالح الصقعبي» كما كنت أسميه (بشتا) جميلا (دربوجه) مخاطا بالزري المذهب مكافأة لهذه القصيدة، وظل علي أكثر من عشر سنوات، كما كنت لا أنسى ــ ويعرف ذلك أستاذنا الشيخ عبدالله بن إبراهيم السليم ــ أننا نمتطي صهوات خيولنا (الحمر الأهلية) ملبين دعوة ــ الصقعبي ــ أو السليم، لنبقى في بريدة أياما نجول في ربوعها ونتفيأ نخيلها في ظلها الظليل، وفي القيظ القائظ:

يصـــد الــشـــمس أنّـى واجـهـتـنـا
فيـحـجـبـهـــا ويـــأذن للنســـيم

وكان الشيخ ــ عبدالله ــ فتى نشيطا فكها واسع الأفق من حداثة سنه في الفقه له اطلاع، وفي الفلك طويل الباع، وله في الرؤيا والأحلام وتفسيرها لماحية عجيبة،

وفي الفراسة والذكاء يعتبر من الندر، والشيخ (الصقعبي) من البهاليل الأكارم ومن الجود والسخاء بحيث لا يكف يده عن ندى، ولا يحجبها عن سخاء، ما أرخص المال لديه، وما أسهله عندما يصل إليه، ليكون مبذولا على سفره أو سد حاجة امريء ويزيل فقره، وإن يكن أقل من ــ السليم ــ عمقا في مناهج المدرسة ولكن له صلة بحلقات التعليم واستفادة من أستاذنا «صالح الناصر الصالح» ــ الذي يتصل به اتصالا وثيقا، ويستفيد منه استفادة مستمرة.

عزيزي: أسهبت في القول، وتمادى بي القلم إلى نواح شتى، وما كانت الكتابة في رمضان سهلة، ولكن نخوتك ومروءتك وتتبعك لمواطنيك حفزني على هذا الإستمرار ودعاني إلى ألا أكون كفورا لنعمة من منعم وذكرى من ذاكر وصداقة من صديق لا تربطني به عارفة لقائية، بل عارفة ترتكز على الدين والوطن والهدف، وان رجلا ملما بأدواء وطنه وأبناء جيله على هذه التربة الطيبة التي أنجبت أكرم الناس وأعظم القادة وأكرم الرسل وأجل العلماء والفاتحين منذ خمسمائة وألف عام، لجدير بالإكبار وحري بالتقدير». إنتهت رسالة الشيخ/ عثمان، وقد أجبته عليها في حينها، فشكراً له على تقديره وإيضاحه.

« الوشمـــــي »

■ قابلت الشيخ/ سليمان بن ناصر الوشمي، وهو كهل يقترب من التسعين، فهو من مواليد بريدة ١٣٢٢هـ، فاستمتعت بحديثه الشيق عن قرنه الذي خلفه وراءه، إذ هو اليوم معدود من معمري بريدة، أهل الخبرة والرأي، وممن عاشوا تجربة زمانهم، وأحداث عصرهم، ببصيرة وفقه، وكان ممن يمتهنون الكتابة التوثيقية بين الناس، وأي فتى في بريدة، ينظر في وثائق والده أو جده سيجد أن معظم مخطوطاتهم نسخت بخط (الوشمي)، فهو كاتب العدل بين الناس في عصر لم تتأسس فيه كتابات العدل الرسمية التي أمسى الناس يراجعونها للتوثيق بينهم. وللشيخ (الوشمي) فراسة عجيبة في فهم الخطوط، ومعرفة التزوير فيها، وهو يعرف خطوط الخطاطين في عصره، فينظر إليها وكأنه ينظر إلى وجوههم[1]، ويقول إن حرف الكاف، هو أظهر الحروف للتفريق

(١) اعتاد القضاة في بريدة قديما وحديثا، أن يدعموا أحكامهم بأهل الإختصاص في فنهم، ومن الذين يراجعون في تخصصاتهم، الشيخ/ «إبراهيم بن عبيد» في الفرائض، والشيخ/ «سليمان الوشمي» في الوثائق ومعرفة الخطاطين، والشيخ/ «عبدالله بن إبراهيم السليم» في الفلك.

بين كاتب وآخر، لأن قواعد كتابتها كثيرة، وكل كاتب له لون فيها يميزه عن الآخر، وتحدث عن القضاة في عصره، وكيف كانوا يستعينون به على تمييز الوثائق، لمعرفة الصحيح والزائف منها، وذلك استئناسا منهم برأيه باعتبار تخصصه، ويتحدث بعجب عن سرعة البت في قضايا الناس في ذلك الوقت، إذْ كان يكفي أن يسمع القاضي لدعوى المدعي ثم لرد المدعى عليه، ليقول لمن ثبت عليه الحكم: (قم فليس لك حق) فيقوم وينتهي كل شيء!

إن لدى الشيخ «الوشمي» من تاريخ القرن الماضى، الشيء الكثير وهو لكي يدون، يحتاج إلى جلسات كثيرة يفرغ فيها الكاتب إلى السماع والتسجيل، ولا عجب، فلقد عاش هذا الرجل زمانه مشاركا في أحداثه، متصديا لتدوين وقائعه، غرَّب مع العقيلات، وصحب رجالهم، وشهد مجالسهم، فاختزنت ذاكرته الكثير من القصص والروايات. وإنني في ختم هذه الترجمة لأتوجه إلى ابنه الدكتور/ صالح بن سليمان الوشمي، الموجه التربوي بإدارة التعليم بمنطقة القصيم، وعضو النادي الأدبي بالقصيم، والحاصل على الدكتوراه في التاريخ، أن يكتب لنا ذكريات والده التي نعتبرها جزءا من تاريخ بريدة الحديث.

« من أوائل المعلمين »

■ زرت الشيخ عبدالله بن إبراهيم السليم[1]، في منزله، وسألته أن يعطيني نبذا عن تراجم المعلمين الرواد، الذين ساهموا في نشر العلم والتدريس في «بريدة» أوائل القرن الماضى قبل بداية التعليم الحديث، الذي ابتدأ بتأسيس المدرسة النظامية ببريدة سنة ١٣٥٦هـ، بأمر من جلالة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ الذي عهد بادارتها إلى الشيخ عبدالله بن إبراهيم السليم، فأنعم ـ حفظه الله ـ وتحدث قائلا:

١ ـ إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن سليم:

والدنا كان رحمه الله عالما فاضلا ورعا زاهدا حافظا لكتاب الله عن ظهر قلب تولى إمامة مسجد والده الشيخ محمد بن عمر بن سليم والمسمى مسجد «الجديدة»

(١) من المعلمين الرواد، بدأ التدريس في مدرسة سليمان المحمد بن سيف عام ١٣٤٩هـ، فتح في ذلك العام مكتبا في منزله يعلم فيه الخط والإملاء والحساب، وتخرج على يديه بعض الطلاب يذكر منهم المشايخ: محمد بن ناصر العبودي، وموسى العضيب، ومحمد الخضر، وعبدالعزيز العبدان وغيرهم ثم تدرج بعد ذلك في مناصب التعليم العام.

فتح رحمه الله كتابا سنة ١٣٢٥هـ يعلم فيه القرآن الكريم والخط واستمر يعلم فيه حتى ١٣٣٧هـ عندما حصل الوباء العام الذي قضى على أكثر من ثلاثة أرباع المدينة فأقفل كتابه وبعد أن رفع الله الوباء استأنف التعليم، ترك التعليم سنة ١٣٤٥هـ وتوفى رحمه الله في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٥١هـ رحمه الله رحمة واسعة.

٢ ــ عبدالله بن إبراهيم بن معارك ــ رحمه الله ــ :

كان رجلا فاضلا وورعا زاهدا حافظا لكتاب الله مجودا له وطالب علم حسن الصوت والقراءة محبوبا عند مواطنيه تحفظ عنه حكايات لطيفة تدل على دماثة خلقه ورحابة صدره تخرج على يديه الكثير من أهالي بريدة فمن قرأ عليه كما سمعنا الشيخ محمد الصالح المطوع وعلي الفهد الرشودي وأخوه عبدالعزيز الفهد الرشودي ومحمد الراشد الرقيبة ومن في سنهم وتوفي في الوباء.

٣ ــ عبدالله بن ناصر بن سليمان السيف:

ولد في مدينة بريدة سنة ١٣٠٠هـ وتوفي رحمه الله في ١٣٩٠/١/١٠هـ عن تسعين عاما، باشر تعليم الصبيان بإيعاز من والده ناصر بن سليمان سنة ١٣٢٠هـ.

٤ ــ الأستاذ/ صالح بن محمد الصقعبي:

رجل فاضل وحازم لكنه يقسو على تلاميذه ويستعمل الضرب بحيث أنه رحمه الله إذا أراد تأديب طالب أقامه وسط الطلاب وأمر طالبين من أقوى الطلاب أن يمسك أحدهما طرف الفلقة والآخر الطرف الآخر والفلقة المشار إليها خشبة حوالي المتر والنصف قد وضع فيها حبل قوي طرفه رأس الخشبة والطرف الآخر عند رأسها الثاني ثم يلف الحبل على رجلي الطالب المراد تأديبه فيرفعا رجليه ثم يقوم الأستاذ بضرب قدميه بخشبة مدورة الرأس. والحقيقة أنه يوجد في ذلك الوقت طلاب أشقياء لا ينفع فيهم إلا الأدب الرادع ومن عجز عن تأديب ولده هدده بأن يأخذه إلى كتاب الصقعبي، ويوجد من أولياء الطلبة من يفرح بتأديب ولده عندما يلحق ولي الطالب ولده في الكتاب يقول للمطوع اللحم لك والعظام لنا بمسمع من الطالب فبعض الأولياء يقصد الحقيقة وبعضهم يقصد تخويف الطالب حثا له على المواظبة وعدم المخالفة إذا علم أن المطوع سيحاسبه على التقصير. والحقيقة أن بعض الطلاب يحتاج إلى نوع من الشدة وبعضهم لا يحتاج إلى الشدة وقد نفع الله بتعليمه فتخرج على يديه كثير واستمر رحمه الله في كتابه حتى انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٥٨هـ غفر الله له وأسكنه فسيح جنته وجمعنا به في دار كرامته وقد أدرك افتتاح المدرسة النظامية ولكنها

لم تؤثر على كتابه نظرا لشعبيته وتمسك الناس به .

٥ ـ عبدالعزيز بن صالح الفرج ـ رحمه الله ـ :

فتح كتابا يعلم فيه القرآن الكريم والتحق عنده عدد لا بأس به وكان رجلا فاضلا حافظا للقرآن مجودا له حازما يذهب بكبار الطلاب إلى المسجد الجامع يصلون فيه صلاة العصر ويجلس لهم بعد الصلاة يصححون القراءة ولا أحفظ تاريخ ابتدائه ولكنه في أقران الأستاذ صالح بن محمد الصقعبي ومنافسيه وتوجد بينهما غيرة على الطلاب وكنت وأنا أتعلم على والدي الشيخ إبراهيم بن محمد السليم وهو يعلم ولما فتحت المدرسة النظامية وأوشك كتابه أن يهجر بل قد هجر، التحق مدرسا في المدرسة العزيزية في بريدة واستمر مدرسا فيها حتى أحيل على التقاعد.

٦ ـ سليمان بن عبدالله العمري :

فتح كتابا في شمالي بريدة حوالي سنة ١٣٥٠هـ والتحق عنده عدد من الطلاب واستمر يعلم حتى سنة ١٣٥٦هـ ثم ترك التعليم .

٧ ـ سليمان بن محمد الرزقان :

بعد أن عينت مديرا للمدرسة السعودية التي فتحت في بريدة سنة ١٣٥٦هـ وتركت مدرسة آل سيف طلب منه أخوالي سليمان وعبدالله الناصر السيف أن يخلفني في التعليم بمدرستهم فوافق على ذلك وكان سليمان المحمد الرزقان من تلاميذ الأستاذ صالح بن محمد الصقعبي ويساعده على التعليم ، ولما سافر الأستاذ صالح بن محمد الصقعبي لأداء فريضة الحج كان يساعد أخا الأستاذ صالح بن محمد الصقعبي عبدالله المحمد الصقعبي على تعليم تلاميذ صالح المحمد الصقعبي على طريقة صالح المحمد الصقعبي إلا أنه لم يفتح للتلاميذ مكتبا يعلمهم فيه الكتابة على طريقة الأستاذ صالح الصقعبي ولم يتفرغ للتلاميذ لأن عنده دكانا في قبة رشيد وكان رحمه الله شديداً على الطلاب أخذ الشدة عن أستاذه الأستاذ صالح بن محمد الصقعبي ـ رحمه الله ـ .

٨ ـ سليمان بن عبدالرحمن المشيقح :

فتح كتابا في بيت والده عبدالرحمن المشيقح شمال قبلة الجامع الكبير وكان رحمه الله حسن الخط وفتح دكانا من دكاكين التواجر التي جنوب جامع بريدة يعلم تلاميذه فيه الخط .

٩ ـ صالح بن محمد السالم:

فتح كتابا والتحق عنده عدد لا بأس به من الطلاب وفي زمن صالح المحمد الصقعبي وأولياء الطلاب يحرصون على إلحاق أولادهم ماداموا صغارا عند مثل صالح المحمد السالم وسليمان العبدالله العمري حتى يكبروا قليلا ثم يلحقونهم عند من هو أشد منهما حزما وتأديبا بجانب تعليم الكتابة وقد ترك الأستاذ صالح المحمد السالم التعليم قبل افتتاح المدرسة النظامية بزمن طويل رحمه الله وعفى عنه آمين.

١٠ ـ محمد الصالح الوهيبي:

فتح كتابا قبيل فتح المدرسة النظامية بمنزله «فيحان» بعد أن جاء إلى بريدة من الكويت ثم سكن في بريدة وفتح كتابا فيها وسلك في تعليمه الهجاء طريقة لم تكن مستعملة في بريدة، أهل بريدة يستعملون للحركات النصب والكسرة والضمة والسكون وكلاهما مستعملات».

انتهى حديث الشيخ/ عبدالله السليم وكان في ذاكرته الكثير من الأسماء وودعته، وأنا أشكره على هذه المعلومات القيمة النادرة، التي نسجلها للأجيال بمزيد من العزة والفخر، غفر الله لمعلمينا الأوائل، وأثابهم الأجر الواسع والجنات العلى.

« فنان زخرفة »

■ «عبدالله بن محمد الفهيد» شيخ في عشر السبعين، كان من أوائل من سافروا إلى الكويت، فتعلموا فن التجصيص (التبييض) وزخرفة واجهات القهاوي في المباني والمسماة (الكمار)، ولعل الكلمة فارسية، وهو عبارة عن رفوف مجوفة منقوشة داخل الحائط، وهي مبنية بالجص، ولها دواويرها ومحاريبها وأشكالها المزخرفة الجميلة التي قل أن يتقنها أحد في عصرنا الحاضر خاصة باسلوبها القديم المعروف، و «أبو مبارك» أحد الندر الذين استمروا يزاولون مهنتهم الجميلة هذه ويتمسكون بها، ويستدعيه الناس من شتى أنحاء المملكة لكي يبني لهم (الكمار) في غرفة القهوة بالملحق، فأصبح مشهورا باتقانه لهذا الفن الذي يرسمه بصدق واستاذية، ولا نشك أن هذا الفن من الزخرفة سيندثر إن لم نلحق على بقية أعمار هؤلاء المعلمين فنلزم بهم تلاميذ يتعلمون على أيديهم أسرار هذه الصنعة فلعل أحدهم يبدع فيبقي لنا سرها وجمالها ويورثها للأجيال المتتابعة. وهذا لا يكون إلا بدعم أمثال شيوخ هذه الحرف النادرة، التي يعز علينا موتها بموت أصحابها، لأن ابناءهم ـ للأسف ـ لم يتواصلوا معهم في حرفهم،

إذْ أمسى لهم شأن آخر في حياتهم وهذا يجعلنا نؤكد على اقتراح أن يوكل إليهم شباب يتعلم منهم، فيتقن الصنعة، ويعبر بها إلى الجانب الآخر بعد أن يوقد شمعة جديدة من شمعة تكاد أن تنتهي فتنطفيء، إننا إن فعلنا أتحنا لهذه المجموعات من الشباب الحرفة الناجحة، وللمجتمع بعد ذلك عوائد هذا النجاح.

« خبر الشابين اللذين مضيا إلى ربهم »

■ في عصر عيد الفطر المبارك ١٤٠٨هـ، وقع حادث مروري لمجموعة من الشباب، فكان من نتائجه وفاة الأخ/ محمد بن عبدالله السدرة والأخ/ عبدالرحمن النودل، رحمهما الله، ولقد كان لسيرة هذين الشابين المؤمنين العاملين، تأثير حميد في نفوس كل من عرفوهما وزاملوهما، وكان لوقع وفاتهما صدى حزين في قلوب الجميع، وتترجم هذا الإحساس العميق لفقدهما، في تزاحم الناس من مختلف الطبقات على مواساة وتعزية اسرتيهما مشافهة ومكاتبة، ورثاهما بعض زملائهما بقصائد جياشة صادقة.

وقد زرت الأخ عبدالله السدرة، لأعزيه، فوجدته راضيا محتسبا، لا تسمع منه إلا الحمد والرضى بقدر الله، وقال لي: «إنني مسرور بهذه الخاتمة الحسنة لولدي، فقد مضى مطيعا لله، بارا بوالديه، مؤديا حقوق الله وحقوق الناس، وتلك شيء إذا تذكرته حمدت الله عليه، فالموت حق، وهو مصير كل حي، وقرأت على الأخ عبدالله قول الله تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾[1].

وقلت له: «إن لنا في رسول الله ﷺ، القدوة والأسوة، فقد عاش يتيما، حيث فقد أباه وأمه، ثم جده وعمه، ثم زوجته رضى الله عنها وأبناءه بعد ذلك، ثم ابنته فاطمة رضى الله عنها والتي لحقت بربها بعد وفاته ﷺ بستة أشهر، هذا وهو رسول الله ﷺ، الذي اصطفاه الله من خلقه، وجعله خاتم أنبيائه ورسله، فما أحرانا نحن أتباعه أن نتأسى بصبره ورضاه عند المصائب وهو أمر أوجبه الله علينا حين قال: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[2].

وتحدث لي الأستاذ/ صالح الدوسري[3]، فقال: «كان الأخوان محمد السدرة،

---

(١) سورة الأنبياء: آية: ٣٤.

(٢) سورة الأحزاب: آية: ٢١.

(٣) شاب فاضل، على درجة كبيرة من الوعي والإستقامة، يعمل مدرسا، وإماما لأحد مساجد حي الصفراء ببريدة.

وعبدالرحمن النودل، مثالا للشباب الصالح المنتج، وهما من طلاب حلقة من حلقات جماعة تحفيظ القرآن الكريم ببريدة، يحفظ الأول ستة وعشرين جزءا، ويحفظ الآخر عشرة أجزاء من القرآن الكريم، وكانا يساهمان مساهمة جدية في المراكز الصيفية، ومخيمات وزارة المعارف، ولهما تأثير نافع في وسطهما، والأخ محمد السدرة، في المستوى الأول بكلية الهندسة، جامعة الملك سعود بالرياض، أما عبدالرحمن النودل، فطالب بالثانوية العزيزية ببريدة، وفي شهر رمضان توجه الاثنان إلى مكة للعمرة مع ثلاثة من زملائهم هم: ١ ـ عبدالعزيز الوشمي. ٢ ـ عبدالكريم الحبيب. ٣ ـ عبدالحكيم الغنام، وقضوا العشر الأواخر من رمضان بمكة، وقد اجتمعت بهم يوم ثمانية وعشرين وتسعة وعشرين في الحرم ـ الحديث للأخ الدوسري ـ وبعد صلاة الفجر من يوم تسعة وعشرين قال لي الأخ/ عبدالرحمن النودل: أريد أن أمتحن حفظك قلت له: اسمعك سورة «يونس»، قال: لا، بل سورة «القمر» وابتدأت السورة من اولها **﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾** وختمها **﴿ إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾** وما أن أتممتها حتى دخل علينا أحد الزملاء، وأخذ يجاذبنا الحديث، وقد وقع الحادث بعد خمسة وثلاثين ساعة تقريبا من هذا الموقف! وحين أتذكر اصرار الأخ عبدالرحمن على اختيار هذه السورة بالذات، أعجب في نفسي وأترحم عليه، فسبحان الذي وقت الأجال، وقدر ساعات كل إنسان على هذا الكوكب. وقد صلى الخمسة صلاة العيد بالحرم الشريف، وتوجهوا بعد الظهر إلى بريدة، وحين خرجوا من الطائف وتجاوزوا الحوية، فاجأهم قدرهم المحتوم عصر ذلك اليوم، حيث تمزق العجل الأمامي، فاختل توازن السيارة، وانقلبت، فتوفى الله الأخوين: «السدرة» و «النودل» رحمهما الله، وأصيب الأخ «الوشمي» شفاه الله، وحالته ـ والحمد لله ـ مطمئنة، وسلم الله الباقين..

ومما يحسن ختم موضوعنا به، هاتين المرثيتين، الأولى للأستاذ/ حسن الحميد[1] المحاضر بفرع جامعة الإمام بالقصيم، يرثي فيها الأخ «السدرة» ـ رحمه الله ـ، وهي قصيدة طويلة نقتطف منها ما أمكن، يقول في مطلعها:

قالوا تجمل قلت هذا تجملي فؤاد أسيف لا يكف وهطال

(١) أستاذ قدير، يعمل محاضرا في كلية العلوم العربية والإجتماعية، وهو شاعر متمكن يحسن القول والإلقاء، ينهج في شعره منهجاً إسلامياً.

عليــك أبــا كعب أبــا كعب حرقــة　　وقــد حان حين لا يرد وآجــال
عليــك أخي في الله ما كنت راحــلا　　فما المــوت يختــال الجســوم ويغتــال

ثم يقــــول:

عليــك أخي في الله ما كنت راحــلا　　بلاؤك والمعــروف ترويــه أجيــال
عليــك أخي في الله ما كنت جاهــلا　　ومــا كان من سيماك لغــو وتجــهــال
هنـيئــا له نال المـنـى فسما بها　　وبــادرْ قبل الفـوت والعمـر رحـال
سنــذكــره بالخـير في كل مربــع　　له موطــيء فيــه وذكــر وأقــوال

أما القصيدة الثانية، فللأستاذ الأخ/ صالح الدوسري، يقول:

يــارب ... عونــك إنـنــي　　أرجـــو نـــداك وأطــلب
أنــزل على قلبــي الســكـيـنـة　　مـــن للطفـــك يــرقـــب

ثم يقــول:

يوم الـثـلاثــاء.. «عـصــره»　　جاء الأحـبـة ينـدبـوا
أواه...! ماذا؟ ما نقــول　　أصـــادق ما تكـــذب
بـ «محـمـد» وبـ «نــودل»　　حم الـقـضــاء فأعــطبــوا؟

وقبل نهايتها يقول:

أبـكـي شبــابــا ظل في　　سبــل الـفـضـيـلة يــــدأب
لم يغــرهــم عنهــا متــاع　　فـــي الحـيـــاة محبــب
مـــا آثـــروه لأجــلهــا　　كلا ولم يتــذبــذبــوا

نسـأل الله لنا ولهم الرحمة والغفران، ولذويهم الصبر والسلوان، فهو الهادي سبحانه وتعالى.

« فتاة داعية، غادرت دنيانـــا »

■ في صباح يوم الأحد ١٤٠٧/١٢/٢٢هـ خيم حزن صامت على منتسبات الـدورة المقامـة من قبـل جماعـة تحفيظ القـرآن الكـريم ببريدة للنساء والطالبات والمعلمات، ولم يكن لديهن في ذلـك اليوم استعـداد لأن يلقين أو يتلقين محاضرات جديدة، فقـد حبست الآهـة حنـاجـرهن، واغرورقت عيونهن بالدموع حين أخذ الجميع معلمات ومتعلمات يتلقين العزاء بوفاة المحاضرة بالدورة الأخت/ هدى المديفر

رحمها الله التي وافاها أجلها في حادث سيارة أليم على طريق الرياض/القصيم، لقد تحمست أن أكتب سطورا عن هذه الفتاة المؤمنة والأخت في الله التي لم أسمع عنها إلا مؤخرا حين التحق بعض معارفي في هذه. الدورة النافعة المؤثرة التي هيأت لها إدارة جماعة تحفيظ القرآن الكريم ببريدة مشرفة ومعلمات مختارات بعناية يحسن التربية بالقدوة والتأثير بالسلوك قبل تلقين المعلومات، وكأن نصب أعينهن الحكمة التي تنطبق على الجنسين، والقائلة: «حال رجل في ألف رجل خير من قال ألف رجل في رجل».

لقد أدركت «هدى» وهي المتعلمة والمعلمة ــ حقيقة رسالتها في الحياة فمضت تمارس التعليم والتوجيه والدعوة في محيط مجتمعها، ولم تؤجل هذا الواجب ريثما تنهي دراستها الجامعية، حيث كانت على وشك التخرج، لكأنها بإيمانها أدركت أن هذه الحياة قصيرة، وأن العمر رصيد ينقص كل يوم فتجنبت التسويف لعلمها أن الموت يأتي بغتة؛ لقد كان عطاؤها المبارك في فترة محدودة، لكنه بليغ ومؤثر في نفسيات وسلوك أمهات الغد: مدرسات المستقبل «فمن ثمارهم تعرفونهم» ولم يكن ذلك ممكنا لولا أن حالها تصدق مقالها، ومقالها يصدر من نفس مؤمنة بالله واثقة من وعده خائفة من وعيده حريصة على تربية نشء مسلم يعرف حقوق ربه ثم حقوق والديه ومجتمعه وأمته الإسلامية، جيل يعرف لأي غاية يتعلم وإلى أي هدف يصبو، لقد أدركت رغم عمرها القصير حقيقة دور المعلمة في نفسية الطالبة، إذْ هي ليست تلك المرسلة التي تحشو أذهان الطالبات بمعلومات متنوعة ثم تطرح في نهاية العام أسئلة محددة تتأكد فيها من بقاء تلك المعلومات في ذاكرة التلميذات، وهي معلومات لا تلبث أن تتبخر تحت أجواء شمس العطلة الصيفية الحارة، بل المعلمة هي المثال الحي الذي يجسد حقيقة الإيمان الذي تعتقده، والعلم الذي تعلمه، والسيرة التي تستارها، هي الشعاع المضيء الذي يؤثر في آفاق طالباتها فيصبغ قلوبهن وعقولهن بقيم الإسلام الحق، ودوافع الإيمان الصادق، فتصبح المعلومات سبيلهن إلى التطبيق في الواقع المعاش تعاملا وسلوكا، فترى أثر ذلك في حياتهن، حين يُقِمْن مع الوالدين والأقارب ثم مع الزوج والأبناء ثم مع المجتمع والأمة حقيقة عظمة قِيَم القرآن التي يدعو إليها لترسيخ حياة سعيدة ناجحة فيها ربح الدارين. فرحمها الله رحمة واسعة، وأجزل لها المثوبة كفاء ما قدمت من نصح وما أسدت من توجيه وأسكنها فسيح جناته.

ولاستكمال المعلومات عنها، طلبت من إحدى قريباتي الملتحقات بالدورة، أن تقابل المشرفة على الدورة، وتستكتبها حديثا عن هذه الأخت، فتفضلت الأخت

المشرفة بالكلمة التالية: «كانت في مقتبل العمر شابة مسلمة متمسكة بإسلامها، يلاحظ ذلك من شاهدها لأول وهلة، فحجابها الإسلامي الملتزم هو عنوانها، تلك هي الفتاة المسلمة، «هدى المديفر»، ذات الاثني وعشرين ربيعا، طالبة في السنة الرابعة ــ دراسات إسلامية ــ بكلية التربية بالرياض، وهي بعد أصغر أفراد أسرتها، ورغم مشاكل الدراسة وتحصيل العلم إلا أن ذلك لم يمنعها من القيام بحق العلم والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله في كل مجال، بين أهلها وأقاربها وزميلاتها الطالبات اللواتي تكتفي بهن، فكانت تستغل كل فرصة سانحة لتدعو إلى الله وإلى الإسلام، وهي أيضا بنفس الوقت تطلب العلم وتغرف من نبع الإسلام الصافي المتدفق، وكانت قدوتها في سلوكها ودعوتها نساء النبي أمهات المؤمنين، وبنات النبي ﷺ ونساء الصحابة اللواتي وعين الإسلام والتزمن بتطبيق أحكامه، وانطلقت في مجال الدعوة الرحب، فشاركت في حلقات الطالبات التابعة للجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالرياض فكانت تشارك بالمحاضرات والتوجيه والنصيحة للطالبات الملتحقات بالحلقات، جاءت إلى القصيم خلال عطلة الصيف، ودعيت للمشاركة في الدورة المقامة من قبل الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ببريدة للنساء والطالبات والمعلمات فسارعت لتلبية الدعوة والمشاركة في إلقاء المحاضرات في الدورة، وكانت تود أن تعطي الدارسات أكبر قدر ممكن من العلم وأن ترتفع بهن إلى أعلى مستوى، حتى أنها كانت تستغل وقت الفسحة بين الدروس لتكمل ما بدأت أو لتوجه إلى شيء جديد، أو لتدل على كتاب مفيد، وكانت تنتقل بالطالبات في رياض المعرفة والدين من فقه وعبادات وعقيدة وحديث وأدب وقرآن، ولكنها عادت للرياض لانتهاء زيارتها، ولأن هناك حلقات تنتظرها بالرياض، وودعتنا على أمل زيارة أخرى قريبة، وفي طريق عودتها إلى القصيم مرة أخرى أصابها الحادث المفجع».

هذه هي كلمة الأخت المشرفة، جزاها الله خيرا، وأخيرا فإن الأخت هدى، رحمها الله، هي مثال للفتاة السعودية المسلمة التي أضاء الله طريقها بالعلم النافع، الذي هيأته لها حكومتنا الرشيدة تلك العلم الذي يستمد معينه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فنعم التربية، وبوركت ثمارها.

« وعزفت عن قيل وقال »

■ تقع المصائب فتفجع قلب الإنسان، فإن اعتصم بربه، ووعى التنزيل العزيز، فإنه سرعان ما يثوب إلى رشده، فيعرف أن النوازل قدر مكتوب، وأنها ابتلاء يمتحن الله بها إيمانه ليميز الخبيث من الطيب، وإن ضعف احتماله وهدته النوائب، وتجنب هدى ربه فلا ريب أن الشيطان يحتويه هنا فيظله كما أظل نفسه، يقول أحدهم:

لما رأيت الموت يفني الناس من جيل لجيل
ورأيت أني هالك وسبيل من ولى سبيلي
أوطأت نفسي عشوة وعزفت عن قيل وقال!

ونحن مع هذا الشاعر في العزوف عن القيل والقال، لكننا لسنا معه في أن يوطيء نفسه عشوة، فسبيل الحق واضح، والمحجة بيضاء، فعلام يخبط خبط العشواء ويركب الدرب المظلم، وقد أنار الله السبيل، وأوحى بالتنزيل.

* وقبل أيام، كنت أنزل من درج إدارة التعليم بمنطقة القصيم، فقابلني الأخ الأستاذ عبدالمحسن بن فهد العبيد، المدرس بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم ببريدة، وإمام وخطيب جامع الحميدان، ولم تغرب شمس ذلك اليوم، حتى كان في عداد الموتى، حيث توفي ــ رحمه الله ــ في حادث مروري على طريق القصيم الرياض وهو لم يتجاوز الأربعين من العمر وله مؤلف ضمنه خطبه الأسبوعية ومواعظه العامة[1]، فكم للموت من بغتات لا يجدي معها الحذر، ولا ينفع معها التقدير «لقد فضح الموت الدنيا».

---

(١) قال لي الشيخ/ «عبدالله العثيم»: زرت الشيخ/ «فهد العبيد»، لأعزيه في وفاة ولده، فوجدته صابراً محتسباً، وكان مما سمعته منه: (يا عبدالله، لو أعرت عصا، ثم جاءك المعير بعد مدة، يطالب برده، أكنت تجزع من ذلك؟! إن ولدي عارية استردها الله، فله ما أعطى وله ما أخذ).

وحين أتم الشيخ العثيم روايته هذه، أضاء في ذهني، بيت للشاعر: كعب بن زهير، قاله ضمن قصيدة طويلة يرثي فيها أخاه:

(وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد يوماً أن ترد الودائع)

وقال لي آخر: ذهبت أنا وعدد من الأخوة، لمواساة الشيخ فهد في ولده، فألفيناه في صدر مجلسه، وهو يعظ الناس بالصبر، ويوصيهم بالاستسلام لقدر الله والرضى بقضائه، وكأنه المعزي لا المعزى! فعجبنا لقوة إيمانه وصبره، وكان انتفاعنا بسلوكه يوازي استفادتنا من قوله.

* ومما أعجبني من استنباطات الشيخ الشعراوي ـ وفقه الله ـ قوله: «إن الله أخفى الموت سببا وزمانا ومكانا، لكي يعجل الإنسان بالتوبة» ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «كيف يهلك الإنسان ومعه النجاة» فقيل له: وما هي؟ فقال: «التوبة والإستغفار». وشوهد مكتوب على أحد القبور:

« ومـا نحـن إلا مثلهـم غير أننـا أقمنـا قليـلا بعـدهم وتقـدمـوا» !

وأعجبتني قصيدة الشاعر النبطي: أحمد الشائع، التي قالها بعد وفاة ولده في حادث مروري، وأقف هنا مع أحد أبياتها:

« والله لولا اني وسـيـع الـبـطاني لصكهـا مثـل اشقـر الـريش حومـه

إن الأولى بالمؤمن عند وقوع النازلة أن يتذكر ربه ولقاءه والرجوع إليه، فيعرف أن كل شيء صائر إليه، وأن الفرق في الزمن فقط، ولهذا نحمد للشاعر «الشائع» ثباته للنازلة وضبطه لنفسه التي جاشت فأقرها، آجرنا الله وإياه، وعوضه عن فقد ابنه خيرا.

* وقال لي أحد الاخوان: رأيت أحد الأصدقاء بعد أن افتقدته زمانا، فإذا هو رجل صالح يحاول تزكية نفسه، وتقويم ما اعوج منها، فكاشفته في ذلك، فقال لي: «إنني رأيت الإنسان ينطفيء بسرعة، فخفت أن انطفيء قبل أن أنال حظي من كتاب الله والأعمال الصالحات، فبادرت نفسي قبل الفوت، وعاجلتها قبل الموت» قلت لمحدثي: إن هذا يعد من الأكياس، الذين قال الأثر عنهم. (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني). فعلى المرء أن يأخذ حظه من القرآن ونصيبه من الإيمان، قبل أن يحال بينه وبين ذاك، وليذكر يوم التغابن، حين يأتي الناس وقد اختلفت حظوظهم من العمل الصالح، فلنشمر في وقت البذار قبل أن يحين وقت الحصاد، إن الله قال لنا: ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ فهل نحن على صواب حين نكتفي بمقالة: لا تنس نصيبك من الآخرة. ومما يحسن إيراده هنا، مقالة بليغة لأحدِ فصحاء الأعراب: «كانت الدنيا ولم أكن فيها، وستكون بعدي ولا أكون فيها، وإنما هي أيام منحت إياها ولا أريد أن أغبن فيها» !

إنها دعوة للتأمل في هذا الأفق، فالحق فلق أبلج، والباطل ظلام لجلج والمطلوب هو الوعي الذي يتبعه العمل.

« شيعوا مسافراً لا يؤوب »

■ جزى الله خيرا من أشاع سنة تشييع الميت محمولا على الأعناق، إلى مثواه الأخير، فما أرهب وأهيب أن تضع على عاتقك ركنا من الآلة الحدباء، وأن تسير خاشعا في كوكبة من الرجال مشيعين هذا المسافر المنقول من دار الفناء إلى دار البقاء. سر في هذا الواجب العظيم الذي افترضه الله عليك حقا لأخيك المسلم، وسترى كيف تتجرد أغراضك، وتصفو نفسك، وتعرف معنى الحياة. فقبل عدة سنوات كان الغالب لمن شهد المصلون الصلاة عليه في الجامع الكبير ببريدة، أن يحمله ذووه في سيارتهم ثم يتقاطر الناس خلفهم بسياراتهم، فيدخلون المقبرة ركبانا ويقفون على شواطيء القبور، فلم يك يحس المشيعون بهذه العظة والخشوع الذي يستشعرونه اليوم وهم يسيرون مشاة خلف ميتهم الذي برز لهم محمولا على نعشه الأحدب الذي تتبادله الأيدي والأكتاف، ومن قبل كان صاحب الآمال العراض والمراغب الكثر، فسبحان من استوفى الروح، وختم الكتاب.

« سيبويـــه عند احتضـــاره »

■ توفي عالم النحو «سيبويه» عن ثلاثة وثلاثين عاما، ومما يروى عنه عند احتضاره، أنه تمثل بهذين البيتين:

حتيثا يروي فسيل النخيل فعاش الفسيل ومات الرجل
نؤمل دنيانا أن تبقى لنا فمات المؤمل دون الأمل !!

« إنها لكذلك ! »

■ قبل عدة أيام مضت، قرأت في إحدى الصحف خبر وفاة الصحفي الفلسطيني سهيل الشنطي ــ رحمه الله ــ عن خمسة وأربعين عاما، والذي أمضى معظم عمره الصحفي في دول الخليج، وحين قرأت نعيه، عادت بي الذاكرة إلى مقال كتبه قبل ثلاث أو أربع سنوات، ومازلت أحتفظ بقصاصته، عنوانه: «متران في مترين» وفيه يتحدث عن وفاة رجل أنفق زهرة عمره في جمع المال، وفي النهاية غزته الأمراض، ثم اكتشف بعد فوات الأوان أن الحياة لا تساوي شيئا: «لأنها متران في مترين»، تعالوا نقرأ مقاطع من هذا المقال: «كان يسابق الزمن في عمله في إحدى دول الخليج،

يواصل الليل بالنهار، ينهي دواما في عمل ليبدأ دواما جديدا في عمل اخر، يصبح على الـدنيا محاسبا في وزارة، ويقضي القيلولة مراقبا ماليا في مصنع صغير، ويمسي على الكون وحتى الفجر مراقبا ليليا في شركة للنفط» ثم يتحدث عن مؤهلاته وحساباته وبيعـه وشرائـه، ثم يختم موضـوعه بقوله: «شاهدته في لندن الشهر الماضي، كان أصفر، شاحب الوجه ضعيف البنية، قال لي: إنهم يغيرون دماءه مرة واحدة في كل ستة شهور، لأن زحف مرض السرطان لا يوقفه أحد، تنهد وتابع: إنني أملك الآن عشرات الدونمات بمئات ألوف الدنانير، ظننت أن الدنيا هي الأراضي والعقارات وأرصدة البنوك وفوائد الودائع!. أرهقت نفسي حتى الثمالة، لكني اكتشفت أخيرا أن الحياة هي قطعـة أرض: متران في مترين، تملكهـا البلدية، وانهمرت الدموع من عينيه، لكن بعد فوات الأوان، فلا هو تمتع بالحياة، ولا الحياة تركته يتمتع بها، لأنها متران في مترين!» انتهى.

* وزميل من إحدى الدول العربية الشقيقة، تعاقد مع الدائرة التي أعمل فيها، دخلت عليه في أحد الأيام فإذا هو منهمك في قراءة كتاب «الروح» لابن القيم ـ رحمه الله ـ، وتعرفت على هذا الكتاب القيم منه، حيث أخذ يتحدث لي عن عجيب قصصه، وغريب عبره، وعلى وجهه مساحة من الدهشة وحب الإستطلاع، هذا الزميل سافر إلى بلده في إجازته السنوية، وقدر له أن يموت في حادث سير هناك، فذكّرني نبأ وفاته، كتاب «الروح» الذي كان عاكفا على قراءته متشوفا إلى معلوماته، متشوقا إلى أسراره، فرحم الله روحه، وغفر لنا وله.

* وقبل عامين ذهبت أعزي في وفاة قريب للأسرة، مات عن ثمانين عاما، قالت لي زوجتـه، وهي تخبر عنـه: «في صباح اليوم الذي توفي في مسائه، قال لي زوجي، وأنا أناوله فنجال القهوة: «يا أم عبدالعزيز حان الرحيل»! فغفر الله له ورحمه.

* وقبـل عدة أعوام لقيني أحد المسنين، فسأل عن أحوال صديق له يماثله العمر، وبعد الإجابة على أسئلته، عقب قائلا: «هل طلّق الدنيا؟!» ومعنى المعنى هنا: هل ترك الإنشغال بها؟! أتذكر هذا القول، وقد طلقتها الدنيا معا، وأمسيا في ذمة الله، غفر الله لهما.

* وقال لي أحد رجال العقيلات: قبل أربعين عاما ـ تقريبا ـ توفي في إحدى العواصم العربية، أحد تجار المال المشهورين فمرت جنازته في الشارع، وقد أخرجت

يده من الكفن، فلما استفهم الناس عن السبب؟ قيل لهم: إنه وصى أن تخرج يده عند تشييعه، ليراها الناس مبسوطة، حتى يعرفوا أنه لم يأخذ معه من ماله شيء، وأنه ترك الدنيا بالهيئة التي جاء بها!

* وفي مجلس عزاء آخر، التفت إلي شيخ وقور اكتهل سنه وكنه عقله، وهو يقول: «خيبه ما تسوى شيء»! فأجبته: «إنها لكذلك»..
فرحم الله من قال:

« نصيبك مما تجمع الدهر كله   رداءن تلوى فيهما وحنوط »

* وقبل أيام شيعنا جنازة إلى المقبرة، ولما أن ألحدناه وأهلنا عليه التراب وعزينا ذويه، تنقلت بين القبور أزور الأهل والأصحاب، فوقفت على قبر أحدهم، فإذا معالمه قد درست وحصباؤه قد هضمت، فقال أحد المرافقين: إنه يحتاج إلى نصايل توضحه وإلى حصباء جديدة تحفظه، فتذكرت ما لا أحصيه لساكن هذا القبر ـ رحمه الله ـ وهو يتمثل بهذين البيتين:

« سلام على أهل القبور الدوارس   كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء نهلة   ولم يأكلوا مابين رطب ويابس »

فقلت أخاطبه: لكأنك ترثي نفسك، غفر الله لك ما أعلنت وأسررت، وأبدلك دارا خيرا من دارك، وأهلا خيرا من أهلك[1].

« الأجل يعجب من الأمل »

■ أمل الإنسان في هذه الحياة طويل، ولكن دون الأمل الأجل، فكم من مؤمل مات دون أمله، وكم غارس لم يأكل من غرسه، ومن مشيد لم يسكن بيته، قال لي أحد الإخوان: تقدم أحد زملائنا يطلب تصغير عمره في حفيظة نفوسه، وأحضر على ذلك شهودا، وغرضه من ذلك تمديد سنوات خدمته خوفا من الإحالة على التقاعد، يقول الراوي: ولم تمض أشهر حتى توفي هذا الرجل، وانتقل إلى رحمة الله، غفر الله

(١) وبعد فرحم الله، الشاعر: أحمد شوقي، إذْ نذكره هنا في بيتيه التاليين:
كل حي ـ وإن تراخت مناياه ـ   قضاء عن الحياة انقطاعه
والذي تحرص النفوس عليه   عالم باطل قليل متاعه

لنا وله، فانظر كيف كان يفكر هذا الرجل، وفي الغيب له أجل لا يعدوه، ورزق لن يزيد عليه.

* ورُوي عن «الحوطي» أحد حفار القبور في مدينة بريدة قوله: كنت أحفر آخر قبر في مقبرة بريدة القديمة حيث لم يبق منها سوى ذلك الموقع، فوقف علي رجل يلبس ثيابا نظيفة ومشلحا وتبدو عليه الوجاهة والعافية، فقال لي: إن كبار الجماعة قد حددوا موقع مقبرة جديدة للبلدة، فلا أرى داعيا لحفر هذا القبر في هذا المكان الضيق، لعلك تبدأ الحفر في المقبرة الجديدة، يقول الحوطي: وذهب ذلك الرجل وفي اليوم التالي حضرت جنازة إلى المقبرة فلما استعلمت عنها عرفت أنها جثة صاحبي بالأمس، فتعجبت من تصاريف الأقدار، ودفنته في القبر الذي جرى الحوار عليه فرحمهما الله جميعا.

* وفي مثل هذا السياق حدث الدكتور/ مصطفى الديواني في كتابه (قصة حياتي) ص ٧٢:

يقول: (وقفت يوما في ميدان التحرير انتظر وصول جثمان أحد زملائي لتشييعه، وهلَّ علينا عقب وصولي رجل ذو مقام كبير في سيارته الفخمة الأنيقة وكان ممسكا في إحدى يديه بسيجار فخم وكأنه بالكاد انتهى من تناول وجبة الغداء وافتر ثغره عن ابتسامة عريضة كادت تصل أذنيه ببعضها كأنه مقدم على حفلة عرس. ولما فوجيء بمواجهة نجلي الفقيد يتقبلون منه العزاء انقلبت الإبتسامة العريضة إلى بسمة متكلفة وتمتمات آلية تقال في مثل هذا المقام، ويشاء الله أن يُشَيَّع هذا الشخص في نفس المكان بعد اسبوعين بالتمام. وهكذا تذوب التفاعلات النفسية المختلفة في التراب كما ذابت مثيلاتها منذ بدء الزمان، وكم من لاحق بكى سابقا إلى المصير ثم إذا باللاحق يصبح سابقا بدوره، ولله في خلقه شؤون).... انتهى.

وما أصدق هنا بيتي الشاعر: كعب بن زهير:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها فالنفس واحدة والهم منتشر

« مت تعظم »

■ «عري أعرابي فطلب "خلقانا" فحرم، فتماوت فجمعوا له ما اشتروا به كفنا، ووضعوه عند رأسه، وذهبوا ليسخنوا الماء، فوثب الأعرابي وأخذ الثياب ولم يلحق»

هذه الملحة، إحدى ذخائر موروثنا الأدبي، وللأعراب في ماضيهم وحاضرهم، نوادر دقيقة فكهة، فقد أكسبتهم الصحراء بقسوة مناخها وشح مائها، ومخوف أخطارها، صفات جليلة وقيما أصيلة وأخلاقا وعرة. وهو هنا في هذه النادرة لا يفوته التحايل على رزقه مثلما هو يتحايل لكسبه في مفازات الصحراء، إذْ هو القائل: «كلانا بها ذئب يخاتل صاحبه»، والأعرابي في هذه القصة تحايل ليكتسي، بعد أن التمس ثيابا قديمة فلم يعط، لأن في الحواضر كل شيء له ثمنه، وهو لا يملك نقدا ولا عرضا، وانظر إلى الوسيلة التي امتلك بها الثياب الجديدة، فقد لاحظ أن الميت يكسى والحي يحرم، فتماوت حتى حصل على ما يريد! ومن هذه المفارقة العجيبة التي لفت الأعرابي نظرنا إليها، نقف مليا لنتأمل كيف يعظم الميت حين يموت، فنحن لا نتحدث عن الإنسان ولا نطري محاسنه، ولا نقول فيه القصائد العصماء إلا عندما يموت! ولقد عاصرت أناسا كثيرين انتقلوا إلى رحمة الله، فكنت أسمع عنهم سماعا، فلما ماتوا تناولت الأقلام سيرتهم، فتمنيت لو أنني قابلتهم واجتمعت بهم! فأين حظ الحي من تكريمنا وإطرائنا؟ أترى الميت يسعد بالإحتفاء والثناء بعد أن يموت؟! أم أننا نؤكد المثل الذي يقول: «مت تعظم» إن «الحي أبقى من الميت» فهو أولى بالتكريم والتقدير، فلنتدارك بواقي أعمار الرجال المخلصين المحسنين فينا فنجعلها غنية بالتبجيل والسعادة، حتى يحسون أنهم في أمة كريمة تذكر للمحسن إحسانه وتثيبه عليه، أما بعد الموت فأي معنى لهذا العطاء:

«لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زاد»!

« لا تعاتب »

■ رأيت كثيرا من الناس يتالم من مقاطعه صديق، أو يتشره على جفوة قريب، فهذا فلان مر من عنده ولم يسلم عليه، وهذا علان أقام وليمة ولم يدعه، وهذا الأخ زوج ابنته ولم يستشيره. وهذا وهذا!. ويتكدر صفو هذا العاتب دائما، وتستحيل لذاذة أيامه إلى علقم، لأن السخط وعدم الرضى أحالا حياته إلى قلق وغم! ولو أن مثل هذا الانسان ذكرا أو أنثى أعمل فكره وراجع حاله لرأى أنه حمّل نفسه ما لا تطيق، وأن عليه أن يقبل الناس كما هم لا كما ينبغي أن يكونوا، وأن لإولئك المسخوط عليهم أعذارا لو علمها لعذرهم! وأن التماس العذر لمن لم يعتذر إليك فيه راحة لنفسك، واستقرار لبالك. فليت الواحد منا يصل رجاءه بالله دائما، ويديم يأسه من الناس ما بقي، فالرجاء في الله مأمول، والحبل بغيره منقطع.

فيا صديقي :

« أقــلل عتــابــك فالبـقــاء قليــل والــدهــر يعــدل مرة ويـمـيــل »

ويا صاحبي :

«فـلعــل أيــام الــبـقــاء قليــلة فعــلام يكــثــر عتبـنــا ويــطول»

ويا أخـــــــي :

« إن استتم من الــدنيــا لك اليأس فلن يغــمــك لا موت ولا ناس
الله أصـــدق والآمــال كاذبــة وكـل هذي المنى في القلب وسواس »

« عاتــب لا تقاطـــع »

■ اتتبع معكم هنا، خلة غير مستحبة، أتمنى أن يستبدلها المتعاملون بها، وأن يتنبه إلى أضرارها الجميع، هذه الظاهرة هي تقديم المقاطعة على المعاتبة، فجأة تجد قريبا أو زميلا أو صديقا ينقطع عنك دونما سبب تعرفه، يلقاك وهو متغير عليك، ومن عينيه وصفحات وجهه وفلتات لسانه، تعرف عدم رضاه عليك، والإنسان هنا على مفترق طريقين، إما أن يعامله بنفس المعاملة، فيبادله هجرانا بهجران، أو يكون حكيما عاصيا لهواه فيفاتح صاحبه ويستفهم منه أسباب تغيره، وهنا تكون المصارحة ويكـون العتـاب، وتظهر الأمور جلية، وتتبين وجوه سوء الفهم. وللأسف ليست الأكثرية من الفريق الثاني، ولسنا بصدد لومهم فهم ليسوا البادئين، لكن النصح جله يوجه إلى أولئك الذين يعتمدون أسلوب المقاطعة لا المعاتبة، وهي شيء حذر منه ديننا القويم على لسان نبينا ﷺ : «لا يحل لمسلم أن يصارم مسلما فوق ثلاث ليال» ودعانا الله في كتابه الكريم إلى نقد الخبر والتبين والتثبت قبل إصدار الحكم، فقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾**(١)

إن الـذين يقاطعون قبل أن يصارحوا، هم أناس نفذوا حكمهم قبل التأني والمـداولـة، إن الإنسان في مجتمعه مربوط بالكثير من العلائق الاجتماعية فهو يقيم جسوره مع أسرته وأقاربه وزملائه وأصدقائه ومعارفه، وهذه الجسور لا تحمل معناها الحقيقي إلا إذا كانت عابـرة من الجانبين، فإذا أغلقت من أحد طرفيها أصبحت

(١) سورة الحجرات : آية : ٦ .

معطلة وفاقدة للقيمة والمعنى. إنني أدعو الولد مع والده، والوالد مع ابنه، والزوجة مع زوجها والزوج مع زوجته، والزميل والصديق، إلى أن يجعلوا المصارحة والمعاتبة سبيلهم إلى فهم تغير النفوس، لكي يصبح التحقق والمكاشفة أساسا لتمتين العلاقات كلما خيف عليها التصدع، وحتى نقطع الطريق على كل نمام ومغرض وحاسد، ونقضي على حكم سوء الظن والمعلومات الخاطئة والفهم المعكوس، إنها دعوة صادقة من أجل مجتمع سعيد يظلله الوئام ويسوده الصفاء وتحكمه وشائج المودة.

« ياسر لا تعاسر »

■ مررت بتجارب كثيرة، وخالطت أصنافا شتى من الناس، فلم أر مثل المياسرة والمسامحة والملاينة طريقا إلى الصدور وفتحا للقلوب، وانجاحا لما تريده ويريده منك الناس، ورأيت بعض الناس يقلل من أقيام المجاملة والمصانعة والمدارات فتتوعر أمامه المسالك، وترتفع في طريقه العقبات، وينفر عنه الناس، ولو أنه عقل لعلم أن «مدارة الناس نصف العقل» «وأن من لانت كلمته وجبت محبته» «وأن الكلمة اللينة تخرج الحية من جحرها» «وأن من جرب اللين والسيف وجد اللين أقطع».

ولسنا هنا ندعو إلى المجاملة الزائفة، والبهرج الكاذب والنفاق المرذول، والمصانعة المذمومة، ولكننا ندعو إلى القيم التي حث عليها الإسلام من الرفق والتبسم، وافشاء السلام، والبشاشة وخفض الصوت، والصبر، والصدق والأناة والحلم، وكل خصلة تحببك إلى أخيك فلا تعنته ولا تكلفه ما لا يطيق، ولا تغضبه، بل تسره وترضيه.

إنها دعوة إلى المسامحة الكريمة ففيها السعادة وراحة النفس، لأن المعاسرة مشقة وتعاسة، ألم يقل الله سبحانه وتعالى لموسى وهارون، وهما مرسلان منه تعالى، إلى الطاغية فرعون: ﴿ **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ (طه: ٤٤).. فلا تهجر لين القول في دعوتك وحياتك عامة، جربه والشاهد عندك.

« هل تغير الناس ؟! »

■ «صحبت الناس خمسين سنة، ما ستر أحد لي عورة، ولا رد عني غيبة، ولا عفا لي عن مظلمة، ولا قطعته فوصلني، وأخص إخواني لو خالفته في رمانة فقلت: حامضة، وقال: حلوة، لسعى في حتي يشيط دمي». هذا القول ينسبه الرواة إلى

«سفيان بن عيينة» ــ رحمه الله ــ والناس مذ كان الناس لم تتغير طباعهم، ولم تتبدل مادتهم.

وأظن ــ سفيان ــ لو عاش خمسينه تلك في زماننا هذا ما خرج بغير ذلك الإنطباع، ليس لأنني أؤيده في قوله، لكن لأن طبيعته وطبائع الناس لم يتغير فيها شيء، ولسنا بهذا المفهوم نعتبر ما قاله (سفيان) هو القاعدة وغيره الشذوذ، وإلا كنا كمن يذم نفسه، لأن من يعيب جنس الإنسان إنما يعيب في الحقيقة ذاته، لأنه لن يستطيع أن يستثني نفسه من هذا الجنس! وفي رأيي أن كثيرا من المشاكل التي تحدث للإنسان في حياته لو حللنا أسبابها بتدبر وعمق لوجدنا أن معظمها يرجع إلى تصرفات المرء ذاته، ولا شأن للآخرين فيها، حتى وإن كنا نقول ذلك ونردده! وأذكر هنا قولا مشهورا، «فقد سمع رجل رجلا يقول: أنا منذ ثلاثين عاما أطلب صديقا فما وجدته، فقال له ذلك الرجل: لأنك تطلب صديقا تأخذ منه ولا تعطيه!» وأعتقد أن ذلك الجواب يجلي لنا بعض هذه الحقائق، التي نحاول أن نكتشفها، فالناس أصناف شتى في تعاملهم، فيهم الحزن والسهل، والكريم واللئيم، فالتحفظ منهم مستحب، والإحسان إليهم واجب، والحذر عند معاملتهم مطلوب، والملاحظ أن الذي لا يغتاب الناس ولا يعيبهم ولا يظلمهم يندر أن يناله شرهم، وأذكر هنا مقالا قديما لعالم من علماء المدينة: «كان عندنا في المدينة رجال لا عيوب لهم، فتحدثوا في عيوب الناس، فأحدث الناس لهم عيوبا، ورجال لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فسكت الناس عن عيوبهم»!.

« سرك أسيرك ! »

■ يروى أن السلطان محمد الفاتح، الخليفة العثماني، وفاتح القسطنطينية عاصمة بيزنطية، كان دائما يحشد جيشه، ويعلن حالة الإستعداد فيه، فإذا سأله قواده وحاشيته عن نيته المبيتة لذلك، قال لهم: «لو أن شعرة في لحيتي، علمت ما يدور في رأسي لنزعتها!» وهذا ليس استبدادا منه في الرأي، ولا هجرا لمبدأ الشورى، لكنه إمعان في السرية، التي هي أساس نجاح الأمور دائما. والإنسان في حياته العادية وفي أي مهنة كان، يرى أن كثيرا من غزله ينتقض، وكثيرا من أموره تفشل، فإذا تدبر واقعه، وتتبع علله، رأى أن لسانه أساس بلائه، وأن إعلان أحواله تضييع لآماله، ففي الناس الحاسد والمتربص والنمام والساعي بالفتنة، وليس لمثل هؤلاء أفضل من

أدوية الصمت والترصن والكتمان، فبها تقوى مناعتك، وتجعلك سالما بإذن الله ـــ من غوائلهم وإفسادهم، وقديما قال أجدادنا: «ما يقال لساكت وين انت غادي»!

وهـذا لا يعني إبـطال مبدأ الشورى، لكنه يعني أن نضعها في أهلها الذين ينصحون ولا يغشون، يرشدون ولا يفسدون، وما أكثرهم في مجتمعنا الملتزم بإسلامه وقيمه. وأخيرا تذكر أن «سرك أسيرك فإن أفشيته أصبحت أسيره» «وأن صدرك إذا ضاق بسرك فإن صدر غيرك أضيق به» وأن «السر إذا جاوز الاثنين ذاع وشاع» وأن «عليك أن لا تتكلم فيما لا يعنيك، وأن تدع الكلام في كثير مما يعنيك حتى تجد له موضعا».

« لـولا التثــاؤب ؟! »

■ عندما أمعن أحد الجالسين في استعراض الوجه السيء لسيرة زميل غائب، قلت له: يا صاحبي تخلل لقد أكلت لحم أخيك! لكنه رد علي بلهجة يشوبها التهكم: يا أخي، «عرض فلان ولا التعطل»!

وليس صاحبي وحده من ينهج هذا النهج، فكثيرون يسيرون خلفه، ولا أدري أي لذة شيطانية يجدها الإنسان في التعرض بالذم لكل غائب سواء وجدت فيه هذه المعايب أم لم توجد، «فالغائبون دائما على خطأ»! «والآخرون هم الجحيم» كما يقول أحد الفلاسفة!

إن الغيبة والنميمة داءان يفعلان في المجتمع فعل السوس في الصوف، وكثيرا ما تكونان سببا لهدم علائق وطيدة وبيوت حصينة!

وإن في النفس ميلا إليهما، وانقيادا لزمامهما، وشهوة خفية تدفع القلب وتحرك اللسان بهما، والمحظوظ من قمع هذه الشهوة، وجاهد هذا الهوى.

ويجـرنا الحديث عن الغيبة والنميمة إلى أدواء اللسان ومضاره، إذْ هو «حية الفم»، و «ليس أحق بسجن من لسان»، وهو «حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانـك» ومـما يؤسف له أن ترى كثـيرا من الناس في المجالس يطلق لسانه فيتبعج بالكـلام، ويوغل في فضول الحديث، ويتعرض إلى ما لا يعنيه جاعلا لسانه أمام عقله، غافلا عن جراحاته التي لا يشفيها تقادم الاعوام.

وإذا عرفنا أننا مسؤولون عن كلماتنا أمام الله وأمام الناس، فيتعين علينا مقابل ذلك أن نزن كلماتنا ونتلمس مواقعها ونتحسس تأثيرها ونفعها، ونطيل حبس اللسان

إلا لمعروف نقيمه أو إصلاح نسعى به. أو توجيه ندلي به، ولو أننا أغلقنا أفواهنا لكسبنا أعصابنا وصحتنا وأرحنا قلوبنا وحناجرنا» ووفرنا لأنفسنا ولغيرنا وقتا نقضيه بالعمل الصامت، إذ البناء سكون فاعل والهدم جعجعة وضجيج فارغ.

ترى ماذا لو قررنا أن نحيل كثيرا من لغونا إلى صمت مليء بالمحبة وإلى هدوء يزخر بالإقناع، ماذا لو بقي التثاؤب وحده الذي يفتح أفواهنا، ترى هل سنكون بخير!؟

« لا تحتقرن الكلمة الصادقة ! »

■ أحد الاخوان ممن تجاوز الثلاثين من عمره، قال لي: «لم أنس توجيها موجزا سمعته من والدي، وعمري عشر سنوات، قال لي حين لمحني ألعب في الشارع، وهو متوجه إلى المسجد لأداء صلاة المغرب، في الليلة التي توفاه الله فيها: «يا إبراهيم أد الصلاة، إنك لن تجد غيرها»! ولم تزل تلك العبارة حية في ذاكرتي، وكأني سمعتها منه البارحة، وليس قبل أكثر من عشرين عاما[1].

وبهذا الخبر نستدل على قيمة الكلمة الطيبة وبقائها وتجذرها في نفس من وجهت إليه، إن الكلمات الطيبة التي نقولها بدافع الصدق ومحض النصيحة لا تذهب أدراج الرياح، بل تسكن ذاكرة مستمعها، ولئن مر عليها بيات طويل لم تنم فيه، إلا أنها وبإذن الله ستبقى حية، وعندما يتهيأ المناخ لها تتأصل جذورا وتسمق ارتفاعا، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. فلا تحتقرن من المعروف شيئا، ولا من الكلمات الطيبة واحدة، فقليل ذلك كثير..

« ألق كلمتك حيث تثمر ! »

■ الكلمة هي الصلة بيننا وبين الناس، وهي الجسر الذي نقيمه لنصل به إلى قلوبهم، «والكلمات توزن ولا تعد»، وقيمة الكلمة ليس في جمال لفظها فحسب ولا في سمو معناها فقط، ولكن أيضا في توقيت نشرها ومناسبتها وموقعها من الحديث، فان أهم من الكلمة متى تقولها؟ والكلمة التي تنطقها إما أن تقيم لك جسرا جديدا مع محدثك أو تمتن جسرا قديما أو تسقط جسراً قائما.

(١) روى هذا الخبر الأخ إبراهيم، ينسبه إلى والدنا/ «صالح بن إبراهيم الطويان»، تغمده الله بواسع رحمته.

وإذا تكلم المرء فله أو عليه ولا وسط بين الحالتين، وكم بَنَت الكلمة من علاقات ود لم يضر بها الزمان ولكم قطعت من أسباب كان يظن أن لا شيء يودي بها!

وإن اهتمام الإنسان بكلماته انتقاء لألفاظها واختيارا لمعانيها وانتهازا لفرص طرحها هو أمر من الأهمية بمكان بعيد.

«فالكلمة الطيبة صدقة»، وجميل أن نبحث للكلمة الطيبة لفظا طيبا ليكتمل الحسن ويقع المطلوب في القلب موقعا لطيفا.

«إن هــذه القلــوب حـديـد ولــذيذ الألفــاظ مغناطـيس»

وتذوق الكلام في معناه ومبناه ولفظه ومخارجه علم جليل القدر كبير النفع، وحري بالإنسان أن يسعى جهده إلى أن يتمكن من هذا الفن ولو أن يأخذ منه بطرف. . ، فلكم سهل الأسلوب الحسن والكلام اللين من طرق كانت وعره، ولكم فتح من مغاليق كانت موصدة، وقديما قالوا: «الكلام اللين يغلب على الحق البين»، فعلينا أن نسعى إلى تصيد الألفاظ الحسناء والكلمات الجميلة والأساليب والعبارات ذات الوقع النافع والتأثير الحسن، فنضمنها حديثنا وحوارنا ونتجنب ما أمكننا الألفاظ الخشنة والعبارات النابية الممجوجة والكلمات المكرورة والأمثال السيئة والمثبطة.

دعونا نتكلم بأجمل ما في قاموس اللغة العربية من كلمات، فهلا فعلنا؟ إنها دعوة صادقة وأخالها ستجد التصديق.

« وماذا بعـــد ؟! »

■ إذا رأيت من أغوته غريزة التكنيز بجمع المال وحيازة العقار فاسأله وماذا بعد؟!

ألسنا سنتماثل في الخرقة والحفرة؟!

وإذا أبصرت أولئك الذين يتفارسون ويدَّعُون أنهم يتنافسون فاسألهم وماذا بعد؟!

أوليس في سير الماضين ما يدعو للإعتبار؟!

وإذا رأيت أولئك الذين يسعون لنيل الشهادات وجمع الألقاب ويبذلون في سبيل هذا المسعى مالهم وصحتهم وحتى إذا لزم فدينهم، اسألهم وماذا بعد؟!

ألم يعـو ما قاله سيدنا نبي الله «المسيح» عليه السلام قبل الفي عام: «ماذا

ينفعك لو ربحت العالم وخسرت نفسك»؟. وأي شيء تقدمه لك دنياك إذا خسرت دينك؟ أنصت إلى قول الشاعر:

نرقـع دنـيـانـا بتـمـزيـق ديـنـنـا
فلا ديـنـنـا يبـقـى ولا ما نرقـع

وإذا شاهدت رجلا مندفعا، أو سيارة مسرعة فدعهما واسألهما وماذا بعد؟

أليست الحـواجز والإشارات كثيرة؟ وإذا سلمت الجرة مرة فهل ستسلم كل مرة؟ وقديما قال أجدادنا «لا تغبط المهرب ولو سلم»!

وإذا رأيت رجلا مغرورا بمنصبه أو بغناه أو بنسبه أو جاهه فاسأله وماذا بعد؟

أليس المال ميالا !؟

أفليس الاخوان خوانا !؟

أفليس كرسي المنصب دوارا؟ ذكره بقول الشاعر:

يا أخـي لا تمل برأسـك عـني
ما أنـا فحـمـة ولا أنـت فرقـد

وإذا رأيت ظالما يتمادى في ظلمه ويستجهل بقوته، فاسأله: وماذا بعد؟

ألم يعلم صاحبنا أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب؟ وأنها إحدى ثلاث دعوات لا ترد؟ أين العفو عند المقدرة؟

وكيف يظلم من تحته، ويأبى ظلم من فوقه من رؤسائه، ألم يسمع حديث رسول الله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة»؟ أليس من المتعين عليه أن ينصف قبل أن ينتصف منه؟

وإذا أبصرت عيناك بخيلا يقبض يده عن الواجب، ويقتر في انفاقه على نفسه وأولاده، فاسأله: وماذا بعد؟ وذكره بأنه سينفق في يوم واحد ما جمعه طيلة عمره! وذلك اليوم هو يوم وفاته! أليس ذلك الإنفاق الكبير يتعارض مع مبدء تقتيره ولا أقول تقصيده؟

أليس حريا به أن يوزع هذا الإنفاق على سني عمره؟

واسأله أن يشاور بعد اليوم نفس الجود وأن يعصي نفس البخل، وأن يتفهم قول الشاعر:

أشـاور نفس الجـود حتـى تطيـعـني
وأتـرك نفس الـبـخـل لا اسـتـشـيرهـا

وإذا رأيت مبذارا يبسط يده كل البسط، ويتكلف ما لا يعنيه، وينفق رزق يومين في يوم، ويبذل ماله وطعامه وجاهه باسراف يزيد على الحاجة وينوف على الغاية، فاسأله: وماذا بعد؟

ألا يكفيه قول الله تعالى: ﴿ إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾

«هب الـدنـيـا تقـاد إلـيـك عفـوا
ألـيس مصـير ذاك إلى الـزوال».

« العلاقة بين الإسراف والسرعــة ! »

■ السرعة في اللغة هي: المبادرة والعجلة، أما «الإسراف»: فهو تجاوز الحد والإعتدال. والعلاقة بينهما جد وثيقة، وقد تأكد لي ذلك حين طالعت كتاب «الإعجاز العددي للقرآن الكريم» للأستاذ/ عبدالرزاق نوفل يرحمه الله، حيث بحث أعداد الموضوعات المتماثلة في القرآن الكريم، فوجد أن الدنيا تكررت ١١٥ مرة ومثلها تكررت الأخرة، وتساوى عدد مرات ورود لفظة الشياطين بعدد مرات ذكر الملائكة أي ٦٨ مرة لكل واحد منهما، وكذا الحياة والموت.. إلى آخر بحثه، وما يعنينا هنا هو أن الإسراف بكل مشتقاته في القرآن الكريم تكرر ثلاثا وعشرين مرة، ومثله تكررت مشتقات السرعة هذا ما ذكره الدكتور نوفل.

وهو تقابل عجيب يجعلنا نبحث الصلة والعلاقة بين الإسراف والسرعة، فالسائق الذي يسير بسرعة قياسية هو في ذات الوقت مسرف لأنه تجاوز حد الإعتدال والقصد، وتتضح نتيجة إسرافه حين يقع له حادث يخسر فيه سيارته، وقد يخسر نفسه أيضا! والمسرف المبذر في الإنفاق، مسارع في سباق التفاخر، ولن يعدم حادثا ماليا تتحطم فيه ثروته فيصحو بعده فكره، ولات ساعة مندم!

وكم نشاهد في حياتنا اليومية من وقائع مأساوية نتيجة السرعة والإسراف، والحكيم يقول: «ما رأيت إسرافا إلا وبجانبه حق مضيع» فهو وضع الشيء في غير موضعه، وجاء في الأمثال: «من صرف وما حسب افتقر وما درى!»

وقابلت أحد التجار بعد أن أفلس فقال لي وهو يشير إلى كاتبه: «إننا نحسب

بالكمبيوتـر» فأسررت في نفسي: بعـد ماذا؟ أمـا كان حريا بك أن تلتـزم ذلك في خطواتك الأولى؟! والإسراف في المطعم والمشرب والجهد هو مسارعة إلى هدم البنية الصحية للإنسـان، يقـول الـدكتـور يحيى أمـين، في كتيبه «الطريق إلى الصحة» ص ٥٣: «إن القـوى العصبية هي في الواقع رأس مالك الحقيقي، ويضرها شدة الصرف والإنفاق في القوى الحيوية لذلك ينهك الجهاز العصبي ذاته» وفي موضع آخر يقول: «في بدء كل صباح لابد أن تحاسب نفسك وتحتاط كي لا تصرف من رصيدك العصبي أكثر مما لديك».

أما الإسراف في الخير والمسارعة في عمل الطاعات والتقرب إلى الله، فمحمود في شريعتنا، وكنت قبل عدة أسابيع في مجموعة من الاخوان نتذاكر مضار الإسراف ومحاسن الاعتدال، وبيننا الأخ الدكتور حسن بن فهد الهويمل[(١)] وكان مما قاله: إننا معشر المسلمين أمة وسط معتدلة لا تحرر ولا رهبانية، والله يقول في كتابه: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا..** ﴾ (البقـرة: ١٤٣) حتى هذه الآية وسط آيات سورة البقرة، البالغة آياتها ٢٨٦ آية» وأضيف على ما قاله الأخ حسن: إننا أمة وسط أيضا في جغرافية موقعنا، وفي قبلتنا، وقد أثبت بحاثة مسلم أن مكة هي مركز الكرة الأرضية جغرافيا، كما هي روحيا، وأن توقيتها أكثر دقة ومناسبة للعالم من توقيت قرينتش المتطرف في موقعه، قال الله تعـالى: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير** ﴾[(٢)].

« العجلة لا تـأتي بخـــير ! »

■ وراء كل حادث أو مشكلة فتش عن العجلة، تجدها السبب الرئيسي لذلك! وما مخالفة الأنظمة إلا نتاج للعجلة المذمومة، فتجد بعض السائقين يقطعون الإشارة الحمراء، وإذا كنت في مقدمة أرتال السيارات وأضاء النور الأخضر ارتفعت بواري السيارات خلفـك حتى لتكاد تصم أذنيك، لكأنهم يريدونك أن تفعل المعجزات لتتحرك كالبرق، مع أنك في الحقيقة شاهدت الإضاءة الخضراء وأنت أحرص منهم على العبور، لكن فتش عن العجلة!

---

(١) الدكتور/ حسن بن فهد الهويمل، هو رئيس النادي الأدبي بالقصيم، وأحد أساتذة فرع جامعة الإمام محمد بن سعود بالقصيم، له جهود أصيلة في نشر الوعي الأدبي في منطقة القصيم.

(٢) سورة الشورى: آية: ٧.

وحتى أولئك الذين يجتازونك في الشارع مسرعين معرضين أنفسهم وسياراتهم للخطر، لا تلبث أن توقفهم إشارة المرور حتى تصلهم لتبدأ الإنطلاق معهم دون خسران.

يا قومنا لماذا العجلة؟ إننا نستفيد من الهدوء والنظام واحترام أقدمية حضور الغير، أضعاف ما نستفيد من العجلة والتلهف، إن في العجلة هدر لطاقاتنا العصبية وصرف لحيويتنا، وانقاص لشخصياتنا، والغريب في الأمر أن أولئك المستعجلين لا مهمات وراءهم تدفعهم إلى كسب الوقت لكن كل مافي الأمر أنهم غير قادرين على الإنتظار!

وبعد فإنه مطلوب منا أن نعي قيمة الهدوء، وأن نحاول جهدنا التخلص من عادة التسرع المذمومة. «فالرفق لا يأتي إلا بخير», «وما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه».

« تحريف الأسمــــاء »

■ ظاهرة تحريف الأسماء متفشية في بعض مجتمعاتنا، وليس لدي معلومات كافية تجعلني قادرا على تحديد دائرتها، وهي تبرز كثيرا بين أفراد الأسرة أنفسهم ثم تنداح اتساعا لتشمل أقارب هذه الأسرة ثم معارفها، ثم تتلاشى تقريبا، وهذا التحريف تتنوع أسبابه فقد يكون تلميحا أو تصغيرا، أو تحقيرا، وهو يبدأ مع الإنسان طفلا ثم يصبح علما عليه لا ينفك عنه، وقد يمكن قبول هذه العادة التي اعتادها المجتمع، لولا أنها تحرف أسماء مركبة مع اسم الجلالة مثل: عبدالرحمن، وعبدالعزيز، وعبدالكريم، وعبدالله، وهي من الأسماء التي دعت إليها السنة حين قال رسول الله ﷺ: «خير الأسماء ما عبد وحمد». فالناس يقتفون السنة حين يسمون أولادهم بهذه الأسماء، لكنهم يخطئون حين يسمون عبدالرحمن «الدحمي ودريحم» وعبدالكريم «اكريم» وعبدالعزيز «اعزيز» وعبدالله «اعبيد والعبدي» وهذا عين الخطأ، وهو للأسف شائع بكثرة، حتى أن بعض الأباء حين تسأله عن ولده، فتقول أين عبدالرحمن؟ يرد عليك مستغربا! من عبدالرحمن؟ فتقول الدحمي: يقول لك: هاه!! فلو أنهم حين أرادوا التلميح أو التصغير فقالوا عبيدالرحمن، لكان الأمر مقبولا، إنني انبه إلى هذه الظاهرة، وأحذر منها، وأرجو أن نقيم هذه الأسماء على صحتها، لتعطي

معناها ومدلولها، الذي أردنا فيه رضاء الله، والله وحده الموفق للصواب والسداد سبحانه.

« مصائب قوم عند قوم فوائد »

■ انخفاض نسبة قبول المتقدمات هذا العام لكليات البنات بالمملكة سيزيد في المقابل نسبة المتزوجات، أما الشباب الطارقون باب الزواج والمعتذر لهم بعبارة: «البنت تبي تكمل دراستها» فسيصدق عليهم المثل الذي يقول: «مصائب قوم عند قوم فوائد».

وستجد الفتاة التي فاتها التسجيل باحدى الكليات، أن التسجيل في قسم الزواج أربح وأكثر فائدة وجدوى على المدى القريب والبعيد، ثم هو قصب السبق في النهاية، فلم لا يكون الآن بدلا من الغد.

« الحياة خير معلم »

■ كنا في رحلة برية، ولما اقيمت الصلاة واصطف الجميع استعدادا لأدائها وقد تركوا سياراتهم وامتعتهم خلفهم، اعترض عليهم أحد كبار السن، قائلا: «لا تجعلوا امتعتكم خلفكم، اجعلوها أمامكم!» فأخذنا برأيه، لقد علمتهم حياتهم الأولى المخيفة الحذر، وعلمتنا حياتنا المطمئنة الأمن، والإنسان ابن بيئته وتجاربه، والحمد لله في الحالين دائما.

« أيها الممسك تذكر ! »

■ قال النمر بن تولب:

أعاذل إن يصبح صداي بقفرة
بعيدا نآني صاحبي وقريبي
تري أن ما أبقيت لم أك ربه
وأن الذي أنفقت كان نصيبي
وذي إبل يسعى ويحسبها له
أخي نصب في رعيها ودؤوب

غدت وغـدا رب سواه يقـودهـا
وبـدل أحـجـارا وجـال قليـب

« إنها عصفـورة ! »

■ العرق يتصبب من جبين «الخباز» وصف طويل من الناس يتقدم ببطء ولم يبق أمامي سوى واحد . .

سأله الخباز؛

ــ كم تريد؟

فأجابه الرجل :

ــ بريال واحد فقط . .

ــ خذ هذه أربع .

وتفحصهن «الـرجل» ثم ألقى بواحدة منهن جانبا وسأل «الخباز» أن يعطيه عوضا عنها لأن وسطها محترق .

فأجابه «الخباز» قائلا :

ــ إن «الخبزة» سليمة ولا يمكن تبديلها لك لأن الذي بها أمر عادي .

ــ لابد أن تبدلها!

ــ حلفت أن لا أفعل . .

وكاد الرجلان أن يتعاركا، فحلت بينهما وأخذت بيد «الرجل» وقلت له : خذ هذه «الخبـزة» إن الإحـتراق في جزء بسيط منهـا، والمسألة هينة لا تحتاج لكل هذا العنـاء! . وكـما ترى «الخباز» أمام التنور منذ ساعات وأعصابه لا تحتمل مثل هذا النقاش، لكن «الرجل» أصر على موقفه بكل عناد!

فقلت للرجل إذا دع هذه «الخبزة» لي، وخذ بديلا عنها من نصيبي . .

فأجاب . .

شكرا . لا أريد خبزا سأذهب للشرطة .

ثم ركب سيارته وانطلق مسرعا! .

هذا هو الفصـل الأول من حكاية بدأت بسيطة وعادية، ولكنك لو بحثت معظم القضايا الجنائية الكبيرة وحتى مآسي الطلاق والنشوز، لوجدت أن كثيرا من

بداياتها كانت مشادة بسيطة على أمر تافه، لو أن أحد الطرفين أخذه بهدوء وبرود وعقلانية لما حدث شيء . .

لكن الذي يحصل هو أن المشادة البسيطة تتحول إلى إصرار والإصرار يتحول إلى كرامة والكرامة ثمنها غال! وهكذا ككرة الثلج تكبر كلما تدحرجت.

لماذا كل هذا؟!

لو أن «الرجل» تقبل الأمر ببساطة وأخذ «الخبزة» لأراح نفسه من فصل سخيف . .

ولو أنه استبدل رفضه لها بأسلوب هادىء فطلب من «الخباز» بلطف تبديلها لكان الوضع قد تغير . .

ولـو أن «الخباز» تنازل عن بعض صلفه لأبدل للرجل واحدة بواحدة وختم القصة من مقدمتها بمروءة.

* ومثل ذلك حكاية الزوج الذي تنازع مع زوجته حتى كاد الأمر يصل بهما إلى «الطلاق» إذْ بدأت الحكاية حين رأى الزوج طائرا فقال لامرأته:

ـ ما أجمل هذا العصفور!

فقالت له:

ـ إنها عصفورة.

فأجابها محتدا:

ـ إنه عصفور . .

فتنـازعـا ثم ما لبثا أن اصطلحا. ومضت أيام فقال لها زوجها يمازحها هل تذكرين ذلك العصفور. فأجابته . . .

ـ بل عصفورة . .

ـ قلت لك إنه عصفور.

ـ أتسخر مني؟ إنها عصفورة.

واحتدم الخصام . . !!

* بالمناسبة . .

«إذا الحـلم لم يغـلب لك الجـهـل لم تزل
عليـك بـروق جمـة ورواعـــد»

« دعني أفحص أذنـــك ! »

■ هل رفع الصوت بالحديث جبلة فينا؟ لقد جاهدت نفسي لكي أتعلم خفض الصـوت أثنـاء الكلام، فباءت جهودي بالفشل، وسعيت بعد ذلك للتزود بأقوال الأولين والآخرين عن فضيلة خفض الصوت، فلم أر لذلك أثرا في حديثي، حتى إنني ابتدعت لنفسي مقولة ركبتها واطمع أن أجد فيها نفعا وهي «إن أقل منافع خفض الصوت هو أن تعرف مدى ضعف أو قوة سمع محدثك». !

لقد بدأت هذه العبارة تحد من صوتي، ولم يطلب مني أحد حتى الآن استعادة جملة قلتها وهذا وحده سبب يجعلني استزيد من خفض الصوت!

ولا أكتمكم فلقد قرأت قولا للخليفة عمر بن عبدالعزيز مازلت استعيده كلما وجدت الزمام يفلت من يدي، فلقد قال يرحمه الله لرجل كان يكثر الصياح والجلبة: «اخفض من صوتك فلو نيل خير برفع الصوت لأدركته الحمير والكلاب!!».

« من نـمـاذج اللاهثـــين »

■ نماذج الـلاهثين بيننا أكثر من أن يحيط بها الحصر لكنني هنا أتناول نموذجا نشاهده جميعا في حياتنا.

هو شخص لا يصعب عليك تمييزه فشواهد حاله كثيرة، في الشارع يزعجك بمنبه سيارته لتفتح له الطريق وينطلق بسرعة البرق متجاوزا الجميع ثم توقفه إشارة المرور الحمراء، وما أن يحس بحدسه أنها أوشكت على فتح الخط حتى يضغط على منبه السيارة بعصبية وكأنه يريد من ارتال السيارات التي أمامه أن تخلي الطريق ليسير بحرية وحده!

يقول له الموظف في المكتب: لا تتقدم على غيرك قف حيث انتهى الصف، لكن عزيزنا المستعجل لا يعجبه ذلك، ويعلل وقوفه قرب الموظف بأنه يعرف من هو قبله، وعندما ينتهي سيأخذ دوره! لماذا لأنه لا يحتمل أن يقف ليس لأنه سيضيع وقتا ثمينا بل لأنه ملول عصبي متحفز!

حاجاته اليومية يكتبها بورقة لأنها كثيرة ومهمة وعليه أن يشرق ويغرب حتى ينهيها ويتمها ويشكي لك دوما قصر النهار وسرعة تتابع الجمع!

هذه صور حالاته.

يلمس فيها الإنسان المتأمل كيف يحترق بعض الناس وكيف ينهكون أنفسهم في الكلام والضحك والسهر والتلهف والعجلة والنقاش ومشاغل الحياة!

إنهاك أكثره فيما يضر ولا ينفع، لماذا كل هذا؟! لا وقت للإسترخاء ولا وقت للهدوء والصمت ولا وقت للتأمل والراحة والنوم وتناول الطعام!

لماذا هذا النهم؟ وهذا الظمأ وهذا التحمس القاتل، أين النظام وأين التخطيط وأين هندسة الحياة؟!

ما قيمة المال إذا جمعناه وكدسناه وكانت ثمرته في النهاية عددا من الأمراض المستعصية ضغط. سكر. وارهاق عصبي!

تعسا لحياة نرهق فيها أنفسنا ونستهلك فيها صحتنا وندفن فيها كل الأشياء الجميلة والممتعة في حياتنا، لنعمل ولكن بتنسيق ونظام، ولنمش ولكن بهدوء ورصانة.

دعونا نعط الجسم والروح حقهما من الراحة والغذاء.

« صنفـان من التجـار »

■ عرفنا خلال وبعد الطفرة العقارية، صنفين من التجار، كليهما أثرى بالمال، فمال النـاس إليهما، سفرا مع ذوي الحظوظ، واقترابا من الخبرة والتجربة. فصنف تعـامـل مع الناس بالجشع والحيلة والمداجاة، يقول فلا يصدق، ويعد فلا يفي، يعطيك القمر بيمينك والشمس بشمالك، يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب، وامتد الحبل لهذا الصنف سنوات معدودات، لكنه حبل قصير ما لبث أن انقطع به، فكان السقوط بقدر الإرتفاع!

وصنف عامـل الناس بدين وأمانة، لا يعد إلا بما يقدر عليه، فالتزم بوعده وعهده وكلمته، أخذ حقه وأعطى المتعاملين معه حقوقهم، عرف أن الله مستخلفه على المال، فأدى مفروضاته وسننه، وصل القريب، وبر الفقير، وساهم في مشاريع الخير، هذا الصنف لا زال يقف في السوق كما بدأ، لأن من حفظ الله حفظه، ومن عرف ربه في الرخاء عرفه في الشدة. والإثنان بعد ذلك عبرة لمن عزم السفر على هذا الطريق، فالموفق من اتعظ بمصائر الآخرين.

« تعظيم شعائر اللـــه »

■ بعـد صلاة المغـرب دخلت مطار الملك خالد الدولي بالرياض، ولما أتممت اجراءات السفر وصعدت إلى صالة المغادرة، فإذا على يميني ركن في الصالة خصص لأداء الصلوات وفـرش بالسجـاد، ووفـرت فيه المصاحف، فأديت صلاتي المغرب والعشاء جمع تقديم، ثم أخذت طريقي إلى حيث يجلس الناس فجلست، وبعد وقت رفع آذان العشاء الآخر، فدوت رحاب المطار وصالاته بهذا النداء المقدس الخالد، وحين أقلتنا الطائرة متوجهة إلى القصيم، كان المضيف يتلو آيات من القرآن الكريم، أعقبها بدعاء السفر، كما كان يفعل نبينا محمد ﷺ، هذه الشعائر والمشاعر الإيمانية التي تصحب المسافر في رحلته تجعله يشعر بالرضا والسكينة ويفوض أمره إلى خالقه في حله وترحاله، إن هذه الميزة التي تنفرد بها مطاراتنا وطائراتنا، علينا أن نحافظ عليها ونلتزم بها، فجزى الله القائمين عليها كل خير.

« وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة »

■ الشيء الذي نحمد الله عليه، هو أن مجتمعنا كلما اندفع إلى التحضر والتقدم كلما قوي إيمانـه بربه، وتمسكه بدينه، إن مجتمعنا السعودي اليوم، يعطي لشعوب العالم مثالا على أن الدين الإسلامي، دين بناء ونماء وصلاح وإصلاح، دين يدعو إلى العلم والعمل والقوة، إن شبابنا اليوم، أضحى يخشى ربه في عمله كما يتعبد إليه في صلاته، إنه يبتغي فيما أتاه الله الدار الآخرة، وإن المرء ليستبشر خيرا، حين يتأمل هذا «فاللهم إنا نحمدك حمدا لا نحصيه ولا ندريه على نعم لا نحصيها ولا ندريها».

« حادث مروري »

■ في أواخر عام ١٤٠٥هـ، كنت قادما من الرياض متوجها إلى بريدة على طريق الرياض ــ الزلفي ــ القديم، الصباح البارد يتنفس ببطء، والشمس بأشعتها الدافئة تعمم رؤوس الروابي، وهأنذا أسير بسيارتي وحيدا ومؤشر السرعة يتراوح بين المائة والأربعـين والمائة والثلاثين كيلا في الساعة، الرياض الآن خلفي بثمانين كيلو متر، والغاية أبعد من ذلك، ومضت السيارة تطوي بساطا أسودا رتيبا لا أحس به إلا عندما تظهر في الأفق البعيد سيارة أو تبدو في المرايا العاكسة سيارة، هذه الرتابة وتلك الوحدة

أضعفتا حساسية الشعور بالواقع ، وبدأت سحب أحلام اليقظة تظهر في سماء الفكر، ورحت أتيه في أودية السرحـان المتدفقة فأخذت الأفكار تجتال في ذهني وتفرغه من أحاسيس الواقع، وبينما أنا على هذه الحالة ظهر بصيص من نور الوعي فأحسست بخطر هذه السرعة فخففت ثقل قدمي على «دواسة البنزين» حتى استقام المؤشر على سرعـة مائة وعشرين كيلا في الساعة، وأخذ البصيص يخفت قليلا حتى تلاشى، وفجـأة وفي زمن لا يزيد على طرفـة العين شمست السيارة وانفلت المقود من يدي وجمحت بي من يمين الخط إلى يساره لتخرج بعد ذلك إلى تضاريس الأرض الهابطة والصاعدة، وشعرت كأن موجة عاتية رفعتني إلى أعلى ثم ابتلعتني في جوفها، كل ذلك ومحاولاتي للسيطرة على السيارة جارية، وبلطف من العلي القدير ضغطت على الفرامل وحاولت توجيه السيارة إلى تضاريس أسمح، ووجدت السيارة بعد خمسين مترا تهدأ ثم تقف، والغبار المتصاعد يغطي الموقع، وأنا أتلمس نفسي بذهول وحيرة، وفتحت باب السيارة ونزلت إلى الأرض وضغطت عليها بقدمي أهذي هي الأرض حقا!، ونظرت في السيارة فإذا هي متماسكة، وإلى العجلات فإذا العجل الأمامي قد تمزق والسيارة تتكيء على «الجنط» استطلعت المكان فإذا أمامي مجرى وادي، وإذا السيارة قد انحرفت قبل الدخول في منطقة الجسر بحوالي عشرة أمتار فقط، فحمدت الله أن الإنحـراف حدث قبلهـا، وأنه ليس أمامي ولا خلفي سيارة وإلا لوقع ما لا أحمد عقبـاه. وعمـدت إلى الـرافعة فنهضت السيارة واستبدلت العجلة المعطوبة بعجلة الإحتياط وشغلت السيارة وليس عندي أمل في تحركها سوى ١٪ ولكنها بعناية الله تحركت ووصلت عليها سالما إلى «بريدة»، ولم أعجب لهذا القدر الذي هونه العزيز الحكيم فقد كانت سفرتي للرياض لمرافقة عمي المنوم بالمستشفى، ورجعت بعد أن ناب عني أحد الإخوة، وبعد «فإن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه»، وأدركت بعد ذلك مدى ما يسببه سرحان الذهن من أخطاء في القيادة تنتج عنها أخطار كبـيرة على السـائق والسيارة، لأن قيادة السيارة أحـوج ما تكون إلى العقل السليم والتفكير اليقظ، والسرحان يُغيِّم على العقل ويفقده استشعار الواقع المكاني الذي يعيشه.

« اعتـراف مخالــف ! »

((١))

■ إذا كانت لدي الشجاعة في قطع إشارة المرور وهي حمراء، فإنني ـ بحمد الله ـ لدي الشجاعة أيضا أن أعترف بذنبي دون مواربة أو خجل واستهل اعترافي هذا بالجانب المضحك فيه، وهو أنني كنت في ذلك المشوار المسائي متجها إلى اجتماع أنا أحد أعضائه لبحث ما يمكن أن تقدمه الدائرة التي أعمل بها لأسبوع المرور!

لقـد اقـترحت في صباح ذلك اليوم على أحد أساتذة علم النفس أن تكون مساهمته على صفة دراسة نفسية لمخالفي المرور، لذا فإنني أضع اليوم نفسي أمامه كأول عينة جديرة بالدراسة.

أما تفاصيل الإعتراف فتبدأ حين ضمني الطريق الطويل الرحب الذي خفت فيه حركـة السيارات واكتملت فيه كافـة مغريات السرعة، ووجدتني بصفة تلقائية أطوي البساط الأسود بأحاسيس باردة لا يرضيها البطء، ومن بعيد كانت إشارة المرور خضراء تنتصب كسيف مسلول مستعد للبتر في أية ثانية وضاعفت السرعة محاولا أن اجاري السيارة التي أمامي والتي بدأ حظها في التجاوز أكبر مني، وحين كنت على مرمى حجر من التقاطع تبدل اللون إلى الصفرة وما أن حللت بساحة التقاطع حتى كانت الإشارة حمراء قانية لكن اندفاع السيارة، وارتباطي بالمجموعة التي أنا آخرها، وتفكـيري بوطـأة الإنتظار، واحساسي أن السيارة المقابلة لن تتحرك إلا وقد اجتزت التقاطع، وأمني من العقاب باعتبار أن «من أمن العقاب أساء الأدب»، هذه العوامل وغيرها مما لا أستطيع أن أعبر عنه، اعتملت في نفسي وأنا أتجاوز الإشارة وهي حمراء، ومـا هي إلا عشرون ثانية ابتعـدت فيهـا حوالي مائتي متر، حتى بدت لي في المرآة العاكسة سيارة المرور وهي تقترب مسرعة، وتنحيت لها لتجتاز فلم يدر بخلدي أن المسألة واردة بهذه السرعة حتى سمعت رجل المرور بمنبهه يدعوني للوقوف، نزلت من السيارة وبعد أن القيت التحية، سألني «أين الرخصة والاستمارة؟» فناولتها له وأنا استفسر بتغافل قائلا: خيرا إن شاء الله! فأجابني كيف تتجاوز التقاطع والإشارة حمراء فان كنت غافلا فالمرور يقظ، وإن كنت مستهترا فالعقاب وارد، وإنه من المؤسف أن يقترف مثلك هذه الفعلة، ولقد كدت تصطدم بالسيارة القادمة من الطرف الآخر ألم تثمن العـواقب وتخشى الضرر؟ واستمـر ذلـك الجندي يلقي علي ارشاده بأسلوب

متحضر رزين لم ألبث معه إلا أن أبديت له اعترافي بالخطأ واستعدادي لتحمل نتائجه، وكان كريما فاكتفى بذلك الدرس الشفوي الذي كان وقعه في نفسي عميقا.

ذلك هو اعترافي، فالخطأ حين نقر بأنه خطأ نصبح قد قطعنا نصف المسافة لتجاوزه، وحين نغالط الواقع ونبرر ضعف نفوسنا وانهزامية إرادتنا نصدق ظنوننا فيتجسم الخطأ ويصبح عادة نكررها دون استبصار، إن المخطيء يجب أن يعترف بخطئه وأن تكون لديه الشجاعة كي يتحمل ثمن خطئه، إنه بذلك يكشف عن وعيه، وعن إستعداده لإصلاح سلوكه وتهذيب أفعاله، وقديما قالوا «الإعتراف يهدم الإقتراف».

(٢)

■ إن أسوأ السائقين هو من يحترم أنظمة المرور خشية رجال المرور، وهذه الفئة من الناس تغلبت بعض مدن أوروبا على نوازعهم بإقامة عدة دمى في منعطفات الطرق الهامة تمثل هيئة رجال المرور. . . ولا أدعو لمثل هذا الأسلوب. فعقيدتنا تحرم التماثيل. وفي تعاليمها العظيمة ما يزجرنا عن كل غي ويقودنا إلى كل خير. . . ولا أكتمكم فقد أسرع أحيانا بسيارتي دون حاجة إلى العجلة، وقد أرى سيارة المرور السيار فأتأنى في قيادتي. وانضبط في اتجاهي، وهذه خصلة غير محمودة أسأل الله أن يبرئني منها. وكم كنت أحمقا حين أقف أمام إشارة حمراء ثم اندار راجعا عن يساري. وكم كنت أخرقا حين كنت أبدأ في التخرك لأن اشارة المشاة أضاءت اللون الأحمر، وكم أكون جاهلا حين أوقف سيارتي بشكل جانبي في موقف الوقوف به طولي، وفي الأمس انحرف قليلا إلى اتجاهي سائق سيارة فأسمعته منبها واتبعته آخر بصورة انفعالية. وحين وازنته التفت إليه بهيئة استفزازية، وما أن تقدمته حتى لحقني من اليمين وتخطاني بسرعة مذهلة. ولما أن أضاء لي مصباح العقل الذي أطفأه الغضب، استهجنت موقفي، واستغربت تصرفي، وقلت في نفسي لو أنني قبلت خطأ هذا السائق كتصرف غير متعمد، وسألت الله له الهداية لوفرت لقلبي راحة نفسية وايمانية مبعثها روح متسامحة، ولدخرت لأعصابي طاقات ما ينبغي لي صرفها في مثل هذه المواقف الرعناء ولحفظت لأخي في الطريق سلامة عقله وجسمه.

* وفي إحدى الأمسيات بعيد الغروب كنت أقود سيارتي تصحبني عائلتي متجها إلى منزلي وقبل مسافة مائة متر منه لمحت في (المرآة العاكسة) سيارة المرور وهي تقترب

مني، وسمعت قائدها يطلب مني الوقوف، فقلت في نفسي أكمل هذه المائة متر ثم أقف! وكان ذلك. . . فنزلت ونزل رجل المرور فسألني عن عدم وقوفي في الحال، فبررت له عذري، وسألني الرخصة والإستمارة فناولته إياهما. فقال لي وهو ممتعض مني، إن أحد المصابيح الخلفية غير مضاءة. هذه واحدة. . والأخرى إنك لم تستجب لنـداء الوقوف سريعا. فخذ قسيمة بالمخالفة تدفعها غدا بإدارة المرور. ثم تستلم استمارتك، وكانتـا موعظتين هامتين لي. أن أقف لرجل المرور حين يطلبني مهما تكن الظروف، وأن أستكمل في سيارتي جميع المتطلبات النظامية التي تحقق لي ولغيري أمنا وسـلامـا بعـون الله تعـالى. . . ومـا أكثـر الإعـترافـات لو كان في الوقت والمساحة مهيىء للإدلاء بها. ولكنني أكتفي بما قلتّ حتى لا يكـون في الإطـالـة إمـلال. وفي كثرة الإعترافات إقلال وإخلال.

« واقصـــد في مشيـــك »

■ هذه هي إحدى الوصايا الغالية التي وجهها «لقمان» إلى ابنه، والتي ذكرها الله سبحانه على لسانه في كتابه الكريم، حين قال: ﴿ **واقصد في مشيك واغضض من صوتك** ﴾[1].

وإذا تأملنا معاني هذه الوصية وجدناها زاخرة بالمنافع العظيمة التي تتجدد مع كر الأزمان والأحقاب، فليت إدارة المرور تعتمدها (شعارا) لأحد أسابيع مرور دول مجلس التعاون الخليجي القادمة، فلقد أصبحت السرعة هي السبب الرئيسي والعامل الهام في حوادث المرور، سواء على الطرق الطويلة أو السريعة كما نسميها، أو داخل المـدن، وإنـك لتعجب من سرعة السائقين داخل المدينة رغم أن أمامهم كثيرا من الإشارات التي سيأكل الإنتظار عندها كل ما وفره هذا المتعجل من دقائق يسيرة!، وهذا المستعجل داخل شوارع الأحياء، هل يقدر على تفادي صاحب دراجة عابث، أو طفل لاهي، أو شيخ عاجز، أو حتى صاحب سيارة سرحان يفكر. إن التأخر ليس سببه الإقتصاد في المشي، بل سببه في أكثر الأحيان هذه العجلة المذمومة التي توقعك في عواقب لا تحمد عقباها ولا تريحك نتائجها، «ولقمان» ـ عليه السلام ـ حين أوصى ابنـه لم يقل له امش ببطء، بل قال له: «واقصد في مشيك» وبين اللفظين فرق، فالقصد دائما هو حالة وسط بين متطرفين، ولعل ذلك يتضح حين تعرف أن الذي

---

(١) سورة لقمان: آية: ١٩.

يمشي ببطء لا يتلاءم مع نهر الشارع المتحرك، يتسبب غالب الأحيان في حوادث مرورية لا تقل في عددها عن الحوادث التي يسببها متجاوز السرعة النظامية، وعليه يتبين أن السير في حدود التعليمات المرورية للسرعة، هو المشي القصد، هو المشي الهون، الذي يخلي مسؤوليتك من تبعات العجلة المذمومة التي يدفعك إليها الشيطان، فتحدث أضرارا للعباد والممتلكات، وصدق الله العظيم: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾[1].

« دواء من كتاب الله »

(١)

■ تأملت في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** : ﴾ (النور: ٣٠، ٣١)، فرأيت فيه بلسما واقيا لمتاعب لا تحصى.. إن الحكيم الذي خلق أنفسنا أعلم بالأدواء النفسية والجسمية التي تسببها النظرات المتحررة ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ إن النظرة التي قد تبدأ عفوية تتحول وبسرعة لا تتوقعها إلى لوعة في القلب ورغبة في النفس وجيشان في العواطف يسري في الدم وكل الأعضاء إن الحكيم الذي قال: «في إغضائك راحة أعضائك» لم يتجاوز هذه الحقيقة وصدق القائل:

والمرء مادام ذا عين يقلبها
في أعين الغيد موقوف على الخطر

أما الآخر فقد محض لنا النصيحة بصدق المخلص وتجربة الثقة:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيتك لا كل الذي أنت قادر
عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

فاستجب يا أخي لأمر مولاك، غض طرفك تعش سعيدا صحيح الجسم

---

(١) سورة الفرقان: آية: ٦٣.

مستقر النفس رخي البال. وهذا المعجل أما المؤجل فأجر الطاعة وثواب التقوى، وقدر ذلك لا يثمن بمقادير حياتنا.

(٢)

■ تأملت في قول الله تعالى: ﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم** ﴾.

فرأيت فيه دواء عجيبا لكثير من مشاكلنا التي مردها انطلاق السنتنا بالسيء من القول فكثير من قطيعة الرحم والمنازعات والعداوات إذا استرجعت بداياتها وجدتها كلمة عوراء زل بها اللسان في لحظة غضب انطفأ فيها سراج العقل، والغريب أن الكلمة السيئة لا تنسى مدى الحياة، حتى إن كثيرا من كبار السن تجده في معرض حكاياته عن سنواته الماضية، لازال يستذكر مقالة فلان التي أغضبته، وقليل من يتذكر الكلمة الطيبة، إن جراحات السنان تلتئم وجراحات اللسان تبقى كما يقول الحكماء، ولقد أحسن القائل:

« وما أنا للشيء الذي ليس نافعي
ويغضب مني صاحبي بقؤول »

« القهوة بالقرنفل »

■ قابلت أناسا كثيرين، استبدلوا تبهير القهوة بالقرنفل بدلا من (الهيل) فشعروا بتحسن واضح في جهازهم الهضمي وتأسفوا على الفترة الزمنية التي لم يجربوا فيها هذا النبات الصحي المفيد كبديل عن الهيل، وكتب طب الأعشاب تثني كثيرا على فوائد القرنفل، كمعقم للثة والأسنان والمعدة، ومحد للبصر، ومضاد للإنتفاخ وفي المقابل فان أضرار الإسراف في شرب القهوة خاصة المبهرة بالهيل أصبحت حقيقية بالتجريب، وقبل عدة سنوات قرأت في إحدى صحفنا المحلية أن قيمة ما تستورده بلادنا من «الهيل» سنويا قدره اربعمائة مليون ريال، ولن أبالغ إذا قلت بأن ما تنفقه الجهات الصحية في الدولة لعلاج ما يسببه من متاعب صحية قد يتجاوز هذا المقدار.

« العادات الست الضـــارة ! »

■ في هذه المقالة العجلى التي أكتبها بمناسبة اليوم العالمي للصحة، أنوي أن أضـع علامات منبهة على كثير من أخطائنا الحياتية الضارة بصحتنا، أملا أن نعي ضررها فنتجنبها أو نقلل من ممارستها:

العادة الأولى: اسرافنا في شرب المكيفات مثل القهوة والشاي والبيبسي وغيره من المعلبات الغازية، وهذه عادة متفشية في مجتمعنا ولست بحاجة إلى بسط أضرار الإسراف في تناول هذه المكيفات. فنصائح الأطباء ومشاهدات الواقع كافية للتدليل على ضررها، فهذه الثلاثة جميعها منبهة بها نسبة من مادة الكافيين المعروفة بتنبيهها، وغير مسألة التنبيه، فتعاطيها بإسراف له أضرار كثيرة على المعدة وعلى الشهية للطعام، أما أضرارها على الإقتصاد فيكفي أن نعرف أننا في بلادنا ننفق سنويا على استيراد «الهيل»، ما قدره «أربعمائة مليون ريال سعودي سنويا». لذا فإن التعقل في شرب هذه المكيفات واجب صحي ووطني.

العادة الثانية: إسرافنا في الأكلات الدسمة واقتصارنا كثيرا على الأرز، وهذه من العـادات الضـارة صحيا، فإرهاق المعدة بالأكلات الثقيلة ضرره واضح، أما إسرافنا بأكل «الأرز» فشائع للأسف، وهذا مما أفشى السمنة بيننا.

قبل أشهر ــ قابلت زميلا قديما كنت أعرفه ــ يزن ما يزيد على «الثمانين كيلاً» فإذا هو ــ قد خف وزنه بنسبة الثلث، فسألته عن السبب فقال: تركت أكل الأرز». لذا أنبه إلى الإقلال منه قدر الامكان.

العادة الثالثة: الخلود إلى الراحة وإهمال الرياضة وهذه ظاهرة غير مستحبة كان آبـاؤنـا وأجـدادنا في السابق يعملون في الزراعة ويركبون الإبل والخيل، ويمشون المسافات الطويلة على أقدامهم فما كانوا بحاجة إلى الرياضة لأن طلبهم للرزق كان رياضـة بحـد ذاتـه، لكنـنا اليوم أدمنا ركوب السيارات، ولم نعد نمشي أو نمارس الـرياضـة، وهـذا أضعف من لياقتـنا وأرخى أعصـابنا، مما جعلنا نسمن وتغزونا الأمراض، وحري بنا أن ندرك أهمية الجري والمشي والسباحة وركوب الخيل والرياضة بكل أنواعها لنبني أجساما صحيحة ونفسيات مرتاحة.

العادة الرابعة: ضعف إرادة المرضى عن الأطعمة الممنوعة: لاحظت تفشي ذلك في مجتمعنا، فكثير من المرضى لا يتقيدون بالحمية حين يرون لذيذ الطعام وهذه

ظاهرة تنبيء عن قلة الوعي أو ضعف الإرادة الكابحة للشهوة، فعلى المرضى تطبيق الحمية، وتنفيذ وصايا الطبيب في ذلك.

العادة الخامسة: مواعيد الأكل، قبل ثلاثين سنة كان مجتمعنا في القصيم يأكل وجبة العشاء في الساعة الخامسة وبالتحديد قبل مغيب الشمس بنصف ساعة... لكن معظمنا اليوم لا يأكل عشاءه إلا بعد صلاة ا لعشاء الآخر، وهذا التأخير ضرره أكثر من نفعه، فالتبكير بوجبة العشاء معين للمعدة على هضمه قبل النوم، أما أن نأكل وننام، فذلك مرهق للمعدة.

العادة السادسة: إهمالنا لأطفالنا، فنحن نحضر لهم الحلويات والآيس كريم، والمعلبات الغازية، فيسرفون في تعاطيها، فتكون نتائج ذلك متاعب في الهضم، وفقدانا لشهية الطعام، وتركا للوجبات الرئيسية، وتسوسا بالأسنان، والتهابات في الحلق واللوز، وهذا وضع مؤسف للغاية.

« الطبيب المريض »

■ قبل أيام كنت في قسم العلاج الطبيعي بأحد مستشفياتنا، وشاهدت طبيبا أعرفه يتعالج في القسم، وأخصائي العلاج الطبيعي، يواجه عنتا في إخضاعه لأساليب التمرين، وعندما انصرف، قلت للأخصائي: كنت أظن أن الطبيب المريض، أسهل المرضى انقيادا وتعاونا بناء على خبرته ووعيه في الطب، فضحك الأخصائي وقال: بل المسألة على العكس تماما مما تقول، إن الطبيب المريض هو أصعب مريض يواجهه المعالج، فشعوره بأنه طبيب يجعل قبوله للتعليمات أمرا عسيرا، فما رأي الأطباء بهذا الرأي يوافقون أو يعترضون؟!

« طبيب ينتقد طب العقاقير ! »

■ (طبيب العقاقير) هو ذلك الذي يكتب لك وصفة تزدحم أحيانا بخمسة أنواع أو أكثر من الحبوب والأشربة والفوارات، حتى ولو كانت علتك مصدرها الإجهاد أو عسر الهضم أو نزلة برد، إن المريض ليتساءل علام كل صنوف هذه الأدوية وما مقدار نفعها وضررها!

لقد أمست الصيدليات في شوارعنا تنافس أعداد البقالات وأمست تجارة

الأدوية واضحة للعيان، وتعالوا معي إلى مقتطفات من كتيب (الطريق إلى الصحة) للدكتـور يحي عبـدالعـزيز (دكتوراه في العلاج الطبيعي من انجلترا) فهو يقول في صفحة (٨٥) ما نصه: (إن عدم نجاح طبيب العقاقير يرجع إلى أنه يعيش في عالم الخيال، فهو لا ينظر إلى المريض ومرضه على حقيقته ولكن بالعين التي يرى بها كتبه الطبية التي تصف المرض وما قرأه من إعلانات الأدوية)، وفي موضع آخر ص ٧٦ يقول (إن طب العقاقير وتجارتها تكره الأسئلة ولا ترى محلا لإبداء الأسئلة والبحث عن التعليلات، ولا يقوم إلا على مجرد الثقة العمياء في الدواء وسرعة التصديق وسلامة النية، إن طب العقاقير يكره النور ويحب أن يعمل في الظلام ويستعمل الإصطلاحات الغامضة المعقدة) ثم يقول: (إن العلاج الحديث للأمراض يعتمد كثيرا جدا على ما يسمى بالوسائل الطبيعية من غداء ورياضة وحمام وتدليك، وبعبارة أخرى: إعطاء القوى الطبيعية أقصى مداها لتسهيل الغذاء وسرعة اندفاع الدم وازالة السموم من أعضاء النزح و الدورة الدموية في الأنسجة ولا توجد إلا نتيجة واحدة هي أن معظم الأدوية لا أثر لها أيا كان على الأمراض التي وصفت لعلاجها) وفي موضع آخر يقول: (إن طبيب الأدوية مستعد لفحص جسم المريض دون فحص أهم شيء وهو عاداته التي سببت حالة المرض وأصل الداء) وفي الصفحة (٨٨) يقول: (أما أطباء العقاقير فانهم لم يتعلموا على إزالة السبب ولكن معالجة الأعراض وعندهم علاج للبيع) وفي صفحة ٩٣ يقول: (معظم الأطباء يتعلمون من مطالعة إعلانات الجرائد ونشرات خاصـة توزعهـا عليهم مجانـا مصـانع الأدوية وتجارتها وبها أبحاث تدعم بيع تلك السلعة، فالطبيب يعطيك الدواء ويطلب منك أن تعود بعد يومين ليرى أثر الدواء فيك لكي يجرب ويتعلم فهو تخمين لا يقوم على نتائج معروفة مقدما، إن كل دواء يستنفذ القوى العصبية التي تعمل في الدفاع عن الجسم ضد هذه السموم وهكذا تفتح جبهة ثانية على قوى المريض أخطر من جبهة المرض ثم يقول: (إن القوى الشفائية التي أودعنا الله إياها تحمينا بإذنه تعالى من المرض ولكن من الذي سيحمينا من طب العقاقير) وأقول هو الله أيضا! هذه فقرات سريعة لوجهة نظر طبيب أدرك بعلمـه مغبـة الإسراف في تعـاطي الأدوية فمتى يدرك أطباء العقاقير هذه الحقيقة وينقذون مرضاهم من الإسراف في صرف الدواء بكميات ونوعيات كبيرة، إننا بحاجة إلى الطبيب الحكيم الذي لا يعالج إلا بعد معرفة الداء والذي يصرف الدواء بكمية وخبرة مدروسة. ويجعل صرف الدواء بكميته ونوعيته المعقولة آخر حلوله فهو الطبيب الذي يزيل المأساة بتوفيق من الله وهو أحوج ما نكون إليه.. أرجو أن أكون قد وفقت

في تشعيب الحوار لما يخدم الحقيقة والصالح العام وفق الله الجميع لما فيه الصلاح والإصلاح.

« كيف حال أعصابك هذه الأيـــام ؟! »

■ لكي تتعامل هذه الأيام مع من حولك يلزمك مقدار كبير من الفلسفة العقلانية، وقدر واسع من الإلمام بعلم النفس، ومنهج «الرواقيين» وأن يكون عندك وفر كاف من فنون التحكم في الأعصاب وضبط النفس، وأن تتعرف على الفنون الترويضية لكي تبتسم في ذروة الضيق وتهدأ في معترك الضجيج وتسترخي في قمة التوتر !

ويا صديقي قبل أن تخرج في الصباح من منزلك وطن نفسك على أن تتحمل كل كلمة نابية وكل «بوري» مزعج وكل «مفحط» متذاك، وأنا زعيم لك أن تعود إلى منزلك وقد احتفظت بنسبة كبيرة من رصيدك في الطاقة العصبية تؤهلك لنوم قيلولة مريح، لماذا أعصاب الناس أصبحت تفلت بسرعة هذه الأيام، لأدنى سبب يرتفع صراخنا، لأقل كلمة تتأزم علاقاتنا، لأتفه سبب تنشطر جسور الود بيننا، تقول لمحدثك الذي يكاد يصم لك أذنيك: مهلا أخي احتفظ بوحداتك العصبية لغرض أنفع، واحتفظ بصوتك لمسافة أطول، تقول له هذا أو مثله وأنت تطمع أن تقنعه لكنه ما يلبث أن يتحول من دائرة الموضوع إلى أن يضعك أنت في دائرة اتهاماته لك بقلة الذوق وعدم تقدير الناس!

وتقول لشخص يجيء عقبك ويعقبك في صف التزمته: أخي لماذا لا تحترم أسبقية من جاء قبلك؟! ولأنك تدخلت في خصوصياته كما يدعي فسيلقي عليك موشحا في أسباب تقدمه على كل من جاءوا قبله، سيقول لك: إن طفله في السيارة، وأن ضيوفه ينتظرونه في البيت، وأن موقف سيارته في الشارع عرضة «لونش المرور».

وتسير في الشارع فتلهب أعصابك البواري التي تنطلق من كل جانب، حتى التحية أصبحت عن طريق «البوري»، وكم سينالك من العتاب إن تجاهلت ردها بضغطة على بوق سيارتك! وفتح باب المنزل الموصد أضحت وسيلته «البوري» وحفلات الزواج أنغامها «معزوفة من البواري». محزن أن نفقد الصمت المقنع والهدوء المثمر، إن الضجيج بكل ألوانه ومهما اختلفت مصادره علينا أن نقضي عليه مثلما نحاول القضاء على التلوث والأوبئة ذلك هدف يجب أن نحرص على التوجه إليه.

« ضرر الحركـات الزائــدة »

■ جمعني المجلس مع إخوان اعتدت أن أتطارح معهم بعض الأحاديث النافعة، وفي إحدى الجلسات رأيت أحدهم يكثر من إشارات يديه أثناء الحديث، وفي صمته يجدل شعيرات من لحيته، أو يقضم بأسنانه أطرافها، فوجدت في حالته فرصة للمبادأة بالحديث وافتتاح المجلس، خاصة وأن الصمت والإطراق يخيم على الجالسين، قلت له: ألا ترى يا أخي أن مثل إشارات الأيدي ونتف اللحية وقضم الأظافر وغيرها من الحركات هي عادات تفشو في مجتمعنا رغم أنها عادات غير مستحبة ولا مستلطفة؟!

وهنا أخذ طرف الحديث شخص آخر فقال مضيفا: إن نظائر هذه العادات لا تحصى، فهناك من يعبث بمفاتيحه حتى إنه ليكاد يدمي أصابعه، وهناك من المكتبيين من يشغل نفسه بالدبابيس، تجده ينكش بها أذنه ويخلل بها أسنانه، وفي ذلك ما فيه من المخاطر، وهناك من السائقين من يشغل نفسه بتعديل عقاله وتصليح «مرزامه» وكثير مثل ذلك! وهي صورة بعيدة عن الترصن والثقة، ويخلق بالمرء أن يلتزم بالهدوء أثناء جلوسه فلا يعبث بأنفه ولا يقلب «غترته» ولا يعدل أوضاع جلوسه بين الفينة والأخرى.

إن الجلسة الهادئة المسترخية، تدل على الرصانة والتعقل والثقة بالنفس.

قلت معلقا على ما استفاض به هذا الأخ: إنني شاهدت كثيرا من الأوروبيين يتكلم أمامك الشخص منهم فلا يتحرك منه سوى شفتيه، ويجلس أحدهم قبالتك فتخاله تمثالا من الشمع وليس إنسانا من لحم ودم وأعصاب، وأنا هنا لا أدعو إلى تقليد الغربيين، ولكنني أدعو إلى أن نأخذ منهم ما نستحليه من العادات المستحبة والطبائع الحضارية، فرد أحد الحاضرين قائلا: إنني في الأمس كدت أفقد إحدى عيني! كان أحدهم يتكلم بقربي، وكانت يده طويلة، ويكثر من الإشارات والإيضاحات، فكاد في إحدى إشاراته أن يفقأ عيني لكن الله سلم ولطف!

فأثنيت على ما قاله هذا الجليس بقولي: ألا ترون أيها الاخوة أن ذلك الذي يكثر من إشارات يده دليل على فقره في المفردات اللغوية، إذْ هو لا يملك من الألفاظ ما يوضح دلالة مافي نفسه، فيعمد إلى توضيح ذلك باشارات يده ووجهه تدعيما لقوله وإسنادا لحجته.

فرد أحدهم قائلا: إنني لا أستبعد مثل ذلك فالإكثار من إستعمال التأشير

بالأيدي أثناء الحديث، يفشو أكثر ما يفشو في الناس الذين لم ينالوا حظهم من الدراسة والمطالعة.

وخلصنا جميعا من هذه المحادثة إلى أنه من الواجب الحتمي أن نتجنب ما أمكن هذه العادات السيئة، وذلك ممكن بالإرادة القوية، ومحاسبة النفس، ثم بالمران والدربة، إلتماسا للهدوء واحتفاظا بطاقات عصبية تنفق في غير وجهها الصحيح، ولقد صدق من قال: «إذا لم نكن من أصحاب الطبائع الهادئة فلا أقل من أن نتعلم الهدوء حتى الإحتراف».

« هونها تهون »

هون الأمر تكن في راحة قلما هونت أمرا لا يهون

هذا الشاعر عالج في بيته داء لا يخلو منه حي مطلقا، وهو إعطاء مشاكل الحياة قدرا واهتماما أكبر من حجمها، بل هو ينصحنا أن نهون من حجمها الحقيقي، لأن في التقليل من شأنها راحة للنفس والبدن، وهذه وصفة مجربة لا يدرك قيمتها إلا أولئك الذين يهولون شأن ما ينزل بهم من أحداث الحياة فتجدهم أمام شطحات الخيال والوهم يفقدون ثقتهم بأنفسهم فيصعب عليهم تجاوز هذه المعوقات، ولو أنهم اعتصموا بربهم ثم استسهلوا الأمر لوجدوا في أنفسهم قدرة عجيبة على الصبر وتجاوز المحنة، حقا إن بعض الشعراء أطباء نفس قبل أن يكونوا سادة بيان.

« من أسباب الإرهاق »

■ كثيرا ما يشعر الإنسان بالإرهاق الجسمي والتعب النفسي، دون أسباب واضحة، ودون أن يقوم بجهد جسمي، ومن يتتبع علل ذلك، يرى أن مصدرها أسلوب الحياة التي يعيشها هؤلاء الناس، فهم يستنفدون قواهم الحيوية وطاقاتهم العصبية بصورة مسرفة، تجعلهم منهكين خائري القوى، فهم يسرفون في الكلام والضحك والطعام والتفكير السلبي، والغضب واللهو والمشروبات المنبهة مثل القهوة والشاي وملء المعدة بالطعام، وهذه كلها مصادر لإستنزاف طاقاتنا النفسية والعصبية التي علينا أن ننميها بالهدوء والراحة والنوم واستقبال الحياة بطبع هادىء مسترخ والغذاء المنظم، إن جسم الإنسان هو راحلته في هذه الحياة، عليه أن لا يحمله ما لا يطيق وإلا وقف به دون الغاية.

« وصفة لحياة أبهج ! »

■ ثلاثة أمور لو تحكمنا فيها، وأحكمنا رقابتنا عليها، لأصبحت حياة الواحد منا أفضل وأبهج، أول هذه الأمور «الكلام» فمن ناحية دينية نحن محاسبون عليه كما نحاسب على العمل، ومن جهة صحية فأضرار الثرثرة على وظائف الجسم يثبتها الأطباء ويشهد عليها الواقع، ومن ناحية القيمة، فالثرثرة مهدرة للوقت مفسدة للعمل. وإذا نظرنا إلى العلاقات الاجتماعية وجدنا أن أكثر ما يحطمها هو القيل والقال، والغيبة والنميمة والإفك والمدح، والذم، فكم جر اللسان على صاحبه من مصائب ومتاعب، إن الكلمة التي نتلفظ بها يترتب عليها آثار ونتائج ليست دائما في حسباننا، فالملائكة الحفظة الكتبة يسجلونها لنا أو علينا، ثم هي في الأثير تبقى موجات سابحة كما أثبت العلم أخيرا، ومن سمعها من الناس دخلت منطقة الذاكرة عنده، ولن تستطيع قوة في الدنيا محوها ولو ذكرته بها بعد عشرات السنين، لاسترجعها بثوان، ولقال لك: نعم، لقد قلتها يومذاك. ! فليتنا نجعل ألسنتنا خلف قلوبنا وليس أمامها، وليتنا نزن ما نقول، فإن رجح نفعه على ضرره قلناه، ولنتذكر أن اللسان في منطقة لزجة، معرض للانزلاق في كل كلمة، وأن الله جعل أمامه صفين من الأسنان وشفتين، ليكونا حاجزين أمام اندفاعه، ولكي نحبسه ونخزنه «فليس شيء أحق بسجن من لسان» كما قال أحد الأوائل، فمتى راقبناه وحرسناه استطعنا أن نستخدمه فيما ينفعنا، وكسبنا بعد ذلك ثواب الآخرة والراحة في الحياة. . هذا أحد الأمور، أما الأمر الثاني، فهو «استخدام الفكر» فالله سبحانه جعل الإنسان مفكرا، وأعطاه القدرة على التذكر والتخيل، لكي يعيش كما أراده الله خليفة على هذا الكوكب، يعبد الله كأنه يراه، ويستعمر الأرض ليعيش وتحيا بعده ذريته، والمخيلة إذا لم نراقبها ونسيطر عليها، نأت بنا بعيدا، فالفكر نافع في حدوده، لكنه يصبح ضارا مؤذيا، إذا أصبح يشطح بنا بعيدا عن الواقع، فكثير من القلق والمخاوف والوساوس أسبابها إعمال الفكر بطريقة فوضوية يتولد عنها شتى الصور السلبية، ودليل ذلك أن أكثر ما نقلق منه لا يقع إلا في مخيلتنا النشطة التي انطلق لها العنان فطاشت، ولهذا ففي السيطرة عليها راحة للنفس والبدن.

وثالث هذه الأمور «الطعام والشراب» فنوعيتها ومراقبتها ومعرفة متى نأكل وكيف نأكل، وتقييد رغبات النفس فيها، وكبح جماحها من التمادي معها، هو أمر

من الأهمية بمكـان لكي نرتـاح ونسعـد . . هذه ثلاثة أمور، أرى أن التحكم بها وتوجيهها ضروري لحياة أفضل، فهل تتفقون معي .

« كيف تعالج همومـك »

■ اقتضت حكمة الله أن لا يدوم سرور ولا يبقى حزن ، فالأيام دول والأحداث المتلاحقة في يوم الإنسان ــ ولا أقول في عمره ــ تحمل في مضمونها دواعي فرح وترح ، فتفاعل الحياة يأتيك بما تشتهي وما لا تشتهي ، أذكر بهذه المناسبة قصة ثري في الزمان الماضي أنعم الله عليه وفي شهر زواجه كان في مجلس سمر وأنس مع زوجته وبينهما ثمرة رمانة يتناولانها حبة حبة، فقال لها ووجهه يشرق بالحبور: من أسعد منا على الأرض؟! وما هي إلا برهة حتى شرق ببعض حبها ومات! هكذا بمثل هذه السرعة تحول الفرح إلى ترح، لذا فان أنجع علاج للحياة هو أن تهيء نفسك وتوطنها لأسوأ الفروض، وأدلل على هذه الناحية بقصة الرجل الذي وصله نبأ وفاة ولده فلم يزد على قوله : «تلك أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم نستغربه» نعم فهذه مشيئة الله فالموت حقيقة إذن ما العجب، وأفضل من ذلك أن يقول المؤمن : **(إنا لله وإنا إليه راجعون)** .

ولما جاء أحدهم يعزي الشاعر محمد حسن فقي في ولده، قال له :

أتيـت إلى الـدنيـا بأحـزان أمـة فكيـف تواسيـني بأحـزان واحـد!

هكـذا احتوت همومه الكبيرة همومه الصغيرة «ففلسفة الأمور وتقدير المواقف والعمق المعرفي للحياة، والتجارب والخبرات الإنسانية والإيمان بالله بعد ذلك وقبله، كلها وسائل تتحكم نسبيا بحزننا وفرحنا وبدرجة اندهاشنا وانفعالنا، واستدل على هذا بقصة رواها أحد فلاسفة هذا الإتجاه يقول: «كنت ذات يوم أنظر مع صديقي إلى ألعاب بهلوانية أجاد فيها اللاعبون، حتى إذا ما فرغوا من ألعابهم، صفق الناس لهم تصفيقـا يمـزق في الأكف جلودهـا، لكنني جلست ساكنـا لم أصفق، فسألني صديقي : لماذا لا تصفق مع النـاس؟ فأجبتـه قائـلا: إنها خبرة السنين!» انتهى . ومسببـات الحـزن يصعب حصرهـا، لكن وسائط احتوائها يمكن تعدادها، وهي تختلف من شخص لآخر، ولا شك أن الإيمان بالله والصلاة والصبر وقراءة القرآن وسائل أساسية وهامة في هذا المجال، قال الله تعالى : **﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾** ومع هذه الأساسيات هناك وسائل هامشية يرودها الإنسان، ومن بين وسائلي العديدة التي أعالج بها همومي أن أزور شخصا متقدما في العمر أعرف قوة إيمانه وسعة علمه

وفكاهة حديثه، فاتبسط معه بالحديث في شؤون الحياة وشجونها، فأخرج منه وقد تعزيت وشحنت نفسي بما يعين ويرفي، وقبل أيام شعرت بحاجتي إلى طبيب نفسي من هذا النوع فاستعرضت في ذهني أسماء من أعرف فتذكرت رجلا[1] في الستين من عمره حنكته الأيام وصقلته التجارب: وفي الثمانينيات الهجرية كنت شابا صغيرا مغرما بالقراءة، وكان هو صاحب مكتبة يبيع ضمن ما يبيع سيرة عنترة بن شداد والزير سالم فكنت اشتريها وأمثالها منه، وقبل أشهر قابلته فوصف لي موقع مكتبته الجديدة فنصيته في ذلك اليوم، ولما دخلت عليه إذا هو مشغول في ترتيب كتبه، فسألته وأنا أتشاغل بالجانب الآخر من المكتبة حتى لا يعرفني، هل عندك سيرة عنترة؟ فرد: لا. ثم اقترب مني وقد حس بتلبيسي عليه وهو يقول: أنت يا مرحبا!، ثم سلم وجلسنا نشقق الحديث من موضوع لموضوع، ولما مرت سيرة العلم والدراسة سألته عن شخص أعرفه، فقال: ترك عمله والتحق باحدى الكليات ليرفع مستواه، قلت: إنه متقدم في السن وأظن مشاغل الأسرة وهموم الحياة يحولان دون تهيئة الجو النفسي للدراسة، فهي تحتاج إلى صفاء في الذهن وخلو في البال، قال: وما أدراك فهموم الحياة أفقدته حتى رؤية إشارة المرور في الشارع، فقد قص علي ما حدث له قبل أيام يقول: خرجت في حاجة من حاجاتي وبينما كنت أسير في الشارع رأيت زحمة وسيارات متوقفة فتجاوزتها من جهة اليمين وأنا أقول في نفسي مؤكد هذا حادث مروري وأنا لدي من المشاكل ما يغنيني عن تصييع وقتي في الفرجة عليه، وما أن تخطيتها بعدة أمتار حتى لحقتني سيارة المرور وأوقفتني، فنزلت بثقة البريء وقلت لشرطي المرور بتعجب خيرا إن شاء الله ماذا تريد؟! فقال لي وقد أغاظه برودي: كيف تقطع الإشارة وهي حمراء أين عيناك؟ فالتفت فإذا إشارة المرور خلفي والسيارات التي تجاوزتها لمّا تزل تنتظر، فطأطأت رأسي وتذكرت قولة مالك بن أنس: «ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره»!! ثم خلصنا بعد ذلك إلى حديث آخر، وختمت زيارتي بتوديعه.

---

(١) هو الشيخ محمد بن سليمان الشقيران، عرفته صغيرا في مكتبته شرق الجامع ثم زاملته مدرسا في مدرسة العباس الإبتدائية ببريدة من عام ١٣٩٧هـ وحتى ١٤٠٠هـ، وهو متحدث فقيه عفيف، يسليك بأحاديثه الشيقة، ويمتعك بملحه النادرة، حفظه الله وبارك فيه.

« المعالجـــة بالجـــري ! »

■ أمتع شيء أسعى إلى تحقيقه هو أن أجري في الصباح الباكر وقبيل مطلع الشمس حتى أسقط من الإعياء! لقد أمسى قول الطبيب لك: إجر ثلاثة أكيال يوميا مرادفا لقوله: تناول ثلاث حبات يوميا. .

وحين راجعت منذ أيام طبيبا في المستشفى لأشكو إليه ألما في قدمي طلب مني أن أحني جذعي وأن ألمس بأطراف أصابعي الأرض دون أن أثني ركبتي وحين لم تستطع أطراف أصابعي تجاوز منتصف الساق ضحك كثيرا وقال وهو يربت على كتفي: هوِّن عليك إن عضلاتك تشكو من عزل وظيفي، هل تعلم أنه مضى علي في هذه العيادة عدد من السنوات لم أفحص خلالها أحدا من أبناء البادية بشكوى تعب القدمين أو الساقين أو العضلات عموما ونقيض ذلك فسكان المدن تتعدد شكواهم من هذه الحالة في اليوم الواحد! هل تدري ما السبب؟ إنه «المشي» إننا خلقنا لنمشي لا لنركب، ومخالفتنا لهذا القانون هو سبب ما نعانيه من آلام تتنوع أعراضها وينفرد سببها».

هذه وجهة نظر طبيب أدرك بثاقب تجربته معنى أن يعطل الإنسان ساقيه ويحرمها أهم وظيفة خلقا لها، والسؤال الذي ما طفق معلقا حتى الآن: هو متى يصبح «الجري» عادة لا ننكرها وسلما ـ بفتح السين ـ لا نستغربه؟ إن الجهات الرسمية والهيئية والشخصية مسؤولة عن تعميق هذا المفهوم وتوطينه؟

ورائع الخبر الذي نقلته صفحات الأخبار المحلية عن إقامة «ماراثون» في مدينة أبها اشترك فيه مئات المتسابقين، وهي وإن كانت تقليعة غربية ولسنا والحمد لله ممن يشجع الصرعات المستوردة، إلا أننا يجب أن نسمح للعادات النافعة والمفيدة أن تجد مكانها في مجتمعنا وذلك قياسا على مبدأ «الحكمة ضالة المؤمن».

إن الوقت قد حان لنحمي عضلاتنا من «التكلس» ومفاصلنا من «التكربن» ورئاتنا من التقلص ودماءنا من التجمد ولن نصل إلى تحقيق ذلك إلا بدعم الرياضة العامة.

إن البلديات مثلا مطلوب منها تحقيق هذا المطلب عن طريق ملاعب التنس والطائرة والسلة داخل الحدائق والمنتزهات على أن يشرف على جدولة الإستفادة منها أعضاء من سكان الحي.

والرئاسة العامة لرعاية الشباب لها دورها في هذا المجال وهو أهم الأدوار إذْ أنها تحرص على إقامة ساحات كبيرة للرياضة يمارس فيها الأفراد مختلف الرياضات فحبذا لو تفتح الميادين الرياضية للهواة غير الرسميين، لقد قرأت مرة مقابلة مع أشخاص يمارسون الركض في الصباح الباكر حول دورة ملعب الملز بالرياض، وكان من ضمن مطالبهم أن تفتح أبواب الملعب ليمارسوا هوايتهم داخل مضمار السباق المحيط بملعب كرة القدم بعيدا عن سخريات المارة وهو مطلب لا أعرف هل لبي أم ليس بعد؟.

وبعـد.. أقـول إننا ننتظر اليوم الذي لا ينظر فيه لمن يركض في ساحة من الساحات في وقت من الأوقات على أنه مصاب بعقدة الخواجة أو أنه ما عنده «سالفة» أو أنه يمارس عيبا لا يرتاح له المجتمع.

وأخيرا أيها الأحبة إن في الجري من المنافع ما لا يدرك حصره، وإن من أهمها التخلص من شحنات التوتر وتقوية التنفس وتنشيط الدورة الدموية وكثير من هذا.

إذن دعونا نمشي... ودعونا نجري... ودعونا نمارس اللهاث الجسمي بعد أن انهكنا اللهاث النفسي.

« وإذا مرضت فهو يشفين »

■ أذكـر أن «قـطة» جرحت في يدهـا جرحـا بليغـا كادت معـه أن تقـطع، والتـزمت بسبب ذلك غرفة مهملة في المنزل لا تبرحها، وما هي إلا مدة يسيرة حتى خرجت وإذْ هي قد شفيت شفاء كاملا وكأن شيئا لم يحدث!

إن هذه القطة لم ينجدها اسعاف، ولم يشخصها «بيطْري» ولم تتناول دواء، لكن القوى الشفائية التي أودعها الله في جسمها وتحكم في تسييرها هي التي أدت هذه المهمة بتسخير من الله!

فما بال الإنسان ينسى ذلك ويهرع إلى المستشفى، لأدنى عرض، فما أن يحس بمغص بسيط نتيجة أكلة دسمة أو بصداع سببه ارهاق وتعب، حتى يأخذ طريقه إلى الـدكتور، ومنه يخرج متأبطا كمية متنوعة من الحبوب الصباحية والمسائية والأشربة الحمراء والصفراء!

والنتيجة أن مناعته لمقاومة الأمراض تضعف، وتعمل هذه العقاقير الكيميائية في جسمه ما الله أعلم بعواقبه!

إن الـتردد على العيادات الخـارجية لأسباب واهية ومشاكل بسيطة قد تحلها الـرياضة أو تنظيم وجبات الطعام أو النوم، أمر مزعج حقا للمراجع وللمستشفى وللمرضى الحقيقيين!

إن علينا كمواطنين أن نتوثق تماما من نوع الأعراض التي تنتابنا ومدى احتياجنا الفعلي للدواء.

إن كثيرا من الأدوية التي يخرج بها بعض المراجعين تأخذ عادة طريقها إلى سلال المهملات، وقد لا يتناولها المريض إلا يوم أو يومان ويتركها ليأخذ غيرها! والعاقبة أن هذه العقاقير التي أُخذت في غير علة ستفتك بالجسم وتقضي على مناعته وتولد أسقاما وأمراضا لا ينفع معها تطبب بعد ذلك.

« اجعلوا لعطلتكم معنى »

■ توقف صرير الأقـلام، وطويت الصحف، وظهرت النتائج، وانتهى موسما حصاد الفكر وحصاد القمح، اللذان احتواهما هذا العام زمن واحد. فمن جد في زمن البذر والسقي، وبارك الله له، فاز في هذا الحصاد بما سر نفسه وأقر عينه، ومن تعلل بالأماني وسوَّف وأهمل جنى ثمار التفريط. ولسنا هنا بصدد التبجيل للفائز أو الوعظ للمتخلف، فهذا درس أغنت فيه الحال عن المقال لكننا نريد أن نقول كلمة خفيفة لجمهرة الشباب وهم يستقبلون بفرح عطلتهم الصيفية الطويلة، وإن أول ما نذكرهم فيه، هو أنهم العنصر النشط القوي في المجتمع، ولم لا وهم العنصر الشاب الفتي؟ فلا تنظروا أيها الشباب إلى العطلة الصيفية وكأنها أيام كسل ودعه، ولكن استغلوها استغلال الفلاح للأرض فهو عندما ينتهي من حصاد قمحه يزرع أرضه بخضروات ذات جذور وتدية لأنه تعلم أن التنويع في البذور لا ينهك الأرض بل يقويها ويجددها. وإننا لندعوكم أن تعوا هذا الدرس من الفلاح، إن في مجتمعكم حلقا لتحفيظ القـرآن، ومـدارس لتعليم اللغـات، ودورات تقام لتعليم الحاسب الآلي والنسخ على الآلة، ودورات حرفية ومهنية من كل نوع، ودورات رياضية، ومراكز صيفية، وأندية أدبية، ولعل والدك مزارع أو مهني أو تاجر فاتجه إلى مزرعته أو ورشته أو متجره، فتعلم صنعته التي شغلتك عنها مدرستك فستجد في ذلك متعة ونفعا، لانك طبقت المقالة القديمة: «النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل»، اتجه أيها الشاب إلى ميدان من هذه الميادين، وستنتهي العطلة دون أن تحس بها لأنك

استغليتها بأسلوب ريضت فيه جسمك وغيرت به مناخك فتجددت روحك كما تجددت أرض ذلك الفلاح الذكي من قبل، أيها الشاب تذكر الحكمة التي تقول: (إذا غربت الشمس فواصل على ضوء القمر ما بدأته من عمل).

« المحادثة تشبه لعبة الأرجوحة ! »

■ (المحادثة الجيدة تشبه لعبة الأرجوحة)، لا أدري أسمعت أم قرأت هذا القول، وهو في معناه يصيب مقطع الحق، ويحتل صميم الواقع، ومن جالس الناس وحادثهم يتعرف على فئات شتى من المتحدثين، فمن الناس من يتحدث دون انقطاع ولا يعطي لمتحدثه فرصة واحدة، وحتى لو منحه فرصة وحيدة فهو في الغالب لا يصغي خلالها، بل يفكر فيما سيستأنف فيه الحديث، وفيهم من لا يجاذبك أطراف الحديث، بل يبقى مستمعا على الدوام، ويريدك متحدثا لا تنقطع. وفي المتحدثين شخصيات ذكية، تجاذبك الحديث بحكمة وحنكة، يعطيك حق الحديث ما دمت متحمسا، ثم يسحب منك هذا الحق إذا رأى تشوفك للإجابة، فهو لا يستأثر بالوقت كله حتى وإن كان يعلم أن ما ستقوله لن يضيف إلى جديده شيئا، لكنه يستمع لأن أدب المحاورة يفرض عليه ذلك، ولأنه يعلم أن الإنسان يميل إلى الكلام أكثر مما يميل إلى الإصغاء، ولهذا فالصواب أن أتحدث وأن أعطي لغيري الفرصة، وأن لا أقاطعه في حديثه، وأن أصغي إليه جيدا، وأقبل عليه بوجهي، ومتى رأيت منه مللا أو فتورا، غيرت الحديث، ولونت الأسلوب، أو تركت الكلام أصلا، ومهما أكثرنا التفصيل عن شروط المحادثة، فان للإصغاء أيضا قواعد هامة يحسن بنا أن نتعرف عليها، ونذكر بهذه المناسبة المثل الإنجليزي المشهور (المستمع الجيد متحدث بارع).

« اخطمها يرحمك الله »

■ وعينا عن شيوخ لنا مضوا، نقدهم اللاذع لأشخاص يشترون الثمار في بواكيرها، ويدفعون فيها أثمانا غالية! حيث يرى هؤلاء الشيوخ أن هذه المبادرة تعني أن هذا الإنسان ليس له سلطان على نفسه، وأن ذلك خلاف عصيان النفس، التي يجب كبحها إذا هفت، وخطمها إذا نزت، وأن على الإنسان أن لا يجعل همه بطنه يتخمه إذا وجد ويحزن له إذا لم يجد، وأن الحصيف هو من يتحرر من سيطرة الشهوة والغريزة، فيجعل العقل محرك دوافعه، وموجه أهدافه، وهذه القناعة مأثورة عن سلفنا، إذْ يروى عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه شاهد رجلا يخرج من

السوق ومعه لحم، فلما استفهم منه عمر، قال له: إن أولادي اشتهوا اللحم فاشتريت لهم، فقال قولته المعروفة: (أكلما اشتهيتم اشتريتم)!، وللشعر دليل على ذلك، حيث يقول أحد الشعراء:

وإنــك مهــما تعط بطنــك سؤلــه وفــرجــك نالا غايــة الــذم أجمعــا

والإنتصـار على النفس لا شك أنـه مكسب كبـير، لأنـه انتصار على الهوى والشهوة والغريزة، ووقوف بها على الحد الطبيعي من الإحتياج الفطري المباح، الذي دعانا الله إليه ونبهنا إلى خطر الإسراف فيه، ولأن متطلبات النفس عادة لا يمكن إرواؤها فهي نهمة إذا أطلق لها العنان، قنوعة إذا حيل بينها وبين الإنغماس، وفي هذا يقول الحكيم:

والنفس كالـطفـل إن تتركه شب على حب الـرضـاع، وإن تفـطمـه ينفطم

وقال لي أحد الجلساء: إنني أشرب يوميا ثلاث علب من البيبسي، وقال آخر: أنا أشرب ست علب! قلت لهما: إنكما مسرفان، ترهقان «غدة البنكرياس» وتسعيان في طريق السمنة، وتخالفان قول الله تعالى: ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين** ﴾ (الأعراف: ٣١)، ثم إن هذا يعني أنكما لا تسيطران على شره الرغبة ونهم النفس، فهلا تذكرتما قول الناصح:

ويــلهــيــك عن دار الخــلود مطاعــم
ولــذة نفــس غبــهــا غيــر نافــع

ومثل هؤلاء أناس كثيرون، يسرفون في شرب الشاي والقهوة، حيث يتناولونها في معظم فترات النهار، وهذا فيه اعتياد مذموم، يجعل الإنسان أسير هذا المشروب فيدمنه ثم لا يرتاح له بال ولا يقر له قرار إلا إذا طاب كيفه منه في أوقاته التي جرى عليها، قال لي أحد الإخوان: لقد أدمنت شرب القهوة، حتى لا استطيع التخلص منها، وسأحدثك عن قصة تكشف لك عن شدة أسرها وتحكمها: نمت في إحدى الليالي، فأرقت وأحسست بألم في قدمي وظهري وملل في سائر جسمي، واستعرضت يومي، فلم أر شيئا غيرته من عاداتي، سوى أنني لم أشرب القهوة في تلك المساء، فقمت من فراشي، وملأت الفنجان بمسحوق القهوة، فلهمت منه ثلثه ثم مصصته ولفظت وفله، فعلت ذلك مرتين، وفي المرة الثالثة رجع جسمي إلى حالته العادية، فأدركني النوم ومسحوق القهوة في شقي»!

وقـال آخـر إنني مغـرم «بـالكبسـة» وانني لأضرب فيها حتى تدمع عيناي، وسمعت من يحدث عن نهم أحدهم، قال: إنه بعد أن ينهي غداءه وتضع الحرب أوزارها، يطلب من أولاده أن يساعدوه على التمدد في مكانه، لأنه غير قادر على أن يثور بحمله!

«إن خير عادة أن لا يكون للإنسان عادة» «وأن علينا أن نقاوم ما نحب وأن نتحمل ما نكره» فالإنسان الرشيد هو الذي ينتصر على عاداته فيلغي حكمها ويجعل له الحكم عليها فيسمو على كثير من مغريات الطعام والشراب والألفة، «لأن ذلك الذي ينتصر على نفسه أعظم من ذلك الذي يفتح مدينة» ولأن هذه المطالب هي وسائل لبقاء النوع وليست هي الغايات:

«أرانـا موضـعـين لحتـم غيـب
ونـسـحـر بالـطعـام وبـالشراب»!

إنك لست جسما فحسب بل جسم فيه روح نفيسة لها مطالبها العالية ومراقيها الرفيعة، فزكها وصفها، واسمُ بها وامسك بخطامها يرحمك الله، فإنك إن تركتها على هواهـا، خرجت بك عن الجـادة إلى وهـاد وعـرة، ومسـالك صعبة، فخذ بعنانها لإصلاحها، واذكر قول من قال:

أقبـل على الـنفس فاستكمـل فضـائلهـا
فأنـت بالـنـفس لا بالجـسـم إنـسـان

هذا البسط كله في ضرر الإسراف في المباحات، أما مخاطر الشهوات المحرمة كالمسكـرات والمخدرات وغيرها، فضررها أوضح من أن نتعرض له هنا، لأنها مع أدوائها المدمرة فهي انتهاك لحرمات الله وتعد لحدوده، وإفساد في الأرض وخروج على الدين، وفيها نختم هذه السطور، بهذا البيت لأحد الشعراء:

ماكنـت أوثـر في ديـني وتـوحـيـدي
خـوادع الآل عن زادي ومـوردي!

«الوعي محجوب بالألفـة»

■ ليس شيء أضر على الفكر والتأمل من الألفة، فهي تفقد الإنسان الغرابة، وتلغي في نفسـه الحـيرة والتسـاؤل، وتجعله أسير عاداته اليومية، ومراغبه الحسية،

ومطالبه الجسمية . ونحن المسلمون عصمنا الله من هذا التيه حين أرسل لنا رسوله، وأنزل علينا وحيه، فتبين لنا معنى كل شيء تراه عيوننا وتسمعه آذاننا، ولكننا أحيانا ومع فلك الحياة الدائر الذي يستحث فينا المراغب والمطالب المادية، نغفل عن المعنى الحقيقي لوجودنا ونسهو عن الوظيفة السامية المهيئين لها، وهي غفلة تشبه سرحان قائد السيارة الذي تحمله أحلام اليقظة بعيدا عن مكانه، لكنه ما يلبث أن يهز رأسه، ويعيد نفسه إلى الواقع حين يستشعر مسؤوليته، إن هذه الإحتياجات اليومية التي تستهلك طاقاتنا، ما هي إلا وسائل لبقائنا، وليست هي الغايات الحقيقية، هلا تذكرنا قليلا؟ فلعل الذكرى تقوي فينا الإستبصار فيعود لنا الوعي .

« الشباب بين الوصايا والتجارب »

■ ما الذي يمكن أن يقدمه الشيوخ الصلع وكتب التراجم والسير لمعاشر الشباب الذين يتجاوزون المراهقة ويدلفون مسرعين إلى بوابة الرجولة والحياة المسؤولة؟ أترى وصايا المعمرين، ونصائح المجربين التي ينفقونها بسخاء كلما قدر لهم أن يتحدثوا إلى الشباب، أتراها بعد أن تتخطى جهاز السمع وتنفذ إلى الفكر، تستقر في مواقع القبول والإقتناع؟! لماذا نذهب محملين بالنصائح والوصايا والحكم ومع هذا نصر إلا أن نجرب بأنفسنا لنتعلم من أخطائنا ولنجعل من أنفسنا شواهد الإتعاظ لا من الغير!؟

* قلت لشاب يقترب من الأربعين ـ كان في مطلع عقده الثالث يستقر على أموال سائلة وعقارات دارجة ـ : كيف بددت ثروتك الضخمة؟ لم أرك أبقيت لنفسك شيئا تستثمره؟ لماذا أضعت كل شيء في أثاث ورياش وزينة؟ أكان من الحكمة والعقل أن تفعل ذلك، فتبقى ملوما محسورا؟ فقال لي بعد أن نزع غترته وعقاله، ومسح شعر رأسه الذي بدا خلله يكشف عن ملامح صلع قادم : يا أخي إنه طيش الشباب، لقد كبرنا وعرفنا، ولكن بعد أن مضى الأوان، إن الخبرة لا تأتيك إلا مع الكبر، لكن ما الفائدة، إنها كالمشط الذي يقدم لك بعد أن يسقط شعر رأسك، أتراك تنتفع به؟!

* وهؤلاء الذين يغرمون بالسفر إلى الخارج، يمضون العام يكدحون فإذا حل الصيف، صدق عليهم المثل الذي يقول: «الصيف ضيعت اللبن» لو قلت لأحدهم : أي شيء جنيته يا أخي من هذه السفريات المتعددة، ألم يأن أن تتعظ لقد بذّرت المال، وأنفقت العمر، وما عدت بخف حنين، فالنتيجة قبض الريح . ولأنه

ليس له من نفسه واعظ فلن تنفعه المواعظ، حتى ينقشع الغبار فيتضح له سوء الخيار!!

* وبعض الشباب يرث عن والده الأموال، ولن يعدم نصيحة الناصح، وقراءة الأخبار والقصص، ولكن قل من يمتثل للنصيحة أو يعتبر بالحوادث، فما هو إلا أن يحيط به خلان الرخاء، فيزينون له القبيح، ويعمونه عن الصحيح، حتى يبدد المال، ويضيع الآمال، ثم يصحو على الواقع الذي حُذر منه، فإذا هو يضرب كفا بكف، ويندم حين لا يجدي الندم!!

* وهذا المفحط المتهور في قيادة السيارة، كم هي المرات التي حوضر فيها عن أخطار السرعة، ومزالق التهور، فسمع بالأذن، ونظر بالعين، لكنه يمضي في طريقه، حتى يقع له حادث أو عارض حينها يتذكر ويزدجر، وكان الأولى أن يوفر على نفسه وعلى الآخرين كل جني تلك المتاعب!

* وبعض الذين يصرون على الزواج من الخارج، يرون كثيرا من المآسي التي تؤول إليها معظم هذه الزيجات، ويعرفون قصصا كثيرة عن مشاكل هذا الإرتباط الذي لا تلتئم فيه العادات والطبائع، ولكنهم يمضون في هذا الطريق معصوبي العيون، وحين يقع أحدهم «في حيص بيص» لا تملك إلا أن تقول له: «يا فصيح إذا سقطت فلا تصيح»!

* ومواعظ بر الوالدين، كم نسمعها في اليوم والليلة، لكننا في سهو وغفلة ويرحل الوالدان، وما منحناهما ما يستحقانه من بر وصلة، فحين يبغت الموت أحدهما أو كليهما نظل نبكي بحرقة وندم! ونتمنى لو امتد بها العمر اذن لبررناهما حق البر، قبل أن يحال بيننا وبين ذاك!!

* وشاب توسم فيه والده النجابة، وتوقع منه مدرسوه التفوق، حين راهق في العمر ودخل عقد التعلم الهام ١٥ ــ ٢٥ سنة، في هذه المحطة التف حوله رفقاء السوء فجرفوه في تيارهم، فهجر مدرسته، وساءت أخلاقه، وتدهورت صحته ولم ينفعه تأديب الوالد والمعلم، ولا تأنيب الجار والصديق، وسارت قافلة التعليم بزملائه حتى تخرجوا من الجامعة، والتحقوا بركب العمل والإنتاج أما هو فقد تخلف عنها، ولم يكن لينفعه الندم حين فاته ادراكها. وذات يوم رأى أحد زملائه يحتل منصبا هاما فتذكر نصيحة أحد معلميه: «يا بني من جلس في الصغر حيث يكره، جلس في الكبر حيث يحب»!

* وآخر حصل على الكفاءة أو التوجيهي، ثم هجر التعليم، وأخذ يبحث عن وظيفة، تأخذه إلى جنب ثم تمحضه النصيحة الصادقة، فتذكره بأهمية مواصلة التعليم، لأن العمر رحَّال والشباب لا يدوم، والفرص تضيق، ويسمع منك كل ذلك، لكنه لا يعيه، لأنه مقتنع بصواب رأيه. وتطويه السنون فتراه في إحدى المناسبات، فإذا هو قد وقف وتجاوزه الآخرون، فيذكر حينها أي نصيحة غالية تلك التي أهديتها له لو قبلها!

* فلماذا أصر على أن أتعلم من أخطائي أكثر مما أتعلم من أخطاء غيري، ولماذا أشقى بأغلاطي وأنسى أن اقتران السعادة بتجنب أغلاط الآخرين؟ هاهو مخزون القرون في خزائن الكتب، وها هو موروث الأمم حبرته أقلام الكتاب، وأنا المخلوق الوحيد الذي يرث التاريخ، وها هم الآباء والأجداد يدلونني على الطريق، فلم لا انتصح بنصحهم، لماذا أصر على تجريبي وأدعهم يرددون بحسرة:

«آواه لو عرف الشباب، وآه لو قدر المشيب».

« هل كتبت وصيتك ؟! »

■ عدد أحدهم الأخطار المميتة المحدقة بإنسان العصر الحديث، فوجدها تعد بالعشرات، فالطائرة، والسيارة، والقطار، والكهرباء... وغيرها الكثير، كلها وسائل لا يستغني عنها الإنسان المعاصر، لكنها كثير ما تكون أدوات قتل وإهلاك، بدلا من كونها وسائل نفع وإمتاع.

والموت يأتي فجأة، وهو لا يقدم مقدمات ولا يستأذن أحدا، فجدير بالإنسان المؤمن الحصيف، أن يدون وصيته، فيكتب ماله وما عليه، وما يريد أن يوصي عليه من ذرية، أو يوصي به من أعمال بر وخير، فمن فضل الله على المسلم أن أجرى له صدقته بعد وفاته، وفي ذلك خير عميم يحسن بالمسلم أن ينتهزه. قال تعالى: ﴿ **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية** ﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ: «ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده» رواه البخاري. كما أنه ليس لأحد أن يوصي بأكثر من الثلث، إلا إذا أذن ورثته، والأولى أن يوصي بأقل من ذلك، كأن يوصي بربع ماله أو دون ذلك وهناك فرق بين الوقف والوصية، فالوقف ينفذ في

(١) سورة البقرة: آية: ١٨٠.

حياة الموقف، وليس له أن يبدله والوصية لا تنفذ إلا بعد وفاة الموصي، وله أن يبدل ويغير فيها مادام حيا.

فعلى المسلم أن يبادر إلى كتابة وصيته ليبين ما له وما عليه وما في ذمته وما في ذمة الغير له، وأن يوصي ذريته وأهله بالتقوى وإقامة الأركان، ويستحسن بعض العلماء أن يحدد الموصي ما يريد أن يوصى به من أعمال البر، فيقول هذه العمارة أو هذا البستان، هو ثلثي، أو ربعي بعد وفاتي، ففي ذلك التعيين راحة للورثة عند قسمة التركة.

إن الموت لا يشاور أحدا، ولم يطلع الله أحدا على أجله، فكثيرا ما سمعنا عن وفاة رجال نعدهم من أهل الثروة، ماتوا دون أن يسجلوا وصاياهم وهذا أمر يؤسف له، وكثيرا ما رأينا أناسا عاجلهم المرض، فعقد ألسنتهم، أو أضعف حالهم، فلم يستطيعوا الكلام، ليبينوا ما لهم أو عليهم، فتيقظ أيها المؤمن بالله، وحرر وصيتك، واحذف منها وأضف عليها كلما رأيت دواعي ذلك، وأشهد عليها، سددنا الله وإياك إلى الصواب، وأرشدنا إلى صالح الأعمال، وأحسن لنا ولك الختام.

« المعول عليه هو اللـــه »

■ (والذي جربته من أول عمري إلى آخره، أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سببا إلى البلاء والمحنة والشدة والرزية، وإذا عول العبد على الله، ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه، فهذه التجـربـة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه السابع والخمسين. فعندها استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه).

ما أروع ومـا أصدق الإمام الرازي في اعترافه هذا! حقا إن هذا لهو اليقين الحق، وصـدق الله العظيم **﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾** (الطلاق: ٢، ٣).

فكلنا أدرك بالتجربة، حقيقة هذا الأمر، فالنجاح واليسر دائما في التعويل على الله، وتفويض الأمر له وفي سؤاله الخيره، والإتكال عليه، وذلك بعد فعل الأسباب والإجتهـاد في العمـل، واتقان ذلك، فالعبد بالتفكير والمولى بالتدبير، إن قدر الله

مقدور، وان قضاءه نافذ، ومشيئته غالبة، وعلى المرء أن يسعى إلى الخير جهده، وفي سعيه هذا عليه أن لا يعول على مخلوق، ولا يستمسك بعرى ضعيف مثله، فمصائر العباد عند الخالق، والضر والنفع منه، والإعتماد لا يكون إلا عليه سبحانه:

(يا خالــق الــبــدر وشــمس الــضــحــى
معــولـي في كـل حــال عليـــك)

« طعــام المسكــين »

■ المتدبر لكتاب الله، يعلم يقين العلم، واجب الحث على طعام المسكين، فقد حض الله عليه في كثير من آياته، وجعل من علامات المكذب تقاعسه عن الحض على إطعام المسكين، حيث قال سبحانه ﴿ **أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعـام المسكين** ﴾ (الماعون). وقال: ﴿ **إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين** ﴾ (الحاقة: ٣٤)، وقال: ﴿ **كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين** ﴾ (الفجر: ١٨).

فانظر إلى هذه الدعوة لبر المسكين، وإطعام الطعام، والحث على ذلك، إذْ ذاك من واجبـات المؤمن، ومن علامـات يقينه بالجزاء وتصديقه بالدعوة، وإيمانه بالله، واستمساكه بالقرآن.

فاحـرص أيهـا الأخ المؤمن على فعـل الخـيرات، وأداء القـربـات، تصـدق بطعامك، وكن داعية يحث على المعروف، ويأمر بالإحسان، ويندب الناس إلى فعل الطاعات التي أمرهم الله بها وفصلها لهم في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

« التكاثــــر »

■ هذا التكاثر الذي يلهينا، وهذا النهم العجيب الذي يسوقنا إلى المزيد من الإمتلاك والإحتواء، كلما تحصلنا على أمنية ساقتنا إلى أمنية أخرى، وإذا فتحنا صفحة جديدة بدت الصفحة المقابلة، وحل مشكلة حياتية هو جواز إلى مشكلة أخرى، ثم ماذا بعد ؟! أكل ما جمعنا سنأكله؟ أكل ما بنيناه سنسكنه؟ وهذا الحب الشديد لحطام الدنيا ما معناه؟ ما دمنا نعرف أنا عن قليل زائلون، وأن النهاية هي نفسها نهاية أولئك الذين أكلنا تراثهم وبوأناهم أجداثهم، لكم عمروا الدنيا أكثر مما عمرناها، وأثاروها

أكثر مما أثرناها؟ أفنحن مخلدون بعدهم؟ لم هذا اللهاث وراء الأغراض الخادعة، والقنيات الزائلة والزخارف الفاتنة؟ إن هذا لهو الغرور الملهي، والمتاع القليل، إن العاقل من دان نفسه، وابصر لغده في يومه، فعرف في عاجله مصير آجله، فحاسب نفسه قبل الحساب، وخطمها قبل السباق، وقادها إلى الرشاد باستبصار المؤمن، وقيادة الحكيم، فيا أيها الجامع يا مغرم بالتكاثر، يا من لا يكفيه القليل، ولا يشبعه الكثير، تذكر أيها السادر في غفلته قول الحكيم الحميد: ﴿ **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر** ﴾(١).

« خذوا حظكم منه »

■ هذا كتاب الله بين أيدينا ينطق بالحق، وينير السبيل، ويشير إلى طريق الفلاح والرشاد، فمن أصدق منه حديثا، أو أوثق منه أخبارا، إنه الكتاب المنير الذي جعله الله منارا للسائرين على الطريق يدلهم على المحجة ويقيم عليهم الحجة، هذا كتاب الله ومائدته على أرضه، في تلاوته الطمأنينة وفي تكراره المتعة واللذة، وفي صحبته الأنس، وفي تأمله العلم، وفي تدبره اليقين، وفي العمل به الرفعة والفلاح في الدنيا والآخرة، فأين نحن من مصاحبته، والعيش معه، والحياة به، هذه الأيام اليسيرة التي

---

(١) بعد كتابتي لهذا الموضوع، قرأت في جريدة (أخبار العالم الإسلامي) عدد ١١٤٠ في ١٤١٠/٣/١٧هـ، بحثا عن المستشرق المسلم محمد أسد، وتحت عنوان صغير في هذا البحث، جاء ذكر الرواية التالية التي رأيت أن من المناسب إضافتها تهميشا على هذا الموضوع:

«في شهر سبتمبر عام ١٩٢٦م ركب محمد أسد القطار من برلين وكانت زوجته معه واتجها إلى مدينة أخرى داخل المانيا شاركهم في العربة راكب الماني آخر تبدو عليه آثار النعمة والثراء ولكن ملامح وجهه تفصح عن معاناته لمتاعب نفسية كامنة وتعاسة غائرة في نفسه. أبدى هذه الملاحظة لزوجته فأيدته واتفقت معه. ثم أخذ محمد أسد يفلسف الموقف ويقول لنفسه: «لماذا كل هذا العناء؟ وما الأسباب الحقيقية التي دفعت الرجل إلى هذا البؤس وهذه التعاسة على الرغم من ثرائه الفاحش. ليس هناك تفسير في نظري إلا حرصه على حيازة مزيد من الملذات والممتلكات والعروض المادية». ولما عاد إلى بيته كان قد ترك نسخة من القرآن الكريم مفتوحة فألقى عليها نظرة فوقعت عيناه على السورة الكريمة: ﴿**ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾. زلزلت هذه الآيات كيانه. ثم سأل نفسه: «من أنبأ محمد الذي عاش منذ نيف والف عام بأن علة العلل التي ستصيب الناس في زماننا هو التكاثر والتكالب على جمع الحطام. مهما كان هذا الإنسان حكيما لم يكن ليستطيع وحده أن يتنبأ بالعذاب الذي سيعانيه أبناء القرن العشرين. إن مصدر القرآن صوت أعظم من صوت محمد. إنه كلام الله صدقا وحقا. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله». وبادر إلى مقابلة رئيس الجالية الإسلامية في برلين وأشهر إسلامه.

منحت لنا، لماذا لا ننتهزها فرصة كيما نأخذ فيها حظنا من هذا الكتاب العظيم، و النـور المبـين؟، أنرحل عن دنيا المتاع والغرور، وقد لهونا فيها بالحطام من متاعها وركضنا خلف السراب من زائلها، ثم أدركتنا يد المنون على حين غفلة فعلمنا حين لا يجدي العلم، أن الذي أضعناه كان هو الغنم وأن الذي هجرناه كان هو الحق، وأن الذي تركناه كان هو النور وسواه الظلام وقبض الريح.

هذا كتـاب الله، فتـداركي يا نفس نصيبك من زاده قبل أن يفجأك داعي الـرحيل، فإذا النـاس قد تزودوا، ولم تتزود، ونالوا حظوظهم من الباقي، وحملت أثقالك من الفاني، يا نفس قد أزف الرحيل فتذكري المصير. وانني لأترحم في هذه الساعة التي أدون فيها هذه السطور على الشيخ (ابن الحواري) المتوفى سنة ٢٣٠هـ الـذي يروي عنه «أبو حيان التوحيدي»، في كتابه (البصائر والذخائر) هذه المقالة العظيمة، التي لو كتبت بماء الذهب لما غلا عليها لقيمتها وصدقها يقول رحمه الله (إني لأقرأ القرآن، فأنظر في آيه، فيحار عقلي فيها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا، وهم يتلون كلام الرحمن، أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحْلَو المناجاة به، لذهب عنهم النوم، فرحا بما رزقوا ووفقوا)!

فما أروع هذه المشاعر المؤمنة، وما أسمق هذا اليقين، وما أدق هذا الوصف! إنها الشهادة الحق في القول الفصل، وعلى كر القرون تبقى حواطر (ابن الحواري) رحمه الله، هي خواطرنا الجياشة تجاه كتاب ربنا العظيم، فاللهم كما أريتنا الصواب، وفقنا للعمل، ثم جازنا بالقبول.

« وكل شيء أحصينـاه كتابـا »

* قال تعالى ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد** ﴾ (آل عمران: ٣٠).

* وقال سبحانه ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

* وقال عز من قائل: ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ (الجاثية: ٢٩).

* وقال تعالى: ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ (ق: ١٨).
* وقال سبحانه: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ (الزلزلة).
* وقال عز وجل: ﴿ **وكل شيء أحصيناه كتابا** ﴾ (سورة النبأ).
* وقال مولانا: ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾ (الزخرف: ٨٠).

هكذا ينذرنا ربنا بيوم الحساب، يوم الجزاء، حيث توفى كل نفس ما عملت إنْ خيرا فخيرا وإنْ شراً فشرا، إن الحساب دقيق وإن المحاسب بصير خبير، يعلم سرائرنا وخفايا نفوسنا، حتى وزن الخردلة نحاسب عليه إن كان لنا أو علينا، ولو عملت مثقال ذرة من الخير أو الشر ستجده أمامك، ولن تستطيع أن تنفيه يوم القيامة لأن كل شيء سيشهد عليك حتى أعضاءك وجوارحك كلها تقرر الحق وتنطق بالواقع الذي سرت عليه في حياتك الدنيا، فلا تحقرن صغائر الذنوب، فقد نهينا عن ذلك: (إياكم ومحقرات الذنوب)، ولا تحقرن من المعروف شيئا، فالسلام على أخيك المسلم، والتبسم في وجهه، والتوسع له في المجلس... وكثير من ذلك فيه أجر كبير لك، حتى وإن بدا لك أنه قليل، لكنه عند الله كثير راجح، فازرع أيها المسلم تحصد يوم يوفى العاملون ما عملوا، تذكر أن كل عمل تعمله يسجل عليك، وتخرج لك يوم القيامة صحائف عملك، فلا تفقد منه شيئا، تذكر ذلك، فلئن تذكرنا إننا والله لفي رشاد وعلى بصيرة ـ بعون الله ـ.

« أمانة الوظيفة »

■ إن الوظيفة العامة أمانة طُوق بها الموظف، فعليه أن يراعي الله فيما استرعي إياه، وأن لا يتعصب للأرض ولا للنسب، بل يجعل الناس أمامه سواسية، فيقيم العدل فيما ولي إياه، ويؤدي الحقوق التي وكلت إليه، وليعلم أن الجاه زائل، والمناصب عارية، وأن الله سائله عن هذه المسؤولية التي امتحنه بها وافتتن حقيقته بواسطتها.

فأي نفع يجنيه الإنسان إذا خان الأمانة وانقاد إلى هواه، إنه لا محالة تارك هذا الأمر فيندم حينها على تفريطه، وعلى مرارة عاقبته التي أكسبته خزي الدنيا وعقوبة الآخرة، فانتبه أيها الموظف إلى مسؤوليتك الجسيمة، فأنت على ثغر من ثغور الواجب

العام، واس بين الناس بالعدل، امحضهم الود والنصيحة، أتقن العمل، لا تطيع صاحب الأهواء فيك فيحرفك عن الحق والسبيل القصد، اجعل الله نصب عينيك، وتذكر أنك مبعوث يوم القيامة، وأنك ملاقيه بعد هذا الكدح فسائلك وهو العليم، ومحاسبك وهو الخبير.

« موقف مع العـــــم »

■ يتحدث الكتاب الذين يخوضون في شؤون المجتمع، عن شجون الحماة وامرأة الأب، والضرة، لكن قليلا من يتحدث عن مواقف العم من أبناء أخيه ومواقفهم معه، و «عم الرجل صنو أبيه» كما جاء في الأثر، وهو يحتل مكان الأب في حال فقده أو غيابـه، فمنهم من يحمل الأمانة بشعور المؤمن فيؤدي الذي عليه، ومنهم الظالم لنفسه المتهاون بواجبه، هكذا على كر القرون تتوالى صورة العم، وذخائر الأدب تكتنز الكثير من قصص النوعين، ويسمع المرء دائما قصصا معاصرة تتماثل مع الكثير من قصص المـاضين، وولد الأخ كثيرا ما تقع مشاكله مع عمه حين يتقدم للزواج من ابنته، ثم لا يرتضيه العم، فيحدث العتب وانقطاع الرحم، والبيت السائر، يصف هذه المعاناة، على لسان ذلك الشاعر الذي يقول:

يكـلفـني عمـي ثمـانـين ناقـة ومـالي والـرحمـن غير ثمـان

وقيل لشاب، لماذا لا يكسوك عمك، فأجابهم: (عمي يراني !)

ولبعض الأعمام مواقف يسجلها التاريخ بفخر، وهي عند الله محفوظة لهم، فأعـرف رجـلا مات أخوه في حادث مروري، فآوى زوجته وأبناءه، وخصص لهم جناحا مستقلا من بيته، وأنفق عليهم، حتى شبوا وبلغوا مبلغ الرجال، وسعى في أمـورهم حتى تزوج من تزوج وتـوظف من توظف. وفي مجتمعنا المؤمن يظهر هذا التكـافل على أحسن صورة، خاصة عندما يموت الأخ، فيتزوج الذي دونه زوجة أخيه، ويكفل أولاده بعده فيصبحون مع أولاده من صلبه أخوة لا يتميزون.

وفي مقابل هذا الوجه المضيء، هناك وجه مظلم، ينسى فيه العم واجبه تجاه أبناء أخيه، فيأكل تراثهم، ويتنكر لحقوقهم، يحقرهم صغارا، ويحقد عليهم كبارا، وذلك شر الأعمام، وحين روى «أبو حيان التوحيدي» في كتابه «الذخائر والبصائر» بعض القصص عنهم، ختم ذلك بخاتمة جيدة، يحسن أن نسوقها لكم، يقول: (وقد رأينا أعماما قطعوا أرحاما فقطع الله أعمارهم، وأقفر ديارهم، وأورثهم خسارهم، وإنما

سقت هذا ناهيا عن قطيعة الرحم، وحاثا على حفظ القرابة، مذكرا عواقب القطيعة، ومحذرا من قبيح المقالة، وإلى الله نفزع في كل ما دق وجل، فهو المنتهى، وإليه الرجعى). وقد أحسن أبو حيان في توجيهه هذا، وهو أفضل ما نختم به هذا الكلام، أرشدنا الله إلى الصواب، وألهمنا الرشاد.

« الأسرة خلية المجتمع »

■ رأيت كثيرا من الأسر، نفذت مشاريع نافعة، هدفت من ورائها، تمتين علاقاتها، وتقوية أواصرها، في عصر تشعبت فيه الأسرة، وتباعدت أماكنها، وألهت الحياة أبناءها، فتطلب الأمر، مواجهة هذا الواقع، بهذه الوسائل، وهي:

١ ــ «شجرة نسب الأسرة» وهي ضرورة لكي يتعرف الأبناء على فروع الأسرة القريبة والبعيدة، وهي نافعة مادام الهدف منها صلة الرحم، ومعرفة القرابة، أما إذا كان المراد العصبية والفخر، فهي عمل منكر لا شك.

٢ ــ «صندوق الأسرة» وهي مساهمة مشتركة، يموله أفراد الأسرة، على قدر دخولهم، لعون الفقير والأرملة واليتيم، ولا شك أنه عمل مبرور وصالح، ودعامة لتكاتف الأسرة.

٣ ــ «عميد الأسرة» عادة، تختار الأسرة أكبر أفرادها لكي يتولى هذا الدور القيادي، وهو مطلب هام، فالأسرة التي ليس لها كبير ليس لها تدبير، فعلى عميدها تجتمع كلمتها، وينعقد مجلس شورها، وتفصل خصوماتها.

٤ ــ «الإجتماع الشهري» وهذه سُنة حسنة، إذْ يجتمع أفراد الأسرة في بيت عميدها أو في مكان تخصصه الأسرة لذلك، فيعرف قاصيها دانيها ويتعرف كبيرها على صغيرها، فيحصل المعروف والتعاون، ويتحقق التواصي على الحق، والتكافل على البر، إن مثل هذا الإجتماع مدعاة إلى الخير إن شاء الله.

هذه هي بعض الأفكار التي رأيت كثيرا من الأسر بدأت تترجمها إلى أحوال عملية، أدونها هنا، على أمل الإحتذاء بها ففيها الخير لمجتمعنا ــ إن شاء الله ــ.

« اعرف دخلك من خرجك ! »

■ عندما بغتتنا الطفرة المالية، رفعت في مدها أناسا لم ينالوا حظا من العلم والتجربة، فتعاملوا مع المال كما تعاملوا مع مألوفهم من قبل، فالثقة لا الوثائق،

والـذاكرة لا التدوين، والمغامرة لا التروي، ولما انقشع الغبار، ظهرت لهم حقائق الأشياء، فتبين لهم أنهم صرفوا وما حسبوا، فافتقروا وما دروا، نسوا قول القائل:

إن علم الحســاب علم رفيــع
فيــه نفــع إذْ تشــتري وتــبيــع
لم يضــع قط درهــم بحســاب
وألــوف بلا حســاب تضيــع

وحـين لم يعـرفوا خرجهم من دخلهم، ولا واردهم من صادرهم، ليس لهم ميزانية يعـرفونها، ولا قواعد اقتصادية يلتزمون بها، هنا سارت سفينتهم حين كان الهاطل غزيراً فلما أقلعت السماء، أمسكت سفينتهم باليابسة، فتبين لهم أن الإقتصاد علم يقوم على الضبط والربط، وعلى التأني لا المجازفة، وعلى حساب الخسارة قبل حساب الربح، وعلى الجدوى الإقتصادية، قبل الأهواء الشخصية، وعلى حاجات المجتمع قبل رغبات الأفراد، إن التوثيق والجرد ودراسة السوق، والميزانية الشهرية، وحفظ الوثائق، ودراسة الخطوة القادمة كلها بعد ــ توفيق الله ــ أسس سليمة لكي يبني الفرد تجارته، ويبحر بسفينته سالما بإذن الله. هذه تجربة ماضية ندونها لأجيال آتية لكي تتعظ بغيرها، فلا تكرر أخطاء السابقين، هذه هي النية، وعلى الله قصد السبيل.

« تصدقــوا بالبهجــة ! »

* باكرته في ضحى أحد أيام العيد مهنئا وداعيا له بالقبول، ولما تذاكرنا الطب والأطباء، قال لي، وهو ينظر في عيني: إن في عينيك اصفرارا، أنت لديك انخفاض في السكـر!، قال ذلـك، وهـو يدعوني إلى تناول الحلوى المعدة على المائدة، وإذا أحسنت الظن، قلت لنفسي، إنها دعوة لتحريضي على تناول حلواه!

* وامرأة مسنة شيعتها خارجة بعد أن أتمت زيارتها، قالت لي، وأنا أتلطف معها بإغـلاق باب السيارة التي ركبتهـا، وانتظر منها إحدى الكلمات الحنونة لعجائزنا: «يا بعدي» «يا خلف ابوي» «يا حلالي»، لكنني لم أسمع شيئا من هذه، بل قالت بعد نظرة سريعة: يا وليدي صحتك تنقص، أنت لست على ما يرام، إنك بحاجة إلى من يقرأ لك ــ تعريض عن إصابتي بالعين ــ !

* وحدثني من أثق بحديثه، أن شابا في عترة شبابه، دخل المستشفى لآلام في صدره، فشخص الطبيب داءه بإصابة في شرايين القلب، فلم يحتمل الشاب الخبر فانهارت معنويته، ونوم في غرفة الإنعاش، ثم نقل إلى مستشفى خارج البلدة، وهناك تم فحصه من جديد، فنفى الإخصائي إصابة شرايينه، وقال له: حالتك سببها الإرهاق، ودواؤها الراحة، ولا شيء غير ذلك! فما أن سمع الشاب هذه الكلمة حتى قام من سريره وخرج يتمشى مبتهجا سعيدا.

* إن الرصاصة إذا صوبت نحوك، قصاراها أو أسوأ ظروفها أن تخترقك، وقد لا تصيب مقتلا، لكن الكلمة السيئة لا تنفذ إنها إذا وجهت إليك سكنت في تلافيف مخك فتجذرت واستوطنت، والعرب كانت تسمي الملدوغ بالسليم تفاؤلا وتخفيفا ونحن أصبحنا نسأل القريب والزميل والصديق عن صحته وعن حاله، ثم إذا رأينا تعكرا في مزاجه، أو هبوطا في صحته، أهديناه عددا من الأمراض وبالسرعة التي لا يستطيعها الطبيب الحاذق. فالطبيب لا يذكر علتك حتى يجري لك الكثير من الأشعة والتحاليل أما نحن فما أسرع أن نقول لمن يشتكي من الصداع: أنت لديك ضغط، وللشاكي من حرارة المعدة: أنت مصاب بالقرحة، وللثالث: أعراضك أعراض الربو، وهكذا نرجف بمحدثنا فتنهار معنويته، ويتغلب عليه الوهم فيجري إلى المستشفى شاغلا نفسه ومزاحما المرضى الحقيقيين، فيعرض نفسه على الطبيب وهو يدرك خلوه من العله، لكنه يريد أن يسمع كلمة «سليم» من فم الطبيب! ولولا خشية الإطالة لتعرضنا للدوافع النفسية التي تجعل أولئك المرجفين يغزلون هذا الغزل! فيا أيها الأحبة تصدقوا بالبهجة، بالكلمة الطيبة، أدخلوا السرور على قلب المؤمن، لا تروعوه، واذكروا: «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»، إنا لا نطلب منكم أن تقولوا للملدوغ: يا سليم ولكن لا تقولوا للسليم: يا ملدوغ!

« المعـــروف »

■ كنت أجلس مع أحد الإخوة العرب المتعاقدين للتدريس، فدخل علينا مواطن يراجع في معاملته، فلما رأى الأخ المتعاقد، هش في وجه وبش، وسلم عليه بحرارة، فسألته: أتعرفه؟ فرد علي: «أعرفه بالوجه فقط. فقد أدخلت سيارتي قبل أيام إلى الورشة، ولما خرجت ماشيا، عرض علي أن يوصلني بسيارته إلى جهتي، فشكرته على معروفه ولم أنسه له، لقد كان نعم الرجل!».

هذه خدمة بسيطة قدمها هذا الرجل، ولم يخسر شيئا، لكنه كسب الأجر عند الله، وذلك هو الباقي. والمعروف: هو إحسان حث الله عليه عباده، ودعاهم رسوله إلى فعله، أما وجوهه فشتى، وأنواعه لا يحيط بها الحصر، إن كل شيء يدخل السرور على قلب أخيك المسلم فهو معروف. إنك حين ترشد التائه، وتتوسع في المجلس، وتلقي السلام، وتعين الضعيف، وتصنع للأخرق، وتقود الأعمى فأنت تفعل المعروف، الذي يجزيك الله عليه في الدنيا والآخرة. فالمعروف لا يضيع مطلقا، فكلنا سمع المثل الذي يقول (افعل المعروف وارمه في البحر) وهو قول شهدت عليه التجربة، وأدركه من مرت عليه السنون، وخبر الأمور والناس.

وليس شيء ألذ من المعروف، ولا أجمل من صنيعه، ولا أحلى من عاقبته:

(ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو، وأما وجهه فجميل)

وأيام الإنسان في الدنيا معدودة وسنينه موقوته، فعليه أن يتزود من الخيرات قبل أن يحاول فلا يستطيع، حين يأتيه الأجل فيقطع عليه الأمل:

(لعمرك ما الأيام إلا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود)

■ وفعل الخير، وصنيع المعروف، يجب أن توجه النية فيه لله وحده، فهو الذي يجزي الجزاء الأوفى، وهو الذي لا ينكر المعروف، بل يحفظه ويثمره، ثم يمنح أجره في يوم قال عنه **﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾**[(١)].

ولهذا وجب أن لا نتوقع من الناس الكثير، ولا أن نسألهم رد الجميل، بل علينا أن نصنع المعروف احتسابا لله، وطلبا لرضاه:

(افعل الخير إن جزاك الفتى عنه
وإلا فإن الله بالخير جازي)

إن قليل المعروف وان كان بسيطا لا يؤبه له، فهو وإن لم يشق عليك فعله، ولم تخسر عليه من مالك شيئا فهو عند أخيك كبير لا يقيسه بالمال ما دق منه وما جل[(٢)].

---

(١) سورة النمل: آية: ٨٩.

(٢) ما أصدق مقال رسول الله ﷺ: (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق)، لقد تذكرت هذا الحديث الشريف، حين قرأت في جريدة (أخبار العالم الإسلامي) عدد ١١٤٠ في ١٤١٠/٣/١٧هـ موضوعا عن المستشرق المسلم محمد أسد، جاء فيه ذكر واقعة جرت في حياة هذا الرجل قبل إعلان إسلامه، وكيف كان لها تأثير في دفعه للإسلام، رغم بساطتها: (حينما بدأ محمد أسد رحلته الأولى إلى الشرق في صيف عام ١٩٢٢م كان عليه بعد الوصول إلى ميناء الاسكندرية أن

* مرض أحد الزملاء، بمرض لم يعرف له أطباء بلدته علاجا فأخذ يستعلم عن أطباء آخرين، فذكرت له طبيبا ناجحا في علاج ذلك المرض، فلما أتيته بعنوانه، قال لي بصدق: إن هذا المعروف الذي صنعته لي، هو في نفسي أفضل من مائة ألف ريال تهبني إياها!!

* وقال لي أحد الإخوان: عطست مرة في المسجد، فمد شيخ مسن يجلس على يميني، يده، وسحب منديلا وسلمه لي، فدعوت له، وكانت بادرته هذه مفتاحا للصداقة والتعارف!

* وتأمل قصة نبي الله موسى عليه السلام، حين سقى لابنتي نبي الله شعيب، لقد كان معروفه البسيط هذا موضع تقدير إحدى البنتين، وفاتحه خير بعد ذلك على رسول الله موسى عليه السلام.

* وقال الصحابي/ كعب بن مالك رضى الله عنه، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وأحد الذين تاب الله عليهم لما صدقوا وتابوا، يذكر بعد نزول القرآن بتوبته أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ، فما قام له من الحلقة غير «طلحة» رضي الله عنه يقول: فما أنساها لطلحة! انظر إلى هذه اللفتة التي تنم عن التقدير، كيف ثمنها كعب بن مالك رضى الله عنه.

* وفي كتاب الطريق إلى القلوب لمؤلفه الأستاذ/ عباس حسن السيسي يروي صورا للمعروف، الذي يجتذب به الداعية قلوب الناس، فيؤثر فيهم، ويقودهم إلى الحق، من تلك القصص قصة اسلام (جارودي) يقول روجيه جارودي: إنه كان من مجموعة الجنود الفرنسيين الذين كانوا يحاربون المسلمين الجزائريين في ثورة الجزائر عام ١٩٦٠م، وقد تم القبض عليه بواسطة مجموعة من المجاهدين المسلمين وكلف قائد

= يستقل قطارا إلى فلسطين واتفق أن رافقه في القطار عربي بدوي من أهالي سيناء. وعندما توقف القطار لحظات في إحدى المحطات ابتاع البدوي كعكة ثم قطعها نصفين وقدم إلى محمد أسد أحدهما وهو يقول: «تفضل يا صديقي نحن رفيقا سفر وأرجو أن تتقبل مني هذه التحية المتواضعة».

يحدثنا محمد أسد في مذكراته عن أثر هذه الواقعة البسيطة في نفسه فيقول: «لقد تأثرت تأثرا بالغا من هذه المبادرة وما زالت ابتسامة البدوي اللطيفة وهو يقدم إلي الكعكة ماثلة في مخيلتي واعتقد أن اعجابي الكبير بالخلق العربي قد بدأ منذ هذه اللحظة، بيني وبين هذا البدوي حواجز ثقافية ولغوية ودينية ولونية. ولكنه تخطاها جميعا عندما قاسمني الخبز، لقد رأيت في هذا الموقف البسيط نفحة إنسانية خالية من التصنع والتكلف».

ثم استطرد محمد أسد وقال: «منذ هذه اللحظة شعرت برغبة قوية في فهم حياة المسلمين».

هذه المجموعـة أحد المجاهدين بأن يتولى اعدامي في الجبل، وحين انفردت بهذا المجاهد المسلم، سألني هل أنت معك سلاح؟ فقلت له: لا ليس معي سلاح. فقال هذا المجاهد: وكيف أقتل رجلا ليس معه سلاح. وأطلق سراحي!

قال جارودي: وبقيت هذه القصة تتفاعل في ضميري سنين كثيرة، أتذكرها دائما، حتى قمت بدراسة الإسلام، فأيقنت أن هذا المجاهد كان ينطلق في تصرفه معي من واقع العقيدة والأخلاق الإسلامية، فكان لهذا الحادث أثره البالغ في إسلامي (الذي هز العالم بأسره).

* وتنقل لنا جريدة أخبار اليوم المصرية في عددها الصادر يوم ١٩٨٨/٣/١٢م هذه القصة العجيبة التي تشهد على أن المعروف وإن كان بسيطا لا يضيع، وأنه لابد أن يثيب الله عليه في الدنيا أو في الآخرة، هذا الخبر جاء معنونا بالتالي:

(كوب من الشاي . . يعود بعد سنوات لينقذ اللواء حسني عبدالعظيم)

ونتركَكم مع الخبر: «مرت أيام وشهور، وأحيل اللواء حسني عبدالعظيم إلى المعاش، وهو أحد أبطال مكافحة المخدرات، وكان فرحا بأنه أدى رسالته، وانطلق مع زوجته المخلصة إلى قريته. . طالما كان يحلم بأن يزرع الأرض بيده. . لكن أعباء الوظيفة حالت دائما بينه وبين هذا الحلم. . أخيرا سيعود لزراعة الأرض. . في الستين!

لكن الفأس يسقط!

الذراع التي احتفظت بقوتها ترتعش. . الجسد يتهاوى. . يسقط. . فيحملونه إلى القاهرة بسرعة ليبدأ رحلة حزينة مع مرض خطير. لقد أصيب بفشل كلوي. . . والتهم العلاج وغسيل الكلى كل ما ادخره وتحويشة عمره فباع فدانا ونصف فدان. . واخيرا يوافق وزير الداخلية على طلبه بأن يسافر للعلاج في أمريكا على نفقة الدولة. . . حيث تخصصوا في زراعة كلى الموتى للأحياء. . والحي أبقى من الميت. . لكن! لكن الأمل يصاب بالخيبة عندما يتلقى الرجل المريض الوحيد رسالة من مستشار مجلس الوزراء يقول له فيها إن المستشار الطبي رأى أن علاجك بالخارج ستكون فائدته محدودة. . والحل المناسب والمقترح هو تدبير متبرع حي من الأسرة وعمل هذه الجراحة بمركز الكلى بالمنصورة. . وان لم يتوافر ذلك يمكن الإستمرار في الغسيل الكلوي!

من في الأسرة يتبرع له . . . وهو لم ينجب أولادا؟

يدق باب منزل اللواء حسن عبدالعظيم . . كبرياء الرجل تمنع دموعه وتقتلها قبل أن تولد . . . على الباب شاب غريب يقول له بلهجة مهذبة : اعذرني لحضوري بدون موعد . . لقد ذهبت إلى مكتبك فقالوا لي أنك احلت إلى المعاش وحكوا لي عن مرضك شفاك الله . . . يسأله اللواء عبدالعظيم : أهلا وسهلا . . من أنت؟ يقول الشاب : ربما تتذكرني، ذات يوم كنت أقود سيارتي في العتبة فاحتكت بسيارتك الواقفة أمام مبنى المكافحة وتجمع الجنود حولي يريدون الفتك بي . . لكنك من النافذة أمرتهم بأن يتركوني . . ودعوتني إلى الشاي . . عاملتني برفق أب واحترام أخ . . هكذا عرفتك وكانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة . ، اللواء حسني : وماذا تريد يا ولدي؟ الشاب : أريد أن اتبرع لك بالكلية المطلوبة! هكذا جاء الحل من عند الله لكن هل تؤكد التحاليل صلاحية كلية الشاب لزرعها للواء حسني، الله أعلم!».

* وبعد ، فهذا هو المعروف، وهذا هو وجهه الجميل، ومذاقه الحلو، إنه يبقى في الذاكرة ما بقي الشهيق والزفير، وانه عند الله في كتاب مسطور، يجده العبد، حين يلقى الله ، فتنشر له صحائفه، وتظهر له أعماله :

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

« الإستخـــلاف »

■ صدق الله القائل : **﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾** (يونس : ١٤) .

فتذكر أيها الإبن أنك خليفة والدك ، وانك ممتحن مثله وأن الله ينظر إلى عملك كما نظر إلى عمل أبيك، وأنت أيها الوارث اعلم أن الله استخلفك على هذا المال وسيبتليك به، وهو ناظر إلى عملك بصير بأحوالك، ويأيها الموظف كم هم الذين جلسوا على هذا الكرسي قبلك، ها أنت خلفتهم وحملت لقبهم واستلمت ختمهم، وأصبحت الآمر المطاع، تذكر أن الله هو الذي منحك هذه الخلافة، وأنه يبصرك ومطلع على أسرارك ومقاصدك، وأنه لا يخفى عليه من أمورك شيء، فأحسن الأداء واتقن الصنعة، فإن الناقد بصير، وإن المجاز عسير، ليتنا نستشعر هذه المراقبة الإلهية، فننبذ عنا الغفلة ونأخذ بالحزم والعزم فإنما هي أيام المغبون فيها من غرته الحياة الدنيا فنسي هذه الحقيقة وتاه يبحث عن السراب .

« الفــرار إلى اللــــه »

■ آية في كتـاب الله يحسن الوقوف عندها، وتدبرها حق التدبر، إنها قول الله تعالى: ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (الذاريات: ٥٠).

إن الله يدعونا في هذه الآية إلى أن نفر إليه، ولقد جرت القاعدة البشرية أن يفر الإنسان مما يخافه، لكنك مع الله شيء آخر، إنك تفر إليه إذا خفت منه ــ كما قال أحد الاتقياء ــ فما أسعد الفرار إليه، وما أحب الرغبة به، والإلتجاء بحصنه، ففر من غرور الدنيا وشهوات النفس وفتن الحياة، واقصد جناب هذا المولى العظيم، فر إليه بما تبقى من أملك وعزمك، وستجده كما عهدته يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، فر إلى مولاك خالقك العظيم كلما ادلهم الخطب، وضاقت المسالك، وحار الدليل إن الرب العظيم يدعوك إلى الفرار إليه، فاحزم أمرك وشمر للرحيل، واقصده فرارا بدينـك ونجـاة بإيمانك وسفرا إلى لقائه، انبذ هذه الغارة الملهية ولا يخدعنك السراب، فقد وضح الصواب، واستقامت لأولي الألباب المحجة، وقامت عليهم الحجة.

« الإستمســـاك »

■ في آيات كثيرة يدعونا الله سبحانه إلى أن نستمسك بالقرآن، وأن نأخذه بقوة لا ضعف فيها، والتزام لا هوادة معه، تأمل دعواته هذه، لجميع الأمم التي أنزل عليها كتبا ونحن من بينهم.

﴿ خذوا ماءآتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ (البقرة: ٦٣).

﴿ خذوا ماءآتيناكم بقوة واسمعو... الآية ﴾ (البقرة: ٩٣).

﴿ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها... الآية ﴾ (الأعراف: ١٤٥).

﴿ خذوا ماءآتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ (الأعراف: ١٧١).

﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة... الآية ﴾ (مريم: ١٢).

﴿ والـذين يمسكـون بالكتـاب وأقـامـوا الصـلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ (الأعراف: ١٧٠).

﴿ فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ﴾ (الزخرف: ٤٣).

إنها دعوة صادقة لتدبر هذه الأوامر الإلٰهية، إن منزل القرآن خالق الإنسان

يدعو عبيده إلى أن يأخذوا هذا التنزيل بقوة، وأن يستمسكوا به استمساكا لا لين فيه، إن التساهل في هذا الأمر هو الذي أضاع المسلمين وأضعفهم، وهم يوم يعودون بقوة إلى هذا الكتاب، ستعود لهم بإذن الله عزتهم ونهضتهم.

« التزكيـــة »

■ في آيات كثيرة يحثنا خالقنا على أن نزكي أنفسنا أن نطهرها ونصلحها ونقيمها على الطريق السوي، أن نأخذ بخطامها إلى طريق الرشاد والنجاة فلنذكر أقواله:

﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ (الشمس: ٩).

﴿ **ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير** ﴾ (فاطر: ١٨).

فانظر في معاملتك هل هي على مراد الله، وانظر إلى لسانك هل استقام على الحق، حاسب نفسك قبل المحاسبة، وزك نفسك مادام في الأمر فسحة وفي العمر بقية، قبل أن يختم على فمك، ثم لا تملك إرادتك ولا حريتك، طهر نفسك من الحقد والغش وقول الباطل وأكل الحرام، واقدم على مولاك بقلب سليم خالص لوجهه، فذلك مراده، وهو نجاتك.

« الإعـــراض »

■ هذا كتاب الله، أنزله علينا، وطلب منا تلاوته وتدبره، والعمل به، هذا وحي الله الذي إن استمسكنا به فزنا في الدنيا والآخرة، وإذا هجرناه وأعرضنا عنه خسرنا الدارين، لقد نبهنا الله في كتابه عن مهالك الإعراض عن منهجه الذي ارتضاه لنا، فقال في ذلك: ﴿ **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا** ﴾ (طه: ١٠٠)، ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا** ﴾ (طه: ١٢٤). ﴿ **ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا** ﴾ (الجن: ١٧)، ﴿ **يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا** ﴾ (الفرقان: ٣٠). ﴿ **مستكبرين به سامرا تهجرون** ﴾ (المؤمنون: ٦٧)، ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** ﴾ (الزخرف: ٣٦)، ﴿ **قل هو نبؤ عظيم أنتم عنه معرضون** ﴾ (ص: ٦٧، ٦٨).

أفبعد هذا يصبح من الصواب، أن ننشغل عن هذا الوحي بالزائل من حطام الدنيا، وبالمتاع الفاني من غرورها، ليتنا نصدق مع الله فنأخذ هذا الكتاب بقوة لا

وهن فيها، وبيقين لا شك فيه، وبصدق لا كذب معه، يومها سنكون الفائزين في الـدنيا الآمنين يوم القيامة، فاللهم هيء لأمة الإسلام أسباب ذلك، وافتح عليها فواتح الخير.

« الآمنـــون »

■ ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ (النمل: ٨٩).

قف أمام هذه الآية، ثم در حولها، وثور معناها، لحظتها ستظهر في مخيلتك عشرات الصـور، فتبسمـك في وجـه أخيك، وافساحك له في المجلس، ومبادرته بالسـلام، واماطة الأذى عن الطريق، وقول المعروف، وإصلاح ذات البين وكف الأذى، وكثير من العبادات والمعاملات والقيم الرفيعة التي حث عليها الإسلام، هذه هي الحسنات، وهي شرط الأمن من الفزع حين ترهق الناس أثقالهم من الذنوب، تأتي أنت يا فاعل الحسنات بحسناتك، فيجزيك الله خيرا منها، ويؤمنك من الخوف والعـذاب، فتـذكـر أيها المؤمن وعد الله هذا، ثم تزود بأعمال البر والخير، اكسب الحسنات، حتى تضمن الأمن حين يخاف الناس، هذا وعده، وهو إذا وعد لا يخلف الميعاد.

« حـروف الشـوك »

■ إن أنفع شيء يمحضه أب لولده، هو أن ينصحه ويبصره الطريق الذي ساره، فالخبرة والتجربة التي اكتسبها الأب، هي ثمرة عمر، ونتاج حياة، فإذا بلّغها بصدق إلى ابنه أراحه من عناء الطريق، وسهل عليه مصاعب الحياة، وعلى الإبن أن يعي النصيحة، وأن يستمسك بها بقوة، وأن يتذكرها عند مفترق الطريق، وعند تشابه الأمور، وحين يتخذ القرار. ومما لفت نظري من نصائح الآباء للأبناء، قول أحدهم يوصي ابنه: « يابني احذر حروف الشوك»! فاستفهمه الولد عنها، فرد ش، و، ك، وهي الحروف الأولى لهذه الكلمات الثلاث: «شركة، وكالة، كفالة»!

هذه هي النصيحـة التحـذيرية التي أهـداها هذا الوالد لإبنه، وهي وصية صادقـة، لأن هذه الأمور الثلاثة هي أحمال ثقيلة إذا أنيطت واحدة منها بالإنسان صعب عليه النهوض بها إلا من أعانه الله فدخل بصدق وخرج بصدق وراقب الله فيما يأتي ويذر، فالشركاء لا ينصفون في الغالب، إلا تلك القلة التي جعلت الأمر شورى

بينها، وكثير من الشركات انفضت عن نزاع وافلاس، لانعدام الإنصاف والتعاون، ولصعوبة اتخاذ القرار السليم. والوكالة على أمر من الأمور أو شخص من الناس، أيضا طريق شائك لمن حمل الأمانة وأدى الواجب، فما بالك بمن ضيعها وتقاعس، وكذلك الكفالة، فالكافل ضامن، ومتحمل للمسؤولية، وعليه تبعات صاحبه، ولهذا فانها مسؤولية كبيرة.

هذه هي حروف الشوك التي حذر هذا الوالد ابنه منها، فعلى العاقل أن يتجنب المحذور، ولكن إذا نزل القدر لم ينفعه الحذر. فحين تضطره الأمور إلى واحدة من هذه الأحمال فعليه أن يستعين بالله ويؤدي هذا التكليف على الوجه الذي يرضى ربه وسيقدر الله له العون ويسهل عليه الخلاص. والله المستعان على كل حال.

« حصيد الألسن »

■ إذا نظرت في الحصيد السيء للقيل والقال، ذكرت توجيها نبويا لرسول الله ﷺ يقول فيه: «. . . إن الله يكره لكم قيل وقال. . . الحديث».

ومولانا العظيم، لا يكره لنا إلا ما يحيق بنا السوء، فتدبر النتائج الوخيمة التي تنجم عن الغيبة والنميمة والسخرية واللغو والمدح الكاذب والذم الساقط، ستجد أن محصلة ذلك أو بعضه هو أكثر ما يوغر القلوب، ويطوي الصدور على الضغن فيباعد بين الأقارب، ويحدث القطيعة بين الأصحاب، والفرقة بين الزملاء فلماذا تنطلق ألسنتنا بالسوء عن قريب أو زميل وبمحضر من الناس، أنظن أن هذا القول لن يبلغه؟ أننسى أن بعض ممن يستمعون القول قد ينقلونه مزيدا محرفا؟ فيكون سببا للهجران والخصام، إن الواجب يقتضي أن نناصح المخطيء ونرشد الضائع ونوجه الضال، في وقت ننفرد بالمعني وحده، فذلك أصدق للنصيحة وأجدر لقبولها، أما التفكه بعيوب الناس فذلك خلق من لا خلاق له، ولا يعتاده إلا من سفه نفسه وأسخط ربه، فيأيها الأقارب، يأيها الزملاء، يا معشر الأصحاب أذكروا المناقب وتجنبوا المعايب، قولوا التي هي أحسن ترضون الرحمن وتعصون الشيطان.

« نوافذنا على الحياة »

■ هذه الحواس الخمس التي منحها الله لنا، تشبه النوافذ المشرعة فعبرها نتصل بالحياة والأحياء، إنها قنوات الإتصال التي تنمي معارفنا، وتؤكد وجودنا تأثيرا وتأثرا،

جرب أن تسد أذنيك فلا تسمع وأن تغلق عينيك فلا تبصر وأنفك فلا تشم، أو أن لا تتذوق ولا تلمس، عطل هذه الحواس كلها أو بعضها، أو حتى واحدة منها ستجد أنك تحولت إلى كتلة من جماد لا صلة لها بالأحياء مطلقا. كم هي نعم الله علينا جليلة، ونحن نبصر هذا الكون الجميل وهذه المخلوقات المتنوعة، بل ونحن نسترجع في الذاكرة صورا قديمة مسجلة في المخ رأيناها وعشناها قبل عشرات السنين، إن معارفنا تنمو يوميا ــ بفضل الله ــ الذي وهبنا هذه الحاسة المبصرة التي تجمع آلاف الصور فتنقلها إلى المخ فتتراكم المعارف وتنمو البصيرة ثم بواسطة هذه الأذن التي تلتقط الهمس، وتتأثر بحفيف الهواء وقل مثل ذلك عن كل حاسة من الحواس الخمس في دقة عملها وتنوع وظائفها وفي قدرتها على التمييز والتنويع، وفي تعاملها مع خارطة المخ، وفي توظيف خبرات الماضي للحاضر والمستقبل، إنها نعم تستوجب الشكر للمنعم الذي منحها لنا مع كثير من النعم التي لو حاولنا عدها ما استطعنا احصاء ولا حصرا فشكرا لك أيها المولى العظيم.

« رأيي ورأيك »

■ أن تقول رأيك هذا حقك، لكن أن تصادر رأيي، لماذا؟! هب الصواب معك، أليس خطأي سيحسب علي، ثم أليس الصواب والخطأ أمرين نسبيين إن رأيك مهما استحسنه الآخرون ففيه نسبة من الخطأ، ورأيي مهما استهجنه السامعون ففيه مقدار من الصواب، أسمعني وجهة نظرك وسأمنحك اصغائي لتقول رأيك، إذن فنحن متفقان على مبدأ أن يقول كلانا بمقدار متعادل من المساحة والفسحة، لكن أي شيء هذا الذي لا يرضاه أحدنا للآخر، إنه أن ينسى الموضوعية والتوثيق ويفتقد الإقناع فتأتي مجادلته موسومة بالهوى وحظوظ النفس، فتضيع حقوق القضية المختلف عليها، ويتحول المتناقشان إلى ما يشبه كبشين ينتطحان دون معنى، إلا أن يكسر أحدهما قرن الآخر.

« الراكضـون خلف السـراب »

« سـراب المــال »

■ ما أشد فتنة المال، وما أكثر حب الإنسان له، فمنذ أن يميز وهو في لهاث عن البحث عنه، يجمعه من كل مصدر، ويسعى إليه في كل مكان، ثم هو لا يأكل ما جمع، بل يمضي ويداه خاويتان منه، والباحث عن المال كالسائر وراء السراب، لا ينقطع عنه موقع حتى يلمع له آخر في موقع أبعد، ثم يلهيه التكاثر حتى ينسى أشياء قيِّمة في نفسه، وحتى يفقد معناه ورسالته في الحياة، وربما خاض فيه بغير الحق، فأفسد عليه دينه ودنياه، وإذا كنا مستخلفين على هذا المال، وسنورثه من بعدنا، فإن الواجب يقتضي أن نأخذ هذا المال من حله، وننفقه في مصادره الشرعية، ونجعله وسيلة إلى كل خير ومعـروف، وليس غاية بحـد ذاته، وعلينا أن لا نحبه كل هذا الحب، فينسينا فضائلنا، ويفتننا عن حقيقتنا، إنه السراب، هل يغنيك السراب عن الماء الحقيقي؟!

« سـراب الجــاه »

■ كثيرون يجرون خلف الجاه، يحبون أن يحمدوا من الناس على أفعالهم. وأن يأخذوا الصدارة، ويرجع إليهم الجميع في الرأي والمشورة، وهم في دأبهم هذا يطأون على كل المباديء والقيم الصحيحة ينفقون المال، ويتألفون الأعوان، ويتأنقون في كل شيء فكلام الناس عنهم هو الأهم، وتقدير الخلق لهم هو الميزان، وبعد سعيهم هذا قد ينالون ما يريدون فإذا الجاه قبض ريح، وإذا هو مسؤولية وعنت، ومشقة وكلفة، وإذا الذام أكثر من المادح، والساخط أكثر من الراضـي، وفي الأخير يتبين لهم أنهم ركضوا خلف السراب!.

« سـراب المنصـب »

■ «المنـاصب» تغـري الإنسان، وتستثير كوامن نفسه الطموحة، ولواعج قلبه الهيمان، ولأنه خارج المسؤولية التي يسمونها المنصب، فهو يرى هذه الرتبة سلم المجد وقمة الطموح، والموقع الأفضل في الحياة، فيجري جهده خلف هذا السراب اللامع يريد أن يشرب زلاله، فإذا قدر له أن يحتل هذا المنصب المأمول، وتمضي عليه الأيام،

حينها تتكشف له الأمور، فتتبين له جسامة الأمانة، وثقل المسؤولية، وتبعات العمل، فإذا المنصب يأخذ من وقته وصحته الشيء الكثير، ولأنه جاءه غير محتسب الأجر والثواب، فقد أحس أن أمانيه في هذا المنصب سراب يتلوه سراب.

« سـراب المـرأة »

■ كثيرون تشقيهم المرأة، تؤرق ليلهم، وتضني أجسامهم، فهم في تعب وراء هذا المخلوق العجيب، والصالح من هؤلاء من لا تقنعه الزوجة الواحدة ولا الإثنتان، ولا حتى ما سنه الله له، فهو يتزوج ويطلق، ولأنه يسير خلف السراب فهو لن يجد هذه المرأة الخيالية التي في ذهنه، ولهذا قال أحد هؤلاء المفتونين من فلاسفة الغرب: (ليت للنساء فما واحدا إذا لقبلته واسترحت) ويقول ابن المقفع (لو أنك تزوجت كل نساء الدنيا إلا واحدة، لظننت أن في هذه الواحدة ما ليس في غيرها) ولهذا فليخفف المرء من غلوائه، فالعشق والهوى والهيام هو جري خلف السراب، لأن محصلة ذلك في النهاية السراب ولا غير السراب!

« سـراب المجالـس »

■ وهذا سراب آخر، إنه حديث المجالس، وما فيها من لغو وغيبة وثرثرة، لا شيء قيّم تحصده بعد جلسة من الجلسات، وكثيرون يغرمون بالحديث فيقْفون وراء ما لا يعلمون، ويُفتون فيما يجهلون، يذمون ويمدحون، وفي النهاية يجدون الحصيد قبض ريح وجري خلف السراب، واسمع نصيحة هذا الشاعر العامي المجرب:

اعـرف ترى كثـرة اهـروج المـجـالي
مثـل السراب الـلي على الـروض ضبـاح
يجذبـك من بعـد تحسبـه ازلالي
وهـو الهـلك لو لاح ما به لك اربـاح

« سـراب الطعـام والشـراب »

■ إن الطعام والشراب، وسيلتنا للبقاء، هكذا أراده الله لنا، فلم نجعله غايتنا في الحياة، إن متع الطعام والشراب إذا أطلق لها العنان لا تقف عند حد، وإذا شغلنا بهذه الشهوة ألهتنا عن واقعنا كثيرا، وأنستنا واجبات الحياة الأخرى، والإسراف في

الطعام والشراب ضار وهادم للصحة، ولهذا وجب الإعتدال، فالسراب ينهك السائر وراءه.

« سـراب الشهـرة »

■ حقا إن الإنسان الباحث عن الشهرة، مثل (دودة القز) تنسج الخيوط الحريرية حول نفسها حتى إذا أحكمت اللف قتلت نفسها، إن الشهرة بريق خادع، وسراب جاذب، حتى إذا جاهد الإنسان من أجلها، أمسى معذبا بها، فهي خواء لا معنى له، لأنها لا تأتي بالسعادة ولا بالرضى، وأسأل إن شئت كثيرا من المشهورين يقولون لك: إنها السراب فلا تهلك نفسك خلفها.

« سـراب الصحف والمجـلات »

■ لم أر شيئا أضيع للوقت، وأهدر للجهد والمال، من هذه الصحف والمجلات الهزيلة ــ استثني الرصينة الملتزمة منها ــ فهي لا تعطيك الغذاء الجيد، ولا المعرفة الحقيقية، بل تدغدغ مشاعرك، وتقف بك على الساحل، فأنت معها كالذي يتغذى على «الفيشار» يجد نفسه بعد سنين طويلة أنه لم يعد بشيء، إن الألوان الربيعية، والعنـاوين الخـادعة المثيرة، والتسالي والفكاهات كلها وسائل جذب لهذا القاريء المسكين الذي يخدعه البريق كما يغره بريق السراب، والنتيجة بعد ذلك إنفاق المال والعمر في قيل وقال، ولا يدرك المخدوع هذا إلا بعد أن تظهر له النتائج فيندم على تلك الفرص التي أضاعها وهو يجري خلف السراب.

* قرأت في مجلة الفيصل ع ٧٨ قصيدة جيدة للشاعر: سعيد فياض، بعنوان (من وحي الواقع)، منها هذه الأبيات، بدون مراعاة الترتيب:

كلنـا هائمـون خلف المتـاهـات	وكـل عن الـعـظات عمـي
نترامـى بشـقـلنـا إثـر غنـم	يتـبـارى في الـوثـب قرم وعـي
ذاك لا يرتـوي وهـذا معـاق	وعـبـور المـتـاه حلم قصي
كلنـا لاهـث وراء أمـانـيـه	ونـيـل المـنـى عسـير عصي
ليس فيـنـا مخلدا غير فعـل	عنـه يرضى البـاري القـدير العلي
وحـده خالـق السـموات والأرض	مقـيـم على المـدى سرمـدي

أما الشاعر: محمد حسن فقي: فيقول:

دعـوني ومـا ألقى من الـدهـر راضيا به زاهـدا فيـما يتـعـتـعـكم سكـرا
فما أنـا بالـراجي الـذي ترتجـونـه بلى. فلقـد وفيت من تركـه النـذرا
أرى فيـه برقـا خلبـا يستـفـزكم ويمضي ومـا يهمي على أرضكم قطرا
وفي بعض هذا الـزهـد للمـرء رفعـة تضـائـل في عينيـه قيصر أو كسرى

« التعهـــد الأخيـــر »

■ منـــذ أن وعيت القـراءة، وأمكنني اقتنـاء الكتب، وأنـا حريص على شراء المصنفات التي تتحدث عن الصمت وحفظ اللسان، والحلم وضبط النفس. وإذا سمعت أو قرأت مأثورا، عن هذه المواضيع بادرت بحفظه أو كتابته. وبعد التجارب والنفقة الطويلة من العمر، أمسيت أرجح الخلق على التخلق، إذْ تمر بي مواقف يزل فيها لساني أو تنفلت فيها نفسي، فأتساءل بحسرة: أين هذا الموروث الذي أختزنه في ذاكرتي وأملأ به مكتبتي؟! هل المشكلة في النفس أم هي في صعوبة المواقف؟ ما فائدة كل ما نتعلمه إذا كنا لا نعيشه سلوكا عند الحاجة إليه؟ وإذا كان العلم لا يقيم مقاولنا على الحق، ولا يضبـطها على الصراط، فما معنى الإستزادة منه؟!، لم نهرف بما لا نعرف، ونثرثر بما لا حاجة إليه، ونفسد بألسنتنا أكثر مما نصلح؟ وهذه النفس كم تجمح فيفلت زمامها من أيدينا، وتهب رياح الغضب عليها فتطفيء سراج الضوء الـذي نحمله، فتضيع ونضيع وراءها! ليتني أحمل لساني على الحق، فأخفف عنه بعض أثقاله من الكلام، وأمحص حاصله مما يضر، ومما لا ينفع، ومن اللغو، حينها سأجد أن ربع الحصاد المعتاد كاف، وهو الكلام الذي يرجى خيره ويؤمن شره، يومها لن يسجل الكتبة الحافظون إلا خيرا، وسيرتاح بدني، ويتبارك وقتي، ويعمر ما بيني وبين الناس.

وهذه النفس هل يأتي علي يوم، فأجدني أملكها عند الغضب، وأقعد بها عند الإنفعال، فلا تقودني إلى فعل لا أرتضيه، ولا إلى كلام أندم عليه؟! أتراني سألتزم بهذا التعهد، أم يتحول فقط إلى مجرد وريقة تنظم إلى محفوظاتي في هذا المجال؟ هذا هو التساؤل، وليس عندي ما أقطع به سوى أن هذا هو التعهد الأخير.

« العقـــل والغربـــة »

■ ما أعظم نعمة العقل، فهو أعظم ميزة ميز الله بها الإنسان، إذْ على نوره يستبين رشده، ويضع خطاه، ويتخذ قراراته، والعقل مزيج من الفطرة الموهوبة والتجارب

المخزونة، والمأثورات المحفوظة، فعلى هذه القواعد الثلاث ينضج الرأي، ويصح القـرار وينجـح التوجه، والإنسان في غربته أحوج ما يكون إلى عقله، لأن الغربة كربة، والصديق قليل، والوسائل ضعيفة، فالمعول هنا على تأييد الله ثم على هذا القبس الروحي الذي منحنا إياه الخالق، على هذا (العقل) الذي إذا صح هدى إلى الرشاد، وإذا مرض قاد إلى الإنحدار، لقد أدرك الشعراء هذه الحقيقة، فصدحوا بها في أبياتهم التالية:

ـ ١ ـ

لعـمـرك مافي الأرض ضيـق على امـرىء
سرى راغـبـا أو راهـبـا وهـو يعـقـل

ـ ٢ ـ

إذا كنـت ذا عقـل فلا تخشـى غربـة
فما عاقـل في بلدة بغـريـب

ـ ٣ ـ

يعـيش الـفتـى في الـنـاس بالـعـقـل إنـه
على الـعـقـل يجري علمـه وتجـاربـه
إذا أكـمـل الـرحـمـن للمـرء عقـله
فقـد كمـلت أخـلاقـه ومـآربـه

« الهـوى والسقـوط »

■ من فتح أُذنا واعية للأخبار، سمع يوميا أنباء شخصيات في الشرق أو الغرب زلت بها القـدم، فسقطت إلى القاع بعد أن كانت في القمة، فتشوهت شخصيتها بعد اللمعان، وذكرت بالسوء بعد أن كانت تعد من الأخيار، وإذا بحثت العلة وفتشت عن الأسباب، وجدت أنهم أطاعوا الهوى، وعصوا العقل فهذا عشق غانية فأذلته وفضحته، وهذا قاده الطمع إلى الرشوة فبانت سريرته وانكشفت قصته، وحين تطرق سمعك مثل هذه الأخبار، تتذكر بيتا «للحريري» صاحب المقامات، ينعي فيه أمثال هذه الشخصيات:

(وعـاص الهـوى المـردي فكـم من محلق
إلى الـنـجـم لما أن أطـاع الهـوى هوى)

« قـرارات السائـــق »

■ إذا كان مدير عام الإدارة المسؤول يتخذ في اليوم بضع قرارات يوجه بها دفة إدارته، فإن قائد السيارة في الشارع العام يصدر في كل ثانية قرارا، لكي يقود مركبته بأمان، ويتفادى السيارات الأخرى والمشاة، وجوانب الطريق، وإذا كانت قرارات المدير غالبها إنذار أو حسم أو توظيف أو ترقية، فإن قرارات السائق، قرارات مصيرية هامة يترتب على خطئها دمار وموت! هذه حقيقة لا تقبل مجالا للشك.

إن قائد السيارة في نهر الشارع المتدفق، وهو يجتاز التقاطعات، ويدور على الدوارات، وينعطف مع المنعطفات، يتخذ قراراته تأسيسا على أناته وعقله وخبرته ومهارته، وقبل ذلك حفظ الله له وتأييده، وهو مطالب ببرهة زمنية قصيرة لاستصدار القرار المناسب في الوقت المناسب، ولذا فإن إحساس السائق بهذه المسؤولية الإدارية، يجعله أكثر انضباطا وتعقلا، لأن قراراته الخاطئة أضر على المجتمع من القرارات غير السليمة التي ينفذها مدير عام الإدارة في أي جهة مسؤولة.

« لمـــاذا الإعـــتزال ! »

■ بعد سن متقدمة تجد بعض الناس يؤثر العزلة على الإختلاط، والوحدة على الإجتماع، فينقطع عن أسواق الناس واجتماعاتهم وتقل مشاركته في مناسباتهم ولكل منعزل تبريره وعلله، فبعضهم يرد ذلك إلى الشيخوخة، والآخر ينسبه إلى التفرغ لهواياته وتخصصه، لكن أين الحقيقة في ذلك؟ هل ينعزل الإنسان لأن الحياة مرت عليه بحلوها ومرها فخبرها عن يقين، وعرفها عن بصيرة، فزهد عن مغرياتها وتجافى عن غرورها، وأصبح لا يثيره شيء، ولا يحرك فضوله جديد فآثر الإنفراد على الإجتماع، لأنه مع نفسه آنس وأقرب؟

تعـالـوا نقـرأ مشاعر بعض الشخصيات التي فلسفت الإعتزال وأعطت رأيا صريحا فيه، فلعل من خلال أقوالهم، نصل إلى تكريس بعض الحقائق.

يروي أبـو حيان التوحيدي، في كتابه (البصائر والذخائر) هذه الذخيرة من ذخائر الأدب، فيقول: (كان عروة بن الزبير قضى شطر عمره بالمدينة، ثم هاجه رأي في سكنى العقيق فتجهز إليه، واتخذ به قصرا، فقيل له: لم تركت الناس وحديثهم ومناقلتهم، قال: لأني رأيت الناس قلوبهم لاهية، ومجالسهم لاغية، فخففت عليهم

الداهية، فتنحيت عنهم ناحية، وصرت منهم في عافية) انتهى.

ولأبي حيان التوحيدي، موقف صريح معلن عن اعتزال الناس، بثه في كتبه، اسمعه يجيش بمعاناته هذه قائلا «لقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ غريب النحلة غريب الخلق، مستأنسا بالوحشة قانعا بالوحدة، معتادا للصمت ملازما للحيرة، متحملا للأذى، يائسا من جميع من أرى»!

وعندما سئل الإمام أبو حامد الغزالي، عن دواعي عزلته، قال: (ظهر عندي أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا، والتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله عز وجل، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال، وقطع الآمال، والهرب من الشواغل والعلائق، ومن مخالطة الخلائق). هذه هي فلسفة الغزالي في إحدى مراحل عمره، وقد نقلها لنا الدكتور/ جلال شوقي في بحثه المنشور تحت عنوان (مع الغزالي في عزلته).

وفي العقود الأخيرة، اعتزل الكاتب/ ميخائيل نعيمة، الناس وغاد إلى جبل صنين في لبنان، فآوى إلى مغارة هناك، اتخذها مكانا يأوي إليه، فينفرد إلى نفسه، ويعيش مع تأملاته، وقد تحدث كثيرا عن عزلته هذه في ذكرياته المطبوعة (سبعون)، إذْ يقول في الجزء الأول منها: (كلما ازداد اختلاطي بالعالم، ازداد كرهي له، سيأتي يوم أقطع فيه صلاتي بالعالم وأعود إلى قوقعتي).

وإذا رجعنا إلى المقابلة التي أجراها ملحق جريدة المدينة (الأربعاء) الصادر يوم ١٤٠٩/٣/٣٠هـ، مع الشاعر السعودي المعروف: محمد حسن فقي، وجدناه يجيب على سؤال (ماذا تعلمت من الحياة؟) بقوله: (تعلمت من الحياة الكثير، صهرتني تجاربها، فآثرت من بعد دروسها الإعتزال بقدر ما استطيع، وعندي صفوة من الرفاق الكرام اعتز بصداقتهم وأوثر مخالطتهم لأنهم لا يجازونني إلا بالفضل والصفح عن مآخذي، هم كل ما بقي لي من الحياة بعد الذين اعتز بهم من الأهل والولد) انتهى.

« سخريتهم لا تؤذينا فقد نبأنا الله عن أخبارهم ! »

■ يتأذى بعض المسلمين مما يشاهدونه ويسمعونه ويقرأونه في كثير من وسائل الإعلام الغربي والشرقي من همز ولمز وسخرية بالمسلمين والإسلام، ولا شك أن تركيز هذه الأبواق على العرب المسلمين خاصة، مبعثه أن نبي هذه الرسالة عربي، والقرآن

عربي، وقبلة المسلمين في وطن العرب، وتراث هذا الدين تحتويه المكتبة العربية، وأن العرب المسلمين ما فتئوا عبر أجيالهم المتعاقبة يحملون هم تبليغ هذه الدعوة العالمية شرقا وغربا، أفعجب ونحن كل ذلك أن نكون أغراضا مستديمة لسهام هذا الإعلام؟!

والحمد لله أن هيأ للمسلمين رجالا غيورين هبوا للذود عن كرامة امتهم فأمسى لدينا وسائل اعلامية مسلمة واسعة الإنتشار بلغتنا ولغة القوم، تقول كلمة الحق وتدحض كلمة الباطل، وأود أن أهمس في آذان إخوتي المسلمين: بأن سخرية غيرنا منا أمر نبأنا ربنا عن تحقق وقوعه في كتابه الكريم، فعلينا أن نصلح من نفوسنا بالإستقامة الصحيحة على هذا الدين القيم، وأن نوطن أنفسنا بالصبر على مكاره الأذى والسخرية، لأن عاقبة ذلك حميدة إن شاء الله، ولكي تطمئن قلوبنا بذكر الله تعالى، اقرأوا معي هذه الآيات الكريمات: يقول الله سبحانه وتعالى في مخاطبة لأهل النار: **﴿ إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين، فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون، إني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون ﴾**(١).

ويذكر الله لنا تخاصم أهل النار في النار فيقول: **﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار، اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار، إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾**(٢).

ويقول الله تعالى: **﴿ واتبعوا احسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون، أن تقول نفس يا حسرتى على مافرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ﴾**(٣).

ويقول الله تعالى: **﴿ إن الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾**(٤).

هذا واسأل الله لي ولكم القبول وحسن الختام.

---

(١) سورة المؤمنون: آية: ١٠٩، ١١٠.
(٢) سورة ص: آية: ٦٢، ٦٣، ٦٤.
(٣) سورة الزمر: آية: ٥٥، ٥٦.
(٤) سورة المطففين: آية: ٢٩، ٣٠.

« أمة كلما غفت أيقظها القرآن »

■ على الصهيونيين ومن يظاهرهم، أن يعلموا أن أمة يتلى فيها كتاب الله صباحا ومساء، وهو يدعوها إلى الجهاد والإستشهاد؛ أمة لا تنقرض ولا تستسلم أبدا، أمة كلما استجابت لنداء ﴿ إقرأ ﴾ أول كلمة خاطبها بها ﴿ الله ﴾ كلما وعت كتاب ربها إليها، ثم استشعرت خيريتها ورسالتها في الأرض، ونفضت غبار السكون والجهل، وتحركت في أجيالها حمية الإيمان ونداء ﴿ الله أكبر ﴾.

ألا فلتعلم الصهيونية الحاقدة، أننا أمة جهاد ومرابطة، ولا تغرنها أربعون سنة سيطرت فيها على فلسطين وعشرون سنة احتلت فيها بيت المقدس، فما أقل ذلك في حقب التاريخ وسنن الإبتلاء، فلقد احتل الصيليبيون قبلهم بيت المقدس أكثر من مائة سنة على فترتين، في عصر لم يكن فيه للصليبيين أي تميز عسكري على المسلمين، بل هو سيف ورمح، واليوم يتفوق الصهيونيون علينا بأحدث ما صنعه الإنسان من تقنية الآلة الحربية، ويستقدمون المال والرجال من الشرق والغرب، ولكن ما عساه أن يصنع لهم كل ذلك، فأمتنا قد استشعرت التفوق الحضاري لعدوها، وهي اليوم تحقق في كل لحظة تقدما على شتى أصعدة النمو، إن الصانع في مصنعه، والمعلم في فصله، والباحث في معمله، والمزارع في حقله، والطالب في درسه، كلهم في جهاد، لأنهم يمهدون لأمتهم غدا أفضل ــ بمشيئة الله ــ تحقق فيه قوتها وتؤكد به تفوقها.

إن كلمة «الجهاد» ترددت في كتاب الله إحدى وأربعين مرة، وهي تعلن لكل جيل يقرؤها حقيقة وجوده وهدف رسالته وعظمة المهمة المنوطة به، ومتى جاء الجيل الذي يتلقاها بإيمان صادق ويقين واثق، فويل لشراذم اليهود الذين اجتمعوا من الآفاق على تراب فلسطين الحبيبة، يومها سيدفعون ثمن جبروتهم وغطرستهم.

قال لي أحد كبار السن، وهو رجل على مشارف المائة، إن فلانا وسمى قريبا له، قال لي: كنت في فلسطين قبل أن يعلن اليهود دولتهم سنة ٤٨م بعدة سنوات، وربما عشر، وكنت أتحدث مع أحد اليهود في مقهى، فقال لي: إن اليهود سيفدون إلى فلسطين من كل بلاد العالم، وسينتصرون على العرب وينشئون لهم دولة، ثم تأتي رايات خضر من المشرق فتنتصر علينا «وسمى اليهودي ميدان المعركة في إحدى المواقع الجغرافية من فلسطين، وقال: إنهم يجدون ذلك في كتبهم المقدسة!!».

واليوم يشهد العالم الإسلامي من غانه إلى فرغانه صحوة إسلامية وعودة

للوعي ، كما يشهد الفلسطينيون داخل فلسطين عودة حقيقية للإسلام ، إذا أدركوا بعد نصف قرن من الصراع مع اليهود، أن الحل لما هم فيه، هو أقرب مما يتوقعون، إنه في تطبيق كتاب الله ، فلازال التاريخ يتذكر مقالة رئيس الوزارة البريطانية بعد احتلال مصر سنة ١٨٨٢م ، حين أمسك المصحف بيده، وقال: «إنه مادام هذا الكتاب بين أيدي المصريين فلن يقر لنا قرار في تلك البلاد»! وكان ما توقع ، فلم تقبل الضيم أمة أعزها الله بالقرآن واعتزت هي به .

إن النصر من الله ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾، وليس بغير التضحية والفداء وبيع الأرواح في سبيل الله تعاد المقدسات، فاذكروا بطولة الفدائي المسلم الذي اقتحم قبل مدة ــ بطائرته الشراعية حدود العدو، فانقض كالنسر على إحدى قواعده العسكرية فقتل وأصاب العشرات منهم، فيالها من هجمة شجاعة أحيت فينا بريق الأمل وجذوة الانتظار، ثم اذكروا هذه الإنتفاضة المجيدة التي مضى عليها أكثر من عامين وهي تتجدد بعون الله .

فليت القوميين والعلمانيين يعلمون أن شبابنا لا يبيع نفسه إلا لله وفي سبيله، وأن النفس الغالية لا يمكن أن تكون ثمنا لشعارات براقة جوفاء لفظها أهلها الأصليون، إن في شبابنا العربي المسلم طاقات جبارة وفداء عجيب، وتضحيات عظيمة، ولا شيء يجلو صدأه، ويوقظه من غفوته، وينبهه من غفلته سوى «القرآن الكريم» الذي جاء بلغته، وتنزل على أرضه. إن راية لا إله إلا الله هي وحدها التي إذا خفقت بنودها للجهاد، رأيت كيف يندفع شباب المسلمين إلى الجهاد بنفوس مؤمنة مطمئنة، إما نصر وتحرير وغنيمة، وإما استشهاد في سبيل الله .

إن أمة سطرت قرونها التاريخية الطويلة بدماء الشهداء الزاكية، لا تزال ــ بعون الله ــ ولود منجبة، فكتاب الله الذي حرك الرايات الإسلامية الأولى فخفقت عالية منتصرة في أقصى الشرق وأقصى الغرب، لازال يتلى طريا كما نزل، فليعلم الأعداء، أننا أمة يجددها القرآن كلما صدأت، كما تجدد الأودية المتدفقة مجاريها حين تفيض بمياه الأمطار، ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**[1] ﴾ .

---

(١) سورة الرعد: آية: ١٧ .

« أمــة لا تمــــوت »

■ هل يعلم الصهاينة الجاثمون على أرضنا المحتلة المدنسون لمساجدنا وبقاعنا الطاهرة، أننا أمة مسلمة ارتضاها الله ختما لرسالاته ومتنزلا لقرآنه، وموئلا لمقدساته، وقلبا روحيا للعالم، تحققت بها الوسطية والشهادة على الناس، فقامت بصفاتها هذه الحجة على أمم الأرض طيلة القرون الأربعة عشر الماضية وإلى أن يشاء الله، إنها أمة يعيش أبناؤها على الأرض وقلوبهم موصولة بالسماء، متطلعة إلى الخلد، هائمة بالفردوس الأعلى، مشتاقة إلى الشهادة، يحبون الموت إذا تشبث أعداء الله بالبقاء الدنيوي، أمة لا تنام عن عدوها إلا إذا نام الليل عن النهار، وهي في هذه الحالة تشبه تضاريسها الجغرافية فصحراؤها يمر عليها أشهر لا تعرف المطر، فيأتي الجاهل بها فيخيم في بطن الوادي يأساً منه بالمطر، حتى يفجأه السيل على حين غرة فإذا جنبات الوادي تلطم بالجم الغزير، وإذا هو ومتاعه طافيان على الماء إلى حيث لا يريد، أو غارقان حيث لا مستقر!

فيا أيها اليهود الغارقون في دمائنا حتى الركب، ها قد مضى على انتفاضة أهلنا في فلسطين الغالية أكثر من عامين، وأنتم تقتلون الأطفال وترملون النساء وتسوقون إلى معتقلاتكم الصحراوية الشباب والشيوخ، وتبعدون عن الديار حماة الدار، وتنسفون المنازل، وتهلكون الحرث والنسل، إننا نسألكم بمنطق الإنسانية التي تجمعنا ألم تشبعوا من لحوم فرائسكم؟ ألم ترتوا من دماء ضحاياكم؟ ألم تشفوا غيظكم بعد؟! أتظنون أن هذا الحمق منكم وهذا القهر لمن هم تحت ولايتكم من أبناء المسلمين سيمضي دون قصاص أو عقاب؟ اقرأوا التاريخ لتعلموا أننا وليناكم قرونا طويلة، فتركناكم ومعابدكم، أمنّا خائفكم، وأقررنا أوضاعكم، وحمينا أنفسكم وأموالكم وأعراضكم كحمايتنا لمثل ذلك من شؤون أمتنا، وتذكرون من التاريخ البعيد خليفتنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين رأى أحد شيوخكم يتسول على أحد الأبواب فرحم شيبته وأجرى له ولأمثاله ما يغنيه حتى موته، لم يفقأ له عينا، ولم يكسر له ذراعا، ولم يهدم له منزلا، ولا حتى ضربه بدرته المشهورة، وفي التاريخ القريب اذكروا قبل إعلان دولتكم كيف كنتم تعيشون في كنف الحكومات العربية في العراق والمغرب ومصر واليمن، ثم اسألوا بواقيكم الآن، كيف صنا لهم الذمة وحق المواطنة، فما أكرهناهم في العقيدة، ولا هجّرناهم عن ممتلكاتهم، ولا هدمنا عليهم «البيع»! فيا

معشر اليهود هل نظرتم إلى الجمل العربي، وهل حللتم طباعه؟ إن هذا الحيوان أصبر وأحلم مخلوقات الصحراء، لكنه عندما يهان يختزن مرارة الحقد مثلما يختزن الماء، حتى قيل «أحقد من جمل»، ثم الويل بعد ذلك لمن أهانه، سيرغي ويزبد ثم يهيج فيهجم على الذي هو عدوه فيقضي عليه! افهموا ذلك، ثم اعلموا أن كل روح تزهق على ثرى فلسطين هو ازهاق لخلية حية من جسم المليار مسلم في الأرض، وإن عينا فلسطينية تفقأ، وذراعا تكسر، وامرأة ترمل، وشابا ينفى، هي جراحات تسيل لها الدموع المسلمة في مجاهيل افريقيا وجزر اندونيسيا، وجبال الأفغان وواحات النخيل في السعودية، وأحراش الأنهار في النيجر، إن الأمة المسلمة ـ بعون الله ـ لن تكون إلا كما أرادها الله صفا واحدا إذا هوجمت وجسما واحدا إذا أصيبت واشتكت. وإذا أردتم أحدث الشواهد أحلناكم على عدد جريدة (الشرق الأوسط) الصادر يوم ١٩٨٩/٩/٢م لتقرأوا تصريح القائد الأفغاني الكبير «سياف» في قولته الصادقة: (القدس أعظم قدرا من كابل وكل أفغانستان) وكذلك مقالة القائد «رباني» في نفس العدد (لن نكف عن الجهاد مادامت القدس في أيدي العدو)، وعن قريب إن شاء الله يتم لنا النصر في أفغانستان، وسترون المجاهدين المسلمين قد حلوا بساحتكم حينها سيسوء صباح المنذرين، ولا يخفاكم أن عرب عام ٩٠م غير عرب عام ٤٨م في عودتهم لعقيدتهم وفي إعدادهم لعدوهم، إنكم تعلمون أنهم يصنعون الصواريخ الموجهة التي يضغط زرها طفل مميز على بعد ألف كيل عن قواعدكم فتدمر من صياصيكم ما تدمر! ولن تكونوا بإذن الله أصلب عودا ولا أقوى شوكة من الإتحاد السوفيتي حين جلاه المؤمنون بربهم المتسلحون بعقيدتهم وقيمهم! إنكم تعرفون معنى الرايات الخضر حين تغزوكم من المشرق؟ اسألوا أحباركم وأهل أخباركم يؤكدون لكم ذلك؟! إن شيوخ وشباب العالم الإسلامي يختزنون يوميا المزيد من الغيظ عليكم، وإن أطفال الأمة يرضعون مع حليبهم المزيد من كرهكم، إن الجميع سيطفح كيلهم اليوم أو غدا، فقد بلغ السيل الربى وطم الوادي على القرى! إن سيول الصحراء إذا تدفقت وفاضت اجتاحت كل الذي أمامها ثم مصبها بعد ذلك في البحر كما تعلمون ويعلم الجغرافيون.

« التسويف »

«إن الحروف كثيرة وأهمها ... في العالم العربي حرف السين»

هذا البيت من قصيدة طويلة للشاعر السعودي «علي النعمي»، والحقيقة أن

شاعرنا أصاب كبد الحقيقة، ووضع يده على الجرح كما يقولون، ذلك لأنك لا تجد اليوم شيئا أسوأ من التسويف والمماطلة، فالمحقوق يماطل في دفع الحق ويردك بالسين وسوف ويضيع عليك جهدك ووقتك.

وإنه لمن الحمق أن تؤجل عملا إلى غد، وأنت قادر على صنعه الآن، وإنه لمن الكياسة وحسن التدبير أن تفعل اليوم ما تستطيع صنعه، وتترك لغد واجباته التي تأتي معه.

فخليق بنا أن نضع حدا للمماطلة والمراوغة، وأن نتخذ قرارتنا المهمة بالسرعة التي نقتنع بها فالفرص تمر مر السحاب، وهي لا تطرق باب الإنسان مرتين، ثم إن التأجيل دونما مبرر أو داع، هو تردد ضعيف فيه قطع للرزق ومجلبة للضرر!

« نـــداء إلى الدعـــاة »

■ كان المسلمون الأماجد من أجدادنا الذين خلَفوا الأجيال الفاتحة يتجشمون عناء السفر إلى أدغال افريقيا، ويخوضون عباب البحر إلى الهند وجنوب شرق آسيا وفي حوض البحر المتوسط، لهدف رئيسي يغلف أحيانا باسم التجارة، ألا وهو الدعوة إلى الله وإلى دين الإسلام ونقل هذه الرسالة الكريمة.

وهذا ما يفسر دخول معظم جنوب شرق آسيا في الإسلام دون جهاد سيف ولكن بجهاد لسان وحسن بيان وإخلاص نية..

هكذا كنا.

فماذا نحن عليه اليوم؟!

جرني إلى هذا الكلام ما أشاهده بين ظهرانينا من آلاف العمال الأجانب من أوربا وآسيا، وهذه الآلاف معظمها لا تعرف عن الإسلام إلا بضع معلومات مشوهة ألقاها في وعيهم أعداء الإسلام ومبشرو الأديان المحرفة!

إنها فرصتنا يا قومنا للدعوة، فيأيها الدعاة إلى الله: لا حاجة بكم إلى تجشم الوعر وركوب الخطر، إن المحتاجين للنور والمفتقرين إلى الهدى تحت نظركم وفي محيط سمعكم فماذا أنتم فاعلون!

يا شبابنا المسلم المثقف المتحمس للدعوة إلى الإسلام، أين جهودك في شرح عظمة الإسلام وقيمه الرفيعة؟ هذا الجالس بقربك في حافلة أو طائرة، وهذا العامل

معك في مكتب أو مصنع، وهذا الذي يزاملك في مؤسسة أو شركة هل ناقشته يوما ما عن الإسلام؟.

هل أنرت له السبيل؟

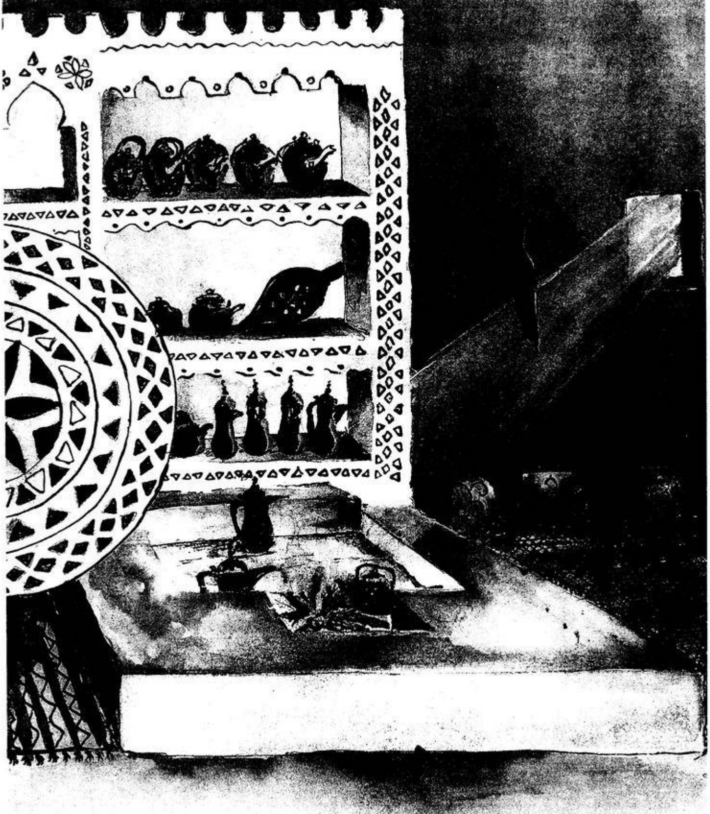
هل ضربت له من سيرتك المستمدة من هدى الإسلام أروع الأمثلة في صدق الوعد وثبات المواعيد وإتقان العمل وحسن الخلق والإنصاف في الإدارة؟

يا شبابنا المتعلم:

يا خريجي جامعاتنا السبع، يا من بكم تجلى الأوهام عن الإسلام،

يا من يؤمل فيكم إعادة قيم الإسلام ناصعة صافية تتمثل بالسيرة وتترجم بالعمل، وتقيد بالتطبيق العملي لمباديء الإسلام وهداه..

إنها دعوة من القلب.. فهل تراها تدخل قلوكم؟ اللهم فاهد قلوبنا، وخذ بأيدينا نحو صراطك المستقيم.



« الملك عبدالعزيز والأعـرابي »

■ حاورت أحد الثقات المعمرين حول الرزق والحرمان، وأن الله هو المعطي، وهو الذي إذا أراد أمرا هيأ أسبابه، وأننا لو توقفنا مليا عند فقرة ندعو بها دائما بعد كل صلاة، وتأملنا معناها، لحصل لنا خير كثير من طمأنينة القلب، ورضى النفس تلك هي قولنا: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت» ولقد أثار قولي هذا كوامن ذاكرة محاوري الطاعن في السن، فتداعت المعاني في ذهنه، وأثمرت عن هذه القصة التي أرويها لكم على لسانه: كان من عادة الملك عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ أن يتفقد بنفسـه أحوال شعبه، فكانت سفراته البرية إلى الحجاز والقصيم والأحساء وغيرها مستمرة طيلة حكمه، وكانت الحاضرة والبادية تقف له على الطريق، وكان أي مواطن يستطيع أن يوقف موكبه ويدعوه إلى فنجان من القهوة، ثم يأمر الملك أحد رجاله فيدفـع له من النقـود ما يغنيه، وفي إحـدى سفراته من الرياض إلى القصيم وعلى ما جرت به العادة، اصطفت الناس في الحواضر والقرى وهو يعرج عليهم ويخرجهم ــ بكسر الراء وتشديدها ــ وفي مفازة من الصحراء وقفت قافلته باشارة من بدوي نصب خيمته على منعرج الطريق، ورفع دلة القهوة، يومىء بفنجاله للملك! ولما اتكأ الملك عبدالعزيز ــ يرحمه الله ــ في مجلس الأعرابي، خطر له أن يداعبه، فقال له مازحا: « يا اللحية الغانمة، الدراهم خلصت، ولا من خرجيه!» فأجابه البدوي على الفور قائلا: «يا عبدالعزيز إن عطيت فالله المعطي وانت المأمور، وان ما عطيت فالله المانع وانت معذورا!» فضحك الملك ــ يرحمه الله ــ وعجب من فصاحته وجرأته وبداهة جوابه، وأعطاه وزاد له في العطية، قلت للراوي: لقد ذكرتني قصتك تلك، ما قرأتـه في كتب التراث عن نوادر ومحاورات خلفاء المسلمين في الصدر الأول مع الأعراب، وما حفلت به تلك القصص من ملح فكهة وردود حاضرة، وإن روايتك تلك لقمينة أن تكون في مستوى أعجب تلك القصص.

« رحلة إلى الريـــاض »

■ أحد المخضرمين في العمر ممن عاش سنين الشدة وأعوام الرخاء، هو في العقد السادس من العمر، لكنه شديد العضل صلب العود، يتحدى فتى العشرين، فقد أكسبته أيام الجوع والحاجة متانة في التركيب وصلابة في المراس، وحنكة في الرأس،

قال لي يستعيد ذكريات تلك الأيام الغوابر: في عام ١٣٦٠هـ تقريبا، تداولت الرأي أنا وثلاثة من رفاقي، فعقدنا العزم على ترك ديرتنا «بريدة» والتوجه إلى العاصمة «الرياض»، حيث بدأت حركة النشاط العمراني فيها بعد توحيد المملكة، ولم يكن معنا من حطام الدنيا شيء سوى زاد الطريق! فتركنا بريدة قبل مغيب الشمس، متوجهين إلى الرياض سيرا على الأقدام، وحين وصلنا «اليتيمة» شاهدنا الجراد، فجردنا ما استطعنا حمله، وعرجنا على بلدة «الشماسية» فذكرنا لهم موقعه فخرجوا يطلبونه، وبعد أيام كنا في «روضة حطاب» أرض مسبعة لا تسمع فيها سوى عواء الذئاب، فبتنا فيها شر ليلة عشناها! ثم واصلنا طريقنا فمررنا على «الغاط»، وهناك وجدنا سيارات الصدقة، مسيَّرة من قبل الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ فتقدمنا للعاملين عليها فمنحونا نقودا وثيابا وزادا، فكانت هذه أول غنائمنا! ولما انتصف بنا الطريق في «المجمعة» وصل مني الكلل والتعب منتهاه، فقد كنت أصغر رفقتي، وكان عمري يومها لا يتجاوز الخمسة عشر عاما تقريبا، ومع متابعة السير تورمت قدماي وساءت حالي، ولما علم صاحباي عدم قدرتي على مجاراتيهما في الطريق، تركاني في مسجد المجمعة وواصلا طريقهما إلى الرياض، وحين بقيت غريبا معدما متعبا، ضاقت بي الدنيا، فخرجت من المسجد إلى ساحة البلدة، وأخذت أبكي، فمر بي شيخ مسن، فسألني: مالك يا ولدي تبكي؟ فشرحت له قضيتي، فقال: هون عليك، تعال معي، فأخذني إلى منزله فأطعمني وسقاني وكساني ومرضني أهله ثلاثة عشر يوما، حتى نشطت وأصبحت قادرا على الخروج، فطلب مني البقاء، فشكرته ودعوت له وسألته الرخصة، فأوصى بي صاحب سيارة فركبت معه إلى الرياض، وهناك اشتغلت عاملا مع أحد مقاولي مباني الطين، ولما مر علي ثلاثة عشر يوما في الرياض، كان صاحباي يصلون الرياض لتوهم! لقد كانت رحلة طويلة استغرقت أكثر من الشهر، ورأينا فيها من المتاعب ما لا يستوفيه الحصر، وأعجب منها رحلة اليوم في مقدارها وراحتها!

يا بني إنه لا يقدر على تثمين هذا النعيم إلا من عاش تلك الأيام، فحمدا لك يا ربنا وشكرا لا ينتهي حتى تنقطع منا الأنفاس. انتهى حديث ذلك الرجل فما أطرف حديثه، وما أعجب رحلته!

« الرجل الذي لبس ثوب أمه »

■ «يا جردوه . . ترى العرب صادوه» ذكرتني هذه العبارة غزوات الجراد ــ لا ردها الله ــ حين كان ينساح في بلادنا فيلتهم الأخضر واليابس، محيلا وراءه الأشجار خريفية جرداء، والحمد لله أن أول غزوة أتذكرها، وهي آخر زياراته لنا في بلدتنا بريدة، كانت قبل خمسة وعشرين عاما تقريبا، وكنا نقيم في مزرعة قرب المدينة، يومذاك أخذت أتطلع إلى مشهدين لم يبرحا خيالي بعد، ففي منزلنا القدور الكبيرة منصوبة على النار، والماء فيها يغلي، والجراد يؤتى به محشوا «بخياش» كبيرة، ثم يفتح غطاء القدر ويلقى به، حيث يترك يطهي نصف ساعة وليس معه غير الماء المملح، وإذا خرجت أتجول في المزرعة، شاهدت أسراب الجراد تكاد تحجب الشمس، وأشجار الأثل تحول لونها من الخضرة إلى الدكنة والسمرة لكثرة ما تعلق بها من الجراد الطائر والزاحف، وسيارات «إدارة مكافحة الجراد» التابعة لوزارة الزراعة تكافح أسرابه بدخان كيميائي يقتله بالحال، وعمال المزرعة والمتطوعون من أهل الحي يوقدون في كل موقع نارا يرتفع دخانها فتضطر أسراب الجراد إلى الإبتعاد عن منطقة الأشجار والزروع، ولا زلت أتذكر طعم ذلك الجراد الذي أكلته، فهو من أشهى ما يؤكل، ليس بشهادتي بل بشهادة كل من أكل الجراد.

وقبل أيام كنت برفقة أحد الإخوان، وكنا عائدين إلى «بريدة» من بلدة «الشيحية» قرية قرب بريدة، وفي الطريق صحبنا شيخ في السبعين من عمره، ولكي أعلله عن طول المسافة، أخذت أقص عليه بعض القصص الطريفة، فاستملح مني هذه البادرة، وروى لي هذه الحكاية، مبتدئها بقوله: أترى ذلك الحزم المرتفع؟ نحن نسميه «حمار الضلفعة»، حيث يبدو على صفة حمار، في هذا المكان وقبل عشرات السنين، انتشرت أسراب الجراد، وخرج الرجال والنساء يصطادونه، المقتدر منهم يحمل معه خيشة أو كيسا، والفقير يأتي بقطعة قماش أو ثوب قديم مربوط من طرفه، وخرج أحد الرجال يجترد وهو لا يحمل سوى «ثوب أمه المخصص للصلاة» حيث كان النساء في القديم تخصص ثوبا للصلاة، واسع الوسط، عريض الأكمام، وحين جمع ما تيسر من أكوام الجراد، وأخذ يحشرها داخل الثوب، تبين له أن الثوب قديم، وبه خروق متعددة، لا تحفظ الجراد، وحتى لا يفوته موسم الجراد، خلع ثوبه وربطه من عنقه، ولبس ثوب أمه، واستمر يجمع حتى ملأ ثوبه، ثم حمله على كتفه وانصرف

صوب بلدته، حيث دخلها في وضح النهار، وثوب أمه المخرق، يفضحه من أمامه وخلفه، وهو يتعاقب يسراه، فمرة يسند حمل الجراد، ليعين بها يده الأخرى، ومرة يغطي بها بعض الخروق، فكان مشهدا أضحك الناس عليه أمدا طويلا!

واستكمالا لتغطية الموضوع، فقد قابلت رجلا آخر في التسعين من عمره، وحاورته عن الجراد، سألته: عمرك اليوم يناهز التسعين، خلال هذه السنين، كم مرة فاض الجراد على مدينة بريدة؟ فأجابني: آخر مرة جاءنا الجراد كانت قبل خمسة وعشرين عاما، أما قبل ذلك فكان يفيض كل سنة أو سنتين، ثم سألته عن وقت ظهوره وأوصافه؟ فقال: في الغالب يفيض علينا الجراد في «الصفري»، ونسميه «بحري» لأننا نعتقده يأتي من جهة البحر، وهو يقصد الأرض التي أمطرت وربعت، حيث يقيم فيها حتى نهاية الشتاء ويسمى بعد هذه الفترة «مِكْن» حيث يتميز خلالها الذكر من الأنثى، فيبدو لون الذكر أصفر نحيف، والأنثى حمراء سمينة، ثم بعد ذلك يبدأ بالتلاقح ونسميه في هذا الطور «مركب» مما يسهل مهمة جمعه، لأنه يتراكب ولا يطير، بعد ذلك بأربعين يوما تبدأ أنثاه تبيض، وتغرس الأنثى بيضها في الأرض، ثم بعد أربعين يوما يفقس البيض، ويسمى مولودها في أول أيامه «قعيسى» ثم «دغماني» ثم «كتفان» ثم «خيفان» كل فترة مدتها سبعة أيام، ثم استرسل محدثي قائلا: وكان الناس يستفيدون منه كطعام، ويفضلونه على اللحم، ومن أمثالنا: «الجراد يرخص اللحم»، فالناس ينتفعون منه في تلك الأوقات أكثر مما يضرهم، لأنهم يعيشون سنوات جوع وأسباغ، كما أن الجراد في أول ظهوره وهو المسمى «البحري» ينزل في البر ويأكل من أشجاره، ولا يدخل الديار والمزارع، ولكنه حين يتوالد، ويصل أولاده سن «الخيفان» يبدأ في هذه الفترة ضرره..

« حوار مع النفس ! »

■ سمعت هذه القصة التي وقعت منذ سنين طويلة، من شخص موثوق بنقله وعقله، قال: في ليلة من الليالي، جفا النوم عيني أحد التجار، فخرج من بيته يستروح نسمات الليل البارد، وحين مر في طريقه على سوق «المجلس» ببريدة، جلس على إحدى العتبات هناك، وبعيد زمن قصير، أبصر في ظلمة الليل الحالك، شخصا يتقدم صوب أحد الدكاكين القريبة، ثم سمعه يحاور نفسه:

ـ استغفر الله، كيف أجرؤ على السرقة؟ كيف أطعم أولادي مالا حراما؟ هذا لا يكون!

فيذهب، ثم يعود القهقرى خطوات، مراجعا نفسه:

ـ لكن أولادي جياع، وأنا فقير الحال، لابد من كساء وطعام!، لا بأس أن آخذ قدر حاجتي، سأنويه قرضا، وسأرده إلى صاحبه فيها بعد حين ييسر الله علي! وتقدم إلى قفل الدكان يعالج فتحه. ولما رأى التاجر اللابد المتصنت للحوار، أن الرجل انهزم أمام نفسه الأمارة بالسوء، وأنه عازم على فعلته، نهض من مكانه، وخطا إلى ناحيته، ففوجيء الرجل به، وعلم أنه مكشوف، فاستسلم ولم يهرب، فتقدم إليه التاجر، وربت على كتفه، وقال له: الحمد لله الذي جعلني عونا على نزغات شيطانك، الذي كاد أن يهلكك، الحقني، واستضافه التاجر تلك الليلة، وفي الصباح أقرضه مبلغا من المال ليبدأ به حياة كريمة.. قلت لمحدثي، حين أنهى روايته: إن أرق التاجر في تلك الليلة وخروجه من بيته له حكمة جلية! ولقد ذكرني حوار تلك الرجل مع نفسه بيتا لأحد شعراء الحكمة:

«لكل امريء نفسان، نفس كريمة وأخري يعاصيها الفتى ويطيعها!»

«دارك الحقيقية»

■ في حكاية قديمة، قال تاجر من أهل «بريدة» لرجل يرميه الناس بالخبل وضعف العقل: احمل هذا الباب إلى بيتي، فرد عليه المجنون: «سم وابشر يا عم»! وتركا السوق معا، التاجر مضى إلى بيته، والمجنون أخذ يعالج حمل الباب. وبعد انتظار طويل أمضاه التاجر في بيته، دون أن يصل الباب الجديد، خرج يبحث عن الحمال، فألفاه بالسوق في شأن آخر فأخذه العجب، وسأله مستنكرا: أين الباب يا فلان؟! ألم أقل لك احمله معي إلى بيتي؟ ليس هذا الإخلاف من عادتك! فرد عليه المجنون ببرود غير مصطنع: «يا عم ما خالفتك ولا أخلفتك، لقد نفذت ما طلبته مني، حملت الباب ووضعته في بيتك»، فاستشاط التاجر غضبا، ورد عليه بحنق: وتكذب علي أيضا!! أنا الآن قادم من بيتي، فكيف تقول هذا؟ فلم يتغير في المجنون شيء، بل أخذ بيد التاجر، وقال له بلهجة الصدوق الواثق من فعله وقوله: تعال معي يا عم لترى أنني وضعته في بيتك، وأنني ما كذبتك ولا خدعتك وسار به في اتجاه «المقبرة» ولما وصلاها، تقدمه المجنون فدخلها والتاجر منساق وراءه، فأشار الحمال على الباب المسند على سور المقبرة من الداخل، وقال للتاجر: هذا بيتك وهذا بابك، فسكت الغضب عن التاجر، وأطرق مليا، ثم رفع رأسه وقال: صدقت يا أخي، ما عدوت والله الحق، وإنك لتستحق أجرتك مضاعفة.

فأختزن التاريخ هذه القصة، وتناقلها الرواة، يستملحون فيها هذه المفارقة، ويتأملون فيها هذه العبرة، ويضيفونها إلى موروثنا السالف من أعاجيب وملح ظرفاء المجانين.

« بدوية جمعت بين الكرم والفصاحة »

■ البلاغة التي اشتهرت بها البادية العربية من قديم الزمان، لا تزال سماتها موروثة حتى أيامنا هذه، ومن يخالط أهل البادية يرى حقيقة هذا الكلام. ذكر لي أحد الرواة، أنه كان ضمن جماعة استضافوا أهل بيت، فلم يجدوا قيمه، وحين هموا بالإعتذار والإنصراف، أقسمت عليهم صاحبة البيت، إلا أن ينتظروا غداءها، فأجلستهم وأكرمتهم، وقالت لهم حين مدت لهم الطعام: «تفضلوا حياكم الله على طعام من غاب وصى، وان حضر تقصى»!

فإذا كان «ابن المعتز» عرف البلاغة بأنها: «البلوغ إلى المعنى ولّما يطل سفر الكلام» فإن عبارة هذه البدوية بلغ بها المعنى بأيسر جهد وأقل تكلفة! ولئن عرف أحد العلماء البلاغة بقوله: «هي اشباع المعنى واجاعة اللفظ»، فإن هذه البدوية أشبعت المعنى وضيوفها معا.

« الراوية لا تشح مصادره »

* أعرفه رجلا يعيش في شباب الشيخوخة، أمضى أربعينه يكدح في ورشته حيث يزاول أعمال الحدادة، ولما فتح الله عليه وتيسرت أموره، أجَّرها بمبلغ كبير من المال، واضطر إلى تغيير المهنة نزولا على حكم المال والعمر. وفي ذات يوم جاوزنا معا ورشة كان عاملها «يلحم» أنبوبة بين يديه، وبرق اللحام يأخذ الأبصار، فالتفت إليَّ صاحبي وهو يقول: ؛ «كلما رأيت الذي "يلحم"، تقشط كبدي، ليس ألذ على نفسي من تذويب الرصاص ولبس القناع»!

* .وشيخ ناف على التسعين، تفرق أولاده في كل صقع، كف بصره وضعفت قواه، زرته في أحد الأيام، فإذا به يطلب مني أن أصحبه إلى قطيع من الماعز أودعه في حوش مجاور لبيته، وإذْ هو يلاقي من العناية بها متاعب لا تحصى، قلت له: ليتك تبيع هذه الماعز وتتخلص منها، فليس بك قوة على رعايتها! فتجهم وجهه وسحب يده من يدي، وأجابني وهو مغضب: حتى أنت تقول هذا!، كيف تريدونني أن أبيعها إن فيها سعة صدري ومتعة حياتي؟!

* وشيخ آخر بلغ من العمر عتيا، عشق الزراعة حتى لو أنك حللت دمه لوجدت فيه جميع معانيها، أمتع حديث يشقققه أو يسمعه هو موضوعها وأخبارها، وألذ مال ينفقه هو في ابتياعها واستصلاحها! صحبته يوما وهو في سبيله لشراء عدد من المزارع، ولما قطع أكثر من شيك ليسدد أقيام أكثر من مزرعة، قلت له ناصحا: ذلك يكفي فلا تزيد! فقال لي وأسارير وجهه تبرق: أنت ضيق الرؤية، قصير الأفق! هل مثل هذه المزارع يفرط فيها؟! أرض طيبة وماء حلو!.

* ورجل تجاوز معترك المنايا، تصرمت عقود عمره في شراء الغنم وبيعها، دائما في حال وارتحال من أجلها، ولما لامه أقاربه ومحبوه على هذا الهيام! قال لهم: أقلوا اللوم، إن أسعد أيام عمري هو اليوم الذي أشحن فيه السيارة بالغنم، ثم أقول للسائق توجه إلى البلدة الفلانية، ساعتها أتلثم بشماغي، وأضع يدي على باب السيارة وأقطع الطريق «بالهجيني» ونشيد الأشعار!

* وكهل ضعف جسمه وقل بصره، زرته يوما في بيته، فإذا هو معتزل في مكتبته، فأخذ يحدثني عن كتبه وأوراقه وكأنه يتحدث عن أعز أبنائه ولما قلت له: إن القراءة ترهقك، وتمضي بالبقية الباقية من بصيص عينيك! قال لي والأسى يكسو غضون وجهه المتجعد: لقد قال لي الطبيب مثل ذلك! لكنني لا أعتبرني حيا إذا لم أقرأ وأكتب، إن يومي إذا خلا من الطرس والدرس لم أحسبه يوما عشته أو مر بي!!

* وتوفيق الحكيم، الكاتب المشهور، قال في مقالة كتبها في عام ١٩٣٧م، تحت عنوان: «بعد الموت، ماذا أريد أن أقول للناس»: «أنا الذي صنعه خالقه من لحم ودم، ووضعه في دنيا جميلة زاهرة، وقال له: انطلق وعش حياتك في هذه الحياة، فلم أفعل ذلك ولكني أحلت لحمي ودمي إلى ورق!» ولو أن أحدنا سأل «الحكيم» قبل وفاته لما زاد على هذا الكلام شيئا.

* ولعل بعضكم سمع بقصة الموظف الذي عشق وظيفته حتى العظم، ولما أحيل على التقاعد، أخذ يتردد على زميله في المكتب، ولما ضاق به زميله ذرعا، سأله ساخرا: هل هم أحالوك على التقاعد أم أحالوك علي!

* وبعد، فهل تريدون المزيد، كلكم سمع بموتة «الجاحظ» ـــ لا أماتنا الله موتة جاحظية ـــ فقد انهمرت عليه مكتبته فدفنته! «والكسائي» الذي مات وفي نفسه شيء من «حتى»! والنحوي الذي شجت رأسه سارية المسجد حين واجهته وهو غارق في التفكير!، والمؤرخ الذي أمضى الليل كلما قلب صفحة أكل تمرة، وحين تبين الخيط

الأبيض من الخيط الأسود، كان الرجل في عداد الأموات!

. . . فإذا كان أولئك الهواة بحاجة إلى أن نستحثهم على مهنهم، فإنني بحاجة إلى من يشجعني على الكتابة وحمل القلم! إن هوى قلبي ومتعة حياتي أن أخلو بنفسي فأترجم ما يعتمل في نفسي، وأنظمه على الورق كلمات أحسها شيئا مني، ومعان أتمنى أن تصل فتثمر بالخير والإصلاح، ما أسأل الله به الأجر والتوفيق.

* أفكان الأخ الشاعر: الحميدي الحربي، بحاجة إلى أن يدعوني، في عدد الجزيرة رقم ٥٩٢٣ وتاريخ ١٤٠٩/٥/٧هـ إلى مواصلة الكتابة في زاويتي (من أفواه الرواة)؟! أخي الكريم شكرا لا مزيد له على كلماتك الأخوية الصادقة، في زمن نسينا فيه أن الكلمة الطيبة صدقة. ولعل الجديد من حلقات الزاوية هو بين يديك الآن: فالرواية أيها العزيز لا تشح مصادره على الإطلاق، مادام ثمة حي يتحرك، وحدث يقع، وأشياخ «كنتيون» يرددون: كنت، وكان، مضت أفعالهم وجاءت أقوالهم، يدفئهم الحديث، ويبردهم الصمت، لا يسيغون شيئا من لذاذاتهم الماضية سوى اثنتين: اللبن، والحديث الحسن!!

« عجائب المغتربين »

■ قال الشاعر. . .

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم
وترمي النوى بالمقترين المراميا

قبل خمسين عاما أو تزيد، كان الناس في بلدتنا «بريدة» يعيشون زمن جوع وحاجة، وكانت التجارة تقوم على السفر والترحال، والضرب في الأرض، فكانت قوافلهم تجوب العراق والشام ومصر، يتاجرون بالإبل والأطعمة والقماش، يلتمسون الرزق في خبايا الأرض، وكان الرجل يغيب عن أهله العام وخمسة الأعوام، وأكثر من ذلك، وكبار السن يروون العجب في هذا. حدثني أحدهم قبل أيام قال: ترك فلان ولده وهو طفل صغير في سن الرضاعة، وسافر إلى الشام، وطاب له المقام هناك سنوات عديدة، رشد خلالها ولده المقيم في بريدة، وأمسى تاجرا يرد برعايا الإبل فيبيعها في دمشق، وفي إحدى سفراته ورد سوق دمشق، فجاءه والده على غير معرفة به، وأخذ يساومه بعض الجمال، فاختلفا في السعر، فغضب الإبن، ونهر أباه قائلا له: أنت لا تعرف كيف تشتري الإبل! فقال الأب لرفيقه الذي معه: إن لم يخب ظني

فهذا ولدي الذي تركته في بريدة قبل عشرين عاما، فعجب رفيقه، وسأله كيف تبينت ذلك؟! فضحك الأب وهو يقول: إنه أحمق سريع الغضب مثلي!

يقول الراوي: ولما استوصف من ولده، تعرفا على بعضهما، فاحتضن الإبن أباه، واجهش الإثنان بالبكاء[1].

* وقبل عدة سنوات قرأت قصة الرجل الذي قدم إلى بريدة بعد خمسين عاما من الغيبة، وكان قد ترك فيها زوجته وأولاده، وذهب إلى مصر في تغريبة من تغريبات «عقيل». وحين رجع إلى بلدته، كانت زوجته لا تزال في انتظاره بعد خمسين عاما من السفر ما شكت ولا بكت! يقول من حضر لقاءهما: إنها حين قابلته، لم تزد على قولها «وش دعوى يا بو فلان، طول هالغيبة»! هل رأيتم أروع من هذا الوفاء؟ فإلى نساء زماننا نقول: أولائي أمهاتنا فجئن بمثلهن.

« إذا شاب الغراب رجعت أهلي
وصار القار كاللبن الحليب »

« تيهة الحضر قصرة ؟! »

■ منذ أيام سمعت قصة الرجل الذي خرج من بيته في جدة فتاه ولم يعد إليه إلا بواسطة سيارة النجدة!

وحيث أن الشيء بالشيء يذكر، فقد تذكرت قصة مشابهة لتلك، حدثت لي مع رجل يناوش الستين من عمره.

ففي أحد الرمضانات المنصرمة وفي فترة ماقبل الظهيرة بقليل دخلت أحد المحلات للتسوق، وعندما هممت بالإنصراف إذْ برجل كبير يسألني إن كان بامكاني أن أوصله بيته؟! فأجبته بالإيجاب، إذْ هي فرصة يتشوق المسلم لمثلها في رمضان، وما أن جرت بنا السيارة حتى التفت إليه وسألته، في أي الأحياء هو يقيم؟ فقال في الحي الفلاني، فأخذت طريقي إليه.

كان الرجل كما يظهر يتمتع بقواه الصحية والعقلية ونظره في حالة جيدة، وعند مدخل الحي كان يوجهني بثقة اذهب من هنا. انعطف من هناك.

لكنه مالبث بعد قليل أن تلاشت ثقته في معرفته، واستغلقت عليه السبل،

(١) روى لي هذه القصة الشيخ/ «علي الجردان» ـ رحمه الله ـ.

وأصبح يطرح علي أسئلة استفهامية لم يكن بمقدوري الإجابة عليها؟!

وعندما اتضح لي أنه ضل فعلا عن سبيل منزله، اقترحت عليه أن نبدأ من جديد مع مدخل الحي رجاء أن يفتح عينيه أكثر لكن المحاولة باءت بالفشل!

وكان بامكاني أن أسأل عن منزله أحد المارة لولا أنني راعيت شعوره في ذلك، فرأيت أن استعمل بدائل أهون، فسألته: ما اسم المسجد الذي تصلي فيه؟ فقال: المسجد الفلاني، وبالصدفة كنت أعرف موقع ذلك المسجد داخل الحي الكبير فوقفت به عليه، فطالعه والتفت يمنة ويسرة التفات الذي لم يتيقن من شيء بعد.

فقلت له مادام أنك تصلي في هذا المسجد، فما رأيك لو نزلت من السيارة وتأكدت بنفسك أي الأبواب تخرج منه بعد الصلاة لعلك تستبين طريقك المعتاد؟ لكن محاولته لم تكن بأحسن حظا مما قبلها فخففت عليه قائلا: إن ذلك لابد أن يكون نتيجة اجهاد الصيام والحر، وطمأنته بأنني معه حتى يتعرف على بيته!

وبينما نحن في أخذ ورد إذْ بأحد جيرانه وهو رجل يقاربه في السن ما أن أبصر صاحبي حتى أسند كفه على باب السيارة وطأطأ رأسه وأخذ يحييه ويسأله عن الصحة والصحبة، فحمدت ربي وشكوت للجار الحال والمحتال فوصف لنا المنزل مشيرا بسبابته، قائلا: إذا تعديت خمسة منازل مشْملا فقف عند تلك القصبة فهناك منزله!

وتقدمت قليلا ونزل رفيقي وهو لا يكاد يصدق، وقلت له: يا شيخ استوثق من موقع بيتك بعد اليوم، فنحن في زمن نكاد نضيع فيه. أسماءنا ناهيك عن منازلنا!

بالمناسبة:

«اللي يتيه باليل يرجى النهار
لكن اللي يتيه بالقايلة من يقديه»

«خمسة وستون»

■ «الشريطية» هم أناس يدللون على السلع في نوعية معينة من الأسواق، فيرفع أحدهم صوته بآخر سعر طلبت به السلعة، وقد يختصر أحدهم الرقم إذا كان بعد المائة أو بعد الخمسمائة أو الألف، لعدة أسباب منها: لأن مثل هذه السلعة ـ عادة ـ تستقر قيمتها في بحر معين فلهذا يتجوز السمسار حذف ما علم، وثانيا: لكي يريح الدلال نفسه من عناء تكرار ألفاظ الأرقام المعروفة، لذا تراه ينادي على خروف من

الضأن سعره خمسمائة وخمسة وستون ريالا قائلا: خمسة وستون... خمسة وستون... يقول لي أحد الإخوة الوافدين ممن لا يعرفون هذا الأسلوب: لما سمعت هذا الدلال ينادي على هذا الخروف السمين بهذا السعر الزهيد: اقتربت منه وأخذت أقلب نظري فيه وفي الخروف بين مصدق نفسي ومكذبها! ثم سألته مستفهما: تقول خمسة وستون؟! فلما رأى الحيرة في وجهي قال: نعم خمسمائة وخمسة وستون!

« الخمسون بعد المائة »

■ وقال لي أحد الأساتذة: سألت طلابي لماذا تسرعون في الشارع الآتي للمدرسة وأنتم ترون على مدخله لوحة أقامها المرور تقول: السرعة القصوى خمسون كيلا في الساعة؟! فرد أحدهم وكأنه قد جهز الإجابة: إنها الخمسون التي بعد المائة!!!

« قطط منفية »

■ لما ضاق أحدهم ذرعا بـ «قط» في بيته، عزم على خطفه ونفيه خارج البلدة، يقول: أمسكت به ووضعته في شنطة السيارة الخلفية، ثم ابتعدت ثلاثين كيلاً خارج البلدة، ولا تفكير لي إلا ما سيصير إليه بيتي من هدوء بعد مغادرة هذا القط المؤذي، ولما تيقنت أن هذا البعد لن يتمكن معه القط من العودة، وقفت وفتحت شنطة السيارة وأنا أحاذره، لكنني فوجئت أن لا «قط» معي! ولما فحصت باب الشنطة وجدت قفلها لا يمسك، فكان بابها ينفتح وينغلق حسب تضاريس الأرض، ولهذا نزل القط في أول الطريق! فأسفت على مشواري الطويل وعدت من حيث أتيت.

وحين دخلت بيتي إذْ بالقط أمامي وله مواء، لكأنه يسخر مني، وحق له ذلك فقد أكَلني مقلبا لن أنساه!!

وفي قصة مماثلة مع اختلاف الوسائل والنتائج، ذكر لي أحد الإخوان أن رجلا تأذى من «قط» يلازم بيته، وكان كلما قبض عليه ونفاه، أعاد الزيارة فعقد عزمه على نفيه بوسيلة لا يقدر معها العودة مرة أخرى، فحشره في «خيشة» ثم شحنه بسيارته ومضى خارج العمران، ولما اطمأن إلى بعد موقعه، فك رباط «الخيشة» وهزها بيده عدة مرات ــ حتى يضمن التشويش على بوصلة القط ــ ثم رماها! يقول الراوي: لقد التبس طريق العودة على هذا الرجل فكان أن أضاع الطريق إلى منزله! ولم يصله

إلا بعد سؤال وتعب، ولم يعتبر هذا غرما في سبيل الخلاص من «القط» المزعج، لكن الإكتئاب أصابه حين وجد « قطه اللدود» أول مستقبليه على باب الدار!!![1].

« ضرب المثل بلحيته »

■ سمعت أحد الأشخاص يقول: كنت في محل يبيع ثياب النساء، حين دخلت امرأة وبيدها قطعة قماش، فمدتها للبائع وهي تقول: لا أريد هذا النوع لأن لونه «يقلب» تقصد يتغير مع الغسل فأجابها على البديهة: كل الألوان ــ يا خالتي ــ تتغير حتى لحيتي هذه انظري كيف ابيضت بعد سواد!!

« السلام المصلحي »

لا صـــار لــه لازم رحـــب وقـــهـــواني
والى انــقــضــى الــلازم لقــان صرصــوره

الشاعر (العويس) من بلدة الزلفي، يلتقط لنا في هذا البيت صورة اجتماعية نمر بها في بعض الأحايين، والشاعر عادة لديه حساسية عجيبة في إدراك بعض التصرفات والمواقف، وهو هنا يتحدث لنا عن السلام المصلحي، الذي لا يريد به صاحبه وجه الله والدار الآخرة، وهذه النماذج تقابلها أحيانا، إذْ يبدؤك أحدهم بالسلام والمصافحة، وقد يدعوك إلى زيارته، ثم يعرض عليك الخدمة المطلوبة منك، وليس في ذلك من بأس، لكن الذي يغضبك هو أنك بعد أن تحسن إلى هذا الرجل يقابلك في الغد فيعرض عنك وكأنه لم يرك، وهو هنا يكشف عن لؤم في الطبع، وزيف في المعدن، إن السلام الحقيقي الذي دعا إليه الإسلام، هو «السلام» المجرد الذي تبتغي فيه وجه الله، وتقصد من ورائه إفشاء المحبة والسعادة والتكافل في المجتمع.

« من نوادر الأطباء والمرضى »

■ في حديث جاذبني طرفه أحد التراثيين قال لي: في القرن الماضى كان «درويش» يجوب قرى نجد، وكان يتطبب في أمراض العيون، زار إحدى قرى القصيم، فهرع

(١) إن الله خلق هذا المخلوق لحكمة، وإن الإحسان إليه واجب، رتب الله عليه أجراً، لكننا نسوق هذه القصص من باب الإستملاح والإحماض.

إليه بعض شيوخها ممن يشكون ضعفا في أبصارهم. يصفون له أدواءهم ويطلبون دواءه، يقول الراوي: إن أحد المعمرين فتح له عينيه وهو يسأل: ما سبب ضعفهما؟ فحدق بهما الدرويش، وهو يقول ببساطة متناهية: يا والدي إن مشكلتهما السبت والأحد!.. فعقبت على محدثي مستشهدا: «إن الليل والنهار مامرا على شيء إلا أبلياه».

* وقال لي أحد الرواة: إنه في إحدى سفراته إلى الشام كان بحضرة طبيب حين دخل عليهما شيخ هرم، فشكا للطبيب وجع ركبتيه، واستفهمه عن نوع المرض؟ فقال له الطبيب يمازحه: إن مرضك اسمه «كابورا» فعقب الهرم مستطلعا أكثر: وما دواؤه؟ فرد عليه الطبيب بخبث: «قابورا»!

* وقال لي أحد الإخوان من مدينة عنيزة: قبل عشرات السنين كان إنجليزيا يتطبب في نجد، وفي جولة من جولاته كان يسير في سوق من أسواق عنيزة، وحين بصر به أحد كبار السن عرفه، فتقدم إليه يشكو أوجاعه، فقال له الطبيب: افتح فمك وأغلق عينيك، فتخيل الرجل أن ذلك من دواعي الفحص ففعل ما أمر به، ولما طال عليه الوقت فتح عينيه لينظر ما الخبر فلم ير أحدا أمامه، لقد تركه الطبيب ومضى!!

فالحمد لله الذي أبدل متطببي الأمس بأطباء ومستشفيات عالمية أمست مقصد المستشفين من أنحاء العالم، ولا يبقيها ويزيدها إلا النصح لله ولرسوله ثم لولاة الأمر، فاللهم زدها من نعمة واحفظها من كل عدو وحاسد..

* ومما يحسن إيراده كدليل على رعاية مستشفياتنا للمسنين، قصة الرجل المعمر التي تناقلتها الصحف في الفترة الأخيرة، والذي زرع له مفصل فخذ، وتمت العملية في أحد مستشفيات المملكة، خرج بعدها الشيخ الكبير يمشي، رغم تجاوزه المائة وخمسة أعوام، وشدتني كلمات صرح بها الطبيب المعالج جاء فيها: «إنني أدعو إلى الإهتمام بصحة المعمرين وتقوية حالتهم المعنوية، وعدم تركهم بحجة كبر السن وقرب الأجل، وفاء لما بذلوه طيلة حياتهم المديدة، خاصة وأن الخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية جيدة وراقية» وهي نصيحة خبير مخلص صادق في كل كلمة تفوه بها، وحري بنا أن نعيها ونعمل بها..

أما إنجازات مستشفياتنا في ميدان علاج الأطفال، فقد توجها الفريق الطبي

الوطني الذي قام بزراعة قلب لطفلة مريضة، هكذا كنا، وكذا نحن اليوم، والفضل لله من قبل ومن بعد . .

قال الشاعـــــر:

ابـــن آدم لو طال عمــره وانــحــنــى
متـمسكـــن بالــدنيـــا يقـــول ولـيـد

ومن الفصيح قال: حميد بن ثور:

أرى بصري قد خانـــني بعـــد صحـــة
وحـــســبــك داء أن تصــح وتــســلما
ولا يلبـــث الــعصران يومــا ولــيــلة
إذا طلبــا أن يدركـــا ما تيــمــما

« اختـــلاف اللهجـــات »

■ اختلاف الألسنة من آيات الله في خلقه، إذْ قال سبحانه: ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختـلاف ألسنتكم وألـوانكم إن في ذلـك لآيات للعالمين ﴾ (الروم: ٢٢)، ولاختلاف اللهجات العربية مفارقات مضحكة، تأتي لاشتراك اللفظ في معنى آخر ربما كان معاكسا أحيانا، فيحصل الإبهام الذي ينتج عنه العجب والإضحاك! ولقد اجتمع عندي كثير من الروايات في هذا الموضوع، فقد سمعت قصة المرأة العربية التي جلست جوار امرأة أخرى من بلد عربي آخر، وكانت هذه المرأة تلبس سوارا من ذهب، فأعجب جليستها، وسألتها عن ثمنه، فردت عليها بلهجتها المحلية: «اخرصي» تعني قدري ثمنه، لكن الأخرى قامت مغاضبة، لأنها اعتبرت هذه الكلمة زجرا لها، فقد فهمتها: «اخرسي»!

* وقال لي أحد الأشقاء العرب، كنت في بلد عربي أبيع الخضار والفاكهة، وفي أحد الأيام، قلت لمجموعة من الشباب أخذوا يعبثون بصناديق الفاكهة: «يا حبايبي» لا تفسدوا علي بضاعتي، وما أن سمعوني حتى بدأ السخط والغضب في وجوههم، وكادوا يقعوا بي، لولا أن شيخا كبيرا حال بينهم وبيني، وأفهمهم أنني لا أقصد المعنى الذي فهموه، والذي يعني في لهجتهم، «يا نساء».

* و «الزول» في لهجة إحدى البلاد العربية تعني: «الرجل»، ولا معرَّة فيها، بينما هي في لهجة أخرى إذا أطلقت، قصد بها الرجل الذي يسرك مظهره ويسوؤك مخبره!

* و «قذع» في إحدى اللهجات العربية تعني الرجل النشيط الهمام، بينما هي في إحدى اللغات الإسلامية الشرقية تعني: «حمار».

* و «المره» فصيحها «المرأة»، لكنها في إحدى اللهجات العربية العامية، إذا أفردت أخذت معنى غير مقبول، ولهذا يقال، إن أحد «العقيلات» كان يعبر بجماله أحد الطرق في بلدة عربية، ولما قال لإحدى النساء التي تقف على الطريق: «يا مره جنبي طريق الجمال»، نهرته قائلة: أنا لست مره، أنا ست، فرد على الفور: يا ست يا سبع يا ثمان، خلِ طريق الجمال!.. وكان أحد «العقيلات» في الزمن الماضي، قد غربله الفقر في بلده، فسافر إلى بلد عربي، يلفظ سكانه الجيم قافا، فأقام هناك وتزوج، وفي إحدى الليالي، أيقظته زوجته لصلاة الفجر، وهي تقول له، يا بو فلان، اصح الفقر طلع! فقام من فراشه فزعا، وهو يقول: أنا هارب من الفقر، لا تذكريني به!!..

* وقال لي أحد الأساتذة من الوافدين العرب، وهو رجل على مشارف الخمسين، قد شاب شعره: ذهبت في الأمس إلى سوق الخضار، ولما قلت لأحد الباعة، وهو شخص متقدم في العمر: يا خال كم تبيع هذا البرتقال؟ تبين الغضب في وجهه وازور عني، فكررت سؤالي عليه، فقام مغاضبا وهو يقول: لا تدعوني بخالك، أنا لست خالك! ثم حصلت مشادة بيني وبينه، انتهت بتوسط جيرانه من الباعة، ولم يتبين لي سوء الفهم الذي وقعت فيه إلا فيما بعد، حيث أنني دعوته بلقب الخال، وهو شيء لم يستسيغه لفارق العمر الذي بيني وبينه، أو بالأصح تقاربه، لقد استخدمت هذا اللقب في غير مناخ الأحوال الذي تستخدمونه فيه!..

* وقرأت قبل عدة أيام قصة المسافرين العرب، الذين غشيهم الرعب، حين قال لهم شقيق عربي يجاورهم مقاعدهم في الطائرة: الآن ستسقط الطائرة! ولم تتوقف قلوبهم عن الخفقان إلا بعد ما علموا أن المعنى بالنسبة لهم «الآن ستهبط الطائرة»، فتنفسوا الصعداء، وحمدوا الله الذي جعل في اختلاف اللهجات آية ورحمة».

« قـــرود التاجـــر »

■ كنت جليس أحد التراثيين الذين وعوا من التراث الملحة والنادرة، ومرت عليهم القصة والقصيدة، وكان غير بعيد منا أطفال يلعبون الكرة، ويتقاذفونها فتسقط في ساحة مجلسنا فيأخذها ويرميها عليهم، وفي إحدى المرات دفعها عليهم بضجر وهو

يقول: «ولا قرود التاجر» فانتهزتها فرصة، لكي أعيد للحديث حرارته وللمجلس متعته، فسألته: ما قصة التاجر، وما خبر قروده؟! فعدل جلسته، ورشف فنجاله، ثم توجه إلى المجلس بالحديث: كان هذا الرجل رحمه الله أحد تجار «بريدة» يشتري البضائع من بلد ثم يسوقها في بلد آخر. وفي سنة من السنين كانت حمولته عدة أكياس من الطرابيش، وكان يجتاز بها طريقا جبليا وعرا تسكنه مئات القرود، فأدركه بعض شأنه وهو بين هذه الجبال فنوخ رواحله، ثم استراح قليلا فأخذته غفوة غفل خلالها عن متاعه، ولما استيقظ إذْ بعشرات القرود تحيط ببضاعته وقد مزقت أكياسها ولبست طرابيشه وهي تتمايل تيها وعجبا، فأسقط في يده وأخذ يفكر في حيلة يخلص فيها طرابيشه من هذه القرود، دون أن يصيبها التلف ودون أن يمضوا بها معهم إلى قمم الجبال، ولم يطل عليه التفكير فقد عثر على حيلة مخلصة، أخذ صحنا من متاعه فقلبه على الأرض، ثم لبس طربوشا من طرابيشه الباقية، ومسك عصا فبدأ يدق به على هذا الصحن ويغني ويرقص، فبدأت القرود تقلده في حركاته وسكناته وتفعل مثلما يفعل ولما تأكد له أن الطرب قد أخذ منهم كل مأخذ، شرع في تنفيذ الفصل الأخير من الحيلة، فقذف طربوشه على الأرض، ففعلت القرود مثله وألقت بطرابيشها على الأرض، فلما فعلوا جميعا ذلك هجم عليهم بعصاه الغليظة فشتتهم بددا وفرقهم مذرا، وفروا من بين يديه لا يلوون على شيء، فاستنقذ طرابيشه دون أن يمسها ضرر، بحيلة غريبة مضحكة.. فضحك من بالمجلس على حسن هذا التخلص، واعتبروا هذا التاجر من الأذكياء الظرفاء الذين يتخلصون من مشاكلهم بأسلوب السهل الممتنع!

«خطـة مكشوفـة !»

■ أخبرني أحدهم، قال: كنت أزور إحدى بلدان شرق آسيا، وبينما أنا في سيارتي، أقف أمام إشارة المرور، وزوجتي متحجبة خلفي، إذْ وقفت علي عجوز فسألتني أن أتصدق عليها، فأعطيتها الميسور، ثم تركتني، ودارت حول السيارات، ووقفت علي من الجانب الآخر، وقد غطت رأسها، لتوهمني أنها امرأة أخرى، فعجبت من عملها، وسحبت رداءها عن رأسها، وأنا أقول لها: هذه خطة مكشوفة! فضحكت وضحكنا لحيلتها.

« دواء اجريبيع »

■ هذا مثل معروف في مدينة «بريدة»، يقولونه سخرية للإنسان الذي يزعم أنه يحسن كل شيء، أو للأداة التي يزعم صاحبها أنها تؤدي شتى الأغراض. «واجريبيع» هذا، هو الشاعر: اجريبيع الهيتمي، عاش في مدينة «بريدة»، وكان يتصيدل، فيبيع بعض الأدوية في سوق بريدة، ويأتيه أهل البادية فيشترون من دوائه ما يتوقعون منه الشفاء، جاءه مرة أحدهم، فسأله عن أصناف الأدوية، فقال له «اجريبيع» وهو يشير عليها: هذه للنفاضة، وهذه للحمى، وتلك للمغص، فاستفهمه البدوي، قائلا: وتلك الزجاجة لأي شيء؟ فرد عليه الطبيب قائلا: هذه عن كل شيء، فعقب البدوي (يا خوي عطن هذه اللي عن كل شيء).

« شراع أهل الغـوص »

■ حضرت مرة مجلس شركاء يتشاكسون، وفي محضرهم شيخ على علم بالأمثال والأخبار، فلما اختلفوا على أمر من الأمور، كل واحد منهم يريد أن يتخلى عنه، قال لهم: هل تجعلونه مثل شراع أهل الغوص؟! فاستعلمته قصة المثل؟ فقال: كان كثير من سكان «بريدة»، يذهبون في موسم الغوص إلى الخليج العربي، فيعودون باللؤلؤ والمرجان ويحرص العائدون على حسن المظهر، فيجَمِّلون ركائبهم، ويدخلون البلدة في يوم مشهود، وفي إحدى السنين، قدم مجموعة منهم، وعلى طرف البلدة، أخذوا يعدون أنفسهم وركائبهم للدخول، فاختلفوا على من يحمل «شراعهم»، كل واحد يرفض حمله، لأنـه سيشوه منظر ذلوله التي جملها وزخرفها، فآل بهم الأمر إلى ترك «شراعهم» في موقع خلافهم، ودخول البلدة بدونه، فضرب في قصتهم المثل.

« العجوز التي طردت الفقـر »

■ جمعني الحديث مع الأخ/ سليمان الحسني، وهو شاب ذواقة للشعر يروي شوارد الأبيات، فقيه بمعاني ما يروي، يطرب لبديعه، ويعجب بغريبه، قال لي مما رواه: كانت جدتي: فاطمة السالم، من سكان بلدة الشماسية، في القرن الماضي، توفي زوجها، وسافر أولادها خلف الرزق، وخلّفها الجميع مع بنات بنتها، وليس للجميع معيل سوى الله، وتزوجت البنات، بعد معاناة شديدة مع الفقر، وبقيت

المرأة المسكينة تصارع الفقر ويصارعها، وفي أحد الأيام تهيضت بهذين البيتين:

الحـمـد للـه على ما صـار يوم صرت للفـقـر تلهوه
صكـيـت أنـا عنـه باب الـدار قام يوايـق مع «الـكـوه»!!

«يوايق»: يتطاول لينظر إليها، «الكوة»: فتحة مجرى الباب «تلهوه»: ملهاة.
وودعت الأخ سليمان وشكرته على هذه الملحة التي أطرفنا بها.

« فقـر وغلدمـة »

■ تزوج رجل فقير بامرأة، فزادت أعباء الحياة عليه، وعجز عن تلبية طلبات البيت الذي دخله ضيف جديد له احتياجاته ورغباته. فكثر إطراق الزوج وأمسى ساهما مكتئبا يفكر كيف يتدبر أموره، وكانت المرأة تضيق من قبل بفقره لكنها كانت تتسلى بمرح زوجها وأنسه، فلما رأت تغير حاله، قالت قولتها المشهورة التي تناقلها الناس (فقر وغلدمة) وتعني بالغلدمة: هذا الصمت والعبوس والتقطيب، وهي هنا تعاتبه على جمع هاتين الخصلتين المذمومتين، وترجوه أن يقبل الفقر ويرضاه حتى يأذن الله بالفرج ويأتي بالمال فيتبدل العسر يسرا، وقولتها هذه تذكرنا ببيت الشاعر: (إيليا أبو ماضي) الذي يقول فيه:

أيها العـابس لن تعـطى على التقـطيب أجره
لا تكـن مرا ولا تجعـل حيـاة الـغـير مرة!

« بـدوي يتأمـل »

■ كنت أجلس مع أحد رجال البادية الذي أخذ يتطلع إلى قنوان النخل وقد زها وتكـاثف في طلع نضيد، وما أن استكمل تأمله المتأني حتى ردد «المغنيات الخيل، والمال بالنخل» قلت له يا أخا العرب إن المغني هو الله، قال أنعم بالله وأكرم، ولكن أنت تعرف الأوضاع التي مرت بها الجزيرة قبل توحيدها حين كانت القبائل تغير على بعضها فينهب بعضها بعضا، حين كانت الأموال عارية مستردة يمسي الرجل غنيا ويصبح فقيرا والعكس صحيح أيضا، فالحمد لله على الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان.

« المحسنون سواسية »

يا لله يااللي كل عين ترجاك
إنك تنجي باذرين الحساني
لا لهم بامر الولي مجرى الادراك
تجعل ميتهم شهيد جناني
بغيت احشم لذاك زود على ذاك
لو كان ماهوب بيدي في لساني
ذكرت نو الخير من ذا وذولاك
وهودت عن راي العرب في مكاني

سمعت «الراوي» يترنم بالبيت الأول من هذه الأبيات، فاستحسنته، وسألته أن يكمل القصيدة، فأنشد الأبيات الثلاثة التابعة له، واستوضحته عن قائلها، فقال: هي لشاعر من قبيلة «مطير» شهرته «الفراوي» عاش بين ١٢٥٠ ـ ١٣٥٠هـ ـ تقريبا.

« العمر ساعة »

■ من الفصيح قال الشاعر:

إذا كنت أعلم علما يقينا
بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنينا بها
وأجعلها في صلاح وطاعة

« من بريدة إلى دمشق »

هذا طويل الثلج يا طريف جيناه
متى على التسهيل يقعد ورانا
تل الفرس يا طريف حنا نزلناه
ومنين الحطب يا طريف نوقد عشانا
البق والبرغوث حنا عرفناه
والديرة اللي ما هواها هوانا

لولا البلى والبين ما كان جيناه
ميرْ ان ابو موسى جميع حدانا
لي ديرة يا طريف ما والله أنساه
لذاذة الدنيا اطعوس ورانا

هذه الأبيات سمعتها من أحد الرواة، ذكر لي أنها من قصيدة لشاعر من سكان بريدة عاش في القرن الثالث عشر الهجري اسمه: «اغنيهان» يصور فيها حال مجتمعه في ذلك الزمان حين كان التغرب عن الوطن أهم مصدر من مصادر الرزق، فهو في قصيدته يصف حنينه إلى بلدته وأنه لولا الجوع والفاقه ما كان ترك وطنه وعانى مشقة السفر وأهواله!

وسألت الراوي عن بعض الأعلام في القصيدة مثل «أبو موسى» فقال إننا في نجد نطلق على الجوع «أبو موسى» أما «طريف» فهو رفيق الشاعر في سفرته و «طويل الثلج» يعني به «جبل الشيخ» وهو جبل يقع غرب دمشق في منطقة الجولان يرى القادم من نجد قمته المكسوة ببياض الثلج من مسافة أربعة أيام، وعلى طول هذه المسافة ينقل المسافرون حطبهم معهم إذْ ينعدم الحطب على طول هذا الطريق، أما «تل الفرس» فهي قرية صغيرة تمر بها القوافل وهي في طريقها إلى دمشق.

وبهذه المناسبة نذكر قول الشاعر الشعبي الآخر:

« الشام شامك إلى مِنْ الدهر ضامك
والهند هندك إلى قل الذي عندك »

ومادام أن الحديث تطرق بنا إلى «دمشق» فإن العشق الذي يسكن قلوبنا تجاه هذه المدينة كبير وممتع، أنا شخصيا زرت دمشق مرة واحدة منذ أكثر من ثماني سنوات وزرت بعدها عشرات العواصم لكن «الفيحاء» شيء آخر؛ في هذه المدينة تحس بتاريخك العربي والإسلامي يحيط بك من كل جانب، تتأمل فيها كل الذكريات الجميلة التي حدثك عنها أجدادك وأباؤك بنشوة واعتزاز، ثم لا يسعك بعد ذلك وأنت تقف في وسط ساحة «الميدان» الا أن تردد مع «العوني» بيته في قصيدته الخلوج.

إلى سرتها عشر وخمس مغرب
مرواحك «الميدان» مَنْها منالها

« حديث لحمد الجاسر »

■ «ويل للشعر من راوية السوء» نعوذ بالله أن نكون منهم ـ تمثلت بهذه المقولة حين قرأت المقابلة التي أجريت مع الأستاذ الكريم حمد الجاسر، وأظنها إن لم تخني الذاكرة كانت في جريدة الجزيرة صفحة أدب وثقافة، والتي ذكر فيها أن بعض رواة الشعر العامي يغيرون ويزيدون فيه لأسباب يرونها هم، وأنه يتأسف لكتابته مقدمة كتاب ألفه أحد رواة الشعر الشعبي اكتشف فيما بعد أنه زاد في قصيدة رواها لغرض في نفسه، ويقول الأستاذ «حمد» إنه لم يعد يعتبر الشعر الشعبي مصدرا يوثق به للوقوف على تاريخ وجغرافية المنطقة لكثرة ما دخل هذا الشعر من تحريف بقصد وبغير قصد ـ أكتب رأيه هذا من الذاكرة بعد مدة من نشره ـ والحق أن هذا أمر يؤسف له، إذْ أن الراوي هو كالمؤرخ عليه أن يلتزم بالحيادية في نقله وأن يدون النصوص كما وردت وكما سمعها، وله بعد ذلك أن يعلق عليها ما شاء له التعليق، أما أن يحرفها ويدخل عليها ما يدخل وينتقص منها ما ينتقص، فتلك والله نقص في الذمة وخلل في الضمير وتقصير في حمل الأمانة.

ورحم الله الشاعر الشعبي الذي قال:

اللـــه من بيـت ورا الصـدر مكنـون
أخـاف جهيـل المـلا يدمـرونـه

ويحضرني بهذه المناسبة قول الشاعر الفصيح:

« وهـم نقـلوا عني الـذي لم أقـل به
ومـا آفـة الأخبـار إلا رواتهـا »

« الإبـل والقطـن »

■ هي البل هاده بالقطن»: «البـل: الإبـل». هذا المثل سمعته من أحد «العقيلات» ولما سألته عن تفسير هذا المثل قال لي: إن «عقيل» حين كانوا يسلكون بجمالهم قرى مصر كانوا يحذرون أن تتخطى إبلهم مزارع القطن فتفسدها، وتلك جريمة لا تغتفر، فالقطن هو أهم غلات مصر الإقتصادية، فكانوا يضربون هذا المثل للأمر الذي لا يستحق اللهفة والعجلة ولا يستدعي الحل السريع.

« غريب الدراويـــش »

يا ونـتي ونـة غريـب الـدراويش
قطيـع حجـاج على الـدرب خلـــي
ونـا عضـيض الـغـلث لو قيـل ما بيش
والاربـعـين قريـب حتـنهـن لي

هذان البيتان سمعتهما من أحد الرواة، وقال إن لهما بقية.

« من أبيات المعانـــي »

■ من الأبيات التي تزداد صور معانيها في الفكر كلما اشبعتها ترديدا، هذا البيت للشاعر العوني:

دنـيـاك لو صافـيـتـهـا ما تصـافـيـك
ولا عنـدهـا أسـهـل من تزعلك ورضـاك

« سو شاهي يا حـارس »

■ «سـو شاهي يا حارس» سمعت هذه العبـارة التي ذهبت مثلا من أكثر من واحد. فحين أخذ البنك العقاري يعطي القروض لبناء الدور، بدأ الكثيرون من المواطنين في بناء منازلهم، وفيهم نسبة لا تفقه من أمور البناء سوى القليل، إذْ هي تخوض هذه التجربة لأول مرة، فتجد بعض الشباب حين يدخل منزله الجاري بناؤه يرفع أطراف ثوبه إلى ما فوق ركبته مخافة أن تتسخ أطرافه، ثم يصوت للحارس قائلا: «سو شاهي يا حارس» ثم لا يهمه بعد أن يعدل كيفه بفنجال أو فنجالين ماذا يدور في بنـاء عمارتـه؟! والحمد لله أن هذه النوعية كانت قليلة ثم اختفت، حين تنامى إحساس شبابنا بواجباتهم الخاصة والعامة وازدادوا خبرة وتمرسا في هذا المجال. وهذا المثل أصبح يضرب هذه الأيام للشخص الذي يهتم بالقشور ناسيا جوهر مسئولياته!

« من تـعـابير العامـــة »

■ من تعابير العامة مايلي: سمعت أحدهم يشكو على صاحبه حاله فرد عليه الصاحب قائلا: «اللي بك برفيقك». وخرجت مرة في طلعة خلوية فحصل لي حوار.

مع أحد القاطنين هناك إذْ سألته عن أرفع مكان في تلك المنطقة فأجابني بادئا كلامه بقـولـه: «أظن ـ إن شفـاك ظني ـ ان القـارة ذيك أرفـع مكان»، وهذه الجملة الإعتراضية اعني قوله ـ ان شفاك ظني ـ رائعة تنم عن أدبه وكيف أن الظن ليس دائما شافيا فهو ليس كاليقين في ثباته. وقريب من ذلك قولهم «مالك لوى» أي أنني أنزهك عن قول «لا» في أمر جوابه النفي!

وأحدهم ندب مندوبا ليحاول ثني رجل آخر عن موقفه، فرجع المندوب دون أن يحقق مهمته فقال له الرجل: «ارجع له ثانية ترى فلان مثل خبز الصاج ما يستوي حتى تقلبه مرتين»! وهذا قياس منطقي جميل.

وكنت في مجموعة نتذاكر «الحظ» فسمعت أحدهم يتمثل بقول القائل: «من شين حظي كل ما طقيت وتد اطلعت لي حصاة»! وسمعت شخصا يلح على شخص بانهاء حاجته حيث أجابه الشخص الآخر قائلا «منك الصبر وعلينا الوفاء».

« أمثـــال شعبيـــة »

■ من الأمثال العامية التي سجلتها سماعا قولهم من «سد السيل هلك» وقولهم: «إلى اطري لك مرعى فارع من دونه».

= = =

■ من الأمثال التي سجلتها قولهم (اعقيل[1] دون عقله) وقولهم (اعقاله من أوباره) والمعاني في المثلين لا تخفى.. وجماعة اعقيل هم أباؤنا وأجدادنا من القصيم وعامة نجد ممن كانوا يتاجرون بالمواشي في أسواق العراق وبادية الشام ومصر، وأخبارهم معروفة وان لم تدون وهو موقع أسفنا.. وكانت بادرة تحمد عليها بلدية بريدة حين أطلقت اسم «العقيلات» على الحديقة الكبيرة الملحقة بسوق الماشية الكبير الذي تمت عمارته في بريدة من قريب، ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أذكر مقابلة أجريت مع أخ مهتم بالتراث الشعبي هو الأستاذ عبدالله الزامل ذكر فيها أن لديه مخطوطة كتاب ألفه عن (اعقيل) واليوم أتوجه إليه بالسؤال التالي: لماذا لم ير النور بعد[2]..؟

(١) «عقيل» رحـالة يمتهنون تجارة المواشي وخاصة الإبل، وخطوط رحلاتهم بين العراق والشام ومصر والجزيرة العربية، وغالبيتهم من مدن القصيم.

(٢) واليوم، وبعد أن توفي ـ رحمه الله ـ هل ينشط أحدُ أبنائه أو ورثته فيدفع بهذا المخطوط للنشر، ولا يفوتنا أن نذكر كتابي (رحلتي مع العقيلات) و (العقيلات) للأستاذ/ إبراهيم المسلم، فقد نزلا في وقتهما، وبذل فيهما مؤلفهما جهداً مشكوراً، وسبق كثيرون ممن حاولوا التأريخ لهذه الحقبة.

أما المثل الثاني فيشبه في معناه المثل الشعبي الآخر المعروف (اسيوره من امتونه) وزيادة في التقصي فقد رجعت إلى أشهر كتابين عنيا في تدوين الأمثال الشعبية الأول هو (الأمثال العامية في نجد للشيخ محمد العبودي) والثاني هو (الأمثال الشعبية) للأستاذ عبدالكريم الجهيمان فلم أعثر على تدوين المثلين في حرفيهما بالجزأين الأولين منهما وأيضا المثل الثالث لم أعثر على نص له .

* « في رملة كنه قفى الترس مقلوب

يطرب بها الجني على فقده الذيب »

هذا البيت تمثل به في معرض حديثه محدث كنت أنصت له ، وقد سمعته من قبل باللفظ الآتي :

في صحصح كنه قفى الترس مقلوب

يطرب به الجني على فقدة الذيب

وحين سألته عن قائله ذكر أنه الشاعر ابن لعبون . . ولم أقف عليه في ديوانه المطبوع ولا فيما مر علي من شعره المنشور، وصدر البيت يتضمن استعارة تشبيهية جميلة وفي عجزه اشتمل على اسطورة مشهورة مفادها خوف الجني من الذيب، والبيت في مجمله إحدى روائع الشعر الشعبي .

■ ومن أمثالنا العامية قولهم «الكذب إزمالة ردية» وقولهم «ما يشيل الحمول إلا الـزمول». . . وسمعت مزارعا يشكو همه على مزارع آخر أخذ يسأله عن الأشجار والـزروع والضروع وحين سأله عن البرسيم رد عليه قائلا «ما تركه الدباس أكله عباس» والدباس يعنون به حشرة «المن» المعروفة في أوساط المزارعين . وهي آفة تصيب بعض المحاصيل الزراعية فتقضي عليها ولعل تسميتها عندنا «الدباس» آتية من صفة فعلها إذْ تغطي ورق الشجر بمادة لزجة قريبة من «الدبس» وهو ما ينضح من التمر . .

■ من الأمثال التي سجلتها قولهم «اللي ماهو بين ايديك بعيد عليك» وقولهم «من رقع الدنيا تبذه فتوقه» «قال وراه يكيل لك بقفى الصاع وانت راضي قال : لأنه يعرف اني ماني موفي» وقولهم «من قابح جاره اضطر إلى تغيير داره» ، وقولهم «أحد يزم واحد يدودل دودله» وقولهم «يدلك على السلع أثمانها» «وإذا تساوت الأسعار فالمشتري بالخيار» :

في الحقيقة لم أجد متسعا من الوقت لأبحث عن أسبقية نشر هذه الأمثال في الكتب المختصـة بالأمثال العامية، فالمبدأ الذي أسعى جهدي الإمتثال به في هذه الزاوية هي أن أنقل لكم ما سمعته لا ما قرأته، إلا في قليل مما رأيت أن التعليق عليه يزيد المعلومات حوله، ذلك لأننا لسنا في حاجة إلى أن نكرر ما نشر في السطور بقدر حاجتنـا إلى تدوين ما طوتـه الصدور، فإن كسرت هذه القاعدة لسهو مني فالعفو والتسامح مطلوب منكم.

■ من الأمثال التي سجلتها سماعا قولهم: «مادم إلا عقب فصد عرق» وقولهم: «مـا يشـد على حاشي وبالبيت جمل» وقولهم: «بغاها طبه فصارت طيحة» وقولهم: «للذيب غيبات تهلكه»، وقولهم: «كل يرى الناس بعين طبعه».

■ من أمثالنا العامية قولهم «البصر فوق العريمضي» وهما خبان من أخبية بريدة الغربية.. ويعنون بهذا المثل قرب هذا الشي لتلك كقولنا «الفقع حول الرقة» ومن أمثالنا قولهم «يد بالرشا ويد بالجال» «مجرى انغيمش لا يدخل ولا يطلع» وقد سجلت هذه الأمثلة عن طريق السماع.

■ من الأمثـال العـامية قولهم «جـربـوع ولا أرنب مخشـوره»، مخشورة: يعني مشروكـه. وسمعت أحـد الإخـوة السودانيين يقول «الحاري ولا المتعشي» ويعنون بالحاري أي المتحري.. فالذي ينتظر الطعام يبقى في لذة خيال الإنتظار... ومن بدأ الأكل يبقى في لذة الواقع وبينهما شأو كبير. وقلت لهذا الأخ: إننا في نجد نروي حكاية الشخص الذي سُئل عن سبب شيبه المبكر فقال «لكثرة جدع السفرة وتأخر الطعام».

« مثـل بــدوي »

■ «العاقل اللي ماله قاله» تمثل بهذا المثل أحد المتحدثين، فسألته عن مصدره فقال: إنه مثل بدوي. واستوضحته معنى «القالة» فقال: إن أهل البادية يسمون القضية أو الخصومة «قالة» ألم تسمع قول من قال: «كم قالة كبرت واخير أمرها هان». والمثل له معنى واقعي لا يخفى على متمعنه.

« مثل له معـــنى »

■ «عاني يحكي على راوي» هذا مثل سمعت أحد «العقيلات» يتمثل به، وحين سألته عن مضمونه أجاب بأن هناك قريتين على شط الفرات بالعراق واحدة اسمها «عانة» والأخرى «راوه» كثيرا ما يقف اثنان منها وبينهما الشط فيتناقشان وقل أن يفهم أحدهما الآخر؛ لبعد مسافة النهر، يضرب هذا المثل لشخصين يتحدثان ولا يفقهان بعضهما.

« إذا نزل القدر عمي البصـــر »

لو عنـدنـا من غيـب الايـام رسـه
الآدمـي مصـلـوح نفـسـه يدلـه
إلى شفـت ضول الـنـاس بالـك تعـسـه
إلى عقـبـك شر المـخـالـيـق خله

الحكم المضمنة هذين البيتين، هي مخاض تجربة وواقع حياة مريرة، والشعر الذي يهز مشاعرك، ويصف أعماق نفسك هو ــ فقط ــ الشعر الذي أنبتته الموهبة وصاغته المعاناة الحقيقية، أما الشعر التمثيلي المفتعل فلا يحرك وجدانك، ولا يعبر عن ذاتك، ولا تحسه شيئا منك. والبيتان السابقان، سمعت أحد الرواة يتمثل بهما، فكتبتهما عنه، وكلما رددتهما إزدادا جِدَّة وحلاوة في نفسي، وهكذا قِيَمُ كل شيء أصيل، وهما من شوارد الأبيات التي إذا أنشدها محب الشعر أحس بمتعة تريح نفسه، وتحلق به إلى أجواء رحبة، ولما قدر لي أن أقابل الراوية الذي استكتبت البيتين منه، سألته: لمن هي..؟ فقال: لشاعر لا أعرفه، فقلت: إذا أسمعني قصتهما إن كنت تعلمها، فتحدث قائلا: هذان البيتان من قصيدة قالها شاعر حصل عليه قضية، فنفاه قومه، فذهب يضرب في الأرض يبحث عن بلد تؤيه، وقوم يستضيفونه، وهو في طريقه حل على مورد ماء وعليه جماعة من الناس يسقون، وعلى طرف منهم جمع آخر من القوم مزدحمين على خصومة، فلما رأى جمعهم دفعه حب الفضول إلى كشف أسباب عراكهم، وحين اقترب منهم، إذْ بأحد أطراف الخصام يستجير به قائلا: (بوجهك أنا دخيل عليك) فاحتماه الشاعر وقال له: لا عليك، لكن خصمه لم يأبه بجيرة الشاعر، فتقدم طالبا قتل خصمه! فوقف الشاعر دون المستجير به وقتل غريمه! ولما انكشفت

الفتنـة، تبـين للشـاعر حقيقة المشكلة الجديدة التي وقع بها، فندم، وكانت ولادة القصيدة التي أولها البيتان المذكوران، ومن معاني الألفاظ (رسه) الرس الشيء القليل (ضول) تجمع، (تعسه) تستطلعه، (عقبك) تعداك.

« بيـت شـارد »

«لـو بغـيـت الجـود ما تقـدر تجـود
وتـرى حبـل الـنكـث ما يرتـب علاقـة»

هذا البيت، رفعه في صوت مُوقَّع رجل رافقنا في سيارة، وكانت له بقية لم أتمكن من حفظها.

« اربـط حمـارك »

■ من الملح التي يظرف إيرادها، أن شخصا كلما أعجبه شيء، أو وافقه أحد على رأيه، قال: «اربط حمارك» كناية على أنه وصل إلى غايته، ولكثرة تكراره لهذه العبارة وتعلقه بها، مازحه قريب للأسرة اسمه «ارشيد» قائلا: «لك علي أن أذبح لك ولمن في المجلس تيسا، إذا لم تذكر عبارتك في جلستنا هذه!».

وبعفوية وحماس، رد عليه الرجل قائلا: «تيس يا رشيد! «اربط حمارك» فضج المجلس بالضحك، وأيقن الجميع أن الرجل أسير عبارته.

« الشاعر معلى في شيبتـه »

■ تذكرون الحلقة التي قابلت فيها أحد الرواة، واتحفنا يومها بألفية الشاعر «معلى الجميل الحـربي»، هذا الراوي صادفته مرة أخرى، وسألته أن يزيدنا مما عنده عن الشاعر معلى، فقال: لما تقدم السن بالشاعر سأله ولده «خضير» لماذا أنت «فحم» يا أبي؟ أي لماذا نفسَك يتردد بسرعة؟ فأجابه الوالد قائلا:

تنـشـدني يا خضـير وهـذي علومـي
الـشـوف داني والـقـدم فيـه خله
زود على الـرجـلين حطيـت شومـي
والـيـد من نقـل الـعـصا مسـتـمـله

العـشـب لو اخضر تجيـه الـسـمـومـي
ولا ينـفـعـه لو كل يوم يـلـه
ما كل من حي حيـاتـه تدومـي
ولا كل من حصـل حصـيـل حصـلـه

تأملوا الاشتقاق الجميل في عجز البيت الأخير، وسألت الراوي عن معنى «شومي» قال المقصود به العصا المعقوف، أو ما يسميه الحاضرة «الباكورة».

« تـوارد الخواطـر »

■ حين أثرت مع أحد الإخوان معاني بيت العوني الذي يقول فيه:

« أتـديـج وأنـا ما نيب دبـوجـه   أسـفـه الـعـلم كني ماتمعـنى به »

قال لي: إن في الشعر الفصيح ما يماثل هذا المعنى.

وهو قول الشاعر:

« ليس الـغـبـي بسيـد في قومـه   لكـن سيـد قومـه المتـغـابـي »

قلت له هذا صحيح، ولا شك أن ذلك من توارد الخواطر إذْ يقع الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر.. ففي النثر ما يطابق هذا المعنى وهو ما يروى عن الخليفة معاوية رضى الله عنه قوله «إن العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغافل» وأوصت عجوز ابنها فقالت «يا بني كن ذكيا وإياك أن تشعر أحداً بذكائك»، ولا شك أن الحياة مدرسة منهجها واحد. والمناهج لا تتغير وإنما يتغير الطلاب..!

« محاسن برج الوسـم »

■ في يوم عشرين من محرم من العام الجاري المصادف للخامس عشر من شهر أكتوبر وهو بداية دخول نو الوسم أي بداية نزول الأمطار في نجد على الراجح من أقوال الفلكيين.. كنت وأحد المهتمين بالأنواء والفصول نقف على بعض أشجار العنب والرمان الصغيرة في إحدى المزارع.. قال لي هذا الرجل: انظر إلى براعم الأشجار وقد نمت وزهت، إن أيام الخريف هذه وهي ما نسميها «الصفري» تماثل أيامها أيام الربيع في نمو براعم الأشجار واعتدال الجو وهي الأيام التي عناها راشد الخلاوي في بيته التالي:

أيـام قـراع الـظبـي وأيـام ولـده
أيـام سعـود مـا بهـن نحـوس

« بدوي يحدد الجهات الأصلية »

■ قال أحد رجال الصحراء لولده ـ ربِّع ـ بتشديد الباء ـ السماء يا ولدي ـ فأجابه الإبن قائلا:

ما بين الجدي ومغيب الشمس هذا الشمال... وما بين مغيب الشمس وسهيل هذا الغرب... وما بين سهيل ومشرق الشمس هذا الجنوب... وما بين مشرق الشمس والجدي هذا الشرق..

والحقيقة أن هذا أسلوب جيد يمكن الإهتداء به لتحديد الجهات الأصلية التي كثيرا ما يصعب تحديدها بدقة على قليلي الخبرة.

« الإنســان والحــروب »

مهـبـول يـا قايـل قضـت
تـوه ثكـب دخـانهـا
يلحـق بهـا ورع صغـير
وخـيـل بقـطي حصـانهـا

هذان البيتان من حداء الخيل، سمعت أحد الرواة يرددهما حين تطرق بعض الحضور إلى أخبار الحروب، فاستعلمت منه عن قائلهما، فقال: إنهما لبرغش بن طواله، أحد فرسان العرب المشهورين، قالهما وهو ممتط حصانه متوجها إلى معركة حربية شبت فتنتها وثار دخانها قبل أن يأخذ راحته من معركة سبقتها! فالفتن والحروب عرفها الإنسان على هذه الأرض، منذ أن أهبط الله آدم عليها، ولا أحد يتخيل مهما أغرق في التفاؤل أن هذا الكون سيخلو يوما من الحروب إلا أن يشاء الله.
وسألت الراوي عن لفظ «بقطي» فقال: إن «القطاة» هي مؤخرة الحصان ما فوق ذيله، فالشاعر يرى أن غير العاقل هو من يتخيل انتهاء الحرب، لأنها الآن بدأت وستطول حتى يخوض غمارها أطفال اليوم، وتحت خيول لم تزل في ظهور آبائها!
وسألت الراوي أن يزيدني مما عنده، وهل يعرف أبياتا أخرى ورد فيها لفظ «القطاة»؟ فقال: نعم. وأنشدني الأبيات الثلاثة التالية، دون أن يسمي صاحبها:

يا سابقي ليلة قربنا «لينة»
من واهج بالصدر ما عنه تدرين
لو حط لك صاف العسل ما تبينه
باكر على حوض المنايا تحضرين
تمسح «قطاتك» كل شلفا سنينه
عساك منها يا جوادي تعتقين

« وصفة شعبية »

■ «ايته من مطامن الأرض»، هذا التوجيه سمعته من شخص ينصح به شخصا آخر، شكا إليه تعنت صاحبه، والعبارة ذات مدلول فكري ونفسي، وهي إحدى ثمرات التجارب الواقعية، فالإنسان يلين ويرعوي، وينقاد معك، حين تلاينه وتهادنه وتتطامن له، ويكابر ويشتط حين تزاعمه وتخاصمه وتقسو عليه، والله أعلم بنفسيات عباده حين قال: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم﴾.

« شيم القائد »

■ من أخلاق القادة عند البادية، نذكر هذا البيت «لشليويح العطاوي»:

إن قلت الوزنة وربعي مشافيح
اخلي الوزنة لربعي واشومي

« قصيدة لها قصة »

■ ذكرت لأحد الرواة قول الشاعر:

«قالوا ترك عمه والف اسمير
يتلى الليان ومن لقى اللين يتليه»

فقال لي: إن لهذا البيت بقية وقصة، وهي أنه قبل قرن أو يزيد من الزمان تعرض أحد الرجال لقضية حصلت عليه وسجن بسببها، وكان له ولد صغير تركه بكفالة أخيه وخادمه «اسمير» فكان الطفل الصغير يألف الخادم لتلطفه معه وينفر من عمه، فلما سمع والده بخبره قال الأبيات التالية:

---

(١) «لينة»: حاضرة معروفة في شمال المملكة.

مانى بحال المغتزي والمعَير
ولا بحال المال لو كثر غاديه

ما همني إلا وغيد صغير
ولا عاد له بالبيت أم تغذيه

يذكر نفر عمه ووالف سمير
يتلى الليان ومن لقى اللين يتليه

وسألت الراوي عن معنى «المغتزي» و «المعير» فقال إن «المغتزي» : هو الجيش الغازي لغرض الكسب «والمعير» : بفتح العين وتشديد الياء هي المجموعة الصغيرة الغازية لنهب إبل الأعداء . . والإسمان أحدهما مشتق من «الغزو» والثاني من «العيارة» ثم واصل الراوي قصة والد «اسمير» فقال إنه حين سجن كان عمر ولده سنتين تقريبا فكان يساوم سجانه على إخراجه لكي يرى ولده على أن يدفع لهم ما يطلبونه من إبل ومال لكنهم كانوا يرفضون عرضه، فلما مضت عدة سنوات عرضوا عليه الخروج على أن يعطيهم ما وعدهم فرفض، فلما سألوه مستغربين؟! قال لهم : «أمس ولدي صغير وتطربني علومه، واليوم زلت عجاريفه فليس لخروجي معنى!».

« رحلة خلوية »

■ نحن على بعد ثلاثين كيلا شمال شرق بريدة، قرب «الطرفية» في خب من أخبية عروق « الصريف» الرملية، الأمسية شاتية والشمس تحتجب رويدا خلف النفود وقدة الغضى والرمث تتأجج نارها، ودخانها العابق ينعش الجسم ويسر الخاطر، وراويتنا التسعيني يجدف بيمناه بين آونة وأخرى فيجذب الدخان المتصاعد، ثم ينحني عليه مستقبله بأنفه يستنشقه مرة بعد أخرى، ثم يطلق زفرة عميقة تذكرت معها قول الشاعر:

قال الأطباء ما يشفيك؟ قلت لهم:
دخان رمث من التسرير يشفيني[1] !

هذا بينما دلة القهوة وابريق الشاي يصطليان، وتحتهما ما تجمر من عروق الرمث والغضى، وأحد الرفاق بيده «البيز» يقربهما إلى النار كلما خمدت الجذوة تحتهما، ويفتح

(١) «التسرير» هو وادي الرشا المعروف في نجد.

أغطيتهما بين الفينة والأخرى لينظر هل غليا أم بعد؟ وهو خلال حركاته تلك يردد بصوت جذل قول الشاعر:

إلى لقينا خايع فيه أثر صيف
وتشوف فيه اثر الحباري اجدادي
سويت فنجال على غاية الكيف
بشبوب رمث من نشانيش وادي

ومن منظر آخر حمل أحد الاخوان «مسحاته» واتجه إلى عرض النفود يقتلع شجر الرمث ويحتطب جذوع الأرطى وسيقان الغضى.

والبعض منهم ابتدر مسؤوليات طعام العشاء فأخذ يعده، أما راويتنا الذي تباطء القهوة، فقد أخذ ينفس عن ضيقه، منشدا:

يا بجاد شب النار وادن الدلالي
واطبخ لنا يا بجاد ما يقعد الراس

انتهزت أنا فرصة انشغال الجميع، فاقتربت من الراوية محاولا صرف همومه تسلية له وتعليلا، فانشدت أمامه قول الشاعر:

سلطان هو عقلك خفيف
عرضت نفسك للخطر

وما أن اكتملت صورة معاني البيت في ذاكرته، حتى بلجت عيناه والتفت علي مكملا:

انشد عريق بالصريف
اشرف على الموت الحمر

ثم عقب دون أن ينتظر سؤالي المتوقع: البيتان للشاعر «أبو شليل»، من سكان بريدة وسلطان الوارد اسمه هو «سلطان الدويش» حيث ذكر الشاعر في قصيدته التي مطلعها البيتان السابقان أحداث معركة «الصريف» المشهورة عام ١٣١٨هـ[١] والتي جرت في هذا الموقع المتوسط بين الطرفية والصريف.

وحين نودي لأذان المغرب انقطع الحديث وقمنا لأداء الصلاة.

(١) أسفرت هذه المعركة، عن استيلاء عبدالعزيز بن رشيد على منطقة القصيم.

و«البسباس». كانت الأخبية بين عروق الرمل مخضرة بالأعشاب على مدى الأفق، وكثبان الرمل وأفلاقها تمتلىء بشجر «الأرطى»، وطرق السيارات تبدو كخطوط صفراء على صفحة خضراء، وقطعان الإبل والغنم ترتع، وبيوت الشعر والخيام لا تغيب عن النظر، واخترنا أحد المواقع المناسبة، فنزلنا وأوقدنا النار، وجهزنا القهوة والغداء، وبعد العصر ركبنا السيارة وأخذنا نتجول في تلك الأخبية، والكثبان، ولما اقتربنا من أحد الموارد الذي ماج بقطعان الإبل، اقترح صاحبي أن نغتبق، فأخذ قدحا كبيرا، ونزلنا إلى أحد الرعاة، فإذا هو شاب في حدود الثامنة عشر من عمره، وبعد السلام، تعرفنا عليه فإذا هو من أفراد قبيلة الدواسر، وعن ربيع المنطقة قال: إننا سنرحل غدا إلى «الصمان» لأن الأخبار التي وصلتنا تفيد أن ربيعها أفضل من هذه المنطقة، ولأن الأشجار التي تحمض عليها الإبل مفقودة في هذه الأرض، وسألناه: أن يحلب لنا، فحيا وشمر عن ساعديه، وتقدم إلى «خلفة ملحاء» فصوت على ولدها، فجاء مسرعا، وحين اقترب منها وعطفت عليه، مسح الغلام ضرعها فدرت، وأخذ ولدها يرضع شطرا، وهو يحلب شطرا، ولما ملأ القدح ناولنيه، والرغوة تفيض على أطرافه، وشربت منه وعلى خاطري قول الشاعر: «وتحت الرغوة اللبن الصريح» وسألت أحد القاطنين هناك عن أشجار «الأرطى»، فقال: إنه في القديم كان كثيفا، لكن المحتطبين قضوا عليه، فلا يوجد من أشجاره الكبيرة إلا القليل، لكن شجيراته الصغيرة متوفرة بكثرة وعلى مساحات واسعة، ولو توفرت لها حماية رسمية فستنمو ـ إن شاء الله ـ وأرجو أن يحدث ذلك فهي ثروة وطنية يلزم الحفاظ عليها.

« فنجال في الربيع »

يامـا حـلا الـفـنـجـال بارض بيـاحـي
ريـح الـشمـطري والعـويـدي إلى فـاح
في ظل سرحـه والـركـايـب ضواحـي
والـبـال من قل الهـواجـيس منـسـاح

هذان البيتان، جاشت بهما ذاكرة راوينا حين سمر رأسه بثلاثة فناجيل من القهوة، وملأ عينيه بخضرة الربيع، واستنشق روائح النبات التي تأتيه مع كل مهب، وانتهزت هذا الصفاء الذهني، فسألته عن معاني ألفاظها فقال: «الشمطري» الزعفران «العويدي» القرنفل، «سرحه» واحدة من شجر السرح، وسألته من القائل: فلم يجب، وتشاغل بفنجاله الرابع!.

وبعيد الشفق روح السحاب فهضب تلك الهضاب بمائه، وأشاع في الهواء الندي، رائحة الأرض المطورة، وفاحت في الأرجاء روائح نبات الوسم فانتشى الجمع بذلك، وهممنا إلى النار الخابية فبعثناها، وعلى دفئها وبرق سناها تشقق بيننا أجمل الحديث..

قال الشاعر:

فيا حبذا نجد وطيب هوائه
إذا هضبته بالعشي هواضبه
وريح صبا نجد إذا ما تنسمت
ضحى، وسرت جنح الظلام خبائبه

وقال آخر:

لم يبق من نجد هوى غير أنني
تذكرني ريح الجنوب ذرى الهضب
واني أحب الرمث من أرض «عاقل»
وصوت القطا في الطل والمطر الضرب
فإن أك من نجد ـ سقى الله أهله ـ
بمنآنة منه فقلبي على قرب !

« بين مرابع البدو ومنابت العشب »

ثمان سنين أربِّع في نياقي
وبالصمان أعدل سنمهنا
وجاني شايب يدي النصيحة
يقول الذود لا يغدى بهنا
وقلت: الذود ذود للخريشا
يذوق الموت من يقرب لهنا

«الخريشا» شيوخ بني صخر، وهذهِ الأبيات فاه بها راوية على دراية واسعة بمكارم وأشعار البادية، تذكرتها والسيارة تدرج بنا على خب واسع بين عرقين من عروق الأسياح الرملية ــ غرب «قبه» بالقصيم ــ فقد دعاني أحد الإخوان إلى التنزه في تلك الصحراء التي زهت بربيعها، وغنت أطيارها، وفاح هواؤها بروائح «النفل»

« المرء وحاجاته »

■ كان يشكو على صاحبه عناء ما يلقاه في سبيل إنهاء حاجات دنياه، حينما مرا بالمصادفة على «المقبرة» فالتفت إليه الصاحب قائلا:

أُنظر إلى كثرة سكان هذه المقبرة، فما أحد منهم تركَ الدنيا إلا وفي نفسه حاجات ما قضاها..!:

« تموت مع المرء حاجاته
وتبقى له حاجة ما بقي
أشاب الصغير وأفنى الكبير
مرور الغداة وكر العشي
نروح ونغدو لحاجاتنا
وحاجة من عاش لا تنقضي »

ومن الشعر النبطي، مقالة هذا الشاعر:

« النفس ما يلحقْ ابن آدم هواها
كل يموت وخاطره يطلب الزود »

« قانون التعامل مع "البرد" ! »

■ «ادخل بالمهاف واطلع باللحاف» هذا المثل سمعته من أحد كبار السن، وهو في معناه يشتمل على نظرية صحيحة إذْ يعني ضرورة التحرز من أول البرد وعدم الإهتمام به في آخره.

إذْ يجب أن تبادر إلى ترك النوم في السطح من بدء وقت الخريف وهو يعادل شهر أكتوبر في نجد.. وفي آخر البرد نم في السطح حتى ولو اضطررت أن تتغطى باللحاف.. و «المهاف» الوارد نصها بالمثل واحدتها «مهفة» وهي ممسكة مخصوفة من سعف النخل عن طريق تقليبها باليد يمنة ويسرة تحدث هواء يخفف وطأة الحر، وكانت مستعملة إلى وقت قريب.

ونعود إلى الحديث عن «البرد» فأوله ضار لأن الجسم لم يتعود عليه بعد، فيجب التحرز منه، وفي نهايته يصبح الجسم مالكا المناعة ضده في الوقت الذي سكنت فيه حدته، ويشبه هذا المثل قولهم «أول البرد توقه وآخره تلقه» فبين البردين برد الخريف

وبـرد الـربيع فرق كبـير في المضرة والمنفعـة، فسبحان مدبر الأفلاك ومقلب الليل والنهار. . . وأخيرا فإنه إذا أقبل الشتاء تذكرنا قول القائل «النار فاكهة الشتاء. . فمن أراد أكل الفواكه فليصطل»، وأي متعة تعدل نار مشبوبة في يوم شات يتحلق حولها الأصحاب وتدار فيها فناجيل القهوة والشاي. . . وأخيرا أختم حديثي عن الشتاء بقول شائع «الشتاء وجه ذيب»!.

« شاعر يصف شجاعة قومه »

يا «خـليـف» قطع للسبـايـا مسـاميـر
عن الحـفـا يا شوق موضي جبـيـنـه
ويـامـا حـلا يا خليـف تركيبـة الكـير
«خـشـم الـلبيـد» بين «خضرى» و «لـيـنـه»
ويـامـا حلا يا خليـف خز المـعـاشـير
شقـح توالي الـليـل تسـمـع رطـيـنـه
نمشي لهن مشي الســلف والمـظاهـير
والـلي تونـى سابـقـه ملحـقـيـنـه

سألت الـراوي، لمن الأبيات؟ فقـال: لا أعلم قائلهـا، واستفهمتـه معاني ألفاظها، «خليف»: صانع يحذي الخيل، «السبايا»: الخيل، «الكير»: منفاخ تشعل به النار، «خشم اللبيد»: نفود، «خضرى ولينة»: موارد ماء للبادية في الشمال، وهما الآن مدينتان معروفتان، «خز» سوقها بهجيج، «المعاشير»: الإبل التي معها أولادها ولقحت عليهم، «رطينة»: حنينة، «السلف»: الركائب الخفيفة التي تتقدم القافلة، «المظاهير»: الجمال المحملة بالبيوت والحلة، «واللي تونى سابقه»: أي التي تنقطع فرسه، ويصف في البيت الأخير شجاعة قومه، مبينا أنهم عندما أغاروا على القوم، وكسبوا الغنائم، ساروا على مهلهم مطمئنين دون خوف أو رهبة من تبعات العدو.

« "العوني" يستعرض مهاراته »

والـلـــه من نـو كمـا الـقـنـديـل براقـــه
إمحـن إمــرن مختـلفـة أرنـاقـــه
طاق ورا طاق طاق طويـق كطاقـة
غراف جراف لميـع الـبرق وضـابـه

ذكـر الراوي، أن هذين البيتين هما للشاعر: محمد بن عبدالله العوني، من قصيدة ليست بالطويلة، قالها على البديهة، ليفحم بها شاعراً دعاه إلى المقاولة، وقد استحضر العوني في قصيدته تلك ـ كما يظهر من البيتين السابقين ومما سمعته منها ـ كل إمكاناته في الصناعة اللفظية الفنية للقصيدة!، ويقال أن ذلك الشاعر استسلم لقدرات العوني الشعرية! ورجع معترفا ببراعته وتفوقه عليه.

وغالب ظني أن القصيدة مما لم يدون بعد عن العوني، إذْ لم يسبق لي قراءتها في ديوانه ولا في أي من كتب الأشعار النبطية الأخرى، وقد يكون عدم إلمامي بكل ما نشر هو مبعث هذا الظن!.

« الزوجة التي أفشت أحلامها أسرارها »

■ في الزمن السابق خاصة فترات المجاعة التي مرت بها البلاد، كان قَيِّم البيت يحتفظ بمفتاح المؤونة، ويُخرج تحت إشرافه الكميات المناسبة لقوت أهل بيته ليوم أو يومين، حتى لا تتعرض المؤونة إلى التبذير ثم الإنتهاء قبل أجلها المرسوم، ويبدو أن إحدى النساء ضاقت بتقتير زوجها، فأخذت من غرفة المؤونة عدة أصواع من العيش وأخفتها تحت بيت الدرج في المنزل، ولما كانت متحفزة ومتوترة نفسيا لفعلتها هذه؟ فقد أخذت تخذرف في ليلتها تلك وهي نائمة! مما أيقظ زوجها، الذي سمعها تقول: «يا بنـات ترى العيش الـلي أخـذته من ابوكن غبيته تحت الدرج!» فكانت وقعتها سوداء، وصباحها أحلك من ذلك!

« الشمس لا تغطى بالغربـــال »

■ من جميل ما قرأت في الشعر الشعبي، قول أحد الشعراء يصف شخصا يغالي في إنكار أشياء بيِّناتها وشواهدها واضحة، ولا ينفع الإنكار في دفعها وهي قوله:

يمشي مع الـضـاحـي ويخـفـي مواطـيـه
ويـكـمى السحـابـة وانت توحي رعـدهـا

« السلف والخلــف »

■ حين رأى أحد الشيوخ في السن حفيداً صغيراً من أحفاده مسح على رأسه وهو يتمثل قول القائل:

حنـا لنـا دور وانـتـم لكـم دور
وسـبـحـان من دار الـفـلك واعتـنى به

« شاعر من الزلفـــي »

■ في عدد سابق استعرضت صفحة (تراث الجزيرة الشعبي) كتابا يتحدث عن شعراء الزلفي، واعجبتني ظرافة أحد الشعراء في بيتين هما:

عرضي نظيـف ولا تهمـك ثيـابي
لو تمتـلي ديـزل ولـو تمتـلي زيـت
بالـبيـت من يمشي وبـالـبيـت حابي
واضـف على هذا بعـد كروة الـبيـت

« العوني يكشف عن دهائــه »

اتـديـبـج وانـا مانيـب دبـوجـه
أسـفـه الـعـلم كني ما تمعـنـى بـه

هذا البيت حين أنشدته بمحضر أحد الرواة، ذكر لي أنه للشاعر الكبير: محمد العوني، وأن البيت الذي يليه هو:

والمسـايـل كلهـا براسي منـسـوجـة
افـتـح الـراي إلى من انـغـلق بابـه

وعقب أحـد الحـاضرين ملاحـظا فقال: إن صحة البيت في مقدمته هي: والمسايل كنها.. الخ.

« استرداد القــرض »

ويـن أنـت يا«لا» يـوم اقـول «إيــه»
أمس حلالي بيـدي والـيـوم أتـالـيـه

هذا البيت فسره أحدهم بأن رجلا أقرض رجلا آخر بعضا من المال، ثم مضت عليه مدة ولم يُعده الرجل، فأخذ صاحب المال يلح بطلب استعادة ماله دون جدوى، فقال البيت المذكور يشير فيه إلى أنه لو قال لصاحبه «لا» حين استقرضه، لضمن ماله وأراح باله، وعلى أي الحالين، فإن المروءات باقية بين الناس، حتى ولو عكر صفوها منكرو الجميل.

« الكلام بعدد الجمــال »

■ سألت أحد «العقيلات» عن المثل القائل «كل يحكي على قدر اجماله» فقال: في القديم كان طريق القوافل محفوفا بالمخاطر وقطاع الطرق، وفي إحدى السفرات تعرضت إحدى قوافل «اعقيل» لبعض قطاع الطرق، فأخذ أصحاب رعايا الإبل الكثيرة في القافلة، يترضون زعيم اللصوص ليخلي لهم الطريق، لكنه أخذ يساومهم على أعطيات كثيرة، فتقدم له أحد العقيلات قائلا له: أنا صاحب «جملين» ولن أطيل معك الكلام «فكل يحكي على قدر اجماله» عندي لك كلمتين فقط، وما أن أتم كلامه حتى أطلق رصاصتين خر بهما رئيس العصابة ميتا، وانهزم أتباعه، وواصلت قافلة العقيلات طريقها.

« شاعـر وأبيـــات »

■ سمعت أحد كبار السن، ينشد هذه الأبيات الثلاثة، فدونتها منه:

نبي نســير ابـطلعة الشمس لعقيـل   ننصـا «سعـد» والا نصينا «السناني»
صبـابـة البن الحمـر بالفنـاجيـل   تلقى الـرغيـف مطرق بالـصيـاني
قطاعـة الـدو الـدنـاوي على الحيـل   كم ديـرة فاجـو عسـيره وهـاني

وسألته، من قائلها؟ فقال: الأبيات لابن مجلاد، شيخ الدهامشة من قبيلة عنزة، والسناني، أسرة معروفة في مدينة عنيزة بالقصيم.

« النجــم اليمانـــي »

■ «سهيل» هذا النجم اليماني الذي يلمع في الطرف الغربي الجنوبي من نجد، له مع الشعراء في القديم والحديث قصص على كل لسان، ولا يدانيه في هذه المنزلة سوى «الجدي» القطب الشمالي المعروف الذي يدور عليه الدب الأكبر، المؤلف من سبع نجوم، المسماة عندنا: «بنات نعش».

و «سهيل» هذا هو نجم يطلع في سماء نجد في التاسع عشر من شهر أغسطس من كل عام تقريبا ويقول المثل العامي: «إذا طلع سهيل لا تأمن السيل» كما يقولون «إذا طلع (سهيل) تلمس التمر بالليل»، وعند طلوع هذا النجم يعود أهل البادية إلى الصحراء بعد أن تزودوا بالتمر، ولذا فإن من أمثالهم: «إلى صار المجر تحت المسر ترى الحضيري قد نشر» أي كثر عنده التمر فبدأ ينشره..

وتعرض الشاعر القاضي في قصيدته عن الفلك لطلوع نجم (سهيل) فقال:

«ويظهر لك النجم اليماني وطرفه
يتقلب كدرة خاتم بيد مايق»

واحفظ لأحد الشعراء قوله:

مرباك نجد ومنزلك منزل اسهيل
نجم السعد يا منوتي من عربها

ويقول العامة حين يبالغون في تبعيد الفرق بين شيئين: «مثل ما بين الجدي وسهيل» كقولنا في الفصيح «مثل ما بين الثرى والثريا».

ويقول الشاعر العربي:

أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت
وسهيل إذا استقل يمان

« في التركراحة »

إلى شفت رفيقك عن الاسناع متعايل
فِنْسَلْ حبلك وحزمة الحطب خله !

أي حكمة تصنعها الصحراء؟! كلما رددت هذا البيت ازددت إعجابا بالرجال الذين تصهرهم قساوة الصحراء فتتجلى فيهم الحكمة والشجاعة والكرم، إن التوجيه الحكيم الذي يمسه الشاعر مسا خفيفا، لو أراد أحدنا تفصيله لتطلب منه بضع صفحات، إن الصحراء رهبة وحذر، ومع ذلك فهي إيثار وشمم، لقد رسم الشاعر «معلى جميل الحربي» أنفع أسلوب تعامل به رفيقك حين يتنكب الطريق السوي ولا ينصفك، فإذا لم يفده نصحك فلا تنازعه الأمر، انسحب بهدوء ودعه يحمل أوزاره وحده!

وأشبه معنى منشورا لهذا البيت النبطي، مقولة قرأتها للأديب «مصطفى الرافعي» في كتابه (السحاب الأحمر) يقول: (فإذا جهدك البلاء من صاحبك وبلغ منك اليأس فما يسوغ لك أن تكون معه إلا كالذي حفر الحفرة ثم طمها بترابها، ألقى فيها ما كان فيها من قبل ومضى كأن لم يكشفها! »

« أبيات من روائع الشعر الشعبي »

■ قال الشاعر:

لا والله إلا قورشن الليالي
اقفن بشيمات العرب والمرواة
راحن ولا خلن للجواد تالي
إلا ضميمة واحد وين ابلقاه

وقال آخر:

الشيخ يدمح لي ثمانين زلة
واللاش ماني عن زراياه داري

« هم الدَّين »

ما همني دنيا ولا همني دِين
ولا غريمٍ خايف يذبحني

استشهد بهذا البيت أخ كان يطارحنا الحديث عن «الدَّين» ـ بفتح الدال مع تشديدها ـ وذكرت له عجز أحد الأبيات الذي يقول: «مستامن ما يقرع الباب ديان». . . فقال جليس لنا يصغي إلى حوارنا: إنه ليس أثقل على المرء من الدَّين فهو كما جاء في الأثر: «هم بالليل وذل بالنهار» ولقد تعوذ منه رسول الله ﷺ حين قال: «واعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال» ومن أمثالنا العامية قولهم: «لا هم إلا هم الدَّين، ولا وجع إلا وجع العين» رداً على من قال: «لا هم إلا هم العرس، ولا وجع إلا وجع الضرس». وأخيراً دعونا نترحم على الشاعر العربي الذي يقول:

لو سود الهم الشباب لما رؤي
بيض الشباب على امريء في محفل

« التأجيل لا يمنع الرحيل »

أبا زيد ما ينفعك يوم تقيمه
لصارت الفرقا عليك لزوم

هذا البيت من القصيد الذي ينسب إلى بني هلال، ولعل شعرهم من أقدم ما

وصلنا من الشعر العامي، والحكمة في معناه جلية، سمعته من ضيف أنشده حين أكثر عليه مضيفه يطلبه البقاء يوما آخر، وفي أمثالنا العامية، مثل يقارب هذا المعنى هو «ما ينفع دون القبر حطه» والمعنى العام لكل هذا أن المتوقع حدوثه لا يلغيه التأجيل.

« من أبيات الحكمة والتجربة »

■ من الأبيات الجيدة المعنى هذا البيت من قصيدة «للهربيد»:

إلى صار بالـدنـيـا قريـبـك يخليـــك
فلا من ورا عــوج الـنـصـايـل قرابـــة!

ومن هذا المعنى في الفصيح:

لا ألـفـيـنـك بعـد المـوت تنـدبـــني
وفي حيـاتي ما زودتـــني زاد

« مفاضلة بين الإبل والنخـــل »

■ أيها التجارة الرابحة (الإبل) أم (النخل)؟ اختلف الناس منذ القديم على ذلك، وكل طرف يسوق البراهين على حجته، فالشاعر العربي يقول «ولم أر مثل الإبل مالا لمقتني». والشاعر الشعبي يقول:

الـبـل عطايـا الـلـه مجانـيس الالـــوان
خضـع الـرقـاب مرفـعـات المتـونـــي
لولا الجـرب ما ينـسـخى به للاجنـــاب
لولاه تجـزى راعـيـه بالـغـبـونـــي
عذروبهـا الـغـيـاب شينـين الالـــوان
الـلي يجزون الـولـد بالـطعـونـــي

أما أنصار النخلة فيرون أن المال بالنخل، ويحتجون بالمثل القائل: (المغنيات الخيل، والمال بالنخل) وكان جدي رحمه الله، من تجار الإبل في الزمن السابق، وفي فترة من الفترات كاد أن يفلس لكثرة ما نهب المغيرون من رعاياه، في أزمنة الفوضى التي سادت البلاد، لانعدام الأمن وتنازع القبائل، قبل توحيد البلاد، فما كان منه إلا

،ن اتجه إلى الزراعة، ويقول الراوي: إنه كان يقف بجانبه، عندما غرس إحدى فسائل النخل، وحين أتم مهمته، هزها بيده، وهو يقول:
«هذه التي لا يحل اللصوص عقالها»!.

ومن أنصار النخلة الشاعر النبطي الذي يقول:

مالي حلال كود حلواة الثمر ماهو جهام نرتجي حلايبه

ويقال إن رجلا سأل جلساءه عن ثلاثة أمور، وطلب توضيحا لها، وهي، (مال، ومويل، ومتدودل بالحبيل)، فعجز الحاضرون عن تعريفها، فقال لهم: المال النخل، والمويل الدراهم، والثالث الماشية، وهذا حين كانت الماشية نهبا لكل من استاقها من القوم.

ومن حداء الإبل قولهم:

البل حلو لبنها البل وراها أهلها

« المغفل والأطفال »

■ يروى أن أحد المغفلين في الزمن الماضي شوهد في أحد الأسواق منهزما، وخلفه عدد من الأطفال يتبعون أثره، فقال له أحد المارة مستفهما: هؤلاء أطفال، كيف يعجزونك وتهرب من أمامهم؟! فأجابه: (إنهم يزيدون وأنا أنقص).

« الراسخات في الوحل »

■ كنا مجموعة نجتاز بستانا من النخيل، فتلوت على رفاقي قول الله تعالى: ﴿ **والنخل باسقات لها طلع نضيد** ﴾[1]. ، فعقب أحدهم قائلا: ما أكثر نفع النخلة وما أجملها وأهيبها، حقا إنها لشجرة مباركة، فأردف جاره مشاركا في الحوار مرددا بيتي الشاعر: أحمد شوقي ـ يرحمه الله ـ :

أهذا هو النخل ملك الرياض أمير الحقول عروس العزب
طعام الفقير وحلوى الغني وزاد المسافر والمغترب

ولما دخلنا مجال الشعر، انبرى أحدهم وهو متحمس للشعر الشعبي، فأنشد بيت الشاعر حميدان الشويعر:

(١) سورة ق: آية ١٠.

عليـك براسيـات الجـذوع إلى دوبحن السنين المحـلات

فأجابه خامسنا: لقد صدق حميدان ـ يرحمه الله ـ «إنهن الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل»، ولما جاءت سيرة «الفحل»، قلت لهم: إن في فحول النخل آية من آيات الله، انظروا إلى طلعها إنه يظهر ويكتمل نموه قبل ظهور طلع النخل، حتى إذا فرج طلع النخل، وإذا اللقاح جاهز ومعد لتأبيرها، فسبّح الجميع للخالق الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وهنا مسك طرف الحديث أحد رفاقنا الذي فضل الإصغاء على الحديث طيلة ما مضى من الحوار، فقال: لا عجب أن تولد قنوان اللقاح قبل قنوان التمر، فالزوج عادة يتقدم على امرأته في العمر، فهو يفضلها أصغر منه، فضحك الجميع، واتفقوا على ختم حوارهم بتلك الملحة من رفيقهم المتأمل اللماح!

« نصيحة تشترى بالذهـب »

يا للي تبـي راحـة بدنـك وضـميرك
عن جملة الـعـربـان خلك حيـادي
لا صار ما يدري بخـافيـك غـيرك
مرتـاح لو انـك مع الـدرب غـادي

قرأت هذين البيتين في صفحة (الأدب الشعبي) بمجلة اليمامة، ولم يصرح الأستاذ راشد الجعيثن، بقائلهما، غير أنه سماه (ولد أمس)، ولسنا في معرض البحث عن القـائـل بقدر ما نبحث عن القول، فهذان البيتان قمة في الحكمة والتجربة، ويضعان قاعدة سديدة لكل من أراد أن يريح بدنه وضميره، وأجزم أن قائلهما قد شاب شعـره، وعـركتـه الحياة بثفالها، وشرب كؤوسها الحلوة والمرة، وذاق طعومها المختلفة، فهو ولد الأمس فعلا، وقد أهدى لولد اليوم نتائج مخاض تجربته وزبدة معاناته، لقد اختصر الطريق ووضّح السبيل.

والحيادية التي دعـا إليها الشاعر هنا، ليست الحيادة السلبية، ولا الإنعزالية الضارة، بل هي الحيادة الإيجابية التي تنفع ولا تضر، فالتدخل في شؤون الغير ضار على مطلقه، ونافع في استثنائه، وضمن قيود وشروط.

وكتمك لسرك، فيه نجاح أعمالك، وضمان قيام أمرك، فكم أفسد شيوع السر من عمـل، وكم هدم من بنيان، والشـاعـر حين يدعوك إلى أن تطوي سرك على

صدرك، لا يعني أنه يلغي مبدأ المشورة وما فيها من إيجابيات كثيرة، ولكنه يدعوك إلى أن تحتفظ بسرك عن الواشي والمغرض والحاسد، «وأن تجعل سرك إلى واحد ومشورتك في ألف» كما يقول المثل. وقد بالغ الشاعر في أهمية كتمان سرك، فأنت عنده مرتاح حتى لو أنك ضللت طريقك، وهذه المبالغة، أراد بها أن يشدد عليك في الوصية بحفظ سرك، لضمان راحة بدنك، وسكينة قلبك، وسلامة دينك ودنياك.

« " بقعا " في عالم الشعـــر »

■ قال الشاعـــــر:

ما ينـتـعـدل شيـل «بـقـعـا» إلى مـــال
ومــنـين ما عدلـتـهـا ما تواســه

وقال آخــــر:

يامـا على صكـات «بـقـعـا» تلزيـت
مر على برد ومـر سمـومـي

ولأحدهـــم:

اشرب هماج المـاء ولـو كان مطـــروق
واصـبر على صكـات «بقعا»، والاكـــوان

ومنهـــا:

يالـيـت «بـقـعـا» خيرهـا كف شرهـــا
عسـى حسـانـيهـا تكـافي شرورهــــا!

و «بقعا» هذه ليست البلدة المشهورة في شمال بلادنا، بل هي الدنيا بتصاريفها العجيبة، والحياة بمتاعبها المختلفة، والشعراء في الأبيات السابقة تحدثوا عن معاناة جيلهم مع «بقعا» كما تحدث عنها أبو الطيب المتنبي قبلهم:

شغـل الـنـاس قبـلنـا ذا الـزمـانـا
وعـنـاهـم في شأنـه ما عنـانـا
وتـولـوا كلهـم في غصـة منـــه
وإن سر بعـضـهـم أحـيـانـا

ولو أنك تتبعت هذه الغصة لوجدتها في حلوق معظم الشعراء بدءا من زوجة كليب بن مرة التي قتل أخوها زوجها:

ليس من يبكي ليوميه كمن
إنما يبكي ليوم مقبل!

وانتهاء بالشاعر الشعبي المعاصر الذي قال:

لا تحضور ترى دنياك هذي نكادة
ما تجي للفتى دنياه دايم تمام

وعلى الإنسان أن يوطن نفسه لغرابيل «بقعا» فيستقبلها بنفسية العالم بها، الذي لا تفاجؤه غراتها، ولا تكدره تقلباتها عملا بحكمة الحكيم: «وطن نفسك على ما تكره، يقل همه إذا أتاك» فالعاقل من لا يأمنها ولا يغتر بها ويحذر مأمنها حذره من مخوفها ولهذا نبهنا شاعر معاصر فقال:

لا تأمن الدنيا على كل حال
ترقب الفجوات ليلك والاصباح
تراه لو زانت يجشه زوالِ
حث المطية طارش عقب مرواح

والشاعر العوني أصاب فهم «بقعا» حين قال:

دنياك لو صافيتها ما تصافيك
ولا عنده أسهل من تزعلك ورضاك

وأخيرا فهذه «بقعا» وهذه غرابيلها وسيبقى الإنسان يعيش معاناتها ويتذوق طعومها المتنوعة، لأن في تقلبه على كل حال امتحان له في كل درس، وتلك حكمة بالغة شاءها الله لنا، وعلينا أن نفهمها.

« الدنيا دواره »

قولوا لبيت الفقر لا يا من الغنى
وبيت الغنى لا يا من الفقر عايد
ولا يا مَنْ المضهود جمع يعزه
ولا يا مَنْ الجمع العزيز الضهايد

يبدع بعض الشعراء في قصائده، فيشتهر بها، ويحلق في بعض أبياته فتصبح من درر الشعر وأمثاله، فتسافر في الآفاق، وتطوى عليها الصدور، ويستشفى بها من أدواء الجهل والغفلة!

والشاعر «راشد الخلاوي» في بيتيه السابقين يقرر حقائق لا يدركها إلا أولو الألباب ممن آتاهم الله الحكمة ورزقهم العمر الطويل والفكر العميق، فخبروا الأيام وذاقوا التجارب، ومرت عليهم صنوف الأجيال وطبائع الناس، ففقهوا سنن التغير الكونية. فصاغ لنا كل أشتات هذه الحكمة في أبيات مموسقة بألفاظ عذبة مكسوة بعاطفة جياشة ناطقة.

اقرأ الخلاوي في بيتيه السابقين، تجده صهر لك تجربته على حقيقتها فدولاب الحياة يتقلب بأهلها، وهي تدور جغرافيا ومعنويا، فالفقر والغنى حالتان لا تدومان، وليس شيء مأمونا ولا مضمونا، والمظلوم دائما يقدر الله له من ينصره دون أن يسعى لذلك أو يحتسب له، لأن الله كفل له ذلك في الدنيا والآخرة، والقوي الظالم إذا طغى أذله الله بأضعف خلقه، وأراه ضعفه وانكساره، كل هذه الحقائق التي يحسها ويلمسها ويعيشها كل من قدر لهذه الأرض أن تستضيفه، استطاع شاعرنا أن يسكبها في قوالب شعرية واضحة فخلدها للأجيال وصية لا تبلى، ونصيحة لا تهمل، فالعاقل من وعى الحكمة، وعرف المعنى، وفهم من ثمار التجارب ما يؤصل به حياته ويوفر عليه جهده وعمره.

« الدنيا إقبال وإدبار »

لا تأمن الدنيا ولا ترتهي به
تقبل وتعطي عند الاقفاي عرقاب
ان أدبرت قصت محوص قطيبه
وان أقبلت أدنى شريط لها جاب

هذان البيتان من الشعر الشعبي يذكرانني بالحكمة المشهورة «ما كان لك أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك!».

وعلى ذكر إدبار الدنيا وإقبالها فقد سمعت أحدهم يتمثل بهذا البيت:

إلى أدبرت ما ينفع الراي والشور
ولو مليت من الحذر كل عاير

« الرجـــال والعـــدل »

برقـــت بالـــعـــدل أثـــر الـــعـــدل ما مـــال
لكـن لقـيت الميـــل ميـــل الـــرجـــاجيـــــل

سمعت هذا البيت من أحد الرواة، وسألته عن قائله، فأفادني بأنه للشاعر: «العوني» فبحثت عنه في ديوانه المطبوع في سلسلة الأزهار النادية من أشعار البادية، إلا أنني لم أجد له موقعا في قصائد هذا الديوان المطبوع، ولا شك أنه لم يشتمل إلا على الأقل من أشعاره.

« دعـــاء من القلـــب »

■ قبل عامين تقريبا زرت رجلا[1] متقدما في العمر، فسمعته ينشد خافتا ابتهالا دينيا، أعجبني مضمونه المشتمل على توجه صادق إلى الله فاستكتبته منه، فأملاه علي، وكلما تذكرت أحد أبياته الذي يقول:

أنـــت الـــعـــلـيـــم بما بليـــت به
وأنـــت عليـــــه شـاهـــــد

ذكرت هذا الشيخ الذي أقعده المرض بعد ليلتين تقريبا من تلك الزيارة، وقد تقبل ما ابتلي به برضا المؤمن وصبر المحتسب، فلم يتسخط له ولم يجزع منه، وليس على لسانه حين تسأله عن حاله، سوى «الحمد لله» شفاه الله، وأحسن لنا وله الخاتمة، وآجره في مصيبته خير ما يجزي به عبداً ابتلاه فصبر وحمد.

وكنت قد سألتـــه: لمن الأبيات؟ وأين قرأهـــا؟ فأجـــابني: «أظنهـا للإمـام الشـافعي»، ومـع كثرة مطالعاتي في الشعر خاصة، لم تمر علي هذه الأبيات قط ولم أجدها في ديوان الشافعي ــ رحمه الله ــ وأهجس أحياناً بأنها من قوله وليست من منقوله!.

وقد تذكرتها بعد هذه المدة حين رجعت إلى أوراقي، التمس فيها مادة تناسب هذا الشهر الكريم الذي أظلنا، وأرجو ممن يعرف لها مرجعا في كتاب أن يدلنا عليه مشكورا، وإليكم هي:

---

(١) هو العم: صالح بن عبدالكريم الطويان ــ رحمه الله ــ.

يا من تحل بذكره
عقد النوائب والشدائد
يا من إليه المشتكى
وإليه أمر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا فرد
صمد تنزه عن مضادد
أنت العليم بما بليت به
وأنت عليه شاهد
أنت المنزه يا بديع الخلق
عن ولد ووالد
أنت المعز لمن أطاعك
والمذل لكل جاحد
إني دعوتك والهموم
جيوشها قلبي تطارد
فافرج بحولك كربتي
يا من له حسن العوائد
فخفي لطفك يستعان
به على الشدائد
أنت الميسر والمسبب
والمسهل والمساعد
يسر لي فرجا قريبا
يا إلهي لا تباعد
وكن راحمي فلقد يئست
من الأقارب والأباعد
ثم الصلاة على النبي
وآله الغر الأماجد
وعلى جميع صحابه
ما خر للرحمن ساجد

« "بريدة" في عيون أحد أبنائها »

■ قبل عقود من الزمان، تغيب الشاعر[1] عن بلدته «بريدة» طرفا من العمر، فجاشت نفسه الشاعرة بهذه الأبيات، متوجدا على أرضه وربعه:

يا دار يالـلـي دورك غـر الاطـعـاس
وجـدي على لامـاك لوم الـعـواثـير
وجـدي على شقـر مع الـغـر واغـراس
ركـبـن امتـون الغـر مثـل الـدعـاثـير
وجـدي على اللـي حنـوا الحيـل بامـراس
سهـروا عليـهـن واسـهـروهـن من السـير
شيبـان يرعـون السـهـى عقب الادمـاس
ولابـد رعـيـان السـهـى تمسـك الخـير
لصبـح وجيـه الغـرس بالـورس محتـاس
اصـفـر حمر بعـوادهـا والمـبـاكـير
أولاد علي لابـتـي مالهـا اجـنـاس
بشـاشـة بضـيـوفـهـم والمـسـايـر
إن عِدوا الاجـواد هم ذروة الـنـاس
وهـم هلا الـطولات زبـن المـقـاصـير

والقصيدة طويلة نكتفي منها بما أحاط بالعنق، وسألت الشاعر عن بعض معاني الألفاظ الواردة في أبياته، عن «الغر» فقال: هي كثبان الرمال الممتدة، فالمعروف أن جغرافية «بريدة» القديمة تتميز بأن كثبان الرمال تحيط بها من جميع جهاتها الأصلية، «شقر» النخيل. «الدعاثير» شعر المرأة «السهى» نجم خفي يقول المثل: «أريه السهى ويريني القمر»، «الورس» صبغ كانت تتزين به النساء قديما، «أولاد علي» نخوة أهالي بريدة وعنيزة. أما باقي مدن القصيم فلكل بلد نخوته. فالرس أولاد الحزم، والخبراء أولاد منصور وهكذا.

(١) هو العم: صالح بن عبدالكريم الطويان ــ رحمه الله ــ.

« الشاعـر: صليـــج »

يا مال قلب عضـه الحـضـف بالـنــاب
جرحـه غميــق وافـردن الـكـلالـيـب
ويــا مال قلب يلتــوي ليــة الــداب
خص إلى شاف الجـفـا عقـب ترحـيـب

البيت الثاني من هذين البيتين، ذكرته في الحلقة الأولى دون أن أنسبه إلى أحد، ولقد أسمعته أحد المطلعين على الشعر الشعبي، فقال: إنه لشاعر متوفى من سكان «بريدة» عاش في القرن الثالث عشر تقريبا، يقال له: «صليج» وذكر لي بيتا قبله، وقال: هما ضمن قصيدة طويلة، أشهر ما فيها البيتان المذكوران . .

« الحظ على لسان شاعر شعـبي »

■ الشـاعر الذي أتحفكم اليوم بقصيدة من قصائده، شاعر مسن على أعتاب التسعين وأراه من صنف «من يجري ولا يجرى معه»، يمتاز شعره بأنه محكك الألفاظ بانتقاء وجزالة، معانيه عميقة الفكر والدلالة، وهو ممن لا يهتمون بكميات الأبيات في القصيدة قدر اهتمامهم باستيفاء الموضوع وتوصيل الرسالة؛ إذْ يتبنى وجهة نظر الشاعر الذي سئل: لماذا لا تطيل في شعرك؟ فأجابهم «أنا لا أبيعه مذارعة»! وفي زمن كثـر فيه الشعـراء وقـل فيه الشعـر أصبح لزاما على الراوي أن ينقب عن الشعراء الحقيقيين الـذين شهـدت لهم الموهبة ونسيهم الإعلام، وبقيت قصائدهم الرائعة المستقاة من معين الحياة طي صدورهم وصدور الرواة، وأمسوا عازفين عن الشعر والشهرة والنشر بصنوفه، بعد أن ولى الشباب بآماله وطموحه، وحلت الكهولة بالآمها وأمراضها.

وهذا الشاعر الذي أصر على عدم نشر إسمه ضنين بقصائده، فقلع ضرس من أضراسه أهون عليه من سماعه طلبك كتابة قصيدة من قصائده! ومنذ مدة وأنا أطرق فيه رجاة أن يلين فيمكنني من كتابة إحدى قصائده التي قالها في النصف الأول من القرن الماضي حين كان في منتصف العمر، وكان له مجالسات ومساجلات مع شعراء تلك الحقبة . . ولو رجعتم إلى أول فقرة نشرتها بعد مقدمة أول حلقة من زاويتي «من أفواه الرواة». لوجدتم أنها تضمنت التالي : ـــ

«لابـد ما تبـدي غيـوب الـليـالــي
وصيـور ما يخفى على الـنـاس ينبـــاح»

«هذا البيت القوي في معناه المتهاسك في ألفاظه هو ضمن قصيدة لشاعر في الثمانين من عمره لا يرغب ذكر اسمه، والمرجو أن أتمكن من كتابة كامل قصيدته حين يتيح لي فرصة ذلك، وهو إن سمح بها ويذكر اسمه[1] فسيحقق لنا صدق المعنى الذي ذكره في بيته الذي قاله قبل عشرات السنين. .» إنتهى ما أوردته في تلك الحلقة. وحيث أن غايتي التي أدأب من أجلها هي تقديم النافع الذي طوته الصدور لا المعلن الذي كشفته السطور، فقد سعيت جهدي، حتى أقنعته بأن قصيدته التي من ضمنها البيت السابق، هي قصيدة ذات نصائح هادفة ليس من حقه كتمانها عن عشاق الشعر الشعبي. . والقصيدة تتحدث عن الحظ ولا أنوي شرح معاني كلماتها ولا تفسير مضامينها. لأنني مع من يرون أن الشعر إذا فسر فسد. . والآن انتم مع القصيدة. .

اسـمـع وفـكـر يا «عـقـل» في مقـالي
اسـمـع نصيحـة واحـد يـبـدي الانصـاح
دنـيـا دنـا شوفـه وصـابـه إهـزالي
شيـب الهـرم في قصـتـه لاح وانـبـاح
حاذر ترى كثـرة إهـروج المـجـالي
مثـل السراب الـلي على الـروض ضبـاح
يجذبـك من بعـد تحسبـه إزلالي
وهـو الهـلك لو لاح ما به لك اربـاح
لابـد ما تبـدي غيـوب الـليـالي
وصـيـور ما يخفـى على الـنـاس ينبـاح
لا تاخـذ الـدنـيـا ابـعـزم الجـهـالـي
تمزع حشـاك ويـنـتـشـر جاشـك الـواح
ما حاش بالـقـوة كثـير الحـلالـي
مدٍ من الـرحمـن يجعـل له أنـــواح

(١) لم أفصح عن اسم الشاعر، حين النشر بالجريدة حيث كان لا يرغب أن يُعرف بالشعر، لكنني أجدني ملزما بذكر اسمه أمام قارىء الكتاب، فهو: العم صالح بن عبدالكريم الطويان، ــ رحمه الله ــ ١٣١٧ ــ ١٤٠٩هـ. انظر الحديث عنه في عنوان (شخصية متميزة) فصل الإجتماعيات.

حظ ويبدر كالقمر له ليالي
مثل الشباب ابعترته جمعة أفراح
ويعاقب القوة سريع اهزالي
يترقب الشواف هو لاح ما لاح
الحظ يرفع صاحبه للعوالي
والاصل ما ينفع ضعيف الى طاح
من جاد حظه صار مقدم ارجالي
لو هو نعامة ناض بالخف واجناح
ومن بار حظه لو حضر كا الخيالي
لو هو جواد ويزهم الجمع نطاح
يترك كما شن قديم وبالي
وانظار ربعه عن مزاياه طفاح
إدر النظر وفكر بسبع المحالي
حزم وعزم صاحي الفكر مرتاح
الذيب فحم هايم بالمفالي
ايفاجي الشيَّان في كل مسراح
ايطارد العيشة عطيب المدالي
وكشر زمانه يشكي الجوع بصياح
وتلقى الذهين من الملا بجتوالي
الحوش قوت وساقي الرزق تنشاح
به العرا مع منزل البيت خالي
والغر يافر مرزقه وهو مرتاح
لا تامن الدنيا على كل حالي
ترقب الفجوات ليلك والاصباح
تراه لو جادت يحثه زوالي
حث المطية طارش وقت مرواح
وصلاة ربي عد نبت الرمالي
على النبي الهاشمي نور الافراح

« شاعــر يتذكــر »

■ في إحدى المناسبات، وجدت نفسي أجاور رجلا متقدما في السن، فوجدتها فرصة لمفاتحته الحديث لعلي أقتنص منه ما يفيد قراء الزاوية.

ولم يكن بدء الحديث صعبا فقد كان كلانا يرغبه لتزجية الوقت، وتطاول بيننا الحوار حتى وصل إلى ميدان الشعر فوجدته يقوله ويرويه، وحين ذكرت له أنني أحاول تدوين مالم ينشر، شجعني على ذلك وقال لي: سأزودك بأبيات قلتها قبل عقود من الزمان؛ يومها كنت شابا، وكنت أمر بظروف صعبة تخطيتها بحمد الله، وهذه الأبيات هي:

يا حمود حارن البصاير والافكار
وضيعت حسبات السنة والسبوعي
من عقب مانا بالملازيم صبار
تضعضعن عقب المراجل اضلوعي
من شوفتي وقت على الناس مندار
مندار بكدار وفقر وجوعي
أركى على الاجواد يجلد بمنشار
أقفى يحث الجود واجرى الدموعي
راحوا نفيض عقب همال الامطار
راحوا شتات طافحين امزوعي
ما ييئس المؤمن ولو صار بكدار
يرجى السعد والرب ما هو قطوعي
يرجي السعد يندار مع بعض الادوار
مثل القمر ينحف وينوي الرجوعي

قلت له: أيها الشيخ، أراك تقول: «تضعضعن عقب المراجل إضلوعي» فإذا كان ذلك أمسك البعيد! فكيف بك اليوم؟! وهل سمعت الشاعر الفصيح حين قال:

إذا الفتى لام عيشا في شبيبته
فما يقول إذا عصر الشباب مضى

فقال: يابني إن الشاعر يصف مشاعره الذاتية على حالها الآنية، وتلك يومها كانت مشاعري، فاليأس قنوط، والفرج أمل.

وقد أسفت حين علمت بأن هذا الرجل دخل المستشفى في الليلة التالية وتيقنت أن هذه الأبيات المكتومة في صدره ما تهيض بها إلا لشعور فيضه المرض. فاللهم عافه، ولا تقنطه من شفائك.

« حكمة في بيتين »

■ من جميل ما قرأته في الشعر الشعبي، هذان البيتان:

ومن لا خذا الدنيا بميز وحيلات
يصير عقله والهبال متساوي
يا ما على الجاهل يفوتن الافوات
ويا ما على العاقل تصير البلاوي

« مرثية »

■ في يوم ١٤٠٩/١/٢٣هـ، فجعت بوفاة العم العزيز/ صالح بن عبدالكريم الطويان، وبعد مرور عدة أشهر، توفي جدي الفاضل/ عبدالله بن عبدالكريم الطويان، في ١٤٠٩/٩/٩هـ، رحمهما الله جميعا، وأسكنهما فسيح جناته، وغفر لنا ولهما، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذه القصيدة أعبر فيها عن بعض الشجن:

أيا ساكنا «المطا»[1] أبثكما الجوى — واسكب في نخل «التغيرة»[2] عبرات
بعيدان عن دار رويتم غراسها — وطاب لكم فيها مقيل وليلات
تذكرنا الأيام وهي قريبة — مراحا لكم فيها صباح عشيات
مغاني طابت في وجودكما معا — وكم شهدت للأقربين مجيات
غنينا زمانا في مرابع حبكم — وكنتم علينا تغدقون المودات
فنذكركم في دار «التغيرة» صبية — ليالي كانت كالسحاب هتونات
ليالي عشناها وكنتم أحبة — يسؤوكم هجراننا بضع ساعات
نعذركم بالشغل والنفس والولد — فتقبلوا منا كل عذر وهفوات

---

(١) «المطا»: مقبرة بريدة الرئيسية.
(٢) التغيرة: أقدم مزارع العم صالح، وفيها سكنه.

غفلنـا وكـان العمـر يجري بسرعـة ... وكـنـا نظن الـوصـل باق سنيـات
ولـو أننـا فقنـا من النـوم لم نكن ... لنهجـركم ــ تالله ــ بعض هنيهـات
فتبـا لدنيـا أبعـدتنـا عن الهـدى ... أمـاتـت قلوبـا كن قبـل حييـات
يسـائـلني الأب ذات عشـيـة ... أتحضـر يومـا بعـد يوم تعـلات
فقـلت له هذي مسـاحـة قدرتي ... فسـاء له ردي وتـفـصيـل حالات
أبـاي وأنـت اليـوم في برزخ البـلى ... لك الشـوق والتسيار في كل أوقاتِ
أبـاي أيغـنـي اليـوم وقـفـة زائـر ... على قبرك البـالي أمـام الحصيـات
أقـول سلامـا والـعـيـون دوامـع ... فتـصـمـت لا أهـلا ولا بسـمات
وكـنت قديـما ترسـل الـود مفعـما ... بقـول ولحظ في العيـون الحنونـات
أتـذكـر ليـل الـرمث في جو تلعـة ... «بـطرفيـة»[1] والـريـح ترسـل هبات
ونـحن نغـذي النـار نصـطليـانها ... أنـاشـدك الأشعـار والحكـايـات
لك الله كم كان الـشـمال مسرة ... لنفسـك في إصبـاحهـا والعشيات
أكـنـت تود اليـوم سكنى جنـوبنـا ... وكـنـت تراه سيء الـنـسـمات
قضـاء قضـاه الـرب وهـو مهيمن ... فنم هانئـا فالـرب يفتـح طاقـات
أعـمـي هل يوم «بـالتغـيـرة» أنسـه ... وأعصـار «آثال» وصبح «هبيجات»[2]
و «شري» و «قـرعـاء» و «نتكة» جملة ... «مـليـداء» و «ذبـحـا» وأرض «الـرغـيـلات»[3]
أثـار تبـقـت بعـدكـم وتخلفت ... تذكـرنـا أيـامـكـم وهـي خيرات
فديتـك كم كنت بشـوشـا محييـا ... عطوفـا على القـربى كثـير المسرات
غرسـت لنـا في كل واد مشـاجـرا ... وفجـرت فيهـا المـاء يجري نهيرات
وكـنـت تحب الـنـخـل لله حسبـة ... تراه طعـامـا للفـقـير وغـنـيـات
أتـذكـر أيـام الحجيـج ومكـة ... وأنـت سخـي تنفـق المـال نيـات
مسـاجـد في كل البقـاع عمـرتها ... ينـادى بها لله وهـي رحـيـبـات
وأوقـاف خيرات أقـمـت صروحهـا ... تريـد بها حين الـتـغـابـن جنـات
مزارع رمـان حدائـق بهجـة ... منـافعهـا في الخير دومـا حبيسات
ستلقى جزاء الـرب وهـو مضـاعف ... فغـفـرا وحبـا ما تسـاقط قطرات
«حـبـيـبـاي» إني فيـكـما لمتيم ... برور لأيـام مضـت وهي عجـلات
واني وإن طال الـزمـان لمسـكـني ... بأرض حللتـم تربهـا وهي طهـرات

(١) الطرفية: قرية شمال شرقي بريدة كانت عروقها الرملية، مقصد الوالد في طلعاته البرية.
(٢) (٣) الأعلام هنا، هي مسميات مواقع معروفة، فيها مزارع للعم صالح ــ رحمه الله ــ.

فليت لنا زادا يبلغنا المنى ... ويرضي إله العرش جزل العطيات
فنلقاكما في فردوسه مع نبيه ... ونرفع للمولى عظيم التحيات

« " أميثا " وداعا »

■ في فجر يوم الخميس السادس من شهر ربيع الأول من عام ١٤١٠هـ، تبلغت نبأ وفاة العمة الغالية/ ميثاء بنت إبراهيم الطويان ــ رحمها الله ــ زوجة العم صالح بن عبدالكريم الطويان، وكانت تحبنا ونحبها، فرأيت أن من الوفاء أن أذكرها بقصيدة تحيي ذكراها في نفوس من عرفها وعرفته، فكانت هذه الأبيات:

«أميثا» وداعا فالحياة عبور ... وكل شروق ينتظره غروب
«أميثاء» هل يغني البكاء عن النوى ... وقد صدعت منا القلوب خطوب
«أميثاء» إن القلب ينبض بالأسى ... وكان إذا يلقاك خفق طروب
مولعة بالخير والحب والهدى ... تداوي الأسى حتى تهون كروب
ثمانون عاما والحياة رخية ... تسير بها الأعوام وهي ركوب
لها نشر خيرات وطي أذية ... وإحسانها في الأقربين صبوب
تحب قصي القوم مثل بعيدهم ... وتذكي رياح الود فهي هبوب
فكم مرت الأسباغ وهي كريمة ... تجود بما يعطي الإله جلوب
مضيت على درب «العزيزين»[1] بعدما ... تصرمت الأيام وهي خلوب
«أعماه»[2] هذا الترب يجمع بينكم ... وكنتم عليه قبل ذاك ركوب
«أعماه» إن كان الأسى يبعث الشجى ... سنذكر أطيافالكم وطيوب[3]
سنذكر في دار «التغيرة» عمة ... إذا وزنت بالأكثرين غلوب
إذا جئتها يوما تضاحك وجهها ... وهشت وبشت وهي مني قروب
تقول ألا أهلا وسهلا ومرحبا ... تغيبت أياما فأنت جدوب
أعللها بالبعد والبيت والعمل ... فتضحك مني و هي غير غضوب
سلام عليك في القبور نزيلة ... فكيف وصال والشمال جنوب[4]
إذا هتفت ورقاء فوق ذؤابة ... تناءت نجوم دأبهن غروب[5]

---

(١) «العزيزان»: هما العم صالح والوالد عبدالله ــ رحمهما الله ــ توفيا في العام الذي سبق وفاتها.
(٢) «عماه»: هكذا كان يناديها الأطفال، وقد ا ستعرنا ذلك منهم.
(٣) الضرورة استدعت رفع القافية.
(٤) كانت تسكن بالتغيرة، شمال بريدة القديمة، وبعد وفاتها سكنت مقبرة (المطا) جنوب بريدة، وهذا هو المعنى!
(٥) يكثر اليمام والحمام بمزرعة «التغيرة» ونعني «بالنجوم الغاربة» الأموات الثلاثة رحمهم الله.

«أميثـاء» لا ينسـى الإلـه مكـارمـا غرستِ جنـاهـا، فالخبـير كتـوب
سيـذكـرك الـطفـل الصغـير وشيخنـا وتمضي بنـا الأيـام وهـي نهوب
«أمـيثـا» وداعـا فالحيـاة عبـور وكـل شروق ينـتـظره غروب

« شاعـر من شمـر »

ما ينـشـمـت يا عيـال بامـر إلي كان
ولا يقـتـدي عبـد حـذا الله دلـيـله
أقـول أنـا ذا الله على الـدرب مشّـان
وهـبـيـت يا هرج قليـل ضويـله
صكـت بنـا «الـتـيـه» مع كل الاركـان
واقـفـن بنـا مثـل اصـطراد الجـمـيـله
لا قيـل ويـن فلان وفـلان وفـلان
تطابـقـوا حمايهـن بالـدبـيـله

قال الـراوي: الأبيات، للشـاعـر «غـريب الشلاقي» من سنجارة وهو من الشلقـان من قبائل شمر. وسألت الراوي عن معاني الألفاظ، حذا: لفظة لعرب الشمال تعني غير أو سوى، هبيت: دعاء عليه بالتلاشي، التيه: عربان من الشمال، واقفن بنا: يقصد الركائب، اصطراد الجميلة: فرار الظباء، الدبيلة: الهزيمة.

« امرأة مسنة تقول الحكمة »

■ كنت أتحدث مع إحدى المعمرات في الأسرة، وكان حوارنا عن الأولاد، إذا كثروا وقلوا، فختمت وجهة نظرها بعبارة لم يسبق لي قراءتها ولا سماعها، قالت: «من له أنثى وذكر حمد ربه وشكر» ولما أوردت قصة امرأة طلقها زوجها ولها منه ولد، أنهتها بجملة حكيمة، تقول: «من له ولد منهم ما له غناة عنهم» إن الحكم المخزونة في الصدور، أكثر عددا من الحكم المكتوبة في السطور. .

« ظريف مكربه أصحابـه »

■ «صك بابك يا معجون» سمعت هذا المثل يستشهد به أكثر من واحد، ولما سألت أحـد الرواة عن قصته، قال لي: كان في إحدى ضواحي مدينة «بريدة» في

القديم، شخص يلقبه أصحابه «معجون» وكان ظريفا فكها، فاتفق معهم على أن يولم لهم وليمة، ويتركون مناداته بهذا اللقب الذي لا يحبه، فقبلوا دعوته، وهم يضمرون له غير ذلك، ولما أكلوا غداءه، ناداه آخرهم خروجا: «صك بابك يا معجون»، فذهبت مثلا لمن يخطط للأمر فتأتيه النتيجة عكس مشتهاه.

« كفيف ضيعه أولاده »

■ سمعت شيخا كفيف البصر، تقدم به العمر، وانشغل أولاده عنه بأبنائهم وأعمالهم، يتمثل ببيت للشاعر العوني:

تقطعت كل العرى والمدالي
تغطلست ماله سوى الله دليله

« الشاعر العوني مزارعا »

■ حين تلونت دوائر الزروع في ارياف القصيم، خرجنا في رحلة برية صحبنا فيها شخص له دراية بأشعار الأولين وقصص الماضين، وعندما اصفرت أشعة الشمس، قمنا بتمشية خفيفة متجهين صوب محيط أخضر واسع من الزرع أخذت الشمس في أفقه تغرب برفق لا يلحظ وكأنها تغرق في لج البحر، وحين وقفنا على شاطئه أحسسنا باسترواح النفس التي ملأها الزرع بجمال خضرته قبل أن يملأ صوامع الغلال حبا زاكيا، وشعرت بخبرتي أن «صاحبنا» سيثيره هذا المنظر، وسيحرك كوامن ذاكرته بطريف يروى أو قصيد ينشد، ولم يخب ظني فلقد سمعته يتغنى بهذه الأبيات بصوت يشنف جرس الأذان:

يابو علي وش هقوتك في بعلنا
هو ينتهض والا يصونه ترابه
يا الله يا مولاي تسقي بعلنا
من رايح ينشي علينا سحابه
إن كان حظي جيد في بعلنا
تلقى وسوط الزرع ما ينمشى به
لا هب نسناس يقوم يتثنى
يا حلو شعات السبل من جرابه

وحين أنهى الراوي ترديده العذب لهذه الأبيات، سألته لمن هي؟ فقال: هذه الأبيات للشاعر «محمد العوني»، قالها في صباه، حيث يسند على شريك له اسمه «ابـو علي» اشتركا معا في «بعل» زرعاه في بلدتها «الروضة» المسماة الآن «الربيعية» مسقط رأس «العوني» تبعد ثلاثين كيلا شرق بريدة، «والبعل» كما هو معروف هو الحب الذي بذر في فيضة تسقيها الشغايا والتلاع إذا نزل المطر، أي أنه زرع بدون مؤونة السقي.

وفي شهرنا هذا تنتهض الزروع في كافة مناطق بلادنا حاملة سنابلها الذهبية، مبشرة بالخير العميم والرزق الوفير، ومع تمايل السنابل تتمايل قلوب زارعيها بين رجاء محصولها والخوف عليه، ولا يسعنا في هذه المناسبة إلا أن نتعاطف مع مزارعينا في شتى جهات مملكتنا السعيدة، ونردد معهم ابتهال العوني:

يـا الله يا مولاي تسـقـي بعـلـنـا
من رايـح ينشي علينـا سحـابـه

« الشاعـر الزمريـــق »

■ في القرن الثالث عشر تقريبا، عاش في «القصيعة» ـ خب من أخبية بريدة ـ شاعـر روي عنـه قصـائد عديدة، يقال له: «الزمريق». هذا الشاعر كان يمتهن التجارة، ولا سيما تجارة الإبل، يطوف بها أسواق الجزيرة وبادية الشام والعراق، لكنه لم يكن موفقـا في تجارته، إذ هو من فئة من إذا ضربوها شمالا خرجت يمينا، وإذا طرقوها عدلا خرجت ميلا، والأرزاق أقسام وأقدار يهيئها الله لمن يشاء من عباده، وما على المرء بعد فعل الأسباب إلا أن يرضى بما يقدر الله عز وجل له، تعالوا نقرأ هذا الشاعر، وهو يندب حظه، ثم نرى إيمانه ويقينه بربه يصبره على واقعه، ويطمئنه إليه مهما كان يائسا:

أركض ولالي باكـثـر الـركض مصـلوح
ولالي عن الـلي ينـكـتـب بالجـبـيـني
واحـظي الـلي بسـفـل الـقـاع مطروح
لو هو على الـدنـيـا رجـيـتـه يـيـني
المـال لو انـه مع الـكـلب نبـوح
يفـز له يقـعـد مع الـغـانـمـيـني

أقـولهـا ماني على المـال مشـفـوح
ميـقـن ولا أتـبـع هوى المشركـيـني

واستزدت الراوي من خبر هذا الشاعر، فزادني قائلا: إن من أخباره أنه كان عازف ربابة مجيدا، وفي إحدى سفراته ضلت له ذلول يحبها وتألفه، فجزع عليها! وقدر له أن يجدها عند «عرب» فسألهم إياها، فطلبوا بينته أو شهوده، فقال لهم: بينتي اعقلوها باطراف النزل «بيوت العرب» وسأغني على ربابتي فان جاءت على صوتي فهي ذلولي، وإذا لم تأت فهي سواها! فاتفقوا معه على هذا الشرط، وما أن سمعت الناقة صوته الشجي السابح على أوتار ربابته حتى أَنِسَتْ به وأقبلت نحوه تحن حنين الناقة المشفقة على ولدها!.

« العمـار والدمـار »

الـدمـار أسرع من الـلي مسـتـمـر في عماره
أني الـلي يطلق جبـال الحـمـل وني الـلي يشـيـله!

هذا البيت سمعته من فم أحد الرواة، ويبدو أنه أحد شوارد الأبيات التي لا يعرف قائلها، وقد رأيت توافقا في المعنى بينه وبين بيت من الشعر العربي القديم يقول:

متـى يـبـلغ الـبـنـيـان يومـا تمامـه
إذا كـنـت تـبـنـيـه وغـيـرك يـهـدم

« الشاعـر الفـراوي »

لضـاق صدري قلت يا الـربـع أبـا ابـدي
أبـدي لربـعـي طيـبـين الـكـلامـي
الـلي سوالـفـهـم ربـيـع لكـبـدي
طبـعـي وطبـع الـطيـبـين امـتـوافـي

البيتان للشاعر «الفراوي» من قبيلة مطير عاش بين ١٢٥٠ ــ ١٣٥٠هـ تقريبا ومعنى «أبدي» أسير، وسألت الراوي: هل لديك عنه غير هذين؟

فقال ومن شعـــره:

قلبـي يحب ملافـخـات الـسـفـيـفـه
نوم الخـلا عنـدي مضـاريـب وفـراش
ماني مقـابـلـهـا سواة الهـديـفـه.
إن كان ماني غازي رحـت طراش

ملافخات السفيفة: يعني بها الجيش من الإبل، «السفيفة»: ؛ حقب به معاليق تحمل بها الذلول من وسطها، «الخلا» البر، «ماني مقابلها»: يعني امرأته، «الهديفة»: الرجل الردي الذي لا نفع فيه، ومعنى عجز البيت الثاني: إنْ ما غزيت في غارة سافرت لقضاء حوائجي!

« أحسنـت »

■ ترك قريتـه في القصيم وسافر إلى الرياض، حيث مصادر الرزق الواسعة، وهناك تقسط سيارة ورخصها «أجرة» وأخذ يلاحق رزقه في شوارع المدينة وتعرف عليه أبناء قريته الزائرون والمقيمون في الرياض، فصاروا يقصدونه في مشاويرهم، وبحكم المعرفة أمست الأجرة المدفوعة من أكثريتهم هي «أحسنت» وصبر صاحبنا ينتظر تحسن الأمور حتى جاء يوم نفد فيه صبره، فأوقف سيارته على حافة أحد الأودية العميقة، ثم نزل منها ودفعها إلى الهوة السحيقة وتركها تهوي وهو يصرخ بأعلى صوته «أحسنت»!.

قال الشاعـر:

كلما قلت قال: أحـسـنـت زدني   وبـأحسنت لا يبـاع الـدقيـق!!

« شاعـرة من الشماسيـة »

■ منذ أيام قابلت الأخ الأستاذ/ «محمد العبداللطيف اللاحم»، ولما كنت أعرفه أحد حفظة الشعر النبطي، وممن يروون القصة والمثال، فقد سألته أن يسمعني قصيدة من قصائد الحكم النافعة؟ فأنشدني الأبيات التالية:

يا الـله يالـلي بالـسـماوات علام
تفـتـح على قلب غدا عن محله
يا حول مفـتـون بتـجـمـيـع الأمـوال
والمـوت يأتي بغـتـة ما فطن له

واعــزتي له كان هو طاح بالــنــار
يصــبــخ ويــلــبــخ ما حد باويــلــه
ماهــوب بالــدنــيــا يطعــم إلي جاع
ولا مريض عنــد حي يمــلــه
واعــزتي له عنــد توزيــن الأعــمال
لا شاف نقص الــديــن واكــود غله

فسألته لمن هي؟ فقال: إنها لجدتي «حصة الزيد»، توفيت في بلدة الشماسية عام ١٣٤٧هـ، وحاورت الراوي في بعض مضامين ومعاني ألفاظ هذه الأبيات، وقلت له: إن لفظة «واعزتي له» في النفسى منها شيء، وهي مما يكثر إيراده في أشعار السابقين، فعلق يقول: إنني معك فيما قصدته، ومثلها كلمة «بالعون» فكثيرا ما ترد في الشعر الشعبي القديم، خذ مثلا البيتين التاليين:

يا المــوت ليــتــك ما تخيرت «مــدلــول»
وخــذت عنهــا عرقــل عرمــســيـــة
بالــعــون ونــك طارش جيــت مرســول
وخــذت من غر الــشــنــايــا شفــيـــه

وهما لامرأة من أهل «الشماسية» توفيت ابنتها واسمها «مدلول» وعمرها خمس عشرة سنة، وتعني بـ «عرقل عرمسية»: عجوز كبيرة، فعقبت عليه قائلا: ودعما لما رويت أذكر لك شاهدا آخر وردت فيه كلمة «بالعون» سمعته قبل مدة من فم أحد الرواة يقول:

ياونــتي ونــة خلوجــين «ســدحـــان»
حطوا لهن «بــو» وعــين يــنــه
على ولــدهـــن يوم جره «اعــريـــدان»
بالــعـــون شوف إحــوارهــن فارقــنـــه
قبــلك عيــوني فارقــت شوف «عـــدوان»
مير اهــجــعــي ما ينــفــع المــيــت ونـــه

وهما لشاعر يرثي ولده «عدوان» و «البو» جلد «حوار» يخاط على صفته، وعند حلب أمه يلقى أمامها لكي تعطف عليه فيدر ضرعها.

وبعد أيام مرت على مقابلتي للأخ محمد، وقع في يدي كتاب بعنوان «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ»[1]، فقرأت السؤال التالي: «بالعون؟!»

ج: هذا صريح في الحلف بغير الله، وليس الظن أنه يعني: بعون الله. انتهى.

ولا شك أن ورود هذين اللفظين في قصائد السابقين من شعرائنا الشعبيين، وإن كانا لهما معنى الحلف، إلا أننا نثق أنه حلف بغير عقيدة، ولكنهما مم جرت بهما الألسنة بحكم العادة والتقليد. أقول هذا وأرجو أن ينتبه لمعناهما الحقيقي الاخوة الشعراء، خاصة المولعين منهم بألفاظ وتراكيب الماضين، والله الموفق..

« ألفية معلى الحربي »

■ جمعني المجلس مع أخ من قبيلة حرب[2] فسألته عن محفوظاته من الشعر فروى لي قصيدة قال عنها: إنها للشاعر «معلى الجميل الحربي» المتوفى سنة «الكسوف» وهي سنة معروفة عند أهل البادية ولما سألته عن تاريخها قال: إنها قبل وفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله بسنتين يريدها تقريبا عام ١٣٧١هـ. حيث كسفت الشمس في تلك السنة وقال عن القصيدة: إنها الألفية المعروفة للشاعر «معلى»، وقد أملاها علي إلا أنه لم يتذكر منها إلا أقلها، وهي:

الالف لا تلفي الخبيث بدارك
تراك لو زنتْ له مازان
إن الخبيث مخبث باعمالك
لعاد لا يامن ولا به امان
والباء لا يابي لسانك على العرب
قل خير والا ان السكات إحسان
التاء تاب الله علينا برحمته
أخير وان تبت يالانسان

(١) الجزء الثاني صفحة (١٧١)، رقم السؤال (٩١).

(٢) هو عبدالله بن سالم الحربي.

التـوبـه ما تنـفـع بقـلب قاســي
لعـاد ما قلب الـعـبـد ليــان
والـشـاء لا تثـاثـا عن طلبـت الـلــه
تصـير من طرايـد الـشـيـطــان
الجـيـم لا تجمـع همومـك بقـلبــك
ترى تجمـيـع الهـموم أحــزان
رزقـك على ربـك ووسـع بالــك
ومـا دبـر المـولى يجيـك ايـقــان
الحـاء باللـه لا تزيـغ الحيـاء من قلوبنـا
لأن الحـيــاء شعـبـة من الايـمــان
والخـاء خل خوفـك بقـلبــك
لا تصـير خوف ذيب عينـه بالخيــان
الـعـين عين الـلــه ترى خلقــه
تعـلم غيـوب الـنـفس بكـل مكــان

وسألته عن ما يعرفه من أخبار «معلى» هذا؟ فقال لي: إنه في إحدى المرات وبينما كان نائما وغنمه ترعى، جاءه شاعر يريد مناظرته حيث أيقظه من منامه قائلا له: أنت معلى؟! فأجابه: وصلت إلى خير، فبادر الرجل قائلا له: «أنا طامي بحر زامي وان خضيته جاك زبده»، فأجابه معلى قائلا: «أنا سيلك تالي ليلك أقشع بيتك هو واعمـده»، فما أن سمـع الشاعر مرده الحاضر هذا حتى قفل راجعاً راضياً من الغنيمة بالسلامة، لكن معلى ألحق وراءه قصيدة منها هذه الأبيات:

يا راكـب من فوق حمرى اجـلالــه
مالـك رديـف فوقـهـا كود بنـدقــك
لجيـت مشـعـل علمـه بالـرسـالــة
قله حذر غصـن الـلبش لا يتـعـلقــك
وادي الـرمـة جتـك تعـاوى ادحـالــه
عوايـله من كل نو تصـافـقــك
ماني سفـيـه يعـترض كل قالــه
وان جيتــني لو طرت للجـدي للحقــك

« الشاعر العسكري/ عبدالله العيسى »

ترى حلاة الـولـد لا بان به خلــه
يركـب على ضمـر زينـات الاوجـافــي
يشـهـر كما الـطير عن مربـاه لعـلــه
ويـبـدل الـدار بديـار عن الجـافــي
أمـا يجيـب الـسـعـد والـعـز يبرن لــه
والا يذكـر بنـى من فوقـه الـسـافــي

الأبيات لـ «عبدالله بن سليمان العيسى» ـ يرحمه الله ـ ولد في بريدة عام ١٣١٠هـ تقريبا، وتوفي في التسعينيات الهجرية، من أوائل من لبسوا البدلة العسكرية السعودية، تقلد عددا من المناصب العسكرية في الدولة، كان آخرها مدير شرطة المنطقة الشرقية، اشتغل آخر حياته في الزراعة، عرف عنه الحزم والفراسة، وقال بذلك كثير من زملائه ومعاصريه العسكريين، ممن استضافهم الأخ الأستاذ محمد الوعيل في (ضيف الجزيرة) وأبياته السابقة تنطق بالهمة العالية، والروح العسكرية المقدامة، غفر الله لنا وله.

« بيت له حكمة »

وش خانـة المقـطان لو قيـل ما احــلاه
صيُّــور ماجـا بالليــالي غدت بـــه

سمعت أحد الرواة ينشد هذا البيت، فأعجبتني الحكمة في صورة معناه[1].

« مضار الهزل والفقـر »

الهـزل يرُث بالـنـجـيـب الـخـلايــه
والـفـقـر يرُث بالـفـتـى سكنـة الـريــح

جهل الراوي قائل هذا البيت، واستعلمته معاني بعض الألفاظ:

«النجيب» الذلول الأصيلة المنجبة يكون أبوها وأمها أصايل وتسمى

(١) حقا ما أسرع مرور الأيام بحلوها ومرها، وإن الصبر عن المنهيات تعقبه الحلاوة، واقتراف المحرمات تتلوه الندامة، أما الزمن فهو يطوي كل ذلك، ثم الصحف تنشر يوم القيامة.

(المحفظة)، «الخلاية» كثيرة البروك تبرك فيصعب تثويرها، أهل البادية يسمون الذلول التي تبرك ولا تثور وسيئة الطبع (خلاية) والنجيب إذا أطلق قصد به الفتى الطيب الأصيل، ومعنى البيت العام واضح.

« الشاعر السجين »

لا واعلى من شاف راسه يهزي
من فوق ما تدني بعيد المغازي
متنحرين يم اهلنا بعزي
الديرة اللي صوب هاك النوازي
تلقى عشيري لابس ثوب قزي
متحري لي مع ردود الحجازي
وانا بحبس الروم مالي معزي
يا رب تفرج لي تراي متوازي

هذه الأبيات أتحفني بها أحد الرواة حين سألته أن يزودني بقصيدة خفيفة من مروياته قال: إنها للشاعر/ «عبدالمحسن السعد الطويان» من أهل «بريدة» متوفى في منتصف القرن الهجري الماضي، حصلت عليه قضية في دولة عربية، أيام الاستعمار سجن على أثرها ولهذا عبر عن ذلك بقوله: «وأنا بحبس الروم مالي معزي» وسألت الراوي عن بعض الألفاظ مثل: «ثوب قزي» فقال ثوب الحرير «ردود الحجازي» حجاج نجد الواردون من مكة، «الديرة اللي صوب هاك النوازي» يقصد بلدته «بريدة» و «النوازي» ما ارتفع من كثبان الرمل «عشيري»: يعني زوجته، والقصيدة في مجملها تتحدث عن موضوعها.

« الشاعر "درعان" »

■ «درعان» أو «إبراهيم بن عبدالمحسن الطويان» ١٣٣٥ ـ ١٣٧٣هـ تقريبا. . شاعر مجيد، يقول الشعر بداهة وارتجالا، ولهذا عد من شعراء الرد المعروفين. . ولم يسجل مدونو الشعر الشعبي شيئا من تاريخه أو شعره إلا أن أشعاره محفوظة في صدور الكثيرين من محبي شعره المتميز بالحماسة والظرافة والمساجلات، وقد قارع في شعره عددا من شعراء عصره، وعاش مكافحا خلف رزقه وفنه، ومات في سن صغيرة حوالي ثمانية وثلاثين عاما، في حادثة مرور، إذ أوقف سيارته في طريق صحراوي، ونزل

معاونه تحتها لصيانتها، وقبل أن يبتعد عنها، داهمتها سيارة مسرعة فاصطدمت بها، ومن خوفه على معاونه، رجع إليها مسرعا وهو ينادي عليه، فأصيب بصدمة مرض بعدها ومات ــ رحمه الله ــ.

قال الشاعر «درعان» في حوار له مع شاعر آخر:

آه واحـظي الـلي ليعـتـه الـقـــراده
لاح شيـبـي براسي ما بلغـت المـــرام
رحـت ابـقـنص بحـظي ما تهيا جــراده
والخـلايـق بحـظوظـه تحوش الجـهـــام
كل ما لحفـت جنبي ما حصـل لي وسـادة
الـغـطى قاصر عني ليـال الـتـمـــام

فرد عليه الآخـــــر:

لا تجضـور ترى دنـيـاك هذي نكـــاده
ما تجي للفـتـى دنـيـاه دايـم تمـــام
لاح شيبـك براسـك جاه موسم حصـــاده
جاه وقـت المشـيـب وصـار مثـل الثمـــام

«الثمام» شجر ينبت في الصحراء يصبح في الصيف أبيض يابسا. والشاعر هنا مثل غالب الشعراء فصيحهم ونبطيهم قدمائهم ومعاصريهم يشكون سوء حظهم، ولا أدري إن كانت حظوظ الشعراء رديئة حقا أم التشكي عادة اعتادها الشاعر[1].

ومن الأبيات التي تدل على إيمان الشاعر (درعان) ــ رحمه الله ــ وثقته بما عند ربه، ويقينه به، هذا البيت، الذي قاله ضمن قصيدة طويلة، شرح فيها حاله، بعد أن أصيب بخسارة مالية:

« والـلـه ما تشـكـل علي المـخـاسـير
الـلي خذا مني هو الـلي عطانـــي »

---

(١) الأرزاق أقدار كتبها الله سبحانه وتعالى، ونذكر هنا قوله تعالى ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ ولا يموت الإنسان حتى يستوفي رزقه وأجله، وجميع حظه من هذه الحياة، والمؤمن مدعو إلى أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى، ثم هو أثناء ذلك يبذل أقصى ما يمكنه فعله من الأسباب، ولن ينال إلا ما قسم له.

« القصيدة الرائعة، مخاض تجربة أروع ! »

■ التجربة المريرة، وتقلب الحياة الدائم، هما اللذان يلهبان شاعرية الشاعر، وهما اللذان يصوغان درره، ويؤصلان معانيه. والشاعر هو من ألطف خلق الله شعورا، وأدقهم إحساسا، وأكثرهم استبصارا لما يدور حوله. وحين تمر على الشاعر تجربة قاسية وظروف قاهرة ينصهر في بوتقتها، تجده هنا أصدق ما يكون، وأوضح ما يمكن، فتبقى أبياته وليدة تلك الأيام خالدة ما بقي للشعر قيمة وللعربية سلطان.

« محنــــة شاعـــر »

■ الشاعر: إبراهيم بن عبدالمحسن الطويان ــ رحمه الله ــ المشهور بـ «درعان» والمتوفى سنة ١٣٧٣هـ، مر بمحنة مالية في إحدى سنوات عمره، حيث احترقت سيارته، وساءت أحواله، فتفرق عنه أخلاء الرخاء بددا، ولم يبق له منهم واحد، وهنا ظهرت له حقيقة من حوله، فتنبه من غفلته، وقال قصيدة رائعة وجهها إلى صديق له اسمه «شقير» والقصيدة كاملة ذكرها الأستاذ سليمان النقيدان عند تناوله لهذا الشاعر، في كتابه «شعراء من بريدة»، نذكر منها هذه الأبيات:

الله يجزي عسر الايام بالخير   تبين الصاحب من الشقلبان
عقب العسر حل وتجارب وتفسير   والفحص لا لز الحقب للبطان
والله ما تشكل علي المخاسير   اللي خذا مني هو اللي عطاني

وفي ختمها هذان البيتان:

لا تفتكر دام المحاله على البير   لا بد ما يحتاج شخص لثاني
الوقت يلقح والليالي معاشير   ودواير الدنيا علينا امتحانِ

« لا ملوم أنت في بعض الأسى »

■ قابلت مرة أحد المهتمين بأخبار البادية، فسألته أن يتحفنا بما قل ودل من علومها، فروى لي هذا الخبر: كانت جماعة من قبيلة «عنزة»، تقطن بالصيف في «الحناكية»[1].

(١) بلدة في منطقة المدينة المنورة.

وحين أقبل «الصفري» شدوا مشملين، وتركوا خادما لهم مع الغنم، لا يستطيع مبارحتها، فما كان منه وقد خلفه أعمامه وراء ظهورهم وحيدا سوى من ذكرياتهم إلا أن جاشت نفسه بهذه الأبيات التي بعثها وراءهم:

أبكي هلي يا ناس مانيب مليوم
واظن من يبكي هله ما يلامي
هذا مشب النار والحفر مثلوم
مركى الدلال المتعبات الشوامي
وهذي مرابط خيلهم دايم الدوم
حقب العيون مروبعات الهوامي
علمي بهم «بقصير» هلة «التوم»
تغازوا المعبار والشط زامي
أدنى منازلهم «شتاتا» و «الملوم»
واقصى منازلهم و «دي النعامي»
راحوا كما طير قلب راسه الحوم
بهيفية ما يندرى وين حامي

وما أن وصلت القصيدة إلى قومه حتى أرسلوا له أربعين بعيرا، كل بعير عليه راويتان من الماء لسقيا غنمه، فرافقته في العودة، حتى وصل معها منازل أعمامه بالجزيرة شمالا!

واستوضحت من الراوي معاني بعض الألفاظ، فسألته عن «قصير» فقال: المقصود به شهر شعبان و «التوم» الجمادان الأول والآخر، «شتاتا» قرية «الملوم» تل. وكلاهما بالحماد. وادي النعام، وادي يقع بين مدينتي طريف والجوف. أما قوله «الشط زامي» فالمعني به نهر الفرات حيث عبره قومه متجهين إلى الجزيرة ــ جزيرة ما بين النهرين في العراق، «حقب العيون مروبعات الهوامي» هذا وصف لملامح الخيل العربية الأصيلة، ثم استفهمت من الراوي معنى البيت الأخير، راحو كما طير الخ، فقال الطير يعني به الصقر، فالصقارة لا يطلقون الطير إذا كانت الرياح هيفية أي قادمة من الجنوب الغربي، وهناك مثل يقول «الطير ما يهد وقت العجاج».

« الصديق وقت الضيق »

■ من روائع المعاني في الشعر الشعبي هذا البيت لـ: «شالح بن هدلان»:

أنا رفيقك في الليالي المعاسير
والا الرخا كل يسد بمكاني

« الشتاء في النفود »

■ الشتاء ببرده ومطره وأنوائه يطرق الأبواب، وهاأنتم تعدون له ما يدفيء أجسامكم ومنازلكم، ومشاركة مني بهذه المناسبة، أحدثكم في هذه الحلقة والتي تليها، ما يحسن إيراده عن «البرد» آمل أن تدفيء هذه الروايات أفكاركم وتنعش خواطركم:

لعل «خرجى» مالبوها المقدي
و «التنف» و «غراب الحدالي» و «لاهه»
برده على عمري تحدى تحدي
والثلج عندي عامر له افلاحه
يا لله على دور لنا لو يردي
مشتى النفود ولذته وانبطاحه

هذه الأبيات ذكرها أحد الرواة، وقال: إنها لـ «عجلان بن رمال» شاعر من شيوخ سنجار من شمر عاش تقريبا بين ١٢٥٠ ــ ١٣٥٠هـ، واستوضحته قصة الأبيات، فقال: إن الشاعر حصل بينه وبين قومه خلاف فترك منازل قومه بين (جبة) و (الجوف) وكان الوقت شتاء فلم يحصل له مشتى النفود في ديار ربعه، فشتا بالحماد، وسألته عن مواقع الأماكن التي ورد ذكرها فقال: ان «خرجى» خبراء تجتمع بها السيول في الحماد، أما «لاهه» فقارة قرب طريف و «التنف» تل، أما «غراب الحدالي» فضلع أسود، وهما معروفان بالحماد.

وبعد، أترون ابن الصحراء اليوم، وهو يتدير الدار الحديثة، والفلة الأنيقة، يحن إلى مرباه ومراتع صباه، فيهيجه الوجد ويتذكر الربى والنجد، فيشاطر الشاعر مشاعره في بيته المنظوم بحروف صهرها الوجد ولونتها الذكريات؟ :

يا الـله على دور لنـا لو يـــــردي
مشتـى النـفــود ولـذتـه وانبـطاحـــه

هل أذكـركم بالأعرابية التي سكنت الحضر فتمنت لو رجعت إلى صحرائها اليست هي القائلة؟ :

لبـيـت تخفـق الأريـاح فيـه
أحـب الي من قصـر منيـف

أنسيتم الاعرابية الأخرى التي رافعت عن نفسها قائلة؟ :

فما ذنـب أعـرابـيـة قذفـت بهـا
صروف الـليـالي حيـث لم تك ظنـت
تمنـت أحـاليـب الـرعـاة وخيـمـة
بنـجـد فلم يقض لها ما تمنـت

حليب النياق، وربيع نجد، وخيمة في صحرائها، أي هناء ونعيم هذا.

« الشتـــاء بالباديـــة »

احـيـه وابـرد بـرى حـال عـودي
ولـوعـتي كنـه ولـد بردنـا الـعـام
وجـدي على عجـز بهـاك الـنـفـودي
حضـايهـن يصـبـح دفي إلى نـام

هذان البيتان أسمعني إياهما أحد الرواة وقال: إنهما من قصيدة لأحد شعراء البادية، وسألته من يكون؟ فقال: إنه شاعر يدعى (الشراري) والمعنى في الأبيات غير خفي، وعنى بكلمة (عجز) جذوع شجر «الأرطى» اليابس الذي ينمو في النفود، فوقوده جزل وجمره سمر.

* «زولية الغفيلية» هذا المثل مشهور عند أهـل البادية، و «زولية» قطيفة و «الغفيلية» فخذ من عرب شمر، وقصة المثل أن «اغفيليه» شرطت صداقها «قطيفة» فوعـدها خاطبها باحضارها، وعندما شتى بالنفود، أشار إلى الرمل تحته وهو يقول «هذه زوليتنا يا الغفيلية» فذهبت مثلا، وقد اعتاد أهل البادية أن يشتوا بالنفود لأنه دافيء فيزبنونه وقت الشتاء لحفظ أنفسهم وحلالهم من قسوة البرد وعصف الرياح،

ومادام الحديث متواصلا عن «النفود» في لين مفترشة وطيب هوائه، فإن من المناسب ختم هذا المقطع بقول الشاعر:

الـلـه على دور لنـا لو يـــردي
مشــتى الـنـفـود ولــذتــه وانبــطاحـــــه

« الشتاء في الحاضـــرة »

إلى عتــن الــشــبط واحمــر الــســمـــا
عنــد اهــلنــا كنهــا ايــام الحــمـــيـم

هذا البيت للشـاعـر «محمد العرفج»، أحد شعراء بريدة، ومن أبرز شعراء عصره، ولقد صدق الشاعر، فالإنسان عند أهله يقاوم البرد، وفي الغربة تتضاعف معـانـاته منه، وعلل ذلك تنوف على الحصر، «الشبط» أحد بروج الشتاء وذروته، و «الحميم» أحد بروج الصيف حيث تشتد الحرارة.

قال الشاعر العربي:

بـــلاد بها كنـا وكـنـا نحـبـهـــا
إذا الــنـــاس ناس والــزمـان زمـــان

« الطبـــع مثل الجـــدي »

« الطبـع مثـل الجـدي ما فيـه تبديل   تلقـاه في مرسـاه ليـلـه نهاره »

هذا البيت للشاعر «لويحان» لو لم يقل غيره لكفاه ليحمل لقب الشاعر وهو في معنى لم أجد له مثيلا في أشعار الفصحاء العرب وله حقيقة علمية من جهة المشبه والمشبه به.. وفي عجز البيت حقيقة علمية أخرى تكشف عن عمق ثقافته وسعة معلوماته يرحمه الله..

« تشبيـــه بليـــغ »

ان كان تبكي ضايــع لك اريــالـين   يا ماغــدى من طرم الاكيــاس منــا

تمثل بهذا البيت أحد كبار السن، وسألته عن قائله فذكر أنه لا يعرفه، وسألت آخر فأفادني أن أسلوبه يشبه أسلوب الشاعر «عبيد الرشيد» وناقلته العجب في وصفه الأكياس بأنها طرماء هل لأنها لشدة امتلائها لا يسمع لها صوت، فقال لي هو كذلك

فنحن كثيرا ما نقول «فلان كيس اطرم» ونعني بذلك أنه ثقيل رزين لا يسمع له صوت.

« اعتمد على الله ثم على نفسك »

■ يحفل الشعر الشعبي بمعان رائعة في الحكمة، ومن أدب الإعتماد على النفس أسوق هذه الأبيات من الشعر:

— ١ —

ترى ما ينفعك خالك ولا خوك

لا صار ما تقضي لزومك يمناك

— ٢ —

الناس ما تسقيك إلى صرت عطشان

ولا يشرب المظمي حذا من ذراعه

— ٣ —

أمك وبوك وكل ذيك القرابات

ما حد يسد السيل عنك بعباته

ومن الأمثلة العامية في هذا السياق «طهر ولدك بالفاس ولا تحتاج للناس»، ومعنى «طهر» أي: اختنه! مغالاة في الإعتماد على النفس، وعدم توقع المعونة من أحد، ولا شك أن الإعتماد الأساسي هو على الله المعين الذي يهيء الأسباب إذا شاء سبحانه.

« الفرج بعد الشدة »

■ «الشطة بتراء» هذا المثل سمعته من أحد الإخوان، حين شكوت عليه حالا واقعة بي، فقال مطمئنا ومصبرا: «الشطة بتراء»، واستفسرت منه عن هوية المثل فقال إنه «بدوي» والمعنى في المثل واضح، فكلما اشتدت الأمور قرب الفرج من الله، والقيد إذا اشتد مسه انقطع، ومن أحسن ما سمعت قولهم: «إن عند اشتداد الظلام انبلاج الصبح»، والواقع يشهد لكل هذا، وما ألطف قول الشاعر:

عسى فرج يأتي به الله إنه

له كل يوم في خليقته أمر

إذا حل عسر فارج يسرا فانه
قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

« جاك عمك والبلح »

■ «جاك عمك والبلح» هذه العبارة قالها أحد الأشخاص معلقا بها على خبر، رواه أحد الجالسين، واستنشدته قصتها فقال: إن رجلا كان في أعلى نخلة يخترف منها، فناداه شخص من تحتها: أن ناولني «بلحة» وحين هم أن يسقط عليه ما تيسر، انقطع به «الكر»، فهوى ساقطا! وهو يقول «جاك عمك والبلح» فذهبت مثلا و«الكر» هو حزام يدخله «النخّال» في النخلة ثم يشد به وسطه ويصعد معتمدا عليه وعلى قدميه.

« معمر يهذي بالشعر »

■ كنت في رحلة بالطائرة من الرياض للقصيم، وكان بقربي شيخ طاعن في السن أخذ طوال الرحلة يهذي بأبيات من الشعر ليس لها مناسبة ملحوظة.. لم أستطع تدوينها لأنه كان لا يسمع ما أقول وحفظت مما قاله بيتا له معنى جزل هو:

إبل بلا خيل تراها نهيبه لعاد ماهلها بركنه يفكون

« من أدوية الإكتئاب »

■ سمعني أحدهم وانا أردد قول الشاعر:

لضاق صدري قلت دنو ذلولي
حطوا عليها وكرها والقراميش
نبي نقضي وقتنا بالمطاريش

فتمثل هو في الحال بقول من قال:

لضاق صدري جبت خمة جذامير
واشعلت نار مثل نار الحرابة

« السلام زرقة رمح »

■ سمعت هذا المثل يتمثل به أكثر من واحد، وإذا تأملنا معناه واستنبطنا حقيقته، وجدناه يحمل مدلولا صحيحا، تعرفه بالتجريب، وتدركه بالمخالطة.

فالسلام وهو سنة واجبة يفقد قيمته إذا تراخى أداؤه، لأن غايته التقدير والإعزاز وهذه لا تكون إلا مع المبادأة والمبادرة، تماما كحال الرامي الذي يهز رمحه موجهه إلى الهدف، ليس من مصلحته الإنتظار والتمهل، ذلك لأن الهدف لن يبقى له على الحال التي يريدها هو، ولهذا إذا رأيت صاحبك في المسجد أو الشارع أو المحفل فبادره بالمصافحة والسلام، فخيركما من يبدأ بالسلام ثم بعد ذلك، استعن بالله على الكلام الذي سيجره السلام، كما قال أحد المزارعين، الذي يظهر أنه بذر بطيخا في مزرعته، فكان لا يرد السلام على من سلم عليه، فعوتب في ذلك، فقال: «السلام يجر كلام، والكلام يجر بطيخة»! يعني أن السلام يفتح باب الحديث «للعابر»، وقد يسأله أن يهبه «بطيخة»، وذلك استمناح لا يحبذه هذا المزارع، ولذا رغب أن يغلق هذا الباب، على قاعدة «باب يجيك منه الريح سده واستريح» مع أن باب السلام والعطاء، باب لا تأتي معه الريح، وانما تأتي معه رياح الخير المبشرة بالبركة.

« العتاب للباقي، لا للراحـل ! »

أعـاتـبـك حيـث انـت راعي طويـلـه
وراعـي الـقـصـايـر ما يبي من يعـاتـبـه

سمعت أحدهم يستشهد بهذا البيت، ليقنع محدثه بشرعية عتابه له، والمعنى في البيت قوي، حيث ينهض دليله بالحجة، ولا شك أن المرء يتحمل الضرر من الجار والزميل وغيرهما إذا كانت فترة المجاورة أو المزاملة قصيرة، لكن إذا طالت هذه المعاشرة، فإن تحمل الضرر خلالها لن يكون في طوق الإنسان، ولذا فإن الحكمة تقتضي المعاتبة لرفع الضرر ودفع الحرج.

« صبي يتحايل لرزقـه ! »

■ روى لي أحد الاخوان، قال: كنت أتنزه على رصيف نهر النيل بالقاهرة، فشاهدت صبيا معه أدوات مسح الأحذية، وهو ينادي: «امسح حذاءك مجانا» وكان نداؤه هذا بالانجليزية، لكثرة السياح الأجانب حوله، وما أن سمعه أحدهم، حتى لفتت نظره هذه الدعوة المجانية، فدفعه فضوله لاكتشاف هذه الفكرة التسويقية، فاقترب منه، و جلس على طرف السور، ومد له حذائيه، فشمر الغلام عن ساعديه، واستخرج أدواته، وأخذ يلمع أحدها حتى أصبح زاهيا جميلا، وحين أنهى فردة الحذاء، أدخل أدواته وقام، فتعجب منه السائح، وقال له، أكمل عملك، لماذا لا

تلمع الفردة الثانية، فأجابه الصبي، بمنطق المنتصر: أنا قلت: امسح الحذاء مجانا، قلت (شـو) ولم أقـل (شوز)، إن المجانية لحذاء واحد! فضحك السائح كثيرا لهذا المـوقف. واضـطر إلى أن يدفع المبلغ الذي ارتضاه الصبي لتلميع الفردة الثانية. فعجبت لهذه الحيلة التي يتصيد بها الغلام رزقه، وبقيت أضحك منها كلما تذكرتها.

« تأجيل السـداد أنفــع ! »

■ دخل أحد الرجال، على تاجر في ذمته مبلغ من المال لذلك الرجل، ولم يكن عنده بينة، وليس بينهما من شاهد سوى علام الغيوب، فسأل الرجل التاجر ماله، فأنكـره، قائـلا: لا أعلم أن عندي لك مالا! وخرج الرجل ثم عاد راجعا، وقال للتاجر: إن في خاطري كلمة أريد أن أحيطك بها، فرد عليه التاجر: قل ما عندك، فقال له: إنك إن أعطيتني مالي اليوم فسآكله أنا وأولادي، وإن لم تعطني إياه، فسآكله غدا وحدي، والسلام على من اتبع الهدى، وخرج دون أن يزيد على ذلك كلمة!

« غــروب وشـــروق ! »

■ هو شيخ في الثمانين من عمره، كان أحد رجالات «اعقيل» وكان مشهورا فيهم بالرأي والسداد والهيبة، فلكم غربت وشرقت رعاياه من الإبل والشاء، وضرب في معلوم الأرض ومجهولها حتى كل ومل، قال لي: كنت قبل أيام أمشي في أحد الأحياء، وبينما أنا في طريقي أسير رويدا متكئا على عصاي إذْ قابلتني طفلة صغيرة لم تتجاوز السابعة، فمسكت عصاي، فسألتها ــ وفي يقيني أنها أُعجبت بي ــ «ماذا تريدين يا بنتي »؟، فردت علي بعفــوية، وهي تضحـك بمـرح: «أبي أضحـك عليك!» فضحكت في سري، وقلت: «هذي آخرته، صرت مضحاكة»!

« يا لايم الصبيان يوم انت صــبي ! »

■ سمعت هذه العبارة، يستشهد بها أحد الشيوخ، في اعتراضه على جليس له يقاربه في العمر، أخذ ينهر أطفالا حولها أكثروا عليهما الصخب والشغب. وفي الجملة عتـاب لا يخفى وحكمـة لا تنكـر، فالـطفـل مفـطور على اللعب والحـركة وحب الإستطلاع، ففي اللعب نموه، وفي الفضول تعليمه، وفي الحركة تجريبه وتثقيفه، وكلما تقـدم العمـر بالإنسان قلت حركته، وخف لهوه ولعبه، وأصبح لا يُستثار له

فضول، فكل غريب قد مر عليه، وكل موقف قد اعتاده، بينما على العكس من ذلك الطفل الغرير الذي تدهشه اللعبة، وتثيره الجِدَّة والطرفة، ولكن الكبار يريدون أن يحكموا الصغار بقانونهم الحركي الناضج، ناسين أن الأطفال يعيشون عالما ملونا مدهشا، يسوده الخيال، وينشط فيه أللعب، فلا تلم الصغير إذا حركته غريزته، فدمر وأفسد وقفز وركض، ولعب وضحك، إنها سنة سرتها قبله، وطريق مشيت فيه مثله، تذكر، واسترجع أيام صباك، وستعرف حقيقة ذلك، وستقول لمن يلوم الأطفال ويتضجر من شقاوتهم: (يا لايم الصبيان يوم انت صبي!).

« من هو المستريـــح ؟ »

المستريـح الـلي لا ذلـول ولا شاة ولا عيـال بالـدهـر يمحنـونـه!

سمعت أحدهم يتمثل بهذا البيت حين خاض المتحدثون في متاعب المال والعيال. والحق أن الذي ينقصه المال والعيال في تعب لفقدهما، والذي يملكهما في نصب من رعاية حقهما، ولا شك أن لله في ذلك حكمة، فالناجي من استن بسنن الهدى فربى الولد على الخير، وتصرف في المال على الوجه المشروع، فشكر الله على ما أعطى، وتحدث بنعمته التي أجزل، وإن كانت الأخرى، صبر ودعا، وترقب الفرج من المولى، من فعل ذلك فهو الناجي، وإلا فإنه خدن القلق ورفيق الضجر.

« لكل مرحلة من العمر حكمهـــا »

■ « ابطون الصبايا تنانير »

عندما كنا صغاراً، كنا نسمع هذا المثل من شيوخنا، كلما اعترض أحدهم على أكلنا بين الوجبات أو إسرافنا في الطعام، وإذا مرت بك السنون أدركت حقيقة هذا المثل، فهو وليد التجريب والحكمة، فمعدة الفتى غير معدة الشاب غير معدة الشيخ، ولكل عهد خاصيته، فالفتى أقوى هضما وأكثر حركة وأقل انفعالا وشواغل نفسية ولهذا فهو أشهى للطعام وأمرى له، وعلى من تجاوز الأربعين أن يتنبه إلى أضرار الإسراف وما يجره من تخمة وأمراض وليعرف أن للأربعين حكما غير حكم العشرين، فعليه أن لا يسرف في اللحوم والأكلات الدسمة وأن يباعد بين الوجبات ويخفف من الشاي والقهوة والمياه الغازية، وأن يأكل طعامه قبل النوم بثلاث ساعات على الأقل فهذا أهضم لطعامه وأحمد لنومه وأصح لبدنه، وأن يتمشى ويتريض ما أمكن له

ذلك، وأن يتخير ويتنقى في طعامه وشرابه، ويقمع شهوته فهي غير عاقلة، ويردع نفسه قبل أن توروده موارد لا يصدر منها، والمجرب أدى النصيحة حين أنشد:

وإن الـــداء أكـثـر ما تـــراه
يكـون من الـطعـام والـشـــراب

ومن أمثلتنا في نجد قولهم: «الصحة باطراف الجوع» وقولهم: «إلى اوجعك بطنك فاحرمه» ولا شك «أن المعدة بيت الداء» «وأن الحمية رأس الدواء».

أما عهد الصبا والشباب فهو عصر ذهبي إذا تعاوره السبت والأحد، أمسى في خبر كان، وليس بمستطاع العطار ولا الطبيب إصلاحه، ولهذا قال أحد الأدباء حين مر على فتيان يمرحون ويلعبون، قال لهم، وهو ينظر إليهم بأسى: (والله ما عرفنا لذاذة العيش منذ أن فارقناكم)!

وتجـد بعض الكهـول، يقولون إن الدنيا تغيرت، وكانت... وكانت... وينسون أنهم هم الذين تغيروا وليست الدنيا، كما قال العوني:

تقـولـون الايـام علينـا تغـيرت
تغـيرتـم أنـتـم ما عرفـتـم غيـورهـا
الايـام هي الايـام ما زاد عدهـا
هذي ليـالـيـهـا وهـذي شهـورهـا

وفي الفصحى، يقول المتنبي:

ولـذيـد الحـيـاة أنـفس في الـنفـس
وأشـهـى من أن يمـل وأحـلـى
وإذا الـشـيـخ قـال أف
فما مل حيـاة وإنـما الـضـعـف ملـى
آلـة الـعـيش صحـة وشـبـاب
فإذا ولـيـا عن المـرء ولـى

« الماضي ولى، الأمل مع الغـد »

ما مضـى يا صاحـبي بركـه فـات
مير احكـي لي في مقبـلات النليـالـي !

حفظت هذا البيت، حين سمعت راوية يترنم به ساعة فراغ، وذكر أنه من

قصيدة للشاعر والفارس المشهور: راكان بن حثلين. وفي البيت فائدة، «فحكي في الفائت نقصان في العقل» كما يقول المثل، والإنسان عادة يتطلع إلى الغد، فالأمل هو الغد «وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل» وكلنا نرجو أن يكون الغد أفضل من اليوم، فالمريض يرجو أن يشفى، والفقير يأمل أن يثري، والطالب يتمنى أن ينجح، ولهذا فالذي فات مات، وما هو آت آت، وليس من العقل أن يلتفت الإنسان إلى الماضي إلا بالقدر الذي يستفيد فيه الخبرة ويجني به العبرة، حتى لا يكرر أخطاءه، وحتى يتعظ بغيره وينتفع بتجاربه، ولهذا فالشاعر يدعو صاحبه إلى أن يترك الماضي فقد ولى، فلا لذة في نبشه، وأن يتحدث فيما سيستقبلانه من أيام ففي ذلك وحده لذة الحديث ومتعته، أثق أننا جميعا نتعاطف مع «راكان» في لفتته هذا.

« حرف البيت فسقط من عين مضيفه ! »

■ قال الراوي: كان إثنان من «العقيلات» في قافلة تجتاز شمال الجزيرة، وفي مراحلها، انفصل عنها إلى حين رجلان من تجار بريدة، وفي الصحراء التقيا صاحب بيت من الأعراب، فأضافهما وحيا ورحب، وأخذا بأطراف الحديث مع الرجل، فقال لهما بعد أن أخذ الأخبار، هل منكما من يغني على الربابة فأنعم أحدهما، واحتضن الربابة وراح يجر عليها قصيدة راكان المشهورة، التي أنشدها بعد حادثة أسره المعروفة:

«خري وانا راكان زبن الونية
ما يشرب العقبات كود الهداني

يقول صاحبه: فما أن تم صديقي هذا البيت، حتى رأيت الأعرابي، يشير إلى ابنته أن تطلق سراح الكبش المعد لوليمتنا، لقد ظهر أن صديقي وقع في خطأ لم يغفره له الأعرابي، لقد حرف كلمة «الونية» فنطقها «الولية»، ومعلوم الفرق بين الإسمين، فالولية: اسم للمرأة عندهم، بينما «الونية» الفرس البطيئة التي تخلفت بصاحبها عند الهزيمة، فراكان يعني أنه حمى لهذه الفرس ولصاحبها من الأعداء حين يتشفق كل فرد روحه، ويدبر لا يسأل عن شيء، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

ودك تخاوي كاسبين النفيله
فكاكة التالي إلى ذهب الريق!

لقد احترم الأعرابي ضيفيه، حين علم أنهما من العقيلات، وحين سمع

حديثهما، واجادتهما لفن الربابة، لكنه ما أسرع أن أسقطهما من حسابه حين أفسدا الرواية، وحرفا في القصيدة، وهذا يدل دلالة واضحة على عناية أهل البادية بالرواية والراوي، وبقدر فقهه فيها تعلو منزلته أو تنخفض.

« الناس في تجربة شاعـــر »

■ فِقْه الناس، وتمييز الصديق من العدو، وسبر أغوار النفس فيما تبطنه لا فيما تظهره، وإدراك من يحب منصبك ومالك أو حاجته عندك، ومن يحب نفسك فقط متجردا من أهوائه ومقاصده، هذه الدرجة لا يصل إليها الإنسان لأنه حمل الشهادة الجامعية، أو لأنه درس التخصص الفلاني، إن هذه درجة من العلم يعيشها الإنسان حين يركب سفينة الحياة فترسو به على كل شاطيء، وتحمله على كل موج، حين يخالط النـاس ويخـالطونه ويعاملهم ويعاملونه، فيستقيم له من استقام، ويعوج عليه من اعـوج، فيرى النـاس وإن تشـابهت الـوجوه، خلقاً مختلفاً في سلوكياته كما تختلف تضاريس الأرض من جبل وسهل، ومرتفع ومنخفض. وحين يدخل في ليل الحياة، ويلمـع نور الشعـيرات البيضاء في سواد رأسه، حينها يعرف الحقائق فتتكشف له الدخائل وتسقط الأقنعة ويظهر من اتخذك سلماً لأغراضه، وأقام العثرات في طريقك، ومن أخـذ بيدك لتعـبر طريقك سالماً، حينها يبدو صدق الصديق، ويفتضح غش العدو، فتعرف أن كثيراً من الناس كان ودهم متلوناً، أحبوك حين كان مالك جارياً وجاهك سالماً، ومجلسك عامراً، لبسوا لك جلد الحمل على ظهر الذئب، فلما انفض السـامـر، تميز الـدرهم من الدينار، وفي هذا يقول الشاعر: (درعان) إبراهيم بن عبدالمحسن الطويان:

بعض العـــرب مثـــل المـــراعـــ على الســـير
وعـــنـــد الـــلزوم أروغ من الـــشـــعـــلبـــان
يفـــرح بقـــربـــك فرحـــة الـــطفـــل بالـــطير
ويجـــفـــاك لامـــنـــه وطـــاك الـــزمـــان

حقا، إنها آهة ولدتها التجربة، وصهرتها المحنة، فجاءت القافية كحد السنان تقول: انتبه أمامك منعطفات حادة.

« قهــاوي بريـــدة »

■ ذات صباح ندي من أصباح «بريدة» قبل أربعين عاما، الشمس تشرق على «الصقعا» شرق بريدة، ثم تأخذ في العلو، الطيور قد هجرت البلدة وهي الآن في الحقـول والـرياض، وأصوات الديكة كفت منذ سويعات عن الصياح وهاهو رب الأسرة ينهي آخر تمرة وآخر فنجال من القهوة، ويخرج متأبطا مشلحه في طريقه إلى السوق، وما هي إلا سويعات قليلة حتى أضحى الضحى، فإذا هو يعود ليقيل برهة زمنية ثم يصحو ليتناول ما تيسر من غداءه وهو في الغالب تميرات ومذقة لبن، ثم يخرج إلى صلاة الظهر، وبعد الصلاة يفتح باب بيته فيتوافد الناس على (قهوته) وهو في «محكمته» يحمص لهم القهوة، ويدق على «النجر» حب الهيل، وضيوفه يستندون على المساند، ويرتفقون على «المراكي» ثم يأخذون في الحديث، يتناقلونه بينهم، كبيرهم يتحدث وصغيرهم يستمع، القادم من «طرشته» يحدث عن رحلته، وكل صاحب مهنة يخبر عن مهنته، فتنداح الدائرة من أخبار البلدة إلى أخبار الوطن عامة، ثم تتسع الـدائـرة الإخبـارية حتى تجتـاز الحدود، وهكذا تقوم هذه الديوانية بدور الجريدة والإذاعـة والمقهى في آن، فيرى النـاس بعضهم، القادم يلتقي بالراحل، والمسافر يلتقي بالمقيم، وكـانت هذه القهـاوي معـدودة على الأصابع في بريدة، معروفات لجمهـرة النـاس في البلدة ينصـونها ليتموا تلك الإجتماعات التي عقدوها في سوق البلدة، أو ليروا ويخالطوا آخرين لم يقدر لهم رؤيتهم في الأسواق، لقد كان للناس في تلك القهاوي أيام معروفة، وذكريات ماتعة، رووا فيها أخبارهم وقصصهم، وأنشدوا أشعارهم ومآثرهم.

« الهوى والنفـــس »

■ قال الراوي يتمثل:

المـهـتـوي ما كــل شي يـــرده
والــلي على غير الهــوى كود بخــزام

قلت له: إن في هذا المعنى قال الآخـــر:

المـهـتـوي طـرد المـهـا ما يعـنـيـه
كنــه على زل الــعـجـم بعـديـانـــه

فعقب علينا جليس لنا قائلا: من الأمثال سمعتهم يقولون:
(المهتوي يقطع المستوي) والمستوي: منطقة كثبان رملية وعرة شرق بريدة.

والمعنى في كل ذلك، أن النفس مع ما اشتهت، وهي تنطلق عادة مع حريتها ورغبتها، فإذا أجبرتها على ما يريده عقلك ثقل عليها السير، وكادها الإتجاه. فهوى النفس أشبه بالسيل المنطلق مع مجراه أو الريح الهابة من جهتها. لكن هوى النفس مع ذلك ليس دائما يتجه الإتجاه السليم، فعلى الإنسان أن يخطم هواه ويوجهه، إذْ أن عقله أشبه بقائد السيارة وهو يتحكم بالمقود، والهوى أشبه بالسيارة، إذا لم تمسك مقودها، تركت الجادة وهوت بك إلى المنحدر فتحطمت وأهلكتك، وكذلك النفس والهوى، هي منحدرة معه، فعليك كإنسان عاقل مكلف أن تقودها إلى الحق، وتقيمها على الطريق المستقيم، ففي ذلك الفلاح والفوز.

« شروط العقد »

■ سمعنا من المتمثلين قولهم: (من ترك حرف من الشريعة احتاجه) ويعنون ذلك عند توقيع العقود، إذْ أن العقد عند التبايع والتخاصم والنكاح وغير ذلك من الأحوال المدنية، أمر حثت عليه الشريعة وأوجبته، فالمتعاقد إذا أهمل في اشتراطه لابد وأن يأتي عليه اليوم الذي يرى فيه عاقبة هذا الإهمال، «فالشرط أملك» وهو أصون للحق، وأقوم للطرف الآخر، فالشروط هي الخطة العامة المطلوب من الطرف المنفذ اتمامها، فإذا اتضح الذي له والذي عليه، استطاع أن يتم واجبه على الهيئة التي يرتضيها الطرفان، ولهذا فإن من الواجب على محرر عقد الإتفاق أن يحتاط لنفسه ولصاحبه فيعدل في الشروط، ويوضح التفاصيل، حتى لا يضل أحدهما، وحتى لا يقع بينهما الخصام على جزئية أغفلا قاعدتها، ولكي يضمن كل طرف حقه، فلا يجور أحدهما على شريكه، وحتى يستطيع القاضي أن يفصل بينهما على ضوء شروطهما إذا استدعى الأمر ذلك، نسوق هذا المثل وهذا الشرح إلى الشباب وهم يتقدمون لخوض غمار الحياة، نذكّر بذلك، فلعل الذكرى تنفعهم، وهو قصدنا والرجاء.

« شاعر من قحطان هجره ربعه ! »

■ في أحد الأيام دخلت أحد المجالس، فإذا شيخ طاعن في السن، قد ثنيت له في وسط المجلس وسادة، وهو متكيء يتصدر الحديث، يغرِّب في القوم ويشرِّق.

وحين سمع جلبة الدلال، وقرقعة الفناجيل، وشم رائحة القهوة، ومز الفنجال الأول منها، عدَّل جلسته، وبلجت عيناه، ولانت تجاعيد وجهه، وبدأ ينشد:

يا فار هرِّجني وهـرجك يا فـــار
مادام كلٍ دالـــه في محلـــه
لولي عيـال كان شبـوا لي الـنـــار
ويـدلهـون الـقـلب وان جـاه خلـــه
ذالي ثمان سنـين ما جان خطـــار
صارت معـامـيـلي وبـيـتي مزلـــة!

وحين أتم إنشاده، سأله أحد الحاضرين، عن قائل الأبيات، فأجابه هي لشيخ مسن من قحطان، كف بصره في نهاية عمره، وليس له أولاد، وكان بيته مجمع ربعه فلما تقدم به العمر، هجره الناس، فبقى وحيدا إلا من حشرات بيته التي يسمع حركتها ولا يرى مكانها!

ولا يفوتني قبل ختم هذه السطور، أن أشير إلى أهمية المجلس والمحادثة عند كبار السن، فهي لذاذتهم الوحيدة المتبقية، ففي الحديث أنسهم ومتعتهم، وهم يحسون حين يُضيفون أو يستضيفون أو يحدثون أو يتحدثون، بشيء من التقدير والكرامة، يعوضهم عن مجد الشباب الغارب، ومراحل الإنتاج الفاعل فلفتة ننبه إليها، ونصيحة نتوجه بها، فلعلها تجد آذانا سامعة وقلوبا واعية.

« الجمال بلا عقل سراب خادع ! »

كم لُونِـة لا شفـتـهـا مالهـا امـثـــال
والى فشـقـتـه تقـضـب الحـلق مــره
زيـن بلا عقـل كما الـفـي لا زال
أو دورة المـذْهـبْ على غير جِــرة

أنشد هذين البيتين، راوية مسن، كان يلقي مقطعات القصائد، وشوارد الأبيات، دون تداع واضح، أو وقفات راحة، فكانت كلمته أشبه بكلمة «الراديو» ليس بمستطاع السامع استرجاعها، وسمعته حين استكمل البيتين السابقين، ينسبهما للشاعر: «أبو هلال» من سكان بريدة، و «اللونة» واحدة البلح، إذا تلونت بالحمرة

أو الصفـرة، «فشقتـه» أي قضمتها بأسنانك، أو باصبعيك، «الفي» الظل الذي نسخته الشمس، «المذهب»: الضائع، «جره»: أي على غير طريق واضح، والجرة بكسر الجيم، هي: أثر السائر في الصحراء.

والشاعر هنا يقول: كم من «بلحة» يسرك تلونها ويشوقك بهاؤها، وتظن أن لا مثيل لها في هذا الجمال، فإذا أكلتها واستطعمتها غص حلقك بمرارتها، ومثل ذلك جمال المرأة المعدومة العقل، فما أشبهه بالظل الزائل، وبالتائه الذي يضرب في الأرض على غير هدى تهديه، أو معالم تدله!

ولقد صدق الشاعر في نعته هذا، فجمال المرأة إن لم يكن له عقل يضبطه، ورشد يحكمه، أصبح وبالا عليها، فالعقل ـ بإذن الله ـ هو الذي يقيها الغرور، ويدلهـا على الصـواب، وينبههـا إلى أن: «جمال الخَلْق يفنى مع الأيام وأن محاسن الأخلاق تبقى على الدوام» والله المستعان في كل حال.

« بركة الشيوخ في البيـــوت »

■ «عزي لكم ان كان لمامكم غاب»، يظهر أن هذا شطر لبيت شعر، سمعت أحد المعمرين ينشده، حين ذكر أحد الحاضرين قصة الأسرة التي تقطعت أواصرها بعد وفاة عميدها، ولا شك أن لوجود الشيخ المسن بركة في الأسرة، فالأسرة التي ليس لها كبير ليس لها تدبير، فعليه تجتمع كلمتها، ويتوحد رأيها، ويعقد مجلس الشورى فيها، وأعرف شبابا كثيرين، طال العمر بآبائهم، فعاشوا معهم فلم يكن يأبه هؤلاء الشباب بهؤلاء الشيوخ، وحين يفقد أحدهم أباه الطاعن في السن، يحس لحظتها بفراغ كبير يجلس بعده شهورا وهو مختل الوزن، ولقد قال لي شيخ يتجاوز الخمسين من عمره، فقد والده الذي تجاوز التسعين: لقد أحسست بعد فقده باليتم والحزن، لم أكن أتصور أن والدي وهو بهذا السن وأنا في هذه المرحلة من العمر، سيترك كل هذا الفراغ في قلبي!

فيأيها الأبناء اهتبلوا هذه البرهة الزمنية التي تعاصرون فيها آباءكم المسنين، أكرموهم وقدروهم، وحادثوهم وشاوروهم، ففي وجودهم معكم البركة، وفي دعائهم القبول بإذن الله، وفي آرائهم الحنكة والتجربة، فلا تفرطوا في فرص منحها الله لكم، فالعمر رحَّال، والزمن يطوي أهله، ولا يبقى مع كر الجديدين أحد، فالسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه!

« من رقع الدنيا تبذه فتوقــه »

■ سمعت هذه المقالة، يتمثل بها متحدث أحنت السنون ظهره، وألانت قناته، عرف الـدنيا وهي مقبلة، وخبرها وهي مدبرة، فهذبته الحكمة وحنكته التجارب، ومعنى «تبذه»: أي تعجزه وتشتته، ولعل لها معنى «تبثه» أي تنشره في كل مكان، فينهكـه ملاحقتهـا «فتـوقـه»: أي شقـوقهـا، فالفتق هو: الشق، ويقصد مطالبها ومشاكلها، والمعنى الإجمالي للمثل واضح، فنحن في كل آن نرقع هذه الدنيا، فنرفي شقا هنا ونسد ثلمة هناك، ونظن ونحن نسعى لإتمام حاجة، أن إنجازها هو جواز إلى راحة، فإذا هو جواز إلى حاجة أخرى، ولهذا تبقى حوائج الإنسان وأمانيه متجددة مع تجدد أنفاسه، وهو في شغل مادامت هذه الروح تعمر جسمه، فلا تموت حاجاته حتى تموت نفسه، فيستريح ويريح، فهل تقتضي الحكمة أن يتخفف المرء من مطالب هذه الحياة، فيسمو على توافهها، ويقطع علائقه معها؟، أم يتطلب الواجب أن يظل في وسط المعمعة يخوض مع الخائضين ويلهث مع اللاهثين؟

إنها سؤالان صعبـان، ولكن ربـما رجَّح أحدهما قول يروى عن رسول الله عيسى عليه السلام: «إن مهمات الدنيا لا تتم بالإصلاح والتكميل، وإنما تتم بالترك والإعراض». وهذا المعنى يشهد للمثل الذي أسلفنا في شرحه.

« لا تعـانـد من إذا شد رحل »

■ عرف العربي في سالف العصر والأوان، أنه إنسان أبي شهم لا يقبل الضيم ولا يرضى الهوان، ولا يعطي الدنية ولا يطأطيء الرأس، هكذا هو العربي كما خلقه الله حراً كريماً، تذكرت هذه الخلال حين استمعت إلى أحد الشعراء، وهو ينشد قصيدة للشاعر: «سعدون العواجي» عقيد فخذ (ولد سليمان من عنزة) عاش تقريبا في القرن قبل الماضـي، تأمل معانيه العميقة، واستعاراته البليغة في هذا البيت الذي حفظته من قصيدته:

شبر من الـبـيــداء يعـوضــك الافــزاع
وســود الـليــالي يبـعــدنــك عن الـضـيــم

وتداعت المعاني، فأنشدت بيتي الشاعر «أبو زويد»:

اشتـــان لك من عوص الا نضـــا ازمـــالــــه
حمرا تــورد بك إلى صنــقــر الـــلال

خله مع الـدِيَّـان تركض لحالـــه
لعـــاد مانـــت للمـــــــة الخشم حمـــال

ورجعت قرونا كثيرة، فظهر لي الشاعر الجاهلي وهو ينشد:

(لـعـمـــرك ما في الأرض ضيـق على امـــريء
سرى راغـــبـــا أو راهـــبـــا وهـــو يعـــقـــل
وفي الأرض منـــأى للكـــريـــم عن الأذى
وفـــيـــهـــا لمن خاف الـــقـــلى متـــعـــــزل)

* ويقول الرواة:

حدث في بادية الشـام إبَّان عهود الإستعمار، أن غضب المستعمر على أحد رؤساء القبائل هناك فبعث له مندوبا يحاوره فكان مما قال المندوب له: (لا تخاصم من إذا قال فعل)! فرد عليه شيخ القبيلة بجواب ناصر، وثقة حاضرة: قل لمن بعثك: لا تعاند من إذا شد رحل!.

في سطــور

* عبدالكريم بن صالح الطويان

* ولد في بريدة، محرم ١٣٧٦هـ

* ليسانس تاريخ / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ ١٣٩٩/ ١٤٠٠هـ

* مدرس من ١٣٩٣هـ وحتى ١٤٠٠هـ

* موظف إداري في كلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم من ١٤٠٠/ ١٤٠٢هـ

* مديرا للشؤون الإدارية بكلية العلوم العربية والإجتماعية بالقصيم، ابتداء من ١٤٠٢هـ وحتى تاريخه

* يساهم بكتاباته في جريدة الجزيرة.

* بريــــدة ص.ب ١١٩٣ تلفون ٣٢٤-٢٢٦٧.


الفهرس

الفهــــرس

رقم الصفحة	الموضـــــوع
جـ	الإهـــداء
هـ	التقديـــم
ط	توطئـــة
	الفصل الأول: عبـر من الحياة
٣	فضل آية الكرسي
٤	إن مع العسر يسرا
٥	عودة التائه
٥	حادثة عجيبة يشهدها «خب المنسي» ببريدة
٧	تاجران عفيفان
٧	غيروا فغير الله عليهم
٨	رؤيا كفلق الصبح
١١	قصة الرؤيا العجيبة التي تحقق تعبيرها
١٢	رؤيا الطفل التي تحققت
١٣	قضية كشفتها رؤيا منام
١٥	رؤيا سجلت حدثا
١٥	الفريق بين الرؤيا والحاسة السادسة
١٨	رؤى أنار الله بها بصائر أصحابها
٢٤	كتب فقدت فكان للعثور عليها حكمة
٢٧	مصاحف أنجاها الله من الحريق
٣١	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان
٣٣	المحسن الذي رزقه الله من دون أن يحتسب
٣٤	الشريكان
٣٥	قصص تؤكد فضل الصدقة
٣٩	وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى
٤٢	من عبر الموت وعظات القبور
٤٤	إذا عرف السبب بطل العجب

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
التحدي من «تيتانك» إلى «تشالينجر»	٤٥
عودة ظهر لها معنى	٤٧
ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله	٤٨
الحياة قصيرة /	٤٨
الخالق هو الرازق	٤٩
إحفظ الله يحفظك	٥٠
جوائح المال الحرام	٥٢
عجيبة	٥٩
عـــبرة	٥٩
عبرتان من القاهرة	٦٠
قصص واقعية عن الكذب	٦١
دواء من كتاب الله	٦٤
الشاب الذي قاوم الجان	٦٧
مشاهدات أكدها التواتر	٦٨
قصص تجانست في غرابة أحداثها	٧٩
السحابة التي أمطرت بردا	٨٤
من طرائف أقضية الشيخ ابن حميد	٨٥
توبة شاب	٨٥
الفصل الثاني: الزمن خلف عقارب الساعة	
فعلام تعرجون وماذا تنتظرون	٨٩
ساعة من نهار	٩٠
قيمة العمر عند العلماء	٩١
الساعة تدق عاما جديدا	٩٢
ساعة البداية وساعة النهاية	٩٣
ساعتك الداخلية «٢٥»	٩٣
الساعة الواقفة صحيحة مرتين	٩٤
٢٤ ساعة.. لماذا	٩٥
باق من العمر ساعة	٩٧

الموضـــــوع	رقم الصفحة

ساعة الفوز ٩٨
ساعة الفتح ٩٩
مرور الثواني ١٠٠
أزمنة الأسفار الثلاثة ١٠٠
هلال العيد والقبة الفلكية ١٠١
المتوقف يتخطاه الزمن ١٠٢
الأتوبيس الطائر ١٠٣
رصيدك الذي ينقص كل يوم ١٠٤
من قال لك ضيع مستقبلك ١٠٦
غدا: ١٧ رمضان والإنتفاضة في شهرها السابع عشر ١٠٦
الفرق بيننا ساعة ١٠٧
ساعة تنامها وتصحو فيها العصافير ١٠٩
كأن لم يكن ما كان حين يزول ١١٠
غدا تشرق الشمس ١١٠
سر الوصيـــة ١١١
خط الـــزوال ١١٢
ساعة لمعنـــاك ١١٦

الفصـــل الثالث: اجتماعيــــات

يا معشر الكتاب صوموا تصحوا ١١٩
أنواع الكتاب ١١٩
اقرأ الوجوه واقرأ الكتب ١٢٠
الكاتب والناقد ١٢١
أيها الكتاب كونوا القراء ١٢١
صياغة الخبر المحلي ١٢١
عشق الحروف ١٢٢
طابع البشر ١٢٣
منابع الكاتب ١٢٣
لغة القرآن ثقاف الكاتب ١٢٣

الموضـــــوع	رقم الصفحة
أيها الكاتب هذا دورك	١٢٥
يشرب ماء ويعطي فكرا	١٢٥
تذوق الكلمات	١٢٥
الفرق بين الحديقة والبستان	١٢٦
ارحلي حيث شئت	١٢٦
الكلمة في كتاب الله	١٢٧
المدير والتوجيه	١٢٧
العمل الإداري إبداع	١٢٧
توقع قبل أن توقع	١٢٨
الكلام للواقف	١٢٩
فلسفة « لا أدري »	١٣٠
التوثيق	١٣١
الناس والحقوق	١٣٢
عشر سنوات بعد الإحصاء	١٣٢
الأم والشمس	١٣٤
الأمومة في قصة من الواقع	١٣٤
أنت أبخص بحالك	١٣٥
أحاكم الزوجة بتهمة الوردة التي كتمت عبيرها	١٣٦
أرضعت الطفلتين لتحرمها على زوجها!	١٣٧
فتاة في بريدة تحارب غلاء المهور	١٣٨
إلى تعليم البنات	١٤٠
الأم المكافحة	١٤٢
الزوجة الصالحة	١٤٣
العروس المجادلة	١٤٣
الحماية المسلحة	١٤٤
الشريكة اللاصقة	١٤٤
مصليات النساء	١٤٥
هل تغير معيار القيمة عند المرأة	١٤٥

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

البركة في التيسير لا في التعسير ١٤٦
استثمرن عوائدكن ١٤٦
نماذج لا تحتذى ١٤٧
السفر ومخازيه ١٤٧
مطلوب توعية الشباب المسافرين ١٤٨
رعاية النخبة ١٤٩
لكي يسوق المزارع انتاجه ١٥٠
متقاعد أم مستشار ١٥١
العود أحمد ١٥٣
يا صناع الطائرات أفيقوا ١٥٤
هل يتصل البحران بقطار المناطق الخمس؟ ١٥٦
قطار المشاعر المقدسة متى نراه؟ ١٥٧
محاورة صريحة ١٥٩
المياه قضية الساعة ١٥٩
قطع غيار الآلات الزراعية ١٦٠
هل تبقى صورة الماضي وسط مدننا؟ ١٦١
سوق الحرف الشعبية متى يقوم؟ ١٦٢
يا أيام الصبا ما أروعك!! ١٦٣
حين أجد نفسي ١٦٤
ما أحلى «شري» ١٦٤
سنابل وخمائل ١٦٥
الزيارات الملكية التاريخية لمنطقة القصيم ١٦٦
المعاصرة حجاب ١٧٠
أبو أحمد شخصية مرحة ١٧١
مسئول وموقف ١٧٢
المـــؤرخ ١٧٣
شخصية متميزة ١٧٥
ذكريات قصيمية ١٧٧

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الوشمي	١٨٠
من أوائل المعلمين	١٨١
فنان زخرفة	١٨٤
خبر الشابين اللذين مضيا إلى ربهم	١٨٥
فتاة داعية غادرت دنيانا	١٨٧
وعزفت عن قيل وقال	١٩٠
شيعوا مسافراً لا يؤوب	١٩٢
سيبويه عند احتضاره	١٩٢
إنها لكذلك	١٩٢
الأجل يعجب من الأمل	١٩٤
مت تعظم	١٩٥
لا تعاتب	١٩٦
عاتب لا تقاطع	١٩٧
ياسر لا تعاسر	١٩٨
هل تغير الناس؟	١٩٨
سرك أسيرك	١٩٩
لولا التثاؤب	٢٠٠
لا تحتقرن الكلمة الصادقة	٢٠١
ألق كلمتك حيث تثمر	٢٠١
وماذا بعد؟	٢٠٢
العلاقة بين الإسراف والسرعة	٢٠٤
العجلة لا تأتي بخير	٢٠٥
تحريف الأسماء	٢٠٦
مصائب قوم عند قوم فوائد	٢٠٧
الحياة خير معلم	٢٠٧
أيها الممسك تذكر	٢٠٧
إنها عصفـــورة	٢٠٨
دعني أفحص أذنك	٢١٠

الموضـــــوع	رقم الصفحة
من نماذج اللاهثين	٢١٠
صنفان من التجار	٢١١
تعظيم شعائر الله	٢١٢
وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة	٢١٢
حادث مروري	٢١٢
اعترافات مخالف (١)	٢١٤
اعترافات مخالف (٢)	٢١٥
واقصد في مشيك	٢١٦
دواء من كتاب الله (١)	٢١٧
دواء من كتاب الله (٢)	٢١٨
القهوة بالقرنفل	٢١٨
العادات الست الضارة	٢١٩
الطبيب المريض	٢٢٠
طبيب ينتقد طب العقاقير	٢٢٠
كيف حال أعصابك هذه الأيام؟	٢٢٢
ضرر الحركات الزائدة	٢٢٣
هونها تهـون	٢٢٤
من أسباب الإرهاق	٢٢٤
وصفة لحياة أبهج	٢٢٥
كيف تعالج همومك	٢٢٦
المعالجة بالجري!	٢٢٨
وإذا مرضت فهو يشفين	٢٢٩
اجعلوا لعطلتكم معنى	٢٣٠
المحادثة تشبه لعبة الأرجوحة	٢٣١
اخطمها يرحمك الله	٢٣١
الوعي محجوب بالألفة	٢٣٣
الشباب بين الوصايا والتجارب	٢٣٤
هل كتبت وصيتك	٢٣٦

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المعول عليه هو الله	٢٣٧
طعام المسكين	٢٣٨
التكاثر	٢٣٨
خذوا حظكم منه	٢٣٩
وكل شيء احصيناه كتابا	٢٤٠
أمانة الوظيفة	٢٤١
موقف مع العم	٢٤٢
الأسرة خلية المجتمع	٢٤٣
اعرف دخلك من خرجك	٢٤٣
تصدقوا بالبهجة	٢٤٤
المعروف	٢٤٥
الإستخلاف	٢٤٩
الفرار إلى الله	٢٥٠
الاستمساك	٢٥٠
التزكية	٢٥١
الإعــراض	٢٥١
الأمنــون	٢٥٢
حروف الشوك	٢٥٢
حصيد الألسن	٢٥٣
نوافذنا على الحياة	٢٥٣
رأيي ورأيك	٢٥٤
الراكضون خلف السراب	٢٥٥
التعهد الأخير	٢٥٨
العقل والغربة	٢٥٨
الهوى والسقوط	٢٥٩
قرارات السائق	٢٦٠
لماذا الإعتزال	٢٦٠

الموضـــــوع	رقم الصفحة

سخريتهم لا تؤذينا فقد نبأنا الله عن أخبارهم ٢٦١
أمة كلما غفت أيقظها القرآن ٢٦٣
أمة لا تموت ٢٦٥
التسويف ٢٦٦
نداء إلى الدعاة ٢٦٧

الفصل الرابع : مالم يدون من الشعر والقصص الشعبي

الملك عبدالعزيز والأعرابي ٢٧١
رحلة إلى الرياض ٢٧١
الرجل الذي لبس ثوب أمه ٢٧٣
حوار مع النفس ٢٧٤
دارك الحقيقية ٢٧٥
بدوية جمعت بين الكرم والفصاحة ٢٧٦
الراوية لا تشح مصادره ٢٧٦
عجائب المغتربين ٢٧٨
تيهة الحضر قصرة ٢٧٩
خمسة وستون ٢٨٠
الخمسون بعد المائة ٢٨١
قطط منفية ٢٨١
ضرب المثل بلحيته ٢٨٢
السلام المصلحي ٢٨٢
من نوادر الأطباء والمرضى ٢٨٢
اختلاف اللهجات ٢٨٤
قرود التاجر ٢٨٥
خطة مكشوفة ٢٨٦
دواء اجريبيع ٢٨٧
شراع أهل الغوص ٢٨٧
العجوز التي طردت الفقر ٢٨٧
فقر وغلدمة ٢٨٨

الموضـــــوع	رقم الصفحة
بدوي يتأمل	٢٨٨
المحسنون سواسية	٢٨٩
العمر ساعة	٢٨٩
من بريدة إلى دمشق	٢٨٩
حديث لحمد الجاسر	٢٩١
الإبل والقطن	٢٩١
غريب الدراويش	٢٩٢
من أبيات المعاني	٢٩٢
سو شاهي يا حارس	٢٩٢
من تعابير العامة	٢٩٢
أمثال شعبية	٢٩٣
إذا نزل القدر عمي البصر	٢٩٦
بيت شارد	٢٩٧
اربط حمارك	٢٩٧
الشاعر معلى في شيبته	٢٩٧
توارد الخواطر	٢٩٨
محاسن برج الوسم	٢٩٨
بدوي يحدد الجهات الأصلية	٢٩٩
الإنسان والحروب	٢٩٩
وصفة شعبية	٣٠٠
شيم القائد	٣٠٠
قصيدة لها قصة	٣٠٠
رحلة خلوية	٣٠١
بين مرابع البدو ومنابت العشب	٣٠٣
فنجال في الربيع	٣٠٤
المرء وحاجاته	٣٠٥
قانون التعامل مع البرد	٣٠٥
شاعر يصف شجاعة قومه	٣٠٦

الموضـــــوع	رقم الصفحة
«العوني» يستعرض مهاراته	٣٠٦
الزوجة التي أفشت أحلامها أسرارها	٣٠٧
الشمس لا تغطى بالغربال	٣٠٧
السلف والخلف	٣٠٧
شاعر من الزلفي	٣٠٨
العوني يكشف عن دهائه	٣٠٨
استرداد القرض	٣٠٨
الكلام بعدد الجمال	٣٠٩
شاعر وأبيات	٣٠٩
النجم اليماني	٣٠٩
في الترك راحة	٣١٠
أبيات من روائع الشعر الشعبي	٣١١
هم الدين	٣١١
التأجيل لا يمنع الرحيل	٣١١
من أبيات الحكمة والتجربة	٣١٢
مفاضلة بين الإبل والنخل	٣١٢
المغفل والأطفال	٣١٣
الراسخات في الوحل	٣١٣
نصيحة تشترى بالذهب	٣١٤
بقعا في عالم الشعر	٣١٥
الدنيا دواره	٣١٦
الدنيا إقبال وإدبار	٣١٧
الرجال والعدل	٣١٨
دعاء من القلب	٣١٨
«بريدة» في عيون أحد أبنائها	٣٢٠
الشاعر: صليج	٣٢١
الحظ على لسان شاعر شعبي	٣٢١
شاعر يتذكر	٣٢٤

الموضـــــوع	رقم الصفحة
حكمة في بيتين	٣٢٥
مرثيـــة	٣٢٥
أميْنا وداعا	٣٢٧
شاعر من شمر	٣٢٨
امرأة مسنة تقول الحكمة	٢٣٨
ظريف مكر به أصحابه	٣٢٨
كفيف ضيعه أولاده	٣٢٩
الشاعر العوني مزارعا	٢٣٩
الشاعر الزمريق	٣٣٠
العمار والدمار	٣٣١
الشاعر الفراوي	٣٣١
أحسنت	٣٣٢
شاعرة من الشماسية	٣٣٢
ألفية معلى الحربي	٣٣٤
الشاعر العسكري / عبدالله العيسى	٣٣٦
بيت له حكمة	٣٣٦
الشاعر السجين	٣٣٧
الشاعر درعان	٣٣٧
القصيدة الرائعة، مخاض تجربة أروع	٣٣٩
محنة شاعر	٣٣٩
لا ملوم أنت في بعض الأسى	٣٣٩
الصديق وقت الضيق	٣٤١
الشتاء في النفود	٣٤١
الشتاء بالبادية	٣٤٢
الشتاء في الحاضرة	٣٤٣
الطبع مثل الجدي	٣٤٣
تشبيه بليغ	٣٤٣
اعتمد على الله ثم على نفسك	٣٤٤

الموضــــــوع	رقم الصفحة
الفرج بعد الشدة	٣٤٤
جاك عمك والبلح	٣٤٥
معمر يهذي بالشعر	٣٤٥
من أدوية الإكتئاب	٣٤٥
السلام رزقه رمح	٣٤٥
العتاب للباقي لا للراحل	٣٤٦
صبي يتحايل لرزقه	٣٤٦
تأجيل السداد أنفع	٣٤٧
غروب وشروق	٣٤٧
يا لايم الصبيان يوم أنت صبي	٣٤٧
من هو المستريح	٣٤٨
لكل مرحلة من العمر حكمها	٣٤٨
الماضى ولى، الأمل مع الغد	٣٤٩
حرف البيت فسقط من عين مضيفه!	٣٥٠
الناس في تجربة شاعر	٣٥١
قهاوي بريدة	٣٥٢
الهوى والنفس	٣٥٢
شروط العقد	٣٥٣
شاعر من قحطان هجره ربعه	٣٥٣
الجمال بلا عقل سراب خادع	٣٥٤
بركة الشيوخ في البيوت	٣٥٥
من رقع الدنيا تبذه فتوقه	٣٥٦
لا تعاند من إذا شد رحل	٣٥٦
في سطور	٣٥٩
الفهـــــرس	٣٦١

تصويبات للأخطـاء المطبعيـة

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٢	السطر الأول	سقطت الميم	ولم
٢٩	س٦ من التهميش	وبعد اطفاء الناء	وبعد اطفاء النار
٣٤	السطر الأخير	إنا بلوناكم	إنا بلوناهم
٤٢	السطر ٩	أن يخلو منه مسجد	أن يخلو منها مسجد
٦١	السطر ماقبل الأخير	انطمست الواو	واقعية
١٢٠	السطر ١٧	توليد الرؤى والأحيلة	توليد الرؤى والأخيلة
٢٢٤	السطر ٣ ، ٤	طُمس الكلام في السطرين	وخلصنا جميعا من هذه المحادثة إلى أنه من الواجب الحتمي أن نتجنب ما أمكن هذه العادات السيئة ، وذلك ممكن بالإرادة القوية ، ومحاسبة النفس ، ثم
١٤٣	السطر الأول	وهي ماهي	وهي ماهيا
١٩٦	السطر ماقبل الأخير	انطمس جزء من الكلام	يتألم من مقاطعة
٢٠٨	السطر ٢١	انطمس جزء من الكلمة	للشرطة
٢٢٧	السطر ١٧	تصبيع وقتي	تضييع وقتي
٢٢٧	س١ من التهميش	محمد بن سليمان الشقيران	صالح بن سليمان الشقيران
٢٣٤	السطر ١٨	ورياش ورينة	ورياش وزينة
٣٢٠	ـــــ	ـــــ	سقط خط التهميش
٣٢٩	السطر ١٠	انطمست الكلمة	قمنـا
٣٣٨	السطر الأول	انطمست الكلمة	معاونه
٣٥١	السطر ١٩	مثل المراعـ	مثل المراعة